ديوان الهبل

أمير شعراء اليمن

حققه

أحمد بن محمد الشامي

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع





ديوان الهبل

أمير شعراء اليمن

حققه

أحمد بن محمد الشامي

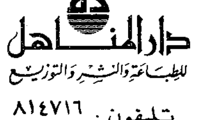
« كادت اليمن أن تذهب بالشعر كله »

أبو عمرو بن العلاء

الدار اليمنية
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م
الطبعة الثانية
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

الناشر
الدار اليمنية للنشر والتوزيع

توزيع


تليفون : ٨١٤٧١٦
٨١٤٦٩٧
ص.ب : ٥٦٤٥ / ١٤
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقــدّمــة

بقـلم
أحمد بن محمّد الشّامي

أمراء الشعر العربي :

هُناكَ - بين شعراء العربية - وهم لا يُحصَون عدّا - بضعة وثلاثون شاعراً لا يستطيع الأديب العربي ، أو المهتم بآداب اللغة العربية ؛ أن يستغني عن أشعارهم ، ومعرفة أخبارهم ؛ حتى وإن كان قد حفظ ، أو اقتنى المئات من دواوين شعراء العربية عبر العصور ، منذ قال طرفة بن العبد :

فإن كنتَ لا تَسْطيعُ دفعَ منيّتي فدَعْني أبادرْها بما ملكَتْ يدي

وإلى أن قال أحمد شوقي :

ما أنتِ يا دنيا، أرؤْيا نائمٍ؛ أم ليلُ عرسٍ ،أم بساطُ سلافٍ؟

وهلْ - لو أردنا أن نضرب مثلاً ؛ - يُغني أيُّ ديوان شعرٍ ، عن قصائد « الملك الضلّيل » الذي سما إلى صاحبته « بعدما نام أهلُها سموَّ حبابِ الماء ؛ حالاً على حالِ ؛ ثم ناجى جارته ؛ ونَفْسُهُ تَسَّاقَطُ أَنْفُساً ، وتتمزّقُ شعباً ، تلك المناجاة الحزينة التي كاد يندكّ لها جبل «عسيب » ؟!

وماذا عن «الأخطل » وثباته ، وقد أهدر « معاوية » دمه لمّا رأى - اللّؤمَ تحتَ

بعض العمائمِ ، وقال فيه « جرير » : « أدركتُه ولَه ناب ، ولو أدركتُه ولَهُ نابان لأكلَني » ؟ !

و«الكُمَيت » و «علويّاته » وقد ظلّ يحمل خشبته على كاهله يفتّش عمّن يصلبه عليها أربعين عامًا . !

و« السيّد الحميري » وعراقته في الشعر كعراقة آل « زهير » قديماً ، وآل « الحضراني » حديثاً ، وقد قال عنه «بشّار» : لولا أن الله قد ابتلاه ، أو ألهاه بمحبة «أهل البيت » لضايقنا في أرزاقنا أو كما قال . !

بل و«بشار» نفسه وقد قتلتْه قصيدة .

و« أبو نواس » ، شاعر الكاس ، والذي قال عنه أحد أئمة المسلمين «لولا مجونه لَرَويتُ عنه الحديث » .

و« ابن الرومي » ؛ وقد قالوا : إنهم لم يجدوا في حقيبة « أبي الطيّب » حين خرّ صريعاً إلاّ «ديوان ابن الرومي » .

وأما «أبو تمام » فهو إمام طبقته ؛ وتلميذه « البحتري » وما حمد النقّاد قولاً لشاعر كما حمدوا إنصاف « المتنبّي » حين قال : « أنا وأبو تمّام حكيمان ؛ وإنّما الشاعر «البحتري » .

وأي ديوان شعر يُغني عن « المتنبّي » وهو الشمس التي يدور حولها كل شعراء العربيّة منذ شعّت وإلى ما شاء الله ؟

وشاعر الإسلام «أبو العلاء» ؛ و« رسالة غُفرانه » و« لزوميّاته » عُلالَةُ الأجيال ؛ وابن الحجّاج ؛ وهو الضلّيل الثاني في تاريخ الشعر ؛ دعك من «الشريف» و«حجازياته» و«تلفّت قلبه» واستمع إليه ينشد ما لا يستطيعه سواه :

وقَفْنَا لَهُمْ من وراءِ الخطوبِ نُطالعُهم من خَصَاصَاتِها

وذلك الذي «ضمّ فضل القناعة»، «وبات مشتملاً بها مُتزملا» يتمتم بقوله :

دعوه ونجداً ؛ إنها شأن قلبه فلو أنّ نجداً تلعةٌ ما نعدّاها

وهبْكم منعتــم أن يراها بعينِه، فهل تمنعون القلب أن يتمناها ؟

إنَّه . . . « مهيار » تلميذ «الشريف » .

وذلك الذي كانوا يسمّونه في وطنه « عمارة السُّنّي » ثم شنقوه في مصر بتهمة «التشيّع » وزعموا أنّه قال :

وكان أوّل هذا الدين من رجل سعى إلى أن دعوه سيّد الأمم

فأفتى فقهآء «صلاح الدين » بقَتْلِه وصَلْبِه . ! !

و« القاسم بن هُتَيمل » هو شاعر القرن السابع دون منازع ، وهو الذي صان لغة الشعر في اليمن من الارتكاس في الصناعات اللفظية ثلاثة قرون. وما إن خيّم القرن العاشر عليها مع العجمة « العثمانية » ، وبدأ شعراؤها يتورّطون فيما تورط فيه شعراء الشام ومصر والعراق ، ويسرفون في المحسّنات البديعية ، والأحاجي ، والتواري ، والألغاز حتى جآء دور شاعرنا « الهَبَل » فأعاد للشعر في منتصف القرن الحادي عشر رصانته وجلالـه ، وفخامتـه وقوّتـه وجـدّد ذكرى «حبيب » و« أبـي الطيب » ، و« البحتري » و« الشريف » ؛ كما فعل « البارودي » في مصـر بعـدَه بقرنين ، ورفع «شوقي » بعده اللواء ، وحلّق به في سمآء لا تطاولها سمآء .

الحسن الهبل :

نعمْ ؛ « الهبل » الـذي نقـدم لديوانـه يحتـل مكانـه البـارز في صفٍّ هؤلاء «الفحول»؛ وهو في نظري خامس خمسة أو سابـع سبعة ، ولـو طال به العُمُـر كـ« البحتري»، (٨٠ عاماً) أو (ابن هُتَيْمِل » ، (٩٥ عاما) لكان ثانـي اثنـين لا ثالث لهما ؛ وإذا كان الموت عاجل « أبا تمّام » وهو لما يتخطّى السادسة والثلاثين ، ولحق «الشريف » بالرفيق الأعلى وهو في السابعة والأربعين ؛ فان شاعرنا « الهَبَل » قد اخترمته المنيّة ولمّا يكمل عامه الأوّل بعد الثلاثين ؛ ولو قلتُ أن الشاعرية العربيّة لم تنجب بعد الحكيمين : « حبيب والمتنبّي » والشاعر : « البحتري » وذلك الذي

قالوا إنّه أشعر شعراء قريش في الجاهلية والإسلام : « الشريف الرضي » مثل شاعر اليمن « الهَبَل » لَمّا كُنتُ عند من يعرفونَه من الغالين .

نسبُه ونشأته :

هو الحسن بن علي بن جابر الهبل ؛ ولد بصنعا سنة : **١٠٤٨هـ/ ١٦٣٩م** وفيها نشأ وبها توفّي سنة : **١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م** ؛ ذكره المؤرّخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال ـ وهو من معاصريه ـ في الجزء الثالث من كتابه مطلع البدور « ص ـ ١٢٥ ـ مخطوطة زبارة » أثناء ترجمته للقاضي علي بن سعيد الهبل فقال « ورثاه الفقيه الفاضل بديع الزمان الحسن بن علي بن جابر الهبل رحمه الله بترثية فاضلة وهي :

أتـدري من تخرّمـت المنون ... ومـن أَرِقَـتْ لمصرعِـه العيونُ

وبعد أن أورد المرثاة قال : « وناظم هذه القصيدة هو الناظم لكلّ فريدة بديع الزمان ، وقريع الأوان من لا عيب فيه إلاّ قرب بلاده ، وقـرب ميلاده : فالمنـدلُ الرطب في أوطانه خشبْ ، إلا عند قومٍ ميّزوا ما خلص مما اتّشَـبْ ، وفرّقـوا بـين النفيس والمخَشْلَـبْ، غير معوّلين على البلاد ، ولا ناظرين إلى الميلاد ، أما الصِّغر فللّه أبو الطيب حيث يقول :

ليس الحداثة من حلْم بمانعةٍ ... قـد يوجدُ الحلم في الشبان والشيب

وأما بُعد البلاد فأمـر لا تعتبـره الحـذّاق ، وإن قالـوا القـرب المفـرط مانـعٌ لأدراك الأحداق ، وقال بعض النّاس :

عـذيريَ من عُصْبـةٍ بالعراق ... قلوبهـم بالجفـا قُلّبُ
يرون العجيب كلام الغريـ ... ـب، وأما القـريب فلا يُعجبُ
وعذرهُـم عنـد توبيخهم: ... مغنّيةُ الحـيّ لا تُطربُ!

ثم قال : « نشأ رحمه الله على العبادة والزَّهـادة ، وعلى مودّة آل محمـد صلى الله عليه وآله وسلّم ، لا يُلْويه عن ذلك لاو ، واشتغل بالعلوم والآداب حتى بَرُعَ

عن المَشْيَخَةِ القُرّح ، فضلاً عن الأتراب ، وله ديوان شعر فائق وسحر حلالٍ رائق في كل معنى مليح ،نهج مناهج الأدباء وجاراهم في رقيقهم وجزلهم ، وجدّهم وهزلهم ، وهو مع ذلك السابق المجلّي ، ولقد رأيت له مقاطيع وقصائد باهرة ؛ ونفَسُهُ أشبه بشعر الأديب الحسين بن حجّاج غير أنّه مصون عن الإقذاع ، وإنما الفصاحة والنصاعة ، وجودة الصناعة ، ولقد كان يقال إن ابن حجاج نفَسُه نفَسُ امرىء القيس بن حجْر » . ثم اختار من شعره قصيدة : « أين استقر السَّلفُ الأوّل » رقم ـ٩ ـ وقصيدة : « أضعتَ العمرَ في إصلاح حالكْ » ـ الديوان رقم ـ٧ ـ وخمس قطع أخرى ، وبعض قصيدته المشهورة : « حتّامَ عن جهل تلومُ » ـ رقم :٣٣ـ » ولقد نقلتُ كلام ابن أبي الرجال برمّته لأنه قد أشار إلى الجحود الذي قاساه «الهبل » ، ولقد كان ابن أبي الرجال ممن توسل بهم إلى حُكّام عصره ، وبينه وبين « الهبل » مراسلات؛ شعراً ونثرا ، وهو زميل لاخوانه وأولاده آل أبي الرجال كما سترى في الديوان ، وفي تراجم الأعلام ، ثم إنّه قد شهد له بالبراعة والتفوّق ليس على أترابه فحسب بل على الشيوخ الأماثل وذلك يفسّر لنا كثرة محفوظات « الهبل » ، وسعة اطلاعه ، وتبحّره في اللغة العربية ؛ ثم إنه قد قرنه «بابن الحجّاج » وهو الذي قال ابن خلّكان في وفيات الأعيان « إنه في الشعر في درجة امرىء القيس ، وإنّه لم يكن بينهما مثلهما لأنّ كلّ واحد منهما مخترع طريقة » ؛ وقال:

« إن الشريف الرّضي اختار من شعر ابن الحجّاج ما جانب السُّخف والمجون فكان شعراً متخيّراً حسنا جيّدا ؛ » . وحسبنا أن الشريف قد اعتنى بشعره وإنّه رثاه بقصيدة رائعة يقول فيها :

بكيتك للشرّدِ السائرات تُعنِقُ ألفاظُها بالمعان

وأمّا الإمام الشوكاني في «البدر الطالع » جـ ـ ١ ـ ١٩٩ ـ فقال : « الحسن بن علي بن جابر الهبل اليماني الشاعر المفلق الفائق المكثر المجيد ولد سنة ١٠٤٨هـ وله شعر يكاد يسيل رقّة ، ولطافة ، وجودة سبك ، وحسن معاني ، وغالبه الجودة ، وله ديوان شعر موجود بأيدي الناس . وبعد أن اختار قطعاً منه قال : « وله القصيدة الطنّانة التي مطلعها :

لو كان يعلم أنها الأَحداقُ يوم النّقا ما خاطر المشتاقُ

(رقم ـ ٣٠ ـ)

وكلّها غرر ، لولا ما كدّرها به من ثلْب الأعراض المصونة ؛ أعراض خير القرون ، ولمّا ارتفعت درجته عند الامام المهدي احمد بن الحسن ، وكان كالوزير له قبل الخلافة وتصدّى للقعود في دستها توفّي في شهر صفر سنة ١٠٧٩هـ فيكون عمره إحدى وثلاثين سنة ، ولو طال عمر هذا الشاب الظريف ، ولو لم يُشِبْ صافي شعره بذلك المشرب السخيف لكان أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الاطلاق ، وأصله من قرية بني « الهَبَل » ، وهي هِجْرة من هِجَرِ « خولان » ، ومحله ومحلّي «يقصد شوكان » واحد ليس بينهما مسافة ، بل بينهما من القرب بحيث يسمع كلّ واحد ممّن فيهما كلامَ الآخر » ؛ وختم الشوكاني كلامه قائلاً :

وقد بالغَ صاحبُ نسمة السَّحَرِ في حقّه ؛ فقال : إنّه لم يوجد باليمن أشعر منه من أوّل الإسلام ، وهذا معلوم البطلان فالصواب ما قلته سابقاً » .

الشوكاني والهبل وقصّة المجموع :

ترى هل يَحْسُنُ بي أن أقف وقفةً قصيرة مع الامام « الشوكاني » الذي وإن كانت داره قريبةً من دار « الهبل » في أرض «خولان الطيّال » ؛ حيث داري وأهلي أيضاً ، لأقولَ له في رفقٍ ولين ، وإجلال شجاع ، إن قربَ الدار لا يقصّر المسافة بين المختلفين روحاً ، أو مذهباً ، أو سلوكا . ! والمسافة ما بينك يا شيخ الإسلام ، وأكبر مستشاري المهدي عبد الله ، وبين الشاعر « الزيدي » «الحسن الهَبَل» شاسعة جدّاً ؛ لو اجتازها صاروخٌ يُرقلُ بسرعة الضوء لما طوى أقطارَها إلاّ في سنوات . ثم لأُناقش في رفق وإجلال أحكامَه النقدية في الشعر والتي كثيراً ما يتبرّع بها وبكرم زائد على قرّاءِ كتابه الجيّد المفيد «البدر الطالع » وأقول له : إنّه أحياناً يتسرّع في إصدارها ، وإنها أحياناً لا تكون مقبولة لدى العارفين بالشعر ؛ ثم لأقول له إنّه ليس بالحَكَم التُّرضي حكومته شعريًّا . . . حتى ولو كان قد ألّف ديوانا . ! لأنه قد عبّد نفسه ووهبَها للفقه ، وعلوم الشريعة ، وكان مجلّيا في حلبات سباقها ، مجتهداً ،

ومجادلاً ومخطئاً ، ومصيبا . وإذنْ فما له ولمصاولة نقّاد الشعر ، ولتخطئة المبرّزين في معرفته ، والذين لا يقيّدون أحكامهم بِلَوْ كانَ كذا، أو لَوْلاَ كذا ؛ لكانَ كذا . والتي كثيراً ما نسمعها مِمّن يريد أن يضعّف ، أو يمرّض شهادته لصاحب الكمال بالكمال لغرض من الأغراض ؛ « لو طال عمر هذا الشّاب الظريف ، ولو لم يشبْ صافي شعره بذلك المشرب السّخيف ، لكان - أي الهبل - أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الإطلاق » هكذا قال شيخ الإسلام الشوكاني ، ونحن نعلم أنّ مثل هذا التمريض البياني لا يخطر ببال من لا يتعصّبون لغرضٍ ، أو ينفعلون بهوى، عندما يؤرّخون أو ينتقدون أو يحكمون .

و « لو » هذه التي يقول اليمنيّون إنها « إسم جنّي » ، وإنها تفتح باب الشيطان ؛ قد نستطيع أن نتقبّلها مع كلِّ أمنية أو حُلُم ؛ ولكنّا لا نستطيع أن نستسيغها ونحن ننقد الشعر والشعراء ، ولا نستطيع أن نقبلها من « الشوكاني » وفي شعر « الهبل » بالذّات ؛ فقصائد ديوانه ؛ بلاغةً وفصاحةً ، وأسلوباً وسبكاً ، وتصويراً وتعبيراً ، « كلها غُرَر » وإن شابها ما شابها مما لا يرضِي الامامَ الشوكاني ، ولا يرضينا أيضاً ، من النّاحية المذهبيّة ، علماً بأنها أبيات معدودة لا تُنْقِصُ من قيمة الديوان وصاحبه شعرياً لو حذفَتْ، ولا تزيده فضلاً إذا بقيتْ، وإننا أو غيرنا إذا لم يرضَ عنها رأياً ومذهباً فلا يستطيع أن لا يعجب بها تعبيراً ، وفناً وتصويراً ، وعلى هذا استسغنا الكثير من أشعار الفحول في الجاهلية والإسلام . سواء كانوا كفاراً أو فسّاقاً ، أو خوارج أو من فرسان الهزل والمجون ، أو كانوا - كالهبل - من الزهّاد الأبرار . وسيظل «الهَبَل » ورغم هذه النظرة الفقهية ، أو المذهبيّة ، أشعر شعراء اليمن كما قال الشاعر الناقد يوسف بن يحيى في كتابه القيّم « نسمة السحر » وهو الأقرب إلى الإنصاف والصّواب عند دارسي آداب اليمن .

وموضوعاً آخر أودّ أن أناقشه مع الامام الشوكاني وهو الذي علّمنا حرية الرأي ، وصراحة القول ، في نقاشٍ هادىء حينا ؛ عنيف حيناً آخر وذلك ما قاله من أنّ الهَبَل « لما ارتفعت درجته عند الامام المهدي أحمد بن الحسن وكان كالوزير له قبل الخلافة وتصدّى للقعود في دستها توفي » ! وأنا لا أدري كيف يصدر مثل هذا القول من مثل الإمام الشوكاني ؟ ! ولا أدري من أين استقى هذا الخبر ؛ ! فأستاذ الهبل

ومعاصره والذي كان يخاطبه في شعره مخاطبة الوالد لولده القاضي العالم المؤرخ الشاعر أحمد بن صالح ابن أبي الرجال قد حكى لنا في كتابه «مطلع البدور» عن سوء حظّه ومحاربة الدهر له ما سبق أن سجلناه ، وصديقه الحميم في الشعر والرأي والمذهب أحمد بن ناصر المخلافي جامع ديوانه ، قد وصف لنا ما كان يعاني من هموم الفقْر ، والديون ، حتى اخترمته المنّية شهيد الغم والقهر والوشايات ، وكلّ ذلك صريح واضح في مقدمة الديوان ، وفي تقديماته لبعض قصائده ، بل والشاعر نفسه قد أعرب عن كل ما يؤكّد هذا . فقال في طويلته الدالية التي بعث بها إلى صديقه وجامع ديوانه (قصيدة رقم ـ ٢٥٨ ـ) في شهر شوال سنة ١٠٧٨هـ أي قبل وفاته بحوالى عام :

على أنّني قد صرتُ بعدك «أعجماً» وإن كنتُ أزري لهجة «بزياد»
لدهرٍ رماني بالمصائب صرفُهُ، وأضنى فؤادي خطبُه المتمادي
أطال حروبي بالمضرّات والأذى، ولا طول حرب الحارث بن عباد
يحاول إهمالي وإسقاط رتبتي ويسعى حثيثاً في خمود زنادي،
وثقل ديونٍ للورى يا بن «ناصرٍ» يراوحني همّي بها ويُغادي،
ملأْنَ فؤادي بالأسى، وسلبْنني رقادي، وملّكن الرجال قيادي
فأصبحتُ رهناً في «أزال» لأجلها وغير «أزالٍ» بُغيتي ومرادي،
وإن كان فيها منشأي وولادتي ومسقط رأسي ؛ فهي غير بلادي!

وهي صرخة يأس مدويّة لا يمكن أن تصدر من شخصٍ تحسَّنت حالته ، أو ارتفعت مكانته ، وتصدّى للقعود على دَسْت الوزارة كما يقول شيخ الاسلام الشوكاني ويمضي فيقول :

وما بلدي إلاّ الذّي فيه أغتدي وعرضي مصونٌ عن مقال أعادي
بلادٌ بها لا أختشي الذلّ إن غدت عليّ لأحداث الزمان عوادي
أأقعد في قومٍ أرى الشِّعر بينهم يباعُ ببخسٍ ظاهرٍ وكسادِ
لنبّهتُهم بالمدح للجُودِ والندَى، فتحسبني حرّكتُ صخرة وادِي
وحرّكتُهم بالشعر فى كل ساعةٍ وقد مُلِئَتْ أجفانهم برقاد

إلى آخرها، ولو ذهبت أدلّل وأستكثر بالشواهد لأوردت في المقدمة هذه ثلث الديوان. وحسب القارىء أن يرجع إلى الباب الرابع والسادس من الديوان، غير أنه لا بد من التنويه بقصيدته الهمزية التي كتبها إلى صديقه الشاعر العالم السيد أحمد بن محمد الأنسي ولكنه أخّرها ولم يطّلع عليها الأنسي إلاّ بعد وفاة الهبل ومطلعها:

أُذن الندى عن نداءِ الشعرِ صماّءُ ... فليسَ يجـديك إنشـادٌ وإنشاءُ

وفيها سخريةٌ لاذعةٌ، ونقد قارس للحكّام البخلاء، وتحسرّ وأسى مثل قوله:

ويا مرجّـى نوالاً؛ أنتَ في زمنٍ ... فيه المكارم والعلياء أسماءُ
إيّاك إيّاك؛ أن تدلي بسابقةٍ ... فـإن ذلكَ إن حقّقتَـه الداءُ
ولا تقلْ إن أردْتَ النُّجْحَ قد قُتِلتْ ... أمَامَـكم ليَ أجـدادٌ وآباءُ
يُقْصَى المحبُّ ويُدنَى من عقيدتهُ: ... نَصْبٌ، وجبرٌ، وتشبيهٌ، وإرجاءُ

إلى آخرها وهي طويلة وذات مغازٍ بعيدة (قصيدة رقم -١٠٥-) ولو تأمّلها الشوكاني لعرف ما كان يكابده صاحبنا؛ بل لو تذكّر أن ابن احمد الآنسي هذا الذي أراد الشاعر أن يبعث بهذه الهمزية إليه، قد كان مصيره السجن ثم الفرار إلى مكّة حيث حاز قصبَةَ السبّق في مباراة شعرية، مع شعراء من سائر الأقطار العربية؛ ولمّا عاد إلى وطنه «جرت له خطوب كثيرة مع المهدي صاحب المواهب» ثم نفاه إلى جزيرة «زَيْلَع» حيث مات هناك سنة ١١١٩هـ. (وانظر البدر الطالع ص - ٣٦ - ٣٧ - جـ - ١ - للشوكاني نفسه).

والذي سيتأمل ما ورد في الديوان سيعرف أن مثل الهبل لا يمكن أن ينجح بمبادئه في مثل زمنه، وإنْ مصيره كان سيزداد سوءاً لو عاش؛ ولا سيما وقد كَبُرت الانحرافات التي كان يتحسَّبُها، ويحذّر منها، ويدعو إلى محاربتها؛ على أن موقف الشوكاني من الهبل لن يكون واضحاً ما لم نشر إلى قضية غريبة أشار إليها في ترجمته للسيّد يحيى بن الحسين بن المؤيد في الجزء الثاني من البدر الطالع ولم أجدها في سواه قال: «وله تلامذة نبلاء، منهم القاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق المخلافي والأديب أحمد بن محمد الآنسي المتقدم ذكره، وكذلك الشاعر المشهور الحسن بن علي ابن جابر الهبل، وكان (يعني السيد يحيى بن الحسين) متظاهراً بالرفض، وثلب

الأعراض المصونة من أكابر الصحابة ومشى على طريقته تلامذته ورأيت بخط السيّد يحيى بن الحسين بن الامام القاسم المذكور قبله ؛ أنّ صاحب الترجمة تواطأ هو وتلامذته على حذف أبواب من مجموع زيد بن علي وهو ما فيه ذكر الرفع والضمّ والتأمين ، ونحو ذلك ثم جعلوا نسخاً وبثوها في النّاس ؛ وهذا أمر عظيم وجناية كبيرة ، وفي ذلك دلالة على مزيد الجهل ، وفرط التعصّب ، وهذه النسخ التي بثّوها في الناس موجودة الآن ؛ فلا حول ولا قوّة إلا بالله » انتهى كلام الشوكاني ص - ٣٣٠ - البدر الطالع - جـ - ٢ -

ولا أريد أن أشكّك في كلام الامام الشوكاني من أن السيّد يحيى بن الحسين بن المؤيّد أستاذ الثالوث المذكور كان يتظاهر بالرفض ، ولا أجادلهُ في ذلك ، إذ لا علم لي به ، كما أنّه قد ورد فيما نقل الينا من أشعار الهَبَل ، والمخْلافي ، بعض ما أشار إليه الامام الشوكاني ، ونُقل إلينا أيضاً أن المخلافي نفسه اعتدل ورجع عن « جاروديّته » ، بَلْ وذلك هو ما دفعني إلى حذف الأبيات التي فيها ثَلْب للأعراض المصونة . ولكن الشوكاني ، لم يذكر أين قرأ الكلام الذي نسبه إلى العلامة يحيى بن الحسين بن القاسم وهو كلام خطير، وتهمة تشكّك في أهم مرجع للزيدية؛ وهو «مجموع زيد بن علي» عليه السلام؛ ومخطوطاته المتداولة كثيرة، وقد طبع مرتين أحدثها طبعة «المؤيد» في خمسة مجلّدات وعليها شرح القاضي الحسين بن أحمد السيّاغي (١١٨٠ - ١٢٢١هـ) والذي سمّاه «الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير، وقد ترجم الشوكاني للسياغي في البدر الطالع : جـ - ١ - ص - ٢١٤ - وقال: «هو رفيقي في بعض مسموعاتي على شيوخي» ثم قال: «وقرأ مجموع الامام زيد بن علي على القاضي العلامة يحيى السّحولي، وعلى آخرين وبرع في هذه المعارف كلّها وفاق وصار من أعيان علماء العصر المفيدين في عدّة فنون» «مع ذهن قويّ، وفهم صحيح، وإدراك جيد، وسمت حَسَن، ورصانة عقل ، ومتانة دين». ثم قال «وهو الآن يشرح مجموع الامام زيد بن علي شرحاً حافلاً وبيني وبينه مكاتبات ومشاعرات ومباحثات في عدّة مسائل».

وعدتُ « إلى الروض النضير » لأرى ماذا سيقوله « السيّاغي » تِرب الشوكاني

ورفيقه ، والحائز لتقديره وثقته ، فوجدته يقول عن « يحيى بن الحسين » ، وعن المخلافي ، غير ما يقوله الشوكاني . قال في مقدمته وهو يسند روايته لمجموع الامام عن فلان عن فلان إلى أن يقول « عن القاضي أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق المخلافي عن شيخه السيد حافظ العترة يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم » ص ـ ٤٥ ـ جـ ـ١ ـ الروض النضير ويقول في ص ـ ١١٩ ـ في ترجمته للامام زيد : « ووجدتُ في تعاليق المجموع عن السيد الحافظ يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم رحمه الله أن أبا حنيفة من تلاميذ زيد بن علي وأنّ مدّة قراءته عليه سنتان ، وقال السياغي في ص ـ ٤٢ ـ وهو يتحدث عن الذين اهتمّوا بالمجموع وشرحوه « ومن ذلك ما وقفت عليه من شرح القاضي العلامة أبي محمد أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق المخلافي الحيمي رحمه الله تعالى ، وهو جزء بلغ فيه الى سجود السهو وهو شرح نفيس سلك فيه متابعة مذهب الامام عليه السلام (لعله يقصد الهادي) حذْو النّعلِ بالنّعل ، مستظهراً على ذلك بأدلـةٍ من العقل والنقل ، وغالب ظني أنه لم يكمل ، ولو تمّ لكان شرحاً حافلاً وسفراً بالفوائد كافلا » كما إنّه روى في ص ـ ١٣٧ ـ عن « المخلافي » ما يرويه عن شيخه يحيى بن الحسين بعبارة تنم عن الإجلال والإكبار لهما ولو تتبعنا نقولات الامام السيّاغي عن العالمينْ الجليلَين أثناء شرحه للروض النضير لوجدنا الكثير الذي يؤكّد أنّه لم يعثر على ما أشار إليه «الشوكاني» من أنهما قد تواطئآ مع الهبل والآنسي على حذف أبواب من مجموع زيد . وإذن . ! ولا أدري ما أقول ! ؟؟ ويا لِلْهوى وهَوْلِهِ إذا تحكّم . . إنه يفسد الرأي . . . والله المستعان .

« الهبل » الزيدي الثائر المظلوم :

إن صلتي بالهبل ليست صلة اليمني العادي بل هي صلة شعريّة عتيقة ، ومذهبيّة عريقة ، فأنا من « خولان الطيّال » مثله ، ومثل « الشوكاني » ، وشيخنا جميعاً مؤلف « مطلع البدور » ، ثم قد نشأت طفلاً وشاباً في «صنعاء » ، وفي بيئةٍ « زيدية » متقشّفة ، وفي ظروف سياسية واجتماعية تُشبه ظرف «الهبل » ، فكما كانت

اليمن قد خرجت من حروب دامية مع « الأتراك » وظفرت بالاستقلال والوحدة ، على يد «الامام القاسم » وأولاده أيام « الهَبَل » ، كانت « اليمن » قد ظفرت بالاستقلال بعد حربٍ شحيحة مع «الأتراك » ، وكان لأبي وجدّي ، وسائر أسرتي من حظ المساهمة في سبيل ذلك الاستقلال مع الامام يحيى وأبيه ؛ ما كان لأسرة « الهبل » ؛ وليس ذلك فحسب بل وقد نشأتُ وعشت في نفس المنطقة التي نشأ وتربّى وتأدّب فيها الحسن بن علي الهبل » ؛ ما بين حارتَيْ « الفلَيْحى » و« العَلَمي » و« حافة » « الجوافة » و« صرحة مُطَير » من حارات وحافات «صنعاء » وبين أولاد وأحفاد الأسر الذين عاش مع آبائهم«الهبل » و« الشوكاني » و« زبارة» و« الأمير » و« أبو الرجال » ؛ إلى «السّحولي » و« المغربي » و« العمراني » وأمثالهم ؛ وفي مسجد «الفليحي » حيث كنتُ ـ مثل «الهبل » أُؤدّي الفرائض اليومية ، وحيث تعلّمت القراءةَ والكتابة ، ودرست القرآن الكريم وعلومَه ؛ وبجانبه تَنْتَصِبُ تلك القُبّة البيضاء محزّمة بذلك الحزام « الأزرق » ـ أو الذي كان أزرق ـ والمطرّز وبخطٍ جميل ، ونقشٍ بديع ـ ببيتين كانا أوّل محفوظاتي ، ولما أتجاوز السابعة ، وربّما أنهما كانا أوّل ما تهجّاهما « الهبل » رحمه الله وهما :

لي خمسةٌ أطفي بهم نارَ الجحيمِ الحاطِمَهْ . . ؟
« المصْطَفَى » و «المرْتَضَى» و«ابْنَيْهما» و « الفاطمهْ » .

وأنا أقول هذا ؛ لأن أبناء حارة « الفلَيْحي » ، أو من يتردَّد على مسجدها للصلاة أو للدراسة ؛ من الحارات المجاورة ؛ « كالقُزالي » و« العَلَمي » و« كُبَاس » وغيرها لا يستطيعون إلاّ أن يقرأوا هذين البيتين ، ولا يفوتهم ، ولو من باب الفضول ؛ أن يتهَجّوهما ، ولا يفوت من يُحِبُّ الشعرَ منهم ـ وقد جُبلتُ كذلك ـ أن يترنّم بهما ، وأن يحفظهما ، بل ويجعلهما هجّيراه ، وأذكر أنا كنّا نتمرّن بتهجيهما وكتابتهما على القراءة الصحيحة ، وتحسين الخطّ ، فاذا تدرّجنا إلى مرحلةٍ أعلى قرأنا البيتين المكتوبين ـ وإن بخطٍّ غير بديع ـ على محراب الجامع وهما :

يا بنَ عمّ النبيّ إنّ أناساً قد تولّوكَ بالخلافةِ فازوا
أنتَ للعلْم في الحقيقةِ بابٌ يا إماماً؛ وما سواك مجازُ

ولا أزال أذكر ذلك الجدل الذي كنت أستطيبه ، وأجده لطيفاً مُمْتِعاً في بادىء الأمر ، ثم ملَلْتُه ، وضقت به ذرعاً ، لكثْرةِ ما سمعته ! وهو يدور بين من قد قطعوا شوطاً في معرفة النحو والصرف عن إعراب لفظة «الامام» ؛ ولماذا نصبها الشَّاعر ؛ كلماّ قرأوا هذين البيتين .

وليس هذا فحسب بل لقد كنتُ أشعر ـ مثل سائر زملائي ـ نحو عائلة «الهَبَل» المتواضعة الحال ، بكثير من الاجلال والتقدير ؛ لأنهم كما قيل لنا ؛ أسرة شاعر « أهل البيت » ؛ وكانت قصائده يُتَرنَّم بها في الاحتفالات ، ومناسبات « العرس » أو « العزاء » ؛ ويا ما كان أوقعها في نفسي عندما ينشدها أستاذي الأديب محمد « النعماني» ، أو الشاب الظريف عبد الله « الحليلي » ولا سيما قصيدته :

حتامَ عن جهلٍ تلومُ؟ مهلاً فإن اللّومَ لومُ !

أو الأخرى :

لو كان يعلمُ أنهّا الأحداقُ يوم النّقا ؛ ما خاطر المشتاقُ

وقد حفظت القصيدتين ، أو بعض أبياتها ولمّا أتجاوز الخامسة عشر من سنيّ الحياة .

وإذنْ ؛ فأنا حين أتحدّث عن « الهبل » أتحدّث حديث ابن بيئته ، ورضيع نشأته ، وخرّيج مدرسته ، ورفيقه في دربٍ لم أَجِد عنه يميناً أو شمالاً ، إلاّ بعد أن شبَّ عمرو عن الطّوق ، أو لم أختلف مع شاعره رأياً وتفكيراً ، إلاّ بعد أن تدافعتْ بي تيَّارات ظروفي الأدبيّة ، والعلمية والسياسيّة ، في شتّى الإتجاهات ، حتى قذفتْني إلى شواطىء بعيدة عن « صنعاء » ، ومسجد « الفلَيْحيّ » ، وما حوله من بقاع طيّبةِ الثّرى ؛ لا زالت سحائب رعاية الله تدرّ الخير على رحابها . .

والهَبَل كما قال شيخه أحمد بن صالح بن أبي الرجال : « نشأ على مودّة آل محّمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يُلْويهِ عن ذلكَ لاو» ، فالتشيّع مفتاح شخصيّته ، فيه يُوالي ، وبه يعادي ، ويحُب ويكره ، ويسخط ويرضى ، ويخطي ويصيب ، وهو زيديّ الرأي والأصول ؛ ولكنّه ـ وذلك ما ينطق به شعره ـ كان متطرّفاً مغاليا

ينهج نهج « الجاروديّين » ،ولأنّه نشأ في بيئة فروسيّة وزهد وفي ظلال أسرة وجماعة يلتفّون مع قبيلتهم حول « الامام القاسم بن محمد المنصور » ، وكان لأبيه وعمّه وغيرهم من أفراد أسرته الحظ الوافر من الجهاد والنضال ضد الأَتراك والسلاطين و« الاقطاعيين » و« العملاء » ، الذين كانوا يوالونهم في بعض الاصقاع اليمنية ، والعمل باللسان والسنان لتكوين الدولة « القاسمية » التي ما إن توفي مؤسّسها «القاسم » حتى تمكّن أولاده « الحسين » و« الحسن » و« المؤيد » و« المتوكّل » ، وحفيده « أحمد بن الحسن » ممدوح « الهبل » ؛ والذي أصبح إماماً بعد وفاة شاعره وتلقّب بالمهدي . . من رفع راية « اليمن الكبرى » على كلّ أقطارها ، وأحاط البحر بدولتها من الشرق والغرب والجنوب . بل إن الشاعر نفسه قد شارك أميره أحمد بن الحسن « سيل اللّيل » ، في بعض الحروب التي خاضها، ورافقهُ في قمع التمرّدات القبلية هنا وهناك ، وحضر بعض المعارك ، ووصفها وصفاً بديعاً كما فعل شاعر العربيّة الأول أبو الطيّب المتنبّي مع أميره سيف الدولة ؛ وكان « الهبل » قد كتب على سيفه البتّار هذين البيتين :

أنــا ألسّيف لا تُخْتَشى نَبْوتـي إذا خُـشِيَتْ نَبْــوةُ القاضبِ
إلى «ذي الفقار » اعتزائي كما إلى «حيدَرٍ » يعتــزي صاحبي

وكأنه لتفانيه في حبّ «عليّ » سيد الفرسان لم يكتف بذلك ، بل جعل سيفه «شيعياً » لسيف « علي » « ذي الفقار » وأنطقه بهذين البيتين الرّائعين . . . وتلك البيئة « الزيدية » المتقشّفة هي التي جعلته يمجّد « الفتوّة » ، والصدق ، والحقّ ، والشجاعة ، وسائر مكارم الأخلاق في شعره مادحاً، أو مفتخراً ، أو متجرّما ، أو محرّضاً . وبصراحة وعناد سبّبا له المتاعب والضنك في حياته ، والجحود والمحاربة بعد مماته ؛ بل وجعلتْه نفسه يشعر بالعزلة والوحشة والغربة في وطنه حتى مات قهراً وكمدا .

لقد ظُلِمَ الشاعر الهبل حيًّا وميّتا ؛ فإنّه ؛ وهو العالم الذي قال «ابن أبي الرجال » إنه « اشتغل بالعلوم والآداب حتّى بَرُعَ على المَشْيَخَةِ القُرَّح ، فضلاً عن الأَتْراب » ، قد اعتنق مذهب « الثورة » والخروج على الظلمَة والمنحرفين ، وألزم

نفسه محاربة الفساد بلسانه وسنانة كما جهر بنقد المنحرفين والفاسدين ، فِكْراً ، أو عقيدة ، أو سلوكاً ـ نقداً لاذعاً مريراً ، وعندما رآهم يحاولون جرجَرة القائمين بالأمر إلى ما يخشاه على جوهر الحكم الّذي يتصوّره « تطبيقاً » عملياً لأحكام ومبادىء « النظرية » « الزيديّة » من «عدل » و« توحيد » ، وتشريع متكامل للحكم بما أنزل الله لم يصمت ، ولم يجامل بل نصح وحذّر ، ثم حرّضَ من يحسبه قادراً على الاصلاح والتغيير شأنه شأن المصلحين ، وأصحاب المبادىء في كل زمان ومكان .

وكل ذلك قد جرّ عليه الويل ، فحاربه ـ بل وحارب ديوان شعره ـ من لا يقول برأيه من الفقهاء وذوي السلطة حتى ولو كانوا من أبناء وأتباع فرقته وطائفته .

لقد التقى المتنافرون رأياً ، ومذهبا ، ومزاجاً ؛ عن وعْي ، وعن غير وعْيٍ ، وبقصْدٍ ، وبدون قصد ، على غمط الهبل ، وتحاشِي ذكره أو الاستشهاد بشيء من شعره ، جمعهم على ذلك قاسم مشترك ، وحّد بين المتنافرين رأياً ومذهبا ، والمختلفين هوًى وشعورا ،و المتباينين ثقافةً وتفكيراً ، على مدى الأيام والعصور ، وحلَّ بذلك على شاعر اليمن « الهبل » ظلمٌ كبير .

فالزيدي « الهادوي » الذي يعلم علم اليقين أنّ « الهبل » قد أحبّ الامام « زيد بن علي » حبًّا جماً وقال فيه :

مهما نسيتُ فلسْتُ أنسى مصرعاً … «لأبي الحسين» الدّهرَ حتى أُقبرا
ما زلتُ أسألُ كل غادٍ رائحٍ … عن قبره؛ لم ألْقَ عنهُ مخُبِرا
بأبي وبي، بل بالخلائق كلّها … من لا له قبرٌ يُزارُ، ولا يُرى!

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة عدد أبياتها ـ ١٤٦ ـ وفي آخرها ناجَى « زيداً» بقوله :

يا ليت شعري هل أكون مجاوراً … لك، أم تردّني الذنوبُ إلى الورى؟
أأُذادُ عنكم في غدٍ، وأنا الذي … لي من ودادكَ ذمةٌ لن تخُفرا؟
قُلْ: ذاالفتى حضرَ اللّقامَعَنا،وإنْ … أبطا به عنّا الزّمان. . وأخرّا

وهي نفثة شاعر زيدي يحسب نفسه لا يزال في معركة «زيد » مع دعاة العدل

والتوحيد ، بل إنّه قد حضرها ، وإن أبطأ به الزمان . (انظر الديوان قصيدة رقم - ٣٥) وقال في الأخرى رقم - ٣٦ -

لمّا رأيتُ الناس قد أضحوا على	جُرفٍ من الدين الملفّق هارِ
تابعتُ آل المصطفى متيقّناً	أنّ اتِّباعهمُ مراد الباري،
وقفوت نهج (أبي الحسين) مُيمّماً	منه سبيلاً واضحَ الأنوار،
خير البريّة بعد «سبطيّ أحمدٍ»،	مختارُ آل «المصطفى» المختار

وقد أنشأ هذه القصيدة في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٧٨هـ أي قبل أن تختطفه المنيّة ببضعة أشهر ، وقال ما قاله في « المجموع - انظر القصيدة رقم - ٣٧ -

هذا الزيدي الهادوي ورغم أنه يعرف كل ذلك وما هو أكثر منه عن «الهبل » ، ويراه مثلَه الأعلى لغةً وبياناً لكنّه يخشى أن يشيد بشعره ، وأن ينشره بين الناس ، لأنه يخاف أن يقال عن جماعته أنها فئة ابتداع خالفت نهج «السّلف » ، وأهل « السنّة والجماعة » ولا سيما وفي شعر «الهبل » نفسه من المغالاة والتجرّم ما نعتقد جميعاً أنه قد أفرط فيه وشطّ ، وخرج به عماّ قاله الامام زيد نفسه ، وصيحته المدوّية التي صفع بها وجوه الذين أرادوا منه أن يتبرّأ من الشيخين الصدّيقين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : « اذهبوا فأنتم الرافضة » ، لا تزال تجلجل في صماخ الزمن . . . ولكنه - أي الزيدي العادي - قد انخذل نفسيًّا ، وأرهبته صيحات « القالين » والمتعصّبين ، والذين ينكرون مع الباطل ، الكثيرَ من الحقّ ، حتى بلاغة الفصحاء وعبقرية الشعراء وإبداع المبدعين . . . فعاد على نفسه لا يكتفي بإنكار تلك الأبيات القليلة من شعر المغالاة ، والتي لا ترفعه ، ولا تضعهُ ، شعريا كما قلنا ؛ بل ويكتم ديوانه ، ويحذّر فئته من إظهاره ونشره والتفاخر به .

ويأتي إلى جانب صاحبنا هذا « الزيديّ العادي » ؛ الذي ظلم الهبل ، وغمطه حقّه ، لا كراهية له ، ولا عن جهل بقدره ، ولكن إشفاقاً على نفسه وعلى جماعته التي ينتمي إليها من تعنّت « أباطرة » المقلّدين أو « المغفّلين النافعين » - كما كان يقول بعض أساتذتنا - والذين نشّأتهم الحكومات والدول المتعاقبة منذ صارت « الخلافة » ، «ملكاً عضوضاً» .

يأتي بعد هؤلاء أو إلى جانبهم ، المتسلّطون من الـطامحين ـ وأنا إنما أتحدّث عن اليمن ـ ممّن يعتقد بعضهم انهّم بمجرّد انتسابهم الشريف إلى الحسن أو الحسين ـ عليهما السلام ـ وتلقبهم بلقب الخليفة أو الامام أو أمير المؤمنين ، واعتناقه « نظريًّا» للمذهب الزيدي ، ودعوته لنفسه لأنّ أباه أو جدّه أو عمه كان يسمّى « إمامـاً » . بمجرد هذه الدعوى العريضة يظنّ أنّه قد استحقّ الولاء ، والطاعة على البشر ، في «المنشـط والمكره » ، ولا سيما وقـد بايعـه على ذلك « شيخ إسلامـه » وأتباعــه من الفقهاء ، والقضاة ، وأَكَلَةِ السُّحت، والمتاجرين بالفقه ، والعلم ، والأخـلاق ، وما أكثرهم في تاريخ اليمن .

هؤلاء وأولئك حين يسمعون الهبل يقول (قصيدة رقم ـ ٢٥٩) :

قد أصبـح الدين نهباً بين زعنفةٍ	لا يرقبون إلّـه النّاس في النّاسِ
قد كاد يبكي لو انّ الدمع أسعَدهُ ·	ويرتمـي شرراً من حرّ أنفاسِ
وكاد يصرخ : يالله ؛ من فِرَقٍ	«نَيْفٍ وسبعين» ظلّت ذات إلباس
قدخالفتْ نفسَ خيرِ الخلقِ «حيدرةٍ»	ميلاً إلى قول أرجاسٍ وأنجاسِ

أو يسمعونه يفنّد الخضوع والتقليد ويقول متوعّدا : (رقم ـ ٥٨ ـ) :

هيهـات ذلك دين لا أفارقه	حتى أجيء غداً في زمـرة الشهدا
حتّـام يعتـادني التـقليد بينكم	مضى زمانـي ما آنستُ نارَ هُدى
فاليوم أحمـدُ خلاّقـي وأشكره	شـكراً به أستزيد الفضل والمددا
إذ من غُطَامِطِ بحر الجهل أنقذني	فضـلاً، ووفّقني سبحانه وهَدى
أصبحتُ أرجو بسعيي في خلافِكمُ	معيشـةً رغـداً عند النبيّ غدا
كم عاكف فوق سفرٍ ظلّ يعبده	أيّامـه ولياليه تمـرّ سدى
إني رضيت كتاب الله لي بدلاً	مـن كلّ قَدمٍ على الآراء قد جمدا
ومـا رواه عن المختار «حيدرةٌ»	حسبي به ؛ إن فيه الخير والرشدا
قفوتُ «زيداً» إمام الحقّ متبعاً	طريقـه لست أقفو دونـه أحدا
فقصِّروا عن ملامي إنّني رجلٌ	لا أرتضي غـيره دينـاً ومعتَقَدا
والله ؛ لـو أنّ روحي دونه تَلفَتْ	لا حلْتُ عنه، ولا فارقته أبدا

حين يسمعون هذا القسم وهذا التصميم على السعي في مخالفة « التنابلـة » والمقلّدين إلى أن يفوز ، أو يخرّ شهيدا ؛ يرتجفون خوفاً وهلعـاً ويخافـون من هذا « الزيدي » ، الذي لا يرضى بكتاب الله وما رواه «علي » عن رسول الله ، وما جاهر به زيد بن علي ، من وجـوب الخـروج على الظلمـة بديلاً ، ولن يحيد عنـه ولن يميل . . . « حتى يجيء غداً في زمرة الشهدا »

إنّه يؤمن «بالنظرية » ويطالب «بتطبيقهـا » ، بل ويحمـل السيف من أجـل تنفيذها وتحقيقها إذا لزم الأمر .

ويزداد الجميع هلعاً ورعباً عندما يسمعونه يهيّج الشعراء في قصيدته رقـم ـ ١٠٥ ـ ويقول :

ويا مرجّى نوالاً، أنتَ في زمنٍ	فيه المكارمُ والعلياء أسماءُ
إيّاك إيّاك أن تدلي بسابقةٍ	فـان ذلك إن حقّقتَـه الداّءُ
ولا تَقُلْ إن أردت النُّجْحَ قد قُتِلتْ	أمامـكم لي أجـدادٌ، وآباءُ
يُقْصَى المُحبُّ ؛ ويُدْنَى من عقيدتُه	نصـبٌ وجبـرٌ وتشـبيهٌ وإرجاء
كم ملحـدين ونصّـابٍ كأنهُم	لمفـرط القـرب أرحـامٌ وأحماء
ومـن يكن ذا صلاح في عقيدته	فإنّمـا حظّـه طردٌ وإقصاءُ
هذي الملوك ملوك العصر هل أحدٌ	منهـم على سَنَنِ المعروف مشّاء؟
كم قد مدحنا فما أجدتْ مدائحنا	لأنهـم؛ إنما يعطون من شاءوا

ولم يقف «الهبل » عنـد حدّ التهييج للشعـراء ، وأبنـاء من ساهـم آباؤهـم وأجدادهم ، وبذلوا أموالهم ونفوسهم من أجل إرساء قواعد حكم إسلامي في يمن مستقلّة ، ثم كان نصيبهـم الابعاد والإقصاء ، بل ها هو يدعو إلى « الثورة » ؛ حين لَـمحَ عقارب الانحراف تدب ؛ ويحرّض صديقه وأستاذه السيد العلامـة يحيى بن الحسين بن المؤيد على الخـروج والدعـوة لنفسـه بقصيدة طويلـة (رقـم ـ ٩٣ ـ) مطلعها :

كيف يرضيك على الضيم المقامُ	ويواتيك على الـذلّ المنام؟
كيف أغضيتَ وفي العين قذى؟	كيف يغـذوك شرابٌ وطعام؟

في زمانٍ؛ أهلُه زعنفةٌ ... هملٌ؛ ملبوسهم عابٌ وذام؛
أهل غدرٍ ليس يرعى فيهم ... أبداً عهدٌ، ولا تُوفَى ذمامُ!
قد أهينتْ عصبة الحقّ به ... وأعزّت عصب «النصْب» الطغامُ
أنتَ أبّاء الدنايا؛ هل ترى ... بطلاً شهماً على الضيم ينامُ
قد بُلينا باطّراحٍ مثلما.. ... فاز بالحظوة عبدٌ وغلام!

ومضى في القصيدة يحثه على الخروج ، ويوعده بالنصر ، وأن قبيلته «خولان» ، وقبيلة صديقه وجامع ديوانه المخلافي «الحيمة» ستلتفان حوله ، وهُما المشهورتان بالنجدة والصبر عند اللقاء :

أيّ حيّينِ لراجي نصرةٍ ... وهُما «خولان» طرًّا والحيامُ
قم بنا يابن النبيّ المصطفى ... نطلبُ الحقّ؛ فقد آن القيامُ

إلى آخرها وقد مات الشاعر بعد إنشائه هذه القصيدة ببضعة أشهر كما قال جامع الديوان .

حين يسمع هؤلاء ، وأولئك هذا النوع من شعر الهبل يرتجفون ويختلقون المعاذير لمحاربة ديوانه وإهماله بحجّة أنّه تعرض للنّيل من «الأعراض المصونة» ، وثلب في أبيات من قصائده أبناء خير القرون ، مع أن كتب التاريخ والأدب مشحونة بقصائد ابن الزّبعري ، وعمران بن حطّان ، والسيّد الحميري ، وابن حجّاج ، والمئات من شعراء الخوارج والشيعة والنواصب ، والملاحدة والفسّاق ، كلّ يغنّي على ليلاه كيف شاء ، إلاّ هذا «الزيدي» الثائر فلا يجوز أن يُنْشَرَ ديوانه ، أو يظهر إلى النّور ولسان حاله ينشد:

أحرامٌ على بلابله الدوح ... حلالٌ للطيرِ من كل جنس

وما دمتُ قد ولجتُ هذا الباب ـ وما كنت أحسبني سأفعل ـ فلا بدّ أن أضيف أن «الهبل» شأنه شأن أيّ «زيدي» مخلص خبير ـ يعرف أنّ الامام المجدّد القاسم بن محمد رحمه الله ما قام داعياً إلى الحقّ إلا بعد أن عشعش الانحراف وأفرخ في ضمائر وعقول ورثة «النظرية الزيدية» من أحفاد الأئمة ، ومشايخ دولهم وفقهائها ،

وحطّموا باسمها مبادئها الصحيحة القائمة على العدل والتوحيد ، والشورى والمساواة ،والأمر بالمعروف والنهرعن المنكر ، ويعرف أيضاً أنّ أباه وجدّه ، وزملاء أبيه وجده ، من أهل الحل والعقد في اليمن ؛ وممن ظلّوا متمسّكين بالعروة الوثقى ما أيّدوا « القاسم » ونصروه وحاربوا « الأتراك » ، والاقطاعيين والأصنام من أمراء «النظرية » المفترى عليها ، ثم وقفوا بعد وفاته مع ابنه «الامام المؤيد » ، وأخيه « المتوكل » ، وحفيده « المهدي » أحمد بن الحسن إلاّ من أجل تمكين « النظرية » التي تستمد سياسةَ دولتِها ، وقواعدَ تشريع حكومتها ، من كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد ذوي العقول والبصائر وكان ـ أي الهبل ـ قد قرأ التّاريخ وعاش مع «الأقباس » بروحه وقلبه ، وشاهد صراعهم ومصارعتهم في «صفين » و« كربلا » و« الكناسة » ، و« فخ » و« المدينة المنوّرة » ، وعرف ماكابده «الامام الهادي يحيى بن الحسين » عندما حاول تطبيق النظريّة بإخلاص حتى تم له ذلك ، وأن ابنه المرتضى حين رأى فساد المجتمع وعجزه عن تطبيق « النظرية » خاف على نفسه من النار ، ورأى الاستقالة خيراً فانعزل ، وأن أخاه أحمد «النّاصر » قد حاول « تطبيقها » بعزمه وتصميمه ، وما إن مات حتى اختلف «الأحفاد » وعارضوا الخيّرمنهم ، وكان ما كان حتى قال المؤرّخون : « إن خراب صعدة القديمة كان على أيدي أحفاد « الهادي » ؛ ثم ان « الهبل » كان يعرف أن الامام «القاسم » العياني لمّا نهض مخلصاً يريد أن يطبّق « النظرية » نشب بينه وبين « ورثتها » من الأحفاد ما حال بينه وبين تنفيذ إرادته ، ولما مات وتصارع « الأمراء » فيما بينهم غير مبالين بالمبادىء جاء «الملك » «علي بن محمد الصليحي» « مطبّق » « النظرية » « الفاطمية » فالتهم الجميع ، ولمّا هبّ الامام « أحمد بن سليمان » ورأى من واجبه « تطبيق » « النظرية الزيدية » قاسى من الاشراف » الأقارب أكثر مما قاسى من الخصوم الأباعد ؛ حتى ثار « الامام عبد الله بن حمزه » مصمّما على « تـطبيق» « النظرية » ؛ ومع ما عاناه من صراع عنيف مع « الأيوبيين » وبني « حاتم » فقد كان ما عاناه من « ابن الامام أحمد بن سليمان » وأضرابه أشدّ وأنكى . ولا شكّ أنه كان قد عرف ودرس محاولة الامام يحيى بن المحسّن أن يحافظ على استمرارية « تطبيق » « النظرية » بعد وفاة الامام عبد الله بن حمزه ؛ وقد كاد لولا تشبّث « الأمراء » ؛ أولاد عبد الله بن حمزه بأرث « الامامة »

كأنّها تركة ، وحزنَ حين رأى « الدّاعي » وقد أكدى . وكان ما كان حتى قام الامام أحمد بن الحسين ممدوح الشاعر الكبير القاسم بن هُتَيْمل والذي حاول بجدّ أن يطبّق « نظرية » « الامامة الزيدية » لولا معارضة الأمراء « الحمزيين » أيضاً الذين خذلوه مع «شيخ إسلامهم » « الرصّاص » ، وناصروا « الملك المظفّر الرسولي » ، حتى استشهد «ابن الحسين» على يد «الأمير» أحمد بن الامام عبدالله بن حمزه سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٩م.

ثم إنه لا شك قد وقف وقفة طويلة عند مأساة الامام الأعظم «يحيى بن حمزه» وما جرى له مع « أحفاد » الأئمة ؛ وكيف عارضوا أيضاً « المهدي » علي بن محمد مع أنه أستاذ «ابراهيم الكينعي » في الزهد والعبادة ، ثم ما حدث بعد ذلك من فوضى اختلط فيها الحابل بالنابل حتى قام الامام «صلاح الدين» الذي لمّا مات إجتمع أهل الحل والعقد على مبايعة «أحمد بن يحيى المرتضى » وقد كان في إمكانه علما وسلوكاً « تطبيق » « النظرية » ، كما أوضحها كتابة وتأليفا ، غير أن ابن الامام صلاح الدين « الوارث » للنظرية تغلّب عليه وسجنه ؛ والقصة مأساة مبكية في تاريخ « الامامة » في اليمن . فخمدت أشعة « النظرية » وخبت نارها وتعثر « التطبيق » بل اندفن ، وتمزّقت اليمن شيعاً وأحزابا ، وجاء « المماليك » و« المصريون » . . حتى هبّ « الامام شرف الدين » وكاد أن يطبّق « النظرية » بعد أن تمكّن ؛ لولا اختلاف أولاده الأمراء ، ورغم عظمة « المطهّر » العسكرية وهيبته وسيطرته على معظم اليمن فقد كان لا يمثّل « النظرية الزيدية » التي يعرفها « الهَبَلُ » وأمثاله تمثيلاً كاملاً ، فضلاً عن تطبيقها قانونا وشريعةً وسلوكا ، وجاء دور « الأتراك » وحاول الامام الحسن بن داوود الذي انتخبه أهل العقد والحلّ أَنْ يُطَبِّق النظرية ، لكن « الأمراء » عارضوه . . . حتى تغلّب « الوالي التركي » وساقهم جميعاً أسارى إلى «الاستانة» وكان ما كان .

كلّ ذلك قد تذكّره « الهَبَل » وهو يكتب قصيدته التي يحرّض فيها يحيى بن الحسين بن المؤيّد على الخروج بعد أن رأى « الانحراف » وقد بدأ يُنْشِب أظافره في كيان «النظرية» ، التي قام أباؤه وأجداده مع الامام القاسم بن محمّد سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م لما هبّ داعيا ، والذي بحقّ ، ورغم معارضة من بقي من أحفاد الامام

«شرف الـدين » ، استطـاع أن يطبّقهـا ، ولمّا مات سار على نهجـه « المؤيد » ، و« المتوكل » ثم « المهدي » ؛ وكأنّ « الهبل » قد لمح بحسه وبصيرتـه وإخلاصـه ، قرونَ « الانحراف » تنجـم ، فأراد أن يقتلعها . . لكنّه مات ؛ وتعاقب الممثّلون للنظرية على المسرح بين موفّق ومتعثر حتى جاء « الأتراك» من جديد .

إنها تجارب ألف عام من تاريخ الإسلام، استوعبها « الهبل » ووعى دروسها البليغة ؛ ولعل القارىء سيلاحظ إنني قد اقتصرت على ما حدث في محيط «الامامة الزيدية » ، ودون أن أتعرض لما حدث لبقيّة الطوائف التي حكمت أو تحكّمت ؛ من « زياديين » و« صليحيين » إلى « رسوليين » و« طاهريين » ، وسلاطين بني «يُعفِر» و« حاتم » ؛ إذ لم تكن لهم « نظرية » ترتكز دعوتهم على «تطبيقها » ، ولقد حاولت إبراز الجانب القاتم المحزن في شبه نقدٍ مرير لطائفتي ، وللنظرية التي وهبتُ نفسي لها ، ولأحيائها والدفاع عنها ؛ مع أنّي أعرف كما يعـرف كل منصف ما للـزيدية وأئمتها من فضل على اليمن ، وأعلم كما يعلم كل منصف أن أئمتهم ـ ورغم كلّ ما قلـتُ ـ كانـوا أفضـل من سائـر ملـوك وسلاطين وأمراء الطوائف الأخرى عبـر العصـور ؛ وانظر ما قاله عنهم الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «الزيدية » .

أخشى أن أكون قد نسيتُ ما كنتُ أريد الاعراب عنه حول أولئك الـذين يجمعهم القاسم المشترك في مبدأ محاربة « الهبـل » ، وآثـاره الشعـرية ومنهـم هذا « الزيدي » بالوراثة والجغرافيا ، والذي لا يعرف عن « الزيدية » ومبادئها شيئـا ؛ ولكنّه قد عاش ونشأ في مجتمع ظلّت ألسنةُ خطبائه وكتّابه وشعرائه تحمّـل تبعـةَ ما أصاب اليمن من مصائـب وكوارث الجهـل والفقـر والمرض والتخلّف على كاهـل « المذهب الزيدي » ، وأئمته ، كأنّهم وحدهم الذين قد استبـدّوا بالسُّلطـة خلال ألف عام متجاهلين الطوائف الأخرى وحكامها وسلاطينها ، وهم أكثر من عشرين دولة وأمارة ؛ ويؤكّدون بكل وسائل الاعلام أن كلّ ما كان يجري في اليمن قبل ثورة ١٩٦٢م ١٣٨٢هـ إنما يتحمّل وزره عقـمُ « المذهـب الـزيدي » ، وعقليّة معتنقيه وأئمته ، وفقهِه ، وقد لعبت الطائفية ، والعنصرية العـرقية ، دوراً رهيبـاً في هذا المسرح الظالم ، ولا أريد أن أشير إلى بعض الأسماء ، فقد تغيّرتْ أراء البعض منهم وعرفوا أنهم كانوا مخدوعين ، أو مسيّرين بتيّارات سياسية خارجيّة ، لها أطماعها وأغراضها الخاصة في « اليمن » ، أثناء تلك الظروف المؤسفة ، ولكن أحداً لن ينسى

دور الأستاذ الدكتور عبد الرحمن البيضاني والمخابرات المصريّة ، قبل الثورة وبعدها ووسائل الدهاء والمكر التي غسلت أذهان الشباب والسذّج حتى كاد أن يصبح من المسلّمات أن المذهب الزيدي ورجاله بل وفئةً معيّنة من أتباعه ، هم أصل البلاء والشر ، وكاد أن ينسى الناس أن الطلائع الأولى من الأحرار الذين نادوا بالدستور والشورى والعدل والحرية والمساواة كان معظمهم منهم أمثال محمد زباره وعبد الله العزب وعلى الشماحي وأحمد عبد الوهاب الوريث ؛ بل وأن معظم شهداء ثورة « الدستور » سنة ١٩٤٨ م ١٣٦٧هـ أمثال حسين الكبسي ، وعزيز يعني ، وأحمد الحورش ، وعبد الله الوزير ، وأحمد البرّاق ، وزيد الموشكي ، وعلي الوزير ، وابراهيم بن الامام يحيى ، وأحمد المطاع ، والعشرات من زملائهم كانوا « زيوداً » مخلصين ؛ ولو شئت لذكرت معظم رجال حركة انقلاب سنة ١٩٥٥ م ثم ضباط الثورة التي أعلنت الجمهورية سنة ١٩٦٢م / ١٣٨٢هـ .

وجاء دور « الرافض . . . المرفوض » :

نعم ؛ لقد ظلّت النفثات الطائفية والعنصرية تنبثّ في الأفكار وتُعمِّق في النفوس كراهية « الزيدية » ، وكل ما يمتّ إليها من فكر أو فقهٍ أو شعائر ، أو أدب أو تراث ، وقُوىً خارجيّة معيّنة تغذّي هذه الحملة الشرسة ؛ فإذا ذُكِرَ « الهَبلُ » مثلاً ـ قال داعيتهم : هذا شاعر « الزيدية » . . أي الرجعيّة والتخلّف والجمود و« الإمامة » ، بمفاهيمها ، بل وبهيكلها الأخير الذي لم يعرف اليمنيون أثناء دولته إلاّ الفقرَ والجهلَ والمرضَ . فينفعل هذا « الزيدي » بالوراثة أو الجغرافيا ، ويُشارك أولئك الذين تحدّثنا عنهم في غمط حقوق « الهبَلَ » ، وظلمه وهو لا يعرف عنه ولا عن شعره شيئا .

حتى إذا تمّت المصالحة الوطنيّة ، ودخل الجميع في ظلال « الجمهورية » مختارين ـ بعد انسحاب القوات والمساعدات ، ووقوف التدخّلات الأجنبيّة ، وتحت شعار لا غالب ولا مغلوب ، و« إنما المؤمنون اخوة » ، وتطوّرت الأحداث ، وأطلّ عهد «الميثاق الوطني » و« التعاونيّات » ، و« الشورى النيّابية » ، و« الانتخابات الحرة » ، و« المؤسّسات الوطنيّة » ، وتنفّس اليمنيون الصّعَداء ، والكل يصرخ وينادي ؛ « الزيدي » أخ « الشافعي » ، و« السُّنِّي » شقيق « الشيعي » ؛ كلّنا

مسلمون ، ولا قحطاني ولا عدناني ، ولا شمالي ولا جنوبي ؛ كلّنا أخوة وأمّنا «اليمن» ودستورنا «القرآن» تحت راية «الجمهورية» . . جاء دور ذلك الذي يحمل أفكاراً معيّنة ، ويستجرّ آلاماً قديمة ، فيحاول أن يظلم شاعر اليمن «الهبل» ، لا لِنفس الأسباب التي ذكرناها بل لأنّه - ورغم ثوريّته وتحرّره ، وشاعريته وظرفه - يخشى أن تنتشر أفكار «الهبل» بأنغامها الشعريّة الساحرة ، وتسري في الألباب والنفوس ؛ ولا سيما والوعي الأدبي في اليمن ، قد تَمَلْمَلَ حيًّا ، يرى ويُبصر ويتنفّس ، وطلاّب الجامعة ، والمعاهد العلمية في صنعا ، والحديدة ، وصعدة ، وتعز ، وغيرها يتساءلون عن التراث اليمني وكتبه ومخطوطاته ؛ التاريخية والأصولية والأدبية، ودواوين شعرائه الفطاحل، وفي مقدمتهم «الهَبَل» فيعمد هذا الأديب الى نشر ما يستسيغه من شعر الهبل، بعد أن يوغل فيه قلمَه تشويهاً وتحريفاً وتأويلاً، ويحقّره، ويعزو نسب أمه إلى زوج حمّالة الحطب، أو جدّ آل «العلفي» لينفي دعوى الشاعر الخئولة إلى «هاشم» وبلا رحمة يصفه، وينعت جامع ديوانه «المخلافي» بأبشع الصفات، ولا يتحاشا أن يقول إنه «كلب آل محمد»، ويحاول أن يصرْف أنظار طلاّب المعرفة عن كل ما يشهد لِلهَبَل بالعظمة والعفّة، والدعوة إلى الخير، ومحاربة الفساد، ويجعل ما قاله في مطلع حياته ، وقال صديقه وجامع ديوانه إنّه من أوّل ما ظهر من شعره؛ من شعره الذي قاله بعد أن نُبذ وأصيب بالرمد، وأوى إلى سرير اليأس والموت، غير ذاكر شيئاً عن إلهياته، وزهده وتصوّفه الربّاني؛ ولا عن الهبل الغَزِل المرح، عاشق الطبيعة، ولا عنه شجاعاً، وفارساً وثائراً، وداعياً الى العدل.

وقد نشر كل ذلك في سلسلة مقالات تعاقبت في أعداد جريدة ١٣ يونيو سنة ١٩٨٠ تحت عنوان «الهَبَل رافضاً . . . ومرفوضا» بقلم الشاعر الظريف علي بن علي صبره الذي لا أريد أن أطيل وقوفي معه مفنّداً لأقواله ودعاويه ؛ بل أودّ أن أطلب منه في رفقٍ ولين ومودّة وتقدير أن يرجع إلى مناقشتي للامام الشوكاني لعلّه يعرف من هو الشاعر الهبل ، ومن هو جامع ديوانه «المخلافي» ، وليعرف أيضاً أنّه كان كما كان أيٌّ «زيدي» عارف ، لا يؤلّه الحكّام ، ولا يقدّس البشر ، ولا يغضي عن هفوات وزلاّت «المنحرفين» ، يحترم ويطيع من استقام ، ويثور ويتمرّد على من ظلم . مهما كان اسمه ، وأنّه كان يعرف أن لفظة «الامام» لا

تختلف منطوقاً ولا مفهوما ، عن لفظة « الزعيم » أو « الملك » أو « الخليفة » ، أو « الرئيس » ؛ ولا يمنح من يتزمّل بالأمامة ، أو يتدثّر باسم «الامام» أي إجلال ما لم يكن عادلاً برّا أمينا ؛ « حسينٌ » ليس أفضلَ من «يزيدٍ» إذا لم نعتبرْ خلقاً ودينا ، وذلك هو المفهوم القرآني الذي جعَل للكُفْرِ « أئمّة » ، وكذلك للتقى ، بل هو المفهوم الإنساني ، وهل نفع الجنرال أو المرشال «عيدي أمين » وهو « المسلم » ؛ أن يسمّى «رئيسا » ، ورفعه لقبه سلوكاً واستقامة إلى مرتبة الجنرال « الرئيس » «ديجول » ؟ كلاّ . . . كلاّ .

إن « الهبل » لو وجد اليوم بين ظهرانينا لكان مثل تلميذه الشاعر الزيدي الرأي والهوى والسلوك محمد محمود الزبيري ـ من أشد النّاس تعصّبا للجمهورية ؛ ولكنّه سيظل ـ كما ظل الزبيري ـ يطالب بمبادىء العدل والتوحيد ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويخرج بلسانه وسيفه على الظالمين ؛ ويناشد بأن يظلّ رئيس الجمهورية مثلاً لمكارم الأخلاق ، أميناً كريماً عادلاً ساهراً على مصالح شعبه وأمته وهذا ما يدين به كل مخلص لليمن وجمهوريتها رئيساً ومرؤوسا وهو ما كان يعتقده الزبيري ويطالب به ؛ وكل ما يقال غير ذلك في « الهبل » أو غيره جَعْجَعةٌ وهراء .

وفي رفق ولين ومودّة وتقدير أطلبُ أيضاً من الصديق الشاعر علي صبره العدل والإنصاف ، وأن يعيد النظر في كلّ ما كتبه عن «الهبل » تحت تأثير تشنّجات لا تمت إلى الشعر ونسبه العريق ، ووشيجته الفنّية ، ورابطته الإنسانية ، بصلة ما ، وأن يصرف نظره عن نشر مقالاته تلك بعُجَرِها وبجَرِها قبل تهذيبها ، وتنقيحها وتنقيتها من هجْر القول ، ولا سيما إذا قرأ ديوان « الهبل » الذي بذلتُ في تحقيقه وضبطه جهدي والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

وقفة مع القصيدة التي تأثر بها الزبيري :

وبعد ؛ فقد أطلْت ، وربمّا أمللْت ، وشغلتني بُنيّات الطريق عن الهرولة والإنسِدارِ في جادّة القصد ، وكدت أنسى ما نويت الإفضاء به من حديث أدبي عن « حسن الهبل » وشعره ، وأدبه ، وسعة اطلاعه ، ومَن تأثّر بهم من علماء وأدباء

وشعراء ، وعن وصف الطبيعة في شعره ، والغزل والتشبيب والنسيب والفخر والحماسة ، وأن أقف وقفة طويلة عند قصيدته رقم ـ ٢٧٨ ـ

لا نالَ منك فؤادي ما يرجِّيه ... إذ كان طول التنائي عنك يُسليهِ
سل الصبابةَ عن جسمي السقيم ولا ... تسل سقامي ؛ فان السقم يخفيه

وهي من روائع شعره ، وقد قال جامع ديوانه وهو يقدّم لها : « ومن النّاس من يزعم أنّه قصد بهذه القصيدة شخصاً معيّنا ؛ ولمّا ذاكرته في ذلك أقسم بالله العظيم ما قالها في معيَّنٍ أبدا ، وأن النّاسب إليه ذلك متعمّد للزّور والبهتان ، وإنّما قالها كما هو شان الأديب ؟ .

كنت أريد أن أقف عند هذه القصيدة ؛ لا لأنفي أنّه لم ينفّس بها عن كبده المقروحة ؛ إذ قد نفث بها وفيها من الأسى والندم والتحسّر ما لو كان في جوف بركان لخوى باردا . ولكن لأقول ـ ورغم قسم الهَبَل ـ انني لا أستطيع أن أصدّق أنّ مثل هذه القصيدة يمكن أن تقال في شخصٍ غير معين . .

كيف يمكن أن أصدّق أن مثل هذه الأبيات :

لَهْفي على غُرّ أبياتٍ مدحتُ بها ... مَن لو هجوتُ لأرخصتُ الهجا فيهِ
لَهفي على ثوب عزّ نشره عطرٌ ... ألبستُه لشقائي غير أهليهِ
حبّرته في بخيل نقش درهمه ... الله من أعين السؤّال يحميهِ
تكاد تسجد للدينار جبهتُه ... بخلاً ، ويعبده من دون باريهِ

قد قالها في شخص غير معينّ لا يعرفه ، عاشره وعاش معه ومدحه ؟ لا . . . . ولا أستطيع أن أصدّق بسهولة أن قوله فيها :

أزْها من الديك إذ يمشي على صلفٍ ... له جناحان من كبرٍ ومن تيهِ
لا حلم فيه ، ولا عقلٌ، ولا أدبٌ ... ولا وفاء إلى المعروف يهديه
يروم شأو العُلى؛ والبخل يقعده ... كأنّه طائرٌ قُصّت خوافيه

قد أنشأها متلاعباً بالمعاني والألفاظ « كما هو شأن الأديب » ولم يقصد بها شخصاً معيناً أفرط في مدحه ، والثناء عليه ، ثم ندم فقال :

قد كان مدحي له ذنباً شقيتُ به فصـــار تكفيرَه عنّـــي هجائيهِ

ثمّ هل يستطيع ناقد أن يصدّق أن قوله :

يا هادمــاً بمساويه بناءَ عُلىً أبوهُ دون ملوك الأرض بانيهِ

قد نادى به شخصاً خيالياً لم يره ، ولم يشْقَ بوجوده بل ولم يكن ابن ملك أو إمام أو زعيم من زعماء الأرض ؟

أمّا أنا فلا أستطيع أن أصدّق ، وأنا أعرف أن ممدوحي الهبـل هم الامـام المتوكّل على الله اسماعيل ابن الامام الأعظـم القاسـم بن محمـد ، وابـن أخيه الفارس المقدام سيف الإسلام أحمد بن الحسن بن القاسم (الامام المهدي بعد وفاة الهبل) ؛ وبعض الأمراء والسادة من آل القاسم وغيرهم ومن الوزراء والقضاة والعلماء كآل الجرموزي والآنسي وأبي الرجال والمخلافي ممن سيجد القـارىء أسماءهم في الديوان مع تراجم موجزة أنوي أن أعرّفهم بها ، وألحقها بالديوان إن شاء الله . ومن المستبعد أن تكون هذه القصيدة المفجعة ، والتـي لا أشـك أن الواشي الماكر الذي زعم أنّه قالها في «شخص معيّن » قد أراد إهلاك « الهبَـل » وتدميرَه . . ولا أَستبعدُ إنّه قد زعم بأنّ « الهبل » قد قالها في «الامام المتـوكل » نفسه أو في أكبر أمرائه « سيل اللّيل » ، أو في ثالث ممن يستطيع بجـرّةِ قلـم أن يخسف الأرض من تحت أقدام «الهبل » ! . . إذ لا يمكن لهذا الواشي أن يزعم أنه قد قالها في أحد ممدوحي الهبل من آل « الجرموزي » أو « الآنسي » أو « أبي الرجال » أو جامع ديوانه « المخلافي » وهو يدري مثلما نعلم أن « الهبَل » قد ظل محتفظاً بمودّتهم حتى لفَظ أنفاسَه الأخيرة ، كما أنهم قد اهتمّوا بجمع ديوانـه ، وبعض رسائله بعد أن مات ، ثم ما هي الفائدة التي سيجنيها هذا الواشي لو لم يزعم أنه قالها في شخصٍ يستطيع أن يضرّه ويؤذيه ؟ ولو أنّ جامع ديوانه قد ذكر اسم الشخص المعيّن لأغنانا عن الحدس والتخمين وهما لا يفيدان يقينا؛ ولكنّه سامحه الله لم يفعل ؛ فهل يجوز لنا الظنّ بأنّه قد قصد « المتوكّل » الذي يقول لنا « المخلافي » وهو يقدّم قصيدته رقم ـ ٧٣ ـ والتي مطلعها :

لَكسب العلى فاجعلْ همومَـك تُحْمَدِ وتجنِ ثمارَ الشـكرِ من روضها الندي

بأن «الهبل » قد أنشأها مهنئاً للامام المتوكل بعيد النحر سنة ١٠٧٨ هـ ويستعينه على قضاء ديونٍ لزمته وقبضه الله إليه ولمّا يُعَنْ بشيء ! ونحن نعلم أن الشاعر قد عاش منتظراً للعون حوالى شهرين لأنه قد توفي في صفر سنة ١٠٧٩ هـ وفيها يقول :

بيومكَ فاحفلْ؛ إن أمسَكَ قد مضى ... ولم تدر ما يقضي المهيمنُ في غد،
سأسلكُ من سبْل المعالي مَحجّةً، ... أبى لي سواها طيبُ أصلي ومحتدي
وقلْ لعمْري في المعالي لو انّني ... أجوب إليها فَدْفَداً بعد فَدْفَدِ
تركت الهوى من قبل أن أعرف الهوى ... فنام وشاتي ، واستراح مفنّدي

ومنها في مدح المتوكّل :

سأدرؤ في نحر الخطوب إذا عدتْ ... بأروعَ من أبناء «أحمد » أصيَدِ
بأسمح من تُثْنَى الخناصر باسمه، ... وخير إمام قام من آل «أحمد»
إمام حمى الإسلام عن كل ملحدٍ ... وألّف منه عقد شمل مبدّد
إليك عقيد المكرمات قصيدة ... كمنتظم العقد الفريد المنضّد
ألذّ مذاقاً من جنى النحل ذوقها، ... وأطرب من رجع الهزار المغرّد
أتتْكَ على بعد الديار؛ وإنّما ... إليك بأنوار الخلافة تهتدي؛
أما والعُلَى إن القصائد أسهمٌ ... متى ترمِ أغراضَ المقاصد تَقْصِدِ

ويشكو حاله في آخرها فيقول :

وسمعاً أمير المؤمنين ؛ فإنّني ... دعوتُك للطرف القريح المسهّد
تنمّر لي دهري، فكن أنتَ ناصري، ... وأسلمني حظّي فكن أنت منجدي،
فإن أنت لم تقمعْ زَماني يعتدى، ... وإن لم تنبّه طرف حظّي يرقدِ
وإن بعدتْ عن رأي عينيك فاقتي ... فإنّ افتقاري من نداك بمشهد
وأشكوك دَيْناً أثقل الظهر حمله؛ ... فحالي إذنْ حال الطريد المشرّد
وقد ضمنت عنك الأماني قضاءَه ... فأنجز مواعيد الأماني ، وانجدِ

وإن « الهبل » بعد هذه الضراعة لجدير بأن يغضب وأن يتألّم حين تخيب

آماله ، ولا ينجز « المتوكل » مواعيد أمانيه ولا ينجدها . ولكن وهو لم يعشْ بعد هذه القصيدة غير شهرين ؛ أتراه قد قال قصيدة الهجو في فترة الانتظار ؟ أم أنه قد قالها قبل ذلك وأنّ أمانيه وآماله في الآخرين ممن مدحهم قد خابت أيضاً ؟ لا أدري ؟؟

أم أنّه قد قالها في ساعة ألم مرير ، وغضب جامح ، في ممدوحه الأمير أحمد ابن الحسن الذي لو كان جواداً حقًّا لأغنى شاعره عن أن يستجدي سواه ، حتى ولو كان عمّه « المتوكل » ، كما أغنى سيف الدولة شاعره أبا الطيب ـ قبل أن يُفسد الحسّاد ما بينهما ـ عن كل أميرٍ وزعيم ؛ وهل في الامكان ذلك ؟ ولماذا أقسم لصديقه « المخلافي » بالله العظيم إنّه لم يقُلْها في «شخص معيّن » ؛ وهو « الزيديّ » التقيّ المتحرّج الذي لا يحنث ؟ أم أنّه كان يعتقد « التقيّة » ؟ أم تراه قد هجا بها كثيراً من الأشخاص الذين مدحهم إذ أنّ أحداً منهم لم يسعفْه ولم ينجده ، ولم يقض دَيْنه ، وهم أمراء وأثرياء ويستطيعون . ؟؟ فحشرهم في بوتقة ، وصهرهم هجواً ، يقصد بكل بيت أو ببضعة أبيات من القصيدة شخصاً تنطبق عليه تلك النعوت ، فيكون باراً صادقاً حين أقسم أنه لم يقصد شخصاً معيّناً وكأنّه قد جارى المتنبي في قوله :

أذمّ إلى هذا الزمان أهيلَه　　　فأعلمهم فَدمٌ وأحزمُهم وغدُ!

كل ذلك كنت أريد أن أبحثه وأحققّه ولا سيما وقد قرأت في سيرة الإمام القاسم أنه كتب رسالة إلى أحد أبنائه يوصيه فيها أن لا يوزّع أموال المسلمين على غير مستحقيها ، وأن لا يعطي «الشعراء » الذين يطرونه منها شيئاً ،إذ لا حقّ لهم فيها مقابل مدائحهم للأمراء ، وإذا أراد إكرامهم فليكرمهم بما شاء من ماله الخاص ، إن كان يملك مالاً خاصًّا . . ولكني خشيت أن أطيل فقرّرت تأجيل الكلام عن ذلك ، وعن مواقفه من أحداث عصره السياسية والفكريّة ـ وهو من أهم عصور التاريخ اليمني ـ وعن مواقفه المتناقضة من ممدوحه أحمد بن الحسن الذي نزح إلى «عدن » يوماً ما خارجاً على عمه « المتوكل » ، وعودته منها مصالحاً لعمّه ثم رجوعه إليها يقود جيشاً عرمرماً وفتحها وفتح « حضرموت »؛ وتحريض الهبل له

على غزو « الأتراك » إلى « مكّة » ، وهل لو عاش طويلاً كان سيعتدل ويرجع عن « جاروديّته » كما فعل صديقُه وجامع ديوانه ، وعن شعره وأثره فيمن جاء بعده من شعراء اليمن . . إلى كتابي الذي أنوي إخراجه للناس قريباً عن الشاعرين المظلومين « الهَبَل والزّبيري » ؛ والكثير من أدباء اليمن لا يعلمون أن « الهبل » كان مَثَلَ الزبيري الأعلى في الشعر ، وكان يحفظ معظم ديوانه ، وعليه تخرّج ؛ يقفو أثره ، ويترسّم خُطاه ولا سيما في مدائحه للأمير على الوزير ، والملك عبد العزيز آل سعود أوّلاً ثم للامام يحيى والإمام أحمد ثانياً ، وفي شكاويه وتجرّمه من الزّمن . إلى أنّه مثله شيعيّ الهوى ، زيديّ المذهب ، صوفيّ الفكر ، ذو زهد وورع ، وقصيدته التي رثى بها عمه القاضي لطف الزبيري قد جارى بها بائية « الهبل » في أهل البيت وقد استعار منها بيتاً كاملاً لم يغيّر فيه إلاّ لفظتين وهو :

وكلّ مصابٍ نال آل محمدٍ ... فليس سوىٰ حبّ الصراحة جالبُهْ

والأصل في قصيدة الهبل «فليس سوى يوم السقيفة جالبهْ » كما أن قاموسه اللغوي وأسلوبه البياني في قصيدته الطويلة :

ما كنتُ أحسب أني سوف أبكيهِ ... وأن شعري إلى الدنيا سينعيهِ

هو نفس القاموس البياني لقصيدة الهبل التي تحدثنا عنها وفيها شذى من نفحاتها ، ولسعات من لفحاتها .

وكما حورب شعر « الحسن الهبل » وضاع منه الكثير ولم يبق لنا منه إلاّ النزر اليسير كما قال جامع ديوانه ، وكما أن الهبل نفسه قد ساهم في ظلم شعره فأحرق ومزّق منه الكثير ، ووأد ما وأد ممّا لا نزال نبحث عنه ، وكما أن أعداءه ومنافسيه وذوي الأغراض والأهواء الطائفية والعنصرية والحزبية والسياسية قد ظلموا شعره وحرّفوه وعبثوا به حسب ما فصّلتُه سلفاً كذلك كان حظ تلميذه محمد محمود الزبيري فقد حورب شعره محاربةً منكرة ؛ فمزّقوا وأحرقوا ووأدوا الكثير منه ولا سيما ما قاله في عنفوان شبابه الشعري وهو ما بين السابعة عشر والرابعة والعشرين ١٣٥٥هـ ١٣٦٠هـ / ١٩٣٧ / ١٩٤١م من غزل ومدح ورثاء وتصوف ، ولن يجد القارىء له شيئاً من شعره الذي قاله أيام الشباب في صنعاء قبل هجرته إلى

«تعز» وأظنه لم يغادرها إلاّ وقد جاوز العشرين أو قاربها وهو لم يبلغ السادسة عشر إلاّ وهو من الشعراء البارزين كالهبل نفسه ، كما أن قصائده في كافِله بعد وفاة أبيه الأمير علي بن عبد الله الوزير ، وفي الملك عبد العزيز آل سعود حين ذهب للحجّ بمعية الأمير علي الوزير ونجله عبد الله وأنشده في «منى» قافيته المشهورة :

قلب الجزيرةِ في يمينك يخفقُ وهوى العروبة من جبينك يشرق

وما قاله في مصر من إلهيّات ، ونبويّـات قبـل عودتـه إلى اليمـن أثنـاء الحـرب العالمية الثانيّة ليكوّن جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما قاله وهو في سجن « الأهنوم » من تضرّعات إلهيّة ومدائح يتشفع بها ويتوسل إلى الامام يحيى وولي عهده أحمد ، حتى أطلق سراحه ، ثم ما قاله فيهما من مدائح رائعة ترقى به شعريًّا إلى آفاق الهبل والمتنبي ، إلى أن هاجر الى «عدن » ، ثم ما قاله وهو مشرّد بعد فشل ثورة الدستور من إلَهيّات وإسلاميات ومدائح وإخوانيات ، وما كان ينشره في مجلة «الإخوان المسلمون » بأسماء مستعارة ومـا راسـل وكاتـب به صديقـه الشاعر عمر الأميري ، وصديقه الأديب الأستاذ أحمد نعمان ، كل ذلك قد وأدوه عمدا ، ولم ينشروه قصدا في ديوانه الذي نشرته «دار العـودة » سنـة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م باسم «ديوان الزبيري » ، ولِنفس الأسباب والأغراض أو ما يشبهها التي حورب من أجلها شعر الهَبَل ، وديوان الزبيري هذا لا يحتوي إلاّ على أقـل من نصف شعره ، والنصف لا يزال موؤداً ! وننوي إخراجه كاملاً قريباً إن شاء الله ؛ وكان الزبيري نفسه قد ساهم أيضاً ولأسباب سوف نشرحها في كتابنا عنـه وعـن الهبل ـ في ظلم شعره كما فعل أستاذه « الهبل » ، فتحرّج أو استنكف أن ينشر في ديوانه الأوّل ما سمّاه «الوثنيّات » مع أنهـا من أجمـل ما ناجـى به عبّـاد الأوثـان أصنامهم إبداعاً وفنّا .

ولن يفوتني أن أنبّه إلى أنّ هناك مظلومين كثيرين من شعراء اليمن المبدعين المجيدين في هذا القـرن أمثـال « محمـد نعمـان القدسـي » و« أحمد عبـد الله السّالمي » و« عبد الله عبد الوهاب نعمان » و« احمد الحضراني » و« محمد أحمد الشامي » ؛ كما أن حيفاً كبيراً وظلماً فظيعاً قد أنزله الأديب محمد بن أحمد العقيلي

« الجيزاني » بديوان الشاعر العظيم القاسم بن هُتَيْملِ حين نشره مبتـوراً محرّفـاً مشوّها ، وكذلك عمل بديوانَيْ الشاعرين السلطانين ، الخطّاب الحجوري وأخيه سليمان . والحديث ذو شُجون وسنفصله في مكانه إن شاء الله .

ما هو الشعر عند الهبل ؟

بقي أن أقول أن « الهبل » كان كثير الاعتزاز بشعره يتباهى به في قصائده التي يمدح بها الأمراء والرؤساء كما كان يفعل المتنبي قديماً والزبيري حديثاً والفحول من الشعراء في كل زمان ومكان. وكان يغار على الشعراء وينافـح عنهـم ويتظلّـم لهم ، وسيجد القارىء الأدلّة على ذلك في الديوان كما أنّ رسالتـه رقـم ـ ٣ ـ الملحقة بالديوان والتي كتبها إلى السيّد محمد الجرموزي قبل أن يموت بأسابيع تعرب لنا عن رأيه في الشعر وتقديره له بل وعن الظروف التعسة التي كان يعانيها الشعراء في ذلك العصر وهي خير ما نختتم به الحديث عن الهبل قال رحمه الله :

نعاهـدُ من نحـبّ فلا نجابُ ... ونمتـدح الملـوك فلا نثاب
فبعـدًا للقـريض إذا غدونـا ... عليه لا نُجـازُ، ولا نجابُ

يا مولاي الأعظم ، وعقدي المنظّم ، وركني المعظّم ، وحرمي الذي من لاذ به لا يضـام ولا يُهضـم ، أبقـى الله لي ودّك صافياً كمـا أعـرف ، ولا أبقـى لحاسديك عيناً تطرِف ؛ قد علمـت واللّبيب خبير ، ومثلك بالأمـور بصير ؛ أن الشعر ينقسم في أصل الاختراع الى أنواع :

« غزلٍ » يستمال به قلـب المحبـوب ، وينـال به من وصلـه المطلـوب . وحماسةٍ . . . تُنبي عن جدٍّ ورياسَةْ ، وحكمةٍ ، تميلُ النفوس الشريفة إلى الأَخذِ بها ، والتمسّك بَسَبِها ، وهجاءٍ أعزّ الله تعالى مقامَك يَرَى صاحبُهُ أنّه قد أدرك بهِ مِن مَهْجُوِّهِ ثارا ، وأخمدَ من غيظه نارا ، وشفـى نفسَـهُ منـهُ انْتقاماً وانتصـارا ، وامتداحٍ لِلْملوك طَمعاً في أن يُثيبوا ، ومعاهدة لِلأَخوان رجاءَ أن يجيبوا. هذه أدام الله تعالى عظيم سعادتك ، وأطلع في سماء الإِحسانِ نجوم إجادتك ، وأجرى

أوامر الزّمان ونواهيه على إرادتك ، أنواعه الّتي لا يخرج عنها ، وأقسامُه الّتـي لا يخلو منها ، وكلّ من هذه الأنواع لا يَخْلو من حصول تلكَ الفائدة ، ولا بدّ لَهُ من عودِ تلكَ العائِدةْ ؛ والشعر طرازٌ تزدان به المكارم، وتمتازُ به الأرذال عن الأكارم . وهو لِمحاسن المرء غُرَر ، ولِسلكِ فضائله دُرَرْ ، وما المكارمُ لولاَ قلائِده إلا جيدٌ عاطلْ ، ولا المعروف لولا خرائده إلاّ رسْمٌ ماحِلْ ، وغير خاف على مولاي عظيم فضله ، ورفعة شأن أَهْلِه ، وأحسنَ « أبو تمام » في قولِه :

ولم أرَ كالمعروف تُدْعى[1] حقوقُهُ | مغـارمَ في الأَقوام وهي مغانمُ ؛

ولا كَالْعُلَى ما لم يُرَ الشّعرُ[2] بَيْنَها ؛ | فكالأرض غُفْلاً ليس فيها مَعالِمُ

وما هو إلاّ القول يَسْري فتغتدي | لَـه غررٌ في أوجـهٍ[3] ومواسمُ

يُرى حكمةً ما فيه وهو فُكاهةٌ | ويُقضَى بما يَقْضي بهِ، وهو ظالمُ !

نعـم هـو كـذلـك ، وأنت الخَبيرُ بتلـك المسالك ، فما باله في هــذا الزّمـان عَفَا رسمُه ، وهـوى نجمُـه ، ونُسِـخَ حكمُـه ، فلا يدار له كاس ، ولا يُرفَـعُ بقائلِـه راسْ ، ؟ يا لَلأُدباء لِضَيعة الأدب ؛ أَتُصْبحُ بيوتُهُ أطـلالاً باليَهْ ، وتضحي معاهده رسومــاً خالية ، لا تُصغــي الآذانَ لصارخِـه ، ولا تنتصِف «لِمَنْسوخِـه » من « ناسِخه» ؛ هذا وأنت أعلى الله شانَك ، وحرسكَ من غيَرِ اللّيالي وصَانكْ ، منتهى أعيانه ، وواسطةُ قلائدِ عقيانِه ، وفارسُ ميدانِه ، وبارىءُ سَهمِهِ ورائشُهْ ، ومُنَهنِه قَدْره وناعشُهْ ، والأَعـرف بمـا لأهلـه من الحقـوق ، والجـدير باجتنـاب طرق العقوق ، وعندكَ منصلُه الَّذي يفري المناصِل ، و :

لَكَ القَلَمُ الأَعلا الَّذي بسنانِه | يُصَابُ من الأمر الكُلَى والمفاصلُ

وقد عقدَ لكَ أهلُه لواء الإِمامَهْ ، وسلمتْ إليك قيادَهُ وزِمامَهْ ، وجعَلتْ إليك حلّهُ وإبرامَه ، عِلماً بأنّكَ جواده المجلّي ، واعترافاً بأنك الامام وكُلاًّ من الجماعة خلفك مصلّى ؛ فكيف رضيتَ بأن يباع الشعْر ، بأَبخسِ السِّعْر ، ولم تلحظْه بعين

(١) في الأصل : تُرعى حقوقهُ » وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : «ما لم تَر الشعر» .

(٣) في الأصل : « في وَجْهِهِ » .

مقَهْ ، ولم تحطْه ببرٍ وشفقَهْ ، فغدا وراحَ وقدره موضوع ، وأصبحَ ضائعاً من ضاع يضيعُ لاَ مِن ضاعَ يضُوعْ ، وأضحى ينادي عن قلبٍ مكلومْ ، يا لَلْمسلمين مَظْلومٌ مظلومْ ، ؟ أتراه بغيرك يستنصر ، أم يشكو إلى سامع سواك مبصرْ ، ؟ وها هو الآن ميت مُلْقَى . تعيشُ أنتَ وتَبقى ! وإن لم تَعُد له عائدةٌ من تلك العوائِد ، ولم تُستَفد منه فائدةٌ من تلك الفوائد ، فبعداً له وقُبحاً ، وجدعاً له وترْحَا ، وسحقاً لَه من وسيلهْ ، ومن حيلةٍ فائدتها قليله ، تنبّه لها أكرومةً قبل فوتِها ، وأصِخْ لِشكوى القوافي فقد استَعْدَتْ برفيع صوتِها ، ولقد كان الشِّعر طلْق المحيّا ، عَطِرَ الريَّا ، فاليومَ حين تجهَّم وجهَه الوضيّ ، وتكدّر ورده الصفيّ . وأجاد «أبو تمام » وهو المجيد بقوله من تلك القصيدة .

فما بال وجهُ الشعر أغبر قاتماً ووجهُ العُلى من عُطْلةِ الشّعر واجمُ ؛
إذا أنت لم تحفَظْهُ لم يَكُ بدعةً ولا عجباً ، إن ضيّعته الأعاجم
تداركْهُ إن المكرمات أصابعٌ وإنّ حُلَى الأشعار فيها خواتمُ ،
فقد هزّ عطفيه القريضُ توقّعاً لعدلك مُذ صارتْ إليك المظالم
ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى بغاة العُلى من أين تُؤتى المكارمُ

أنت المعنيّ بذلكَ لا «ابن أبي دُؤاد » ؛ وأين من « هاشِمٍ » « إيادْ » ؟ ، وأينَ من الرُّبى الوهادْ ؟ إليك يلقى مقاليد الإنشا والإنشادْ :

إلى كم ينالُ الأرذلونَ مناهُمُ ويُعطون أضعَاف العطاءِ وأُحْرَمُ؟
قضاء زمانٍ دأبه الجور في القضا وشيمةُ دهرٍ في الورى يتحكّمُ
يودّ الفصيح القول فيه لو انّه لما قد يرى من قلّة الحظّ أبكمُ

وخذها مِن العَبْد ، على مَحْض الود وأكيد العَهْد ، تقوم لِلْخدمةِ بناديك ، وتقَبّل غُرَّ أياديكْ ، وتُهدي إليك أسنا السَّلام ، وتفوحُ كالمسك فُضّ عنه الختامْ.

أين شعر الهبل ؟

لقد سمّى جامع الديوان ما قدمه لنا من شعر الهبل : « قلائد الجواهر » من شعر الحسن بن علي بن جابر » . . والمفهوم من التسمية ان هذا الديوان ليس كل

شعر الهبل ولم يكتف «المخلافي» بهذا بل قال في «المقدمة» : «وقد حرصتُ على كتْب ما وجدتُ من شعره ـ رضوان الله عليه ـ مع علمي أن هذا الذي أَثبتُّ له هو النزر الحقير، وإن الفائت عليّ هو الجمّ الغفير، ولقد أخبرني رضوان الله تعالى عليه إنه قد مزّق من أشعاره المتقدمة دفاتر، وأعدم منها كثيراً في الزمن الآخر، فما ظفرتُ به إن شاء الله تعالى بعد ذلك فسألحقه إلى نظيره» . وإذاً فما بين أيدينا الآن إنما هو النزر اليسير من شعر الهبل؛ وكان الهبل نفسه قد مزّق الكثير من أشعاره المتقدّمة ـ أي التي أنشأها وهو في عنفوان شبابه الشعري، كما أعدم بعض ما قاله في أخريات أيامه، ولا شك أن فيها ما يؤسَف عليه من شعره السياسي والاجتماعي، وأن الذي دفعه إلى إعدامها ليس الاستهجان، ولكنّه الحذر، أو الندم، أو الخوف؛ غير أن قول جامع الديوان بأنّه سيُلْحق ما يظفر به من شعره بنظيره في الديوان يجعلنا نتساءل هل أضاف إلى ما جمعه بعد وفاة صاحبه شيئاً جديداً ولا سيما وقد عاش بعده وفيًّا لذكراه ثمانية وثلاثين عاما؟؟ وإذا كان قد ظل مع تتابع السنين يضيف ما يظفر به إلى نظيره، فهل هناك نسخ تختلف مع اختلاف السنين وتتابع الاضافات؟ وإذا كان «المخلافي» قد شغلته ظروفه؛ وقد ابتُلي وسُجِنَ كما سنرى في ترجمته؛ فأين ما كان يطمع انه سيظفر به، ووعد بأنه سيلحقه بنظيره؟ أسئلة ليس عندي جوابها الآن؛ ولا أستطيع أن ألزم نفسي بوعد ما؛ فأقول إنني سأحاول البحث والتنقيب عنها في بطون الدفاتر، والمخطوطات اليمنية، فظروفي الاجتماعية، وطوارق الهموم، والشيخوخة التي أزحف نحوها أو تزحف نحوي، والحقوق الأدبية التي أنوي النهوض بأدائها لا تخوّل لي القول بانني سأعمل ذلك، أو أستطيع الوفاء إذ وعدت. كل ما أستطيع أن أقوله : إنّه من الحرام أن يظلّ للهبل شعر موؤد، وان من سيساهم في إخراجه من قبور الاهمال سيقدم يداً للأدب اليمني، وها قد نشرت الموجود، فليتفضل أدباء اليمن بالبحث عن المفقود، إمّا في النسخ المتعدّدة إذا كان يوجد فيها ما ليس في النسختين اللتين اعتمدت عليهما، أو في «السّفُن»، والمجاميع المخطوطة في الخزائن العامة والخاصة داخل اليمن وخارجها، ومن وجد شيئاً، وبعث به إليّ فسأنوّه به وأضيفه إلى الطبعة الثانية التي قد تصدرُ قريباً؛ أو أنشره في كتابي

« الشاعران المظلومان » : « الهبل والزبيري » .

هذا بالنسبة للشعر الحكمي المعْرَب الذي قاله الهبل على طريقة امرىء القيس ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وبقي أن أتساءل هل كان للهبل شعر «حميني » بلغة صنعاء الدارجة ؟

إنّني لا أشك في أن «الهبل » « إبن صنعا » الرقيق الطبع ، الخفيف الروح ، العاشق المزاج ، قد قال شعراً حُمَينيا كثيراً ورائعا .

أيكون من شعراء العصر الذي عاش فيه « الهندي » و «شعبان سليم » و« حيدر أغا » و « الرُّقيحي » وجاء بعد « ابن شرف الدين » ثم لا ينظم شعراً غِنائياً حُمينيا ؟؟ إن هذا في نظري من المستحيل . . ؟؟

نعم لقد نسب صديقنا الشاعر الدكتور محمد عبده غانم في كتابه « شعر الغناء الصنعاني » قصيدة :

«يا قلبي المضني عَليش تِرتَابْ ثقْ بالّذي للمشكلات حلاّ

إلى الهبل ؛ لكن من يعرف نَفَسَ « الهبل » لا يستطيع أن يطمئن إلى أنها حقًّا من شعر الهبل الذي يتميّز بنَفسٍ عال لا ترقى القصيدة المذكورة إلى مستواه الفنّي والشعري ؛ ولا سيا وقد ذكر الدكتور غانم نفسه ان مخطوطة الحوثي قد نسبَت القصيدة إلى محمد بن أحمد حميد الدين المتوفي سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م أي بعد الهبل بحوالي مئة وخمسين عاماً ، وقال إن مخطوطة القاضي محمد العمري تنسب هذه القصيدة إلى قاسم عبد الرب المتوفي سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م ولا أدري كيف ركن الدكتور إلى رواية شفويّة في « مدكى » من الأديب علي صبره ؛ وترك قول « الحوثي » و« العمري » ؟ ونَفَسُ القصيدة ذاتها لا يخفى على مثل الشاعر محمد عبده غانم . . . ولكن . . ولكنها المجاملات فيا أظن .

وإذن : فأين ديوان الهبل الحميني ؟

وإذا ظلّت الأسئلة تتوافد توافد أسراب الطيور فإن السؤال الكبير هو : هل يمكن أن يقول « الهبل » هذا الشعر « دُوبيت »

كَمْ أَكتُمْ لوعتي ،وكم أخفيها؟ والدمع إذا جَرى دمـاً يُبْديهْا !

يا مالِكْ مهجتي رويداً بشجٍ هَا مُهْجتهْ لديكْ ؛ فانظرْ فيها

فيبدع ويحسن جُهدَ الابـداع والاحسـان ؛ ثم لا يكون له في هذا الفـن « الدُّوبيت » إلاّ هذه المقطوعة النادرة ؟

أما أنا فلا أستطيع أن أصدق أن مثل ذلك يكون !

وإذنْ . . . فأين شعر « الهبل » الدُّوبيت ؟

أينَ ما لا يزال موؤداً من شعره الحكمي ؟ وأين ديوانه الحُميني ؟

وأين «الدوبيت » يا أدباء اليمن ؟

ومّما ينبغي الاشارة إليه ما ورد في تقديم جامع الديوان للقصيدة « البائية» رقم ـ ٣١ ـ وذلك في النسخة «فـ » فقد قال انّها أولى قصائد الهبل العَلَويّة ؛ وأنّه قد أنشدها في غرة شهر رمضان سنة ١٠٧٥هـ ونحن نعلم أنّه توفي سنة ١٠٧٩هـ فتكون كل قصائده العَلَويّة والزيدية قد نظمها بعد أن جاوز السادسة والعشرين ، وفي بحر ثلاث سنوات وبضعة أشهر ، وربّما فراراً من المديح الذي لم يربح منه شيئاً . . . أو تذكيراً للحكّام بصفات من عليهم أن يتخذوا منهم قدوة في الحكم والسلوك .

وبعد فإن الشاعر إنما هو شعره وهذا هو الهبل في شعره الـذي لم يشغـل اليمنيين شعرُ أيِّ شاعر في تاريخهم الأدبي كما شغلهم ، أقدّمه للنّاس وأنا على يقين بأنّني لا أخدم فقط اليمن وآدابها بل وكل من ينطقون العربيّة ويعشقون فنونها الجميلة .

ولن يفوتني ـ وقد فاتني الكثير مما كان عليّ أن أذكره ـ أن أشير إلى أن أوّل ما شاع الحديث في صنعاء عن طبع ديوان الهبل كان سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م ، وأن الامام يحيى ورئيس وزرائه عبد الله العمري قد كلّفا السيد الشاعـر محمـد عبـد الرحمن كوكبان أن يرتّبه وينقحه ويحذف منه ما يدل على « جاروديّته » مما قد يضرّ بسمعة المذهب الزّيدي ، هكذا سمعت يومها ؛ ولا أدري ماذا صنع السيد محمد كوكبان بالديوان ؟ ولا أين نسخته ؟ الّتي اشتغل بها زمنا . واعلم أيضاً أن زميلي الشاعر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشامي كان قد كُلّف من قبل الامام أحمد

سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م أن يقوم بنفس العمل، وكان قد راجعني في مسائل لا أذكرها الآن عندما كنا نلتقي في «صنعاء» أو «القاهرة»، ولا شك في أنّه قد قطع شوطاً في عمله؛ ولو أن ما عمله هذان الأديبان الكبيران قد وصل إلى يدي لأغناني عن التعب المضني الذي قاسيته خلال تنقيحي لهذا الديوان؛ ورغم حرصي على معرفة ما عملاه لم أُوفّقْ؛ ولا أدري أين ذلك الجهد الذي صرفا فيه سواد وبياض سنوات، ولعلّ ورثة الشاعرين الباحثين، حين يطّلعون على هذا يَتذكرون مُنَاشَداتي لهم؛ فيوافوني بصورٍ، من تلك الآثار؛ إذ ربما وجد فيها ما لم أهتدِ إليه، أو ما ليس في هذا الديوان من شعر الهبل هذا إن كانت لا تزال في ملك أيديهم، ولم تصادرْ ضمن ما صودر من الكتب والأوراق وأما حينئذٍ؛ فتكون المسؤولية التاريخية والأدبية ملقاة على كاهل الصديق الأديب المؤرخ القاضي اسماعيل الأكوع. والمسؤولين عما يسمّى بالكتب المصادرة وضمنها بعض كتب عاشرتُها في صنعاء والقاهرة. واستفدت منها وأحببتها كثيرا.

نسخة الديوان المعتمدة:

كنتُ قد نسختُ ديوان الهبل في سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٢م على إحدى النسخ القديمة المضبوطة المصحّحة ثم قرأتها مع زميلي الأخ الأديب الشاعر عبد الرحمن عبد الصمد وقابلتُها على نسخةٍ قديمة كانت في حوزته؛ وقد ضاعتْ مع ما ضاع من كتبي عندما انتهبَ القبائل «صنعاء» في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ/ مارس ١٩٤٨م واثر فشل ثورة الدستور.

وطال أمد الفراق بيني وبين ديوان الهبل حوالي سبعة عشر عاماً لا ألتقي بصاحبه ـ وهو شاعري اليمني المفضّل ـ إلاّ عندما أسمع شعره يُتْلَى أو يُنْشد، أو أقرؤه في المجاميع والمخطوطات اليمنية، أو حين أترنّم بما أحفظه منه إذا ألمَّ بي همّ، أو طفح كيل الأسى.

وفي سنة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م التقيتُ في جدّه بالسيد الأديب الحلاحِل محسن بن أحمد أبو طالب فأهداني نسخة قديمة من ديوان الهبل كان قد أنقذها ـ

مع مخطوطات أخرى ـ من إحدى خرائن الكتب في «صعده» قبل أن يلتهمها الحريق أثناء الغارات الجوية خلال الحرب المصرية اليمنيّة ولقد كان سروري به سرور مَن يلتقي بصديق عزيز بعد طول فراق .

ولمّا نفترق بعدُ ؛ لا في سفَرٍ ولا حضر . . . إلاّ حين حاول ـ من حاول ـ أن ينقلني إلى رحمة الله قبل أوان الأجل ـ في «بيروت» سنة ١٩٧٥م/ ١٣٩٤هـ . . وتبرّع أحد الأقارب ـ باسم المحافظة على مخطوطاتي ، بأخذه ؛ وظل محتفظاً به حتّى أعاده بعد اللّتيا واللّتي سنة ١٩٧٨م/ ١٣٩٨هـ والتقى الصديقان من جديد .

وقرّرت أن أنسخه ، وأن أرتّب قصائده ومقاطِعَه ترتيباً أبْجديًّا ، مستغنياً عن مقدّمات جامعه ، وأن أجعل لكل قصيدة أو مقطوع عنوانا مناسباً، وأفسر ألفاظَه الغريبة ، أو التي تفتقر إلى تفسير ثم أصوّر منه بضعة نسَخ أهديها للمكاتب العامة المشهورة حرصاً على هذا الصديق العزيز من الضياع .

وحين فرغت من نسخ الديوان ؛ برز في حُلّة قشيبة ما إن يراه أديب أو صديق حتى يقول : ولماذا لا يُطبع ديوان الهبل ويكون لك فضل ، بل وأجر نشره على النّاس ؟

وكنت قد شرعت في استنساخ الديوان يوم الأحد ١٢/ رمضان سنة ١٣٩٩هـ/ ٥/ ٨/ ١٩٧٩م وفرغت من نقله ـ مرّتباً ترتيباً أبجديا ـ يوم السبت ٢٢/ ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ / ١٣/ ١٠/ ١٩٧٩م في مدينة بروملي أي أن فترة جمعه ونسخه وترتيبه قد استغرقت شهرين وعشرة أيام . ثم شرعت في قراءته وضبط كلماته وتفسير غريبه .

وما إن قطعت شوطاً في ذلك حتى تقوّت عزيمتي على طبع الديوان ، وبعد مراجعة نفسيّة قرّرت أن واجب الأمانة التاريخية يقضي بأن أحتفظ بالفضل والأجر لصديق الهبل وجامع ديوانه الشاعر العالم أحمد بن ناصر المخلافي ، وأن أبقي على اسمه الذي وضعه له ومرتباً كما ألّفه في أبوابه الستة دون تغيير ، وبدأت نسخه من جديد .

وهذه النسخة التي أهدانيها الصديق السيد محسن أبو طالب والتي اعتمدتها أصلاً لهذه الطبعة ورمزت إليها بحرف «ن» كان القِدمُ وأحداثه قد أتلف منها ورقتين من مقدمة «الديوان» وورقتين من آخره ، وكانت الأَرَضَةُ قد قضمت بعض أطرافها ، وليس ذلك فحسب بل ويظهر أن أحد ملاّكها الذين تداولوها قد أعاد تجليدها فأخطأ «حبّاكُها» خطأً فاحشاً في ترتيب أوراقها ؛ فقدّم بعض القصائد وأخّر البعض وشوّشه تشويشاً لا يلاحظه إلا ذو حظٍ من المعرفة ، أو من يعرف أن من عادة ناسخي الكتب الأوّلين أن يكتبوا في آخر كل صفحة الكلمة الأولى من الصفحة التي تقابلها مستغنيين بذلك عن ترقيم الصفحات ؛ وعددها في نسختنا «ن» ٢٨٠ صفحة . وقد أبقى «الحبّاك» سامحه الله الباب الأول والثاني والثالث كما هو حتى صفحة - ١٩٢ - في المخطوطة عند البيتين رقم - ١٨٥ - في الديوان ، ثم قفز إلى بقيّة الأبيات رقم - ٢٠٢ - واستمر في الخطأ حتى صفحة - ٢٧٤ - فأسقط ورقة ثم رجع إلى ص - ١٩٣ - وجعل رقمها - ٢٧٧ - وقد صحّحتُ كل ذلك عند نسخ الديوان وكان لا بد من الاستعانة بنسخةٍ أخرى ، وقد تحصّلت عليها من أحد الأخوان بصنعاء إذ قد بعث لي بصورة «فوتوغرافية» لنسخة غير جيّدة الخط وجدتُ فيها الورقة المفقودة وكانت هذه النسخة مبتورة من أولها أيضاً وتنتهي بالبيت رقم - ٨ - من القصيدة رقم - ٣٤١ - وهو :

ويروح مسروراً غداً يوم التغابن والندامَهْ

واستعنت بالصديق الأديب السيد محمد بن علي الغفّاري الذي تفضل واستعان بالأخ الأديب محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الطير فتكرم ونسخ بخطه من نسخة مكتبة «الجامع الكبير» الكرّاسة الأولى من الديوان ، والكرّاسة الأخيرة أيضاً ، وفيها بقية القصيدة الميمية خاتمة الديوان وكان ذلك في صفر سنة ١٤٠٠هـ وبكل ذلك تمكّنت من جمع الديوان كاملاً غير منقوص كما جمعه «المخلافي» وقد رمزت إلى النسخة «الفوتوغرافية» بحرف «ف» .

ونسختي المعتمدة «ن» لا أستبعد أنها كتبت في زمن جامع الديوان المخلافي ، بل انّ ظنّاً يساورني ويكاد أن يرقى إلى مرتبة اليقين بأنها نسخة

« المخلافي » نفسه وبخطّه ؛ وقد قارنتهُ بما كتبه في آخر صفحة من كتاب محاسن الأزهار في مناقب العترة الأطهار الذي كان في ملكه سنة ١١١٠هـ ثم صار في ملك جدّي الثاني أحمد بن عبد الرحمن الشامي سنة ١١٣٩هـ فوجدت الخطّين متشابهين ؛ وأيّ خبير بالخطوط لا يستطيع إلاّ أن يجزم بأنهما خط كاتبٍ واحد ، ويؤكّد هذا قِلّة الأخطاء الاملائية ـ وقد كان المخلافي عالماً أديباً ضليعاً وذا خطٍّ جميل ـ وهو ما جعل هذه النسخة سليمة من أيّ تحريف أو تصحيف ، بل ومما يجعل هذا الظن يقينا ما قاله المخلافي عند تقديمه للقطعة رقم ـ ٥٥ ـ إذ قد قال : « وأخبرني رضوان الله عليه انه خرج يوماً هو والقاضي الأكرم واسطة عقد الشيعة المنظّم بدر الدين محمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال عافاه الله تعالى » فدعا للشاعر بالرضوان لأنه قد مات ودعا لصديقه بالمعافاه لأنه كتب ما كتب ونقل ما نقل من شعر الهبل ولا يزال الكثير ممن راسلهم وكاتبهم ومدحهم أحياء ، وكذلك فعل وهو يقدم القصيدة رقم ـ ٧٢ ـ فقد دعا للمتوكل بالعافية وعَوْدةِ البركة ، وفي تقديمه للأبيات رقم ـ ٧٨ ـ ، وفي تقديمه للقصيدة التي حرّض بها السيد يحيى بن الحسين ،رضّى على الشاعر ودعا للممدوح بالحفظ والبقاء (قصيدة رقم ـ ٩٣) ، والأخرى رقم ـ ٩٦ ـ ورقم ـ ١٠٢ ـ وفي معظم تقديماته للقصائد التي راسل بها بعض معاصريه من الأدباء والشعراء آل أبي الرجال أو آل الجرموزي ، أو غيرهم ؛ مما أثبتُّ بعضه وحذفت بعضه الآخر ، وكل ذلك يجعلني شبه متأكدّ بأنّ النسخة « ن » هي أمّ كلّ ما جاء بعدها من نسخ عبثتْ بها أمزجة الملاّك وأهواء النسّاخ .

وقد انتقلتْ إلى عدّة ملاّك ، وكان بعضهم ممن لا يطيقون الهبل و« جاروديّته » ؛ فيُعْمِل يراعَه في بعض أبياتها خدْشاً وشطْبا ، ثم يجيء مالك آخر فيصلح ما أفسده الأول ؛ ومن آخر من ملكها فقيه عالم علق على هامش صفحة ـ٢٠ ـ في الأصل ؟ الأبيات رقم ـ٢٥ ـ بما يلي : « وقد ذيّل بيتَي أبي نواس مولانا السيد السند ، والعلم المفرد ، شرف الإسلام الحسين بن علي بن المتوكل على الله سمعتها من ولد ولد ولده مولاي الصّنو العلامة فخر الاسلام عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين حفظه الله وأمتع بطول حياته في عام ١١٩٠ بمحروس صنعا إلى آخر الهامش الذي قضمت أكثر كلماته الأرض (انظر الصورة رقم ـ٢ ـ) ولذلك كله فقد

جعلت نسختي « ن » هي العمدة ، ولن أتواضع فأقول إنى لم أتعب في نسخ وضبط الديوان وترتيبه ، واستخراج الكلمات المخدوشة أو المتآكلة ولا سيما قبل العثور على النسخة الفوتوغرافية ، بَلْه الترجمة لصاحبه وجامعه ورجاله ، فقد كلفني كل ذلك جهداً شاقاً وصرفت فيه من وقتي ، ونور بصري ، ما يضنّ به الحريص على صحته ووقته ، ولا سيما مع البعد عن المصادر التي لا توجد إلاّ في اليمن ، ولن أبالغ إذا قلت إنه كان من الأسهل علي أن أؤلّف ديوان شعر من أن أُحقّق وأضبط ديوان الهبل ، حتى أخرجه للناس هذا الاخراج الذي سيستطيعون به قراءته قراءةً صحيحة ، وينطقون شعره كما قاله صاحبه وكتبه جامعه . وذلك حسبي .

هذا وقد اقتصرت على ضبط الألفاظ التي قد يفتقر إلى ضبطها المبتدؤون ، وفسّرت بعض الألفاظ تفسيراً لغويا ، ولم أكن أتكلّف اختلاق تعبيرات قاموسية جديدة إذا وجدتُ ما في القواميس المشهورة يفيد الطالب ، بل إني أفضّل نقل نصوصها ، وقد استغنت منها بثلاثة ؛ القاموس المحيط، وصحاح الجوهري ، والمنجد ، ولم أكن أعتمد على المنجد فيما يتعلّق بالألفاظ أو التعابير الإسلامية ؛ بل إذا لم أجد بغيتي في القاموس أو الصحاح رجعت الى «الطبرى » أو « الزمخشري » ، وهناك ألفاظ « يمنية » كنت أبذل وسعي في تقريب معانيها الى القرّاء ، وهي قليلة جدّا وقد لاحظت الايجاز جهدي ولم أكرّر تفسير ما سبق لي تفسيره إلاّ نادرا .

ولعل صورة « الهبل » لن تبرز جليّة شامخة ويتفهّم قارىء ديوانه بعض الدوافع والمشاعر التي تكمن وراء بعض قصائده السياسية والمذهبية إلاّ إذا وضعتُ بجانبها صورة صديقه وترْبِه ، وجامع ديوانه والذي ظلّ بعد وفاته يؤمن بما كان يؤمن به صاحبه من مبادىء وأهداف ويدعو إليها ، ويجاهر بها ، وإن تعدّل غلوّه وتوقف عن الثلب ، غير مبال بما يجابه من خطوب أو يعاني من أرزاء ؛ طيلة ستة وثلاثين عاماً ـ منذ مات « الهبل » في « صنعاء » شهيد الرّمد والخيبة والمؤامرات ؛ إلى أن توفيّ ، في « عدن » شهيد الحَسْرة والغربة صديقه « المخلافي » .

ثم ستتوالى قصائد الديوان ومقاطعه صادحة بأنغام ساحرة ، لا نسمعها إلا حين نصغي لألحان فحول الشعراء . وستكون جديدة على أسماع الكثير من أدباء العربيّة في الخليج ومصر والشام ونجد والحجاز والعراق وأقطار المغرب العربي .

ولقد رأيت أن تكون ترجمة « المخلافي » بجانب « المقدمة » التي تحدّثت فيها عن « الهبل » لأن « المخلافي » بوفائه النادر لصديقه قد حفظ للأدب العربي شعر « الهبل » ولولاه لما كان هذا الديوان . فله الأجر الذي تمناه في مقدمته من العزيز الرحمان ، وله الشكر سيظل يدور على كل لسان ، على مدى الأزمان وما دامت تردّد قول « الهبل » :

لو كان يعلم أنهـا الأحداقُ   يوم النّقـا ما خاطـر المشتاقُ

أحمد بن ناصر المخلافي :

علمٌ من أعلام الفكر والأدب والفقه والبلاغة وعلم الكلام في اليمن خلال النصف الأخير للقرن الحادي عشر الهجري ومطلع القرن الثاني عشر ، وهو ترب الهبل وزميله بل وأعز أصدقائه ـ كما نعرف ذلك من شعر الهبل نفسه . وكان مثله شاعراً فذًّا ، ومن أسرة كبيرة تنتمي إلى مخلاف الحيمة لها في تلك القبيلة رئاسة وطاعة .

وقد كان شيعياً مثل صاحبه ، ولو وجد بين أصدقائه من يفي له ـ كما وفى هو لصاحبه الهبل ـ لكان ديوانه بين أيدينا . ومن يدري ؟ لعلّه لا يزال قابعاً في إحدى زوايا الأهمال يترقب النّور ، ولا شك أنّه سيكون أكبر من ديوان أخيه هذا لأنّه قد عاش بعده ستة وثلاثين عاماً كلّها نصب وتعب وصراع مرير لا يستطيع أيّ ذي مزاج شعري ـ وقد كان المخلافي كذلك ـ إلا أن يعرب عنه ويفضي بما قاساه منه .

ولم يترجم « الشوكاني » لأحمد المخلافي بالرغم من أنّه تعرّض لذكره عدّة مرّات في كتابه « البدر الطالع » ، لكنّ زميل الشوكاني القاضي حسين السيّاغي مؤلّف « الروض النضير » ؛ قد أشاد بفضله كما قلت في المقدّمة ، ثم جاء زبارة

الذي تولّى نشر كتاب « البدر الطالع » سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م بالقاهرة وجعل له ملحقاً استدرك فيه ذكر من أهمل الشوكاني ولم يترجم لهم من مشاهير رجال اليمن وهم أربعمائة وأربعين رجلاً ومنهم أحمد المخلافي فترجم له ترجمة قصيرة (ص ـ ٤٦ ـ ملحق البدر الطالع) ؛ ثم لم يكتف بذلك بل ترجم له مرةً ثانية في كتابه « نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف » فقال :

« القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن محمد بن عبد الحق المخلافي (ساق زبارة نسبة إلى قحطان بن هود) وقال : « المخلافي نسبة إلى مخلاف الحَيْمة ، وبيت المخلافي لهم رئاسة قديمة في الحيمة » « مولده سنة ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٦م ونشأ بصنعا وأخذ عن المولى يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم في الفروع والأصول والحديث والتفسير ، وأخذ عن الامام المؤيّد بالله محمد بن المتوكل على الله اسماعيل ، وعلى القاضي الحسن بن أحمد المحبشي ، وأخذ عن السيّد العلامة علي بن حسين الشامي في جامع الأصول وغيره ، ومن تلامذته السيّد علي بن محمد بن علي بن يحيى بن المؤيّد ، والمولى المحسن بن المؤيّد بالله محمد بن المتوكل والسيد ابراهيم بن القاسم بن المؤيّد (مؤلف طبقات الزيدية) وترجمة في طبقاته فقال : « كان من العلماء الأخيار ، والثقة الثبت في خبره والأخبار ، عالما عاملاً فاضلاً أديباً نبيلاً ، كان جاروديّ المذهب ثم رجع إلى القول بالتوقّف عن السبّ ؛ وهو ما يعبّر عنه القوم بشيعي جلدا ونحوه ؛ وكان مسكنه بلاد الحيمة أوّلاً ؛ ثم لما قام المهدي صاحب المواهب ، وعارضه المولى يوسف بن المتوكّل على الله وقام القاضي صاحب الترجمة معه . . . أخرب المهدي بيتَه وانتهب كتبَه النفيسة وغيرها فسكن بعد ذلك صنعاء » .

وترجمه صاحب ـ النفحات » (نفحات العنبر بفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر) تأليف ابراهيم الحوثي ـ ١١٨٧هـ / ١٢٢٣هـ/) فقال : « القاضي شمس الدين المخلافي الأصل ، الصنعاني المولد والنشأة ؛ تعلّق بصحبة المؤيّد بالله محمد بن المتوكّل فولاّه بلاد الحيمة قبل أن يلي الخلافة ، ثم بعد الخلافة أضاف إليه القضاء ؛ ثم صار وزيره وكاتبه ، واختص به مع الولاية

والقضاء ، ولمّا حجّ قبل وفاة المؤيّدبالله (بن المتوكّل) استعفى عن ولاية الحيمة واستمرّ وزيراً بيده الحلّ والعقد حتى توفي المؤيّد بالله سنة ١٠٩٧هـ ثم صار مع أخيه المولى يوسف بن المتوكّل عند دعوته ، وحمل صاحب الترجمة أهلَ مخلاف الحيمة على إجابته ، وكانوا لا يخالفونه أصلاً ؛ لأنّ بني المخلافي كانت لهم رئاسة في الحيمة ، وقد جرت بينهم وبين المولى الحسين بن الامام القاسم بن محمد متفقات مذكورة في سيرته ؛ ثم لمّا استبدّ صاحب المنصورة والمواهب بالأمر كان صاحب الترجمة من جملة من وقع في شراك المحنة فحبسه «بِصيرة» « عدن » ـ وهي بكسر الصاد المهملة فياء ساكنة ، فراء مهملة مفتوحة ، وبقي بها مدّة ثم أطلقه وولاّه القضاء بصنعاء وردّ له ما كان قد قبض عليه من أمواله وضياعه وأحسن إليه ، ولمّا جهّز الأمراء في سنة ١١١١هـ/ ١٧٠٠م/ لقتال « المحطْوري » السّاحر جعل صاحب الترجمة خطيباً للعساكر وناصحاً لهم ومشيرا ، ثم وجهه مع ولده المحسن بن المهدي خطيباً أيضا حين جهزه مع الأعيان لقتال « همدان » ورئيسهم ابن حبيش في سنة ١١١٤هـ ، فصالح المحسنُ ، ابن حبيش ، فغضب عليه والده المهدي لذلك وحبسه حتى مات ، وحبس صاحب الترجمة ـ المخلافي ـ في بندر « عدن » ثم أفرج عنه ، وجعله قاضياً ببندر « عدن » فاستمر فيه حتّى توفّاه الله تعالى .

« وله رسائل وفوائد كثيرة وأبحاث خصوصاً في فضائل أهل البيت عليهم السلام ، وحقوقهم ، وعلومهم ، وكان واسع الاطّلاع على الكتب كثير النقل منها ، والتعليق على هوامشها ، وله خط حسن ، وكان شديد الغيرة على العترة الزكيّة ، كثير التحامل على من انحرف عنهم ، وفضائله كثيرة ، وجمع شعر القاضي حسن بن علي بن جابر الهبل في ديوان سماه «قلائد الجواهر» .

ومن كلام مؤلف «طبقات الزيدية» وابراهيم الحوثي مؤلف النفحات نعرف الكثير مما جرى له من أحداث ، وإن شؤونه بعد وفاة صديقه «الهبل» سنة ١٠٧٩ هـ قد سارت سيراً طبيعياً هادئاً لا يكدّر صفوها شيء بقيّة خلافة المتوكل على الله اسماعيل (ت : ١٠٨٧ هـ) وطيلة خلافة ممدوح الهبل المهدي أحمد بن الحسن (ت : ١٠٩٢ هـ) ولم يجابه أيّ متاعب غير ما يهمّه من

حماية مذهبه ، والتعصب لمبادئه ، حتى إذا مضى أحمد بن الحسن لسبيله ، وتولّى الخلافة زميل المخلافي وصديقه « المؤيّد » محمد بن المتوكل على الله اسماعيل ، عظم شأنه ، وارتفعت درجته ، وأصبح كاتبه الأوّل ، بل ورئيس وزرائه الذي بيده الحل والعقد ، إلى ولاية مخلافة «الحيمه » والقضاء ، طيلة خمس سنوات حتى إذا ما توفي الامام المؤيد محمد بن المتوكل سنة ١٠٩٧هـ وكانت قرون الانحراف قد نجمت ، وعروق الشقاق قد تأصلت ، وبوادر الفتنة والأطماع قد استشرت ، وهو ما كان المخلافي وصاحبه الهبل وأميرهم الحافظ العالم يحيى بن الحسين بن المؤيّد بن القاسم الأكبر يخشونه ويشفقون على الأمة منه كما أوضحتُ في المقدّمة حاول صاحبنا « المخلافي » أن يعمل شيئاً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه فشجّع شقيق الامام المتوفي « المؤيّد بن اسماعيل » والذي كان له نصيراً ووزيرا وهو الأمير العالم النحرير يوسف بن المتوكل اسماعيل على أن ينهض بأعباء الامامة الزيدية ، وأن لا يتركها للطامحين والمتنافسين من أحفاد القاسم وغيرهم - ودعا إليه وحمل قومه في مخلاف « الحيمة » - وربّما قوم صاحبه « الهبل » في مخلاف « خولان » على نصرته والالتفاف حوله كما كانا يريدان ان يعملا مع أميرهما « الزيدي » يحيى بن الحسين بن المؤيد . ولكن الظروف كانت قد تغيّرت ، ومات الكثير من الآباء ، ونشأ الكثير من الأبناء، وكان الأمير المقدام الجسور صاحب « المواهب » محمد بن المهدي بن الحسن « سيل الليل » ، وممدوح « الهبل » ، قد دعا لنفسه ، وتلقّب بالمهدي وأسعده الحظ فانتصر على يوسف بن المتوكّل ، وعلى سائر من عارضه أو دعا لنفسه وعلى مؤيديهم وأتباعهم ، وقتل من قتل ، ونفى من نفى ، وشرّد من شرد ووقع شاعرنا « المخلافي » في « شَرَكِ المحنة » كما قال المؤرخ « الحوثي » وهذا يؤيد ما ذهبتُ إليه في مناقشتي للامام « الشوكاني » في « المقدّمة » .

مسكينٌ هُوَ ، وعظيمٌ شاعرنا « المخلافي » الذي ظلّ من حال إلى حال يسمو ، ويهبط ، ويشقى ويسعد ، حينا يصارع العلماء ويجادلهم في حلقات المساجد ، ومجالس المناظرات ، وتارة يقارع المستوزرين وقضاة السوء في مقامات الملوك والخلفاء ، وأخرى قائداً للجيوش يحرضهم خطيباً مصقعاً ، يفنّد

أباطيل السحرة والدجّالين ، وآونة مستشاراً لابـن الامـام يشجعـه علـى الصفـح والإحسان والمصالحة ، وحيناً يكون الوزير الأول ذا الحلّ والعقد وما بين غمضة عين وانتباهتها إذا به في سجن مظلم يجثم على جبل «صيرة» في «عدن» ، . . . لا يصل إلى سمعه إلاّ هدير أمواج البحر الكبير . . كم هو عظيم ذلك الشاعر العالم الوفيّ وكم هو مسكين . . لقد ظلّ على كل أحواله وفياً لذكرى مثله الأعلى «الامام زيد بن علي » عليه السلام .

كفاءتـه العلمية ، وعراقـة أصلـه ورئاستـه في قبيلتـه ، وقدراتـه اللسـانية والسياسية والأدبية ؛ هي التي عصمْتهُ من الانهزام الخُلُقي ومحاباة اللئام ، ومجاراة الجهّال ، والزّهد عن الولاية والقضاء العام . وإن رجلاً يصبـح صاحـبَ الحـلّ والعقد ووزيراً لإمامٍ مثل المؤيّد محمد بن الامام المتوكل على الله اسماعيل كما قال «الحوثي » في «نفحات العنبر » لرجلٌ عظيم ، وشخصيّة يجب احترامها على مدى العصور ، فالامام المؤيّد محمد بن المتـوكّل يكاد أن يكون آخـر أئمـة آل القاسم الذين حاولوا جهدهم المحافظة على « تطبيق » « نظرية » الامامة الزيدية التي من أهم ركائزها « الترشيح » و« الانتخاب » و« الشورى » والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدل والتوحيد والخروج على الظالـم ؛ وفي دولـة اليمـن الكبرى ، وأنا حين أقول هذا لا ألْقي الكلام علـى عواهنـه ولا أجـازف أو أزايد بالبيان ؛ وهاك ما قاله الامام الشوكاني ـ خِصم المخلافي رأياً وسياسةً وسلوكا ـ في هذا الامام الذي اختار المخلافي وزيراً له ووضع في يده مقاليد الأمور والطيور على أشكالها تقع .

قال الشوكاني في «البدر الطالع » جـ ـ ٢ ـ ص ـ ١٣٩ :

« الامام المؤيّد بالله محمد بن الامام المتوكّل على الله اسماعيل بن الامام القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٤٤ هـ تقريباً وقرأ على علماء عصره في أنواع من العلم حتى فاق في كثير من المعارف العلمية ثم لما مات الامام المهدي احمد بن الحسن في سنة ١٠٩٢هـ بويع هذا بالخلافة واجتمع عليه رؤساء اليمن إذ ذاك » ، « وكان من أولياء الله الصالحين ومن أعدل الخلفاء لم يسمع عنه الجور في شيء

من أموره ، وكان كثير العبادة كثير البكاء ، دائم الخشية لله ، لا يأكلُ إلاّ من نذور تصل إليه بعد أن يعلم أنها من جهة تحلّ له ، ولا يتناول شيئاً من بيوت الأموال ، ومجلسه معمور بالعلماء ، والصالحين ، وقراءة العلم وتلاوة القرآن ، لا يزال رطب اللسان بذكر الله على جميع حالته ، وقد صار عدله في الرعية مثلاً مضروبا ، وكان أهل عصره يكنّونه فيقولون « أبو عافية » لأنّه لا يضرّ أحداً منهم في مال ولا بدَن بل قد يحتاج في بعض الأوقات لنائبةٍ من نوائبه فيسأل أهل الثروة من التجّار ، وأموالهُم متوفّرة أن يقرضوه فلا يفعلون لأنهم لا يخافونه في الحال ولا في المستقبل ؛ واستوطن هجرة « مَعْبَر » المشهورة ، ومات ليلة الجمعة ٣/ شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٩٧هـ وصارت الخلافة بعده إلى محمد بن أحمد صاحب المواهب » هذا ما قاله الشوكاني ؛ وأعتقد أن هذا الامام الذي كان المواطنون في اليمن يلقّبونه ،أو يكنونه لأنّه لمظهم العدل والحرية «أبو عافية »،ولا يستنكف إذا نابتْه حاجةٌ تنزُّهاً من أن يمس بيت مال المسلمين ـ وهو تحت تصرفه كإمام ـ وتحرّجاً في أن لا يأكل إلاّ الحلال أن يلجأ إلى التجار من مواطنيه ، وقد لا يسعفونه لأنهم لا يخافونه . . اعتقد أنه قد استعرض كل رجال عصره وسبر صفاتهم وأخلاقهم فلم يجد أشرف ولا أفضل ولا أتقى لله من صديقه جامع ديوان الهبل أحمد المخلافي .

ثم ماذا ؟ من هو هذا يوسف بن المتوكل اسماعيل الذي حاول « المخلافي » تأييده ونصرته ليخلف أخاه الصالح في الحكم ، وأن يكون أميراً للمؤمنين يجتث قرون الانحراف ويستأصل عروق الشقاق ويحافظ على ظل « العافية » ويصدّ عنها سموم « العِقاب » ، ويبقى إماماً ؛ مجلسُه معمور بالعلماء ، ولسانه رطب بذكر الله ، لا يضرّ أحداً من مواطنيه لا في مال ولا في بدن ،وشؤونهم يصرّفها المختصّون والمسؤولون ، لأنّه « الامام » أو « الرئيس » ؛ أي المرجع الأعلى للجميع ، والذي لا يليق به التدخّل في شؤون « الموظفين » ، وأعمال « الشرطة » واختصاصات « القضاة » و « الوزراء » . لنستمع إلى صاحب « نفحات العنبر » يقول في ترجمته :

« إن صاحب الترجمة «يوسف بن المتوكّل » كان سيداً عالماً عاملاً ورعاً

فاضلاً تقيًّا زاهداً ملازماً لقراءة العلوم ؛ مواظباً على الطاعات معرضاً عن زهرة الحياة الدنيا غير ملتفت إلى شيء من عرضها مشهوراً بالوقار والرصانة وحسن الأناة محبوباً عند كل النّاس ، مُعَظّماً في جميع الصدور منظوراً إليه بعين التعظيم واستحقاق الخلافة » نشر العرف جـ ٢ ـ ص : ٩٠٧ ـ وقد استعرض زبارة في نشر العرف ـ ٩٠٤ ـ ٩١٤ ـ أخبار المخلافي وأشعاره وما جرى له من أحداث ، وما دار بينه وبين صاحب المواهب ومناصرته ومؤازرته ، مع القضاة من بني « الهبل » و« آل أبي الرجال » لدعوة السيد يوسف المتوكّل وما حلّ بهم جميعاً على يده من بلاء ؛ ولكن كل ذلك لا يغنينا عن استعراض ما قاله «الامام الشوكاني » خصم « المخلافي » وبأسلوبه الذي ما زلنا نناقشه منذ تعرضنا له في «المقدمة » ؛ وقبل أن نستعين بكلامه نحبّ أن نؤكد أن العصر الذي حاول « المخلافي » وآل « الهبل » ، وآل « أبي الرجال » وأضرابهم من المؤمنين بنظرية « العدل والتوحيد » حين وقفوا يؤيّدون هذا العالم الصالح يوسف بن المتوكل اسماعيل واختاروه إماماً . . . هذا العصر كان قد سئم أهلُه العافية في ظلال الزهد والطاعة ؛ وتطلّعت شهواتهم للفساد فاستحقوا « العقاب » ؛ ولذلك انهزم داعية الحق وفاز خصمه الفارس المقدام الجبار المغامر ولنستمع إلى ما يقوله الامام الشوكاني عن هذين الشخصين بأسلوبه وطريقته : (البدر الطالع جـ ٢ ـ ص ـ ٣٥٠) .

« السيد يوسف بن الامام المتوكل على الله اسماعيل » « ولد يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى سنة ١٠٦٨هـ وربي في حجر الخلافة واشتغل بالعلوم حتى اشتهر ذكره وطار صيته ، ورام الخلافة في أيام صاحب المواهب فدعا إلى نفسه بعد وفاة أخيه المؤيد بالله محمد بن اسماعيل فلم يتم له أمر ثم كاتبه أهل خولان ـ أصحاب الهبل ـ فخرج إليهم فلم يفوا لَه ، فرام الذهاب إلى جبل برط فمرّ بمحل يُقال له «صرف ، » شرقي « الروضة » فسعى بعض السّعاة فقبض عليه هنالك وسجنه المهدي سبع عشرة سنة » ؛ وبعد أن أورد قطعة من شعره قال « ومات في عمران في جمادى الأولى سنة ١١٤٠هـ وكان ممتحناً على جلالة قدره ، ونبالة ذكره ، يطلب الخلافة بدون ترقّب للفرص » ؛ هذا ما يقوله الشوكاني عن صاحب وصديق وإمامِ العالمِ « أحمد المخلافي » جامع ديوان الهبل ؛ فهو

« على جلالة قدره » مِثْلُ وزيره « المخلافي » . . مِثْل «شاعرنا الهبل » . . شأن سائر «دعاة الحق » « ممتحنون » في نظر الامام الشوكاني «لا يترقّبون الفرص » ؛ أمّا صاحب المواهب فيقول الشوكاني (جـ ـ ٢ ـ ص ـ٩٧ ـ البدر الطالع) :

« الامام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن الامام القاسم ولد في سنة ١٠٤٧هـ في سابع جمادى الآخرة منها ، وكان بعد موت والده (ممدوح الهبل) أحد الرؤساء الأكابر في الديار اليمنية ، وولى الخلافة بعد موت الامام المؤيد بالله محمد بن المتوكل اسماعيل بعد نزاع شديد وحروب طويلة ، واجتمع لحربه جميع أكابر سادات اليمن من أقاربه وغيرهم وحصروه وكادوا يحيطون به وبمن معه فخرج إليهم بمن معه من الأجناد وهم اليسير فهزمهم وأسر جماعة من أكابرهم وشرّد آخرين ، ودانت له اليمن وصفا له الوقت ولم يبق له مخالف إلاّ قهره ، ونازعه بعد ذلك جماعة فغلبهم وسجنهم كالسيد يوسف بن المتوكل ، والسيد حسين بن الحسن بن الامام وهو عمه ؛ وغير هؤلاء ، والحاصل إنّه ملك من أكابر الملوك ؛ كان يأخذ المال من الرعايا بلا تقدير ، وينفقه بلا تقدير ، وكانت اليمن (تأمّلْ) من بعد خروج الأتراك منها إلى أن ملكها صاحب الترجمة مصونة من الجور والجبايات وأخذ ما لا يسوّغه الشرع ، فلما قام هذا أخذ المال من حلّه وغير حله فعظمتْ دولته ، وجلّت هيبته وتمكّنت سطوته ، وتكاثرت أجناده ، وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء » ثم قال « وكان سفّاكا للدماء بمجرّد الظنّون والشكوك وقد قَتل عالَماً بذلك السبب وشاع على الألسن أنه كان يأتيه في اللّيل من يخاطبه بأن يقتل فلاناً ، وينهب مال فلان ، ويعطي فلانا ، ويمنع فلاناً فإذا كان النّهار عمل بجميع ذلك ؛ ولعل هذا المخاطب له (تأمّل) من مرَدَةِ الجنّ ؛ وكان يميل إلى أهل العلم ويجالسهم ويتشبّه بهم وربّما قرؤا عليه ولم يكن عالماً ، ولكن كان يحب التظاهر بالعلم فيساعده على ذلك علماء حضرته رغباً ورَهَباً ؛ وله تصنيف سماه « الشمس المنيرة » في مجلّد لطيف وقفتُ عليه وفيه نَقَلَ مسائل من مؤلّفات جدّ أبيه الامام القاسم بن محمد ولكنّها غير مرتّبة ، ولا منقولة على أسلوب ، بل لا يدري المطّلع على ذلك الكتاب ما موضوعه ولا ما غرض مؤلّفه ، وسبب ذلك كون مؤلّفه ليس من العلماء ؛ ومع هذا فكان يقرأه عليه جماعةٌ من أكابر العلماء وليس

في وسعهم نصحه وتعريفه بالحقيقة لما جُبِل عليه من الطيش وتعْجيل العقوبة ؛ ومن علوّ همته (تأمل) أنّه إذا أراد الإيقاع بوزير من وزرائه ، أو أمير من أمرائه ، أمر الجند بانتهاب ماله ، ولا يأخذ منه شيئاً وقد يكون مالاً جليلا « واستمر على ذلك إلى سنة ١١٢٦هـ وشرع المتوكل على الله القاسم بن الحسين في معارضته وإخراج البلاد عن مملكته حتى خلعَ نفسه في سنة ١١٢٩هـ فكان ملكه للديار اليمنية بأسرها زيادة على ثلاثين سنة فسبحان الفعّال لما يريد » وبعد أن أورد «الشوكاني» أعظم الحوادث في أيامه وهي حادثة السيد ابراهيم المحطْوري الساحر الذي ظهر في بلاد الشرف سنة ١١١١هـ قال : وكان موت صاحب المواهب المترجم له في سنة ١١٣٠هـ (البدر الطالع جـ-٢ - ص : ١٠١) .

ولقد لفتّ تأَمّلَ القارىء إلى شهادة الامام الشوكاني إلى أن اليمن كانت مصونة من الجور والجبايات من بعد خروج الأتراك حتى قيام صاحب المواهب ، والى تلك الاشاعة الباطلة إنه كان يأتيه « في اللّيل من يخاطبه » ؛ وقول الامام الشوكاني «لعل هذا المخاطب من مردَةِ الجن » كأن تلك « الخرافة » يجوز أن تكون ، وكان المنتظر من مثله أن يفنّدها ويبطلها ؛ ثم إلى جعله أمر الجند بانتهاب مال الوزير أو الأمير الذي يريد الايقاع به من «علو» الهمة ؛ لأنه « لا يأخذ منه شيئاً » ؛ وأظنّ أن وصفاً آخر مثل « خُبْث الطويّة » ، أو «سيّءِ مكرِهِ» ، وهو السفّاح المبير ؛ كأن أليق من هذا الوصف الذي لا يليق إلاّ بالأفذاذ من ملوك العدل والخير والإنصاف .

نعم لقد مات « أبو العافية » ؛ واستبدّ باليمن « أبو العِقاب » الذي لا يكتفي بالقتل والنفي والتشريد ونهب الأموال ولكنه يعاقب كبار العلماء حتى بالوقوف بين يديه تلاميذ يدرسون عليه مؤلفه «الشمس المنيرة »؛ لأنهم كانوا علماء سوء ؛ لم يقفوا مع « المخلافي » و« الهبل » و « أبي الرجال » ، والسيد يوسف بن المتوكل في وجه « الانحراف » فاستحقوا «العقاب » وأي عقاب ؛ ولأنّي قد أشرت في المقدمة الى ما كانت تقاسيه اليمن حين تتحكم الأهواء على ضمائر ورثة النظرية من فقهاء وعلماء وأمراء وقادة ؛ وذلك لغياب أو فقدان القاعدة الأساسية لنظام الحكم التي تضمن «التطبيق » لمبادىء «النظرية » عادة وقانونا ؛ فلا بد لكي تتضح

صورة المأساة التاريخية وتكمل ، ويتبيّن ما حل باليمن الكبرى الموحّدة من تمزّق واضمحلال بعد تلاشي «العافية » واستشراء مرض «العقاب » أثر وفاة «صاحب المواهب » ، وهو ما كان «الهبل » مع زملائه يحاولون أن يجنبوا اليمن ويلَه وشروره من قبل ، وما حاوله أيضاً « المخلافي » وأصحابه مع يوسف بن المتوكّل من بعد . . . ارتكستْ « النظرّية » ؛ وأصبح « عظمة الدولة » ، و« جلال الهيبة » ، و« تمكّن السلطة » و« تكاثر الجند » مع من يستطيع أن يعمل ذلك ويمثله حتى ولو « أخذ المال من غير حلّه » و« سفك الدماء » و« ادعى أن مردة الجنّ توحي إليه» وجوّز « ما لا يسوّغه الشرع » ـ كما وصف الامام الشوكاني «صاحب المواهب» هو ما يكبر في النفوس ويسيطر على أعصاب النّاس فيطيعونه ويقف علماؤهم حوله وقوف التلاميذ لا يقولون إلاّ : نعم يا مولانا .

وتوالى الحكّام والولاة يُحْسِنُ من يُحْسِنُ منهم ؛ لأنه خيّر الطبع ، سليم الفطرة ، ولأنه نفسه يريد الإحسان ، ويسيء من يريد الاساءة منهم إذا كان كنودا دون مراعاة لقانون أو نظام أو « دستور » يحتّم بوضوح تنفيذ مبادىء « النظرية » وتطبيقها على المجتمع وعلى من ينتخبهم الناس حكاما . . لا فضلاً ولا إحسانا ولا تبرعاً . . بل وجوباً وعادةً وقانونا . وتطورت المأساة وسادتِ الفوضى ، ونظرة فاحصة في تراجم العلاّمة زباره لثلاثة ـ ثلاثة فقط ـ من أفذاذ علماء القرن الثاني عشر وهم « هاشم بن يحيى الشامي (نشر العرف جـ : ٢ ـ ص : ٧٨٣ ـ ٨٠٠)» و« محمد بن اسماعيل الأمير (نشر العرف جـ : ٢ ـ ص : ٥٠٥ ـ ٥٥١)» و« محمد بن اسحاق (نشر العرف جـ٢ ـ ص : ٤٨١ ـ ٥٠٤) ليرى كيف انهم عندما أرادوا تطبيق «النظرية » ، وأن يغيّروا لم يستطيعوا أن يعملوا شيئا ، وكان مصيرهم إما التشرّد أو السجن ؛ إذ قد شبّ شباب الانحراف ،وصلُبَ ساعده ؛ وتفاقم الأمر ، حتى استطاع الامام المهدي عبد الله سنة ١٢٤١هـ ١٨٢٦م أن يسجن العلامة القاضي محمد بن حَرِيوهْ ، ويجلده ، ويطوف به معزّراً في شوارع صنعاء ، ثم ينفيه إلى الحديدة ، ويأمر بقطع رأسه ، وصلب جثته وقاضي قضاته وكبير مستشاريه الامام محمد بن علي الشوكاني يتفرّج لا يستطيع أن يحرّك

ساكنا ؛ وانظر التفاصيل في نيل الوطر جـ ـ ٢ ـ ص : ٢٧٤ ـ ٢٧٩ . وتمزّقت اليمن أيدي سباء وجاء الأتراك من جديد و . .

ضاعت «الصَّعْبَهْ» على الخُلَفا   خبط عشوا ، والسراج طَفَى

كما قال الشاعر القاره في قصيدته « الحمينية » المشهورة ؛ وكان ما كان !

لا شك أن قوماً سيستغربون إسهابي فيما قد يظنونه خارجاً عن موضوع ترجمةٍ لجامعِ «ديوان »؛ لكنني واثق بأنّه من دون ما ذكرته في المقدمة وأنا أتحدث عن «الهبل » ومن غير ما سلف ، لن يتمكن قارىء « الهبل » من اكتناه بعض ما ورد في غضون بعض قصائده ؛ أما « المخلافي » الشاعر فقد أورد له زباره مقاطع لطيفة مثل قوله مقتبساً :

في حُبّ بدرٍ منيرٍ   هواه أذهلَ حسّي
أتلفتُ قلبي وجداً   « وما أبرىء نفسي »

ومن شعره أيام حبسه بصيرة «عدن » :

إن تغشني في «صيرةٍ»   كُرَبٌ أتتْ متواليهْ
فلسوف يُفْجَرُ لَيْلُها   و«الفجْرُ» يتلو «الغاشيه»!

يشير إلى أن ترتيب سورة « الفجر » بعد « سورة » الغاشية .

وهذه الأبيات تذكّرني بقصيدة على نفس الروي أسمعني أبياتاً منها الشاعر الصديق محمد محمود الزبيري وقال انه كان يدعو الله بها في نوافله عندما كان مسجوناً بالأهنوم اذكر منها :

ربّاه ما لي لم أزلْ   في محنةٍ متواليَهْ!؟
إما شريداً تائهاً   أو موثقاً في هاويهْ!

وخرج في بعض الأيام من « الحمّام » فلقيه بعض أصدقائه وسأله عن سبب دخوله الحمّام فأنشده البيتين المشهورين وهما :

ولم أدخلِ الحمّام من أجل لذّةٍ ... وكيف ونار الشوق بين جوانحي
ولكنّــه لم يكفنــي فيض أدمعي ... دخلتُ لأبكي من جميع جوارحي !

وكان قد تناول شيئاً من « الحِنّا » وأثره على يديه . فقــال له ذلك الصّاحب فما هذا ؟ يشير إلى «الحِنّا» فأجابه مرتجلا :

وليس خضاباً ما بكفّي وإنّما ... مسحتُ به أثر الدّموع السوافحِ

ثم « صدّر » صاحبُ الترجمة البيتين وعجّزهما » ونقلهما إلى الوعظ فقال :

ولم أدخل الحمّام من أجل لذّةٍ» ... وكيف التذاذي بالنيار اللّوافحِ
ولا جئتُــه أبغــي اصطلاءً بناره ... «وكيف ونار الشوق بين جوانحي»
«ولكنّه لم يكفني فيض أدمعي » ... على ماضيات من ذنوبٍ فواضحِ
ولما رأيتُ العينَ لم يكف وبلها ... «دخلتُ لأبكي من جميع جوارحي»
وليس خضاباً ما بكفّي ، وإنّما ... مسحتُ به أثر الدموع السوافحِ

قال السيد محمد زباره ومات في بندر عدن في شهر محرم سنة ١١١٦هـ / وقيل سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٦م وأرّخ وفاته القاضي زيد بن على الخيواني بقوله :

قد قضَى قاضي القَضَا في «عدنٍ» ... فعلــوم الآل للشجــو تباكَى
وبأقــلام الرّثــا أرخته ... «يابْن عبد الحقّ قد طاب ثراكا»

١١١٧هـ

وهذا جدول بأسماء الأئمة الذين عاصرهم وعاش في أيامهم

١ـ المؤيد محمد بن القاسم بن محمد ١٠٢٩ـ ١٠٥٤هـ / ١٦٢٠ـ ١٦٤٥م
٢ـ المتوكل اسماعيل بن القاسم ١٠٥٤ـ ١٠٨٧هـ / ١٦٤٥ـ ١٦٧٧م
٣ـ المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم ١٠٨٧ـ ١٠٩٢هـ / ١٦٧٧ـ ١٦٨٢م
٤ـ المؤيد محمد بن المتوكل اسماعيل ١٠٩٢ـ ١٠٩٧هـ / ١٦٨٢ـ ١٦٨٦م
٥ـ المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ١٠٩٨ـ ١١٣٠هـ / ١٦٨٧ـ ١٧١٨م

أعلام ديوان الهبل :

هذا وقد تردّدتْ أسماء الكثير من الأعلام في شعر الهبل ؛ كالخمسة أصحاب الكساء (ع) ، والخلفاء الراشدين (ض)، وآخرين من أصحاب الرسول (ص) ، وشهداء أهل البيت أيّام الأمويين والعباسيّين ، وبعض الملوك والشعراء والعلماء والزعماء والكتّاب المشهورين في تاريخ الإسلام .

وقد أشاع أحد المتأخرين من اليمنيّين الذين تصدّوا لتحقيق كتب «الهمداني » ، و« الديبع » ، و« عُمارة » ـ وليس لديهم الأهليّة والكفاءة ـ عادة سيئة وهي إثقال هوامش الكتب التي يحققها بالتراجم المسهبة للأعلام الذين ترد أسماؤهم في تلك الكتب نقلاً عن أمّهات كتب التاريخ والأدب المتداولة المشهورة فيترجم مثلاً لمعاوية بن أبي سفيان ، أو أبو جعفر المنصور ، أو خالد بن الوليد ، أو الحجّاج بن يوسف أو عمرو بن معدي كرب أو أبو نواس فاذا جاء ذكر زعيم أو شاعر ، أو أديب « يمنيّ » مجهول لم يُتَرجَمْ لَهُ ، أو تُنْقَل آثارُه وأخبارُه في الكتب المتداولة المشهورة في العالم الإسلامي أعرض عن ذكره ، أو اكتفى بالقول : « لا أعلم عنه شيئا » ؛ أو « لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر » . وأنا لن أكرّر القول مندِّداً بهذه الطريقة ، ومفنّدا لصاحبها ومشرّعها ، فقد وفّيتُه حقَه في مكانه ، ولكني أريد أولاً أن أحذّر أبناء اليمن من هذا الاسلوب الذي لا يحقّق كتب التراث بل يمحقها ، وثانياً لأبيّن لماذا صرفت النظر عن الترجمة للمشهورين من الأعلام الذين تردّدت أسماؤهم في ديوان الهبل كالخلفاء ، والملوك ، والامام زيد ابن علي ، وابنه يحيى ، وأولاد عمه ، أو المتنبّي والبحتري وزياد الأعجم وأمثالهم ؛ إذ ليس هناك أديبٌ عربي لم يقرأ أخبار هؤلاء ، وآثارهم في تاريخ الطبري أو ابن الأثير ، أو مقاتل الطالبيّين ، أو الأغاني ، أو معجم الأدباء ، ووفيات الأعيان ، وهل يمكن أن يسمّى الأديب أديبا وهو لم يدرس هذه الكتب وما يشاكلُها .

ولقد ركّزت جهدي على محاولة قراءة النّصوص قراءة صحيحة ، وإيصالها إلى قارئها كما كتبها أو نطق بها قائلها أو جامِعُها ، وذلك في نظري هو أوّل وآخر ما

يُتَطلّب من محقّق أيّ كتاب ، وما جاء بعدُ فهو اجتهاد يصوّر ذوق هذا المحقّق وحرصه على مساعدة قارئه ، أو سخفَه وقلّةَ عقله ، أجارنا الله وإيّاكم .

ثم عدت إلى أولئك الذين مدحهم الهبل أو رثاهم أو راسلهم من معاصريه ، وليس لهم ذكر في غير الكتب اليمنية المخطوط منها والمطبوع مثل «مطلع البدور» للعلامة الأديب أحمد بن أبي الرجال ، أو « البدر الطالع للامام الشوكاني ، أو « نيل الوطر » و« نشر العرف » للعلاّمة المؤرخ محمد زباره فرأيت من واجبي التعريف بهم لمن لم يطّلع على تلك الكتب النّادرة من اليمنيين وغيرهم من قرّاء العربيّة . وبإيجاز لا يخلّ ؛ ويساعد المهتمّين بتاريخ آداب اليمن على توضيح صورته ، ومدى نشاطه في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريَّيْن ، وقد رجَّحت أن أورد هذه التراجم أو «التعريفات » الموجزة في آخر الديوان ، وقبل الفهرست مرتبة حسب ورودها في الديوان وبأرقام مسلسلة . . . على أن أُثقّل بها هوامشه .

وكان قد نصحني بعضُ الأدباء أن لا أحذف الأبيات الّتي فيها شتيمة أو سباب ؛ لأن الأمانة الأدبيّة تقضي أن لا أعمل ، وذكّرني أن ديوان «السيد الحِميَري » قد نشر وفيه الكثير مما يشبه تلك الأبيات . لكنّي لم أستطع الإصغاء إلى نصحهم ؛ أولاً ، لأنّي وجدتّها ركيكةَ النَفَس ، ولولا ثقتي بصدق « المخلافي » وأنه كان كما قال مؤلّف طبقات الزيدية « ثقة في الخَبَرِ والاخبار » . . لمِلتُ إلى قول من يزعم بأن «المخلافي » نفسه قد نحلَها إلى «الهبل » وانه هو صاحبها ولا سيما وهي تشبه نفس «المخلافي » الذي يطغى عليه أحياناً مزاجه «الفقهي » ، وثانياً إنّني ؛ وسَمِّ ذلك خَوَراً ، أو ضعفاً ، أو ما شئتَ ؛ لا أستجيز أن أنشر ما فيه إيذاء لمن أجلّهم من أصحاب سيدنا « محمّد » صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما ما فيه مدح للآل الكرام ، فمهما أغرق «الهبل » وبالغ فلن يفي بما يهوى ، ولن يلومه عليه إلاّ المبغض القالي ، وكيف وأنا نفسي القائل فيهم :

وهبتُهم مهجتي لا لامتزاج دمي بهـمْ؛ ولكنّني أحببتهم دينا
من غير عُتْرةِ طهَ حبُّهم شرفٌ وقربـةٌ وشعـار للمصلّينا؟

والله المستعان ، وعليه التكلان وهو نعم المولى .

بروملي ٧/ ربيع الثاني / ١٤٠٣هـ
٢١ / يناير/ ١٩٨٣م

أحمد بن محمد الشامي



...القلوب رغبة كفيلة واشهد ان اخاه امير المؤمنين ونفسه
الزكي المبين عليا سيد الوصيين وافضل الصديقين الامام بعده من
غير فصل بالنصوص الجليلة الجليلة التي لا ينكرها الا من اختار العمى
على الهدى وارتضع ثدي الردى وارتضى الباطل ... الحق وسيلة
شهادة تكون لاحد الجواز على الصراط منه عليه السلام والشرب بكفه
الطاهرة من نهر الكوثر عند طرده لعصبة النصب والنفاق الطغام
من اعظم ذخيره ووسيلة صلوات الله وسلامه عليهما وعلى الهما ...
وآله وقربا كتاب الله الذين علموا محكمه ومتشابهه وناسخه
ومنسوخه وخاصه وعامه وتاويله وتنزيله اما بعد فانه طلب
... التقرب الى الله بطاعته وارجو نيل رضوانه بولايته ان اجمع شيئا
... عليه وبلغ الي من شعر من تلفع من البلاغة بازارها والقت
اليه مقاليد امورها في اصدارها وايرادها وتزينت به من شعرائها
... امداده وازالت به القذى الذي حل من عين ...
من الحق في خلال الكلال واغنى واعجز ابناء زمانه اذ جلى في حلبة الكلام
... واحصى ونال على حداثة سنه ما لم ينله مع الحرص على ...
... وتفرد بتفرد مكارم الاخلاق ...

ولرب ذنب طلت في تطلابه ... ملحمة من الله ...

ولكم ابيت الامر لا امر بابي ...

بلغت ما لم يبلغ امرء بشبابه ... فاذا عصارة كل ذاك اثام

الباب الثاني في مدح الخمسة

اهل الكساء المطهرين وخيرة الله من الخلق اجمعين ومحبتهم البالغة على جميع العالمين ومدح سادتهم الامجاد لاثارهم المقتبس لانوارهم المبلغ لحكمهم واخبارهم المخصوص منهم بابنه معه واصلة عن ادراك صفته من مدحهم له والحث على الكون معه والاخبار بان اشياعه واتباعه وانصاره كاشياعهم واتباعهم وانصارهم وبدخل في هذا الباب بحرمة رضوان الله عليه من ظلمهم حقهم وانكرهم سبقهم واذى فيهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يوفه اجره اذ اغضبهم وغصبهم وعقهم وفي آخر هذا الباب فصل فيما مدح به وكاتب وراسل وخاطب معاصريه من اهل بيت المصطفى صلى الله عليه وعلى آله الحنفا قال رحمه الله

وقد عوتب على عدم مديحه للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

تعالى الذي منح شيد الكونين فلم ... يجر عن كلمي قولي واشعاري

ما مالكم بهجتي رويدا يشح . فما مهجته لديك فاطرفيها

وقال رحمه الله تعالى ما الطف لما رأيت رقة هذه الأبيات

وعذوبة هذه القطعة التي ما أن تملها ولا هوت علمت أن من البيان

سحرا وان من الألفاظ درا وعلقت على جواهر هذا التخميس وانفقت فيها

من انفس ما عندي وان لم يكن عندي نفيس ولعل الواقف على هذه

الابيات يقول عند كل بيت ما الرج هذا البيت مع عدم الاستطاعة وما

طاعته فكرته ولم تقابله في دخول هذه البيوت بالطاعة فاقول

هذا جهد المقل ومن بذل طاقته لم يقصر ولم يخل وهذه الابيات الاربعة

المخمسة ذكرها ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الاغاني للشريف ابي عبد الله

محمد بن صالح الحسني رحمه الله تعالى ولطافة طريف ذكر الشيخ العلامة

أبو الثناء شهاب الدين محمود بن سلمان بن فهد الحلبي في كتابه منازل

الاحباب وهذه الابيات هي مع التخميس المذكور

. اترى صحبي وافيا ومن سكر الجوى .

. ولوى عنانه عهود سكان اللوى .

. هيهات لا اذكر جفاه يد المنون .

. وغدت يد النسيان بكاشحها انطوى .

قَلائِدُ الجَواهِر

من شِعر

الحسَن بْن عَلي بْن جَابر

١٠٤٨ - ١٠٧٩هـ / ١٦٣٩ - ١٦٦٨م

جَمعهُ وبَوّبه

القاضي العلامة الشاعِر

أحمَد بن ناصِر بن عَبْد الحقّ المِخْلافي

حَقّقهُ وَعلّق حوَاشيه

أحمد بن محمّد الشّامي



مقـدمة جامع الديوان :

أحـمد بن ناصِـر المخـلافي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الآدب عنوان كل فضيلَـهْ ، وخصَّ من انتمـى إليهِ وانتَسَبَ بالمنَازلِ الرَّفيعةِ والمراتب الجليلَهْ ، وأنزلَ باللسان العربيِّ المبين تشريعاً وتكريماً قِيلَهْ ، وأشهد أن لا إلَه إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً أنجـو بهـا من النيران ، وأفوز لأجلها ، بالرضوان يوم الفزع الأكبر ؛ حين يجفو الخليلُ خليلَهْ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وخليله المبعوث لإكمال الحجّة ، وإيضاح المحجّة ، بالتبيين والتنزيل من أكرم عُنصرٍ ، وأشرف قبيلَهْ ؛ المنعـوت تعظيماً وتبجيلاً في التّوراةِ. . . والإنجيل؛ فأعظمْ بمَنْ ملأَ الله بِنَعْتِهِ توراته وانجيلَه؛ شهادةً تكونُ بنيلِ المطلوب ، وحيازَةِ المرْغوب إليهِ من النَّعيمِ المحبوبْ؛ في جَنّةٍ لا يَمسُّ ساكِنهـا نَصَـبٌ ولا لغـوبْ، زَعيمـةً وكَفِيلَـهْ. . . وأشهـدُ أنّ أخـاه؛ «أميرَ المـؤمنين»، ونفسَـهُ بنصِّ الـذِّكر المبين، . . «عليًّا» سيّد «الـوصيّين»، وأَفْضَـل «الصِّديقين»، «الإمامُ». . بعدَهْ «من غيرِ فَصْل». ! بالنّصـوصِ الجليّة الجليلـة، الّتي لا ينكرُها إلاّ من اختار العَمَى على الهدى؛ وارتَضَعَ ثديَ الرَّدَى؛ وارتضَـى البَاطِلَ بدلاً . . وتنكّبَ الحقَّ وَسَبيلَه . . ؛ «شهَادةً». . . تكونُ لأَخْذِ «الجواز» على «الصِّراط» منهُ «عليهِ السَّلام» ؛ و«الشّرب» بكفّه[1] الطَّاهرة من نَهْرِ «الكَوْثَر» عِند طرده

---

(١) راجع ترجمته في : اعلام الديوان

(١) في «ف» : « والشّرب من نهرِ الكوثر «فقط» .

لعُصَب «النّصْب» والنِّفاق الطّغام، أعْظَمَ ذَخِيرةٍ، وأَتمَّ وسيلهْ[1] . . ؛ صلوات الله وسلامهُ عليهما، وعلى آلهما؛ خَزَنة وَحْي الله، وقُرناءِ كتاب الله، الّذين عَلِموا مُحْكَمَهُ، ومُتشَابهَهُ، وناسخَهُ ومَنْسوخَهُ، وخاصَّهُ وعامَّه، وتأويلَهُ، وتَنْزيلَهْ؛ . . !

«أمَّا بَعْدُ» فإنّه طلبَ منّي مَن أتقرَّبُ إلى الله بطَاعَتِه؛ وأرجو نَيْل رضوانِه بولايتِه؛ أن أَجْمَعَ شيئاً مِمّا اطّلعْتُ عليه، وبلغ إليَّ مِن شعر مَنْ تلفَّعَ من البلاغة بأبرادِها، وألقت إليهِ مَقاليدَ أمُورِها في إصْدارها وإيرادها؛ وتَزّينَتْ به من بعد أن لبست ثياب حدادِها؛ وأزالت بهِ القَذَى الذي حَلّ مِن عينها في سوادها؛ من أنجد في خلال الكمال وأغْوَرْ؛ وأَعجزَ أبناءَ زَمانِه إذ جَلَّى في حَلْبة المكارم ـ عن نيل غايته وأحْصَرْ؛ ونال ـ على حداثة سنّه ـ ما لم ينلْهُ ـ مع الحرص على نيله ـ أخو المشيب، وتفرَّد ببرد مكارمِ الأخلاق النَّضرِ القَشيبْ، رَبيب حِجْر «التَشيّع» طفلا؛ الحاوي منه ما لَمْ يَحوه سواه . . . نعمةً عليه من الله وفضلا؛ الفائز[2] منه بأوْفى حظٍّ وأوفر نصيب، وليّ آلِ محمّد صلّى الله عليه وعلى آله الصّادِقْ، وغيظ عدوِّهم المائق المنافق، وسم النَّواصِب الوحيّ في المغَارِب والمشارق، وقذى عين من تنكّب عن نهج «الوصيّ» وفارقه، وأصبحَ تابعاً لِكلّ خارجٍ عن الدّين مارِق؛ والعذب الزّلال في فم كل محبٍّ لآلِ محمد صلى الله عليه وآله وسلّم مُلتزم لِنَهْجِهم القويم موافقْ، الشّاب التَّقي، المطهَّر عن الشَّيْنِ النَّقي»[3]، المعجز بارتقائِه إلى أعلى درجٍ في المجد لكلٍّ من أراد أن يبلغ محلَّه ويرتقي[4] الآخذين من فنون العلم بما يزلفه انشاء الله تعالى إلى جنّات النّعيم[5]، ويُنجيه من العذاب الأليم ويقي، شرف الإسلام، ومفخر الشيعة الأعلام، و حامل لوائهم الَّذي من دخل تحته فاز بالجواز على الصِّراط يوم تَزِل الأقْدام، وأمنَ مِنَ الهلاك يومَ التّغابُن والزّحام، يوم تأتي كلُّ أُمةٍ بإمام[6]، «الحسن بن علي بن جابر الهَبَل» الزيدي في الاعتقاد والقولِ،

---

(١) في كلٍّ من «ن» و«ف»: من أعظم ذخيرة؛ ولعلّ «مِن» ممّا أقحمه النسّاخ إذ لا محلّ لها؛ كما أنّ لفظة «أتمّ» لا توجد في «ن» والعبارة فيها هكذا: «من أعظم ذخيرة ووسيلة».

(٢) العبارة في «ف» هكذا: «الفائز منه بأوفى نصيب» فقط.

(٣) عبارة «ف» هكذا: «المطهَّر من العيوب النقيّ».

(٤) في «ف» هكذا: «إلى أعلا درج المجد لكلّ من رام» . . .

(٥) في «ف» هكذا: «الآخذ من العلم» و«بجنّات النعيم»

(٦) في «ف» هكذا: «كلّ نفسٍ».

والـعَمَل ، أكرم الله تعالى نُزله لديه، وأمطر سحائبَ العفو والإحسان والرِّضوان دائماً عليه، وجمعَ بيننا وبينه في جَنات النَّعيم يوم المصير إليه، شعرا:

فتىً ، كَمُلَـتْ فيه الفتـوّةُ يافِعاً فَجَلَّـى بميدانِ الكمـالِ وبرَّزا؛
فتىً؛ قد حَوَى المجدَ العـظيم بِسَعْيِهِ وحـازَ خِصـالَ المكرمـات وأَحْرَزا؛
فتـىً لأيدانـي شأنـه[1] قطّ في العُلى مدانٍ إليه الفضل[2] دون الـورى اعتزى
له خلـق، ما الـروض باكره الحيا ففوّقـه وقـت الـربيع وطرّزا
وَجُودٌ.. فكم أَعْطَى جميعَ الّذي حَوَى، ولم يقتصِرْ حتّى استدان ولا اَجْتَزى، *
ونظـمٌ.. أتى فيه بكُلِّ غَريبةٍ، فأَحْصَـرَ من رام اللّحـاقَ، وأعجزا..
وحُـبٌّ لأهـلِ البَيْتِ للهِ خَالِصٌ به في جَنـانِ الخُلْـد يَظْفَـرُ بالجزا..
وفي الله قَدْ وَالَـى، وعَـادَى مُجَاهراً، وأظهَـرَ أقـوالَ الهُـداةِ، وأَبْرَزا..
وأدنَى، وأَقْصَى في الإلَـهِ، ولَـمْ يَزَلْ لشيعَـةِ ذي النّـورين «حيدر» مَرْكِزَا
عليه سَلام الله؛ إنَّ صِفاته.. لَتُعْجِـزُ مِطْنابـاً ـ أطَـالَ ـ ومُوجزا؛

فأجَبْتُهُ إلى طَلَبِهْ ، وبادرتُ بقضاءِ أَرَبِهْ ، وكتبـتُ في هذه الكراريس من نَظمِهِ رحمه الله وأشْعاره ، المزْريةِ بالصّبح في إسْفارِهِ ، والرَّوضِ وأزهَارِهْ ، شيئاً مما كان رضوان الله عليه قَدْ أنْشدنيه في حياته ، أوْ وَقَفْتُ عليهِ بخطّهِ رضوان الله عليه بعدَ وَفَاتِهِ ، وكلّما أثبتُّهُ في هذهِ الكراريس مِمَّا أَنْشَدنيه وغيره مَنْقُولٌ مِن خطّه رضوان الله عليه إذ كانَ من طبعه الكريم ، وخُلُقِه المـزْرِي بالـرَّوض هَبَّ عَليهِ النسيم[3] ، أنّه إذا قَال شيئاً في مدّتِهِ الأخيرة عَرَضَه تأدُّبا عليّ ، وأَرْسَلَ بنُسْختِـهِ لأُهَذِّبَهُ إليّ ؛ وهوَ ـ والله المُذْهَبُ المُهذَّب ، ومنشئه المهذِّب[4] ، ورتّبتُهُ على

---

(١) في نسخة ثالثة : شأوه .
(٢) في نسخة ثالثة : الفخر .
(٣) عبارة «ف» هكذا : «وخَلقه الذي هو أرقّ وألطف من مرّ النسيم» .
(٤) لا توجدُ هذه الجملة : «وهو والله المذْهب الخ» في : «ف» .
*هذا البيت الذي يمدح «الهبل» بالجود والكرم وأنّه كان يَستدين لذلك ؛ يُفسّر تلك الشكاوى التي باح بها عن همومه ، وغَلَبةِ الدَّين والقهر الذي كان يعانيه كي يقوم بواجباته الانسانيّة ، وينهض بالحقـوق الملقاة على كاهله ، ويوضّح أسباب تلك الضراعات التي ناشد بها إمام زمانه المتوكّل على الله اسماعيل وغيره حتّى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة يائساً حزينا .
المحقق

سِتّةِ أَبواب :

البابُ الأول : في الْمُناجاةِ الإلهيّة ، والمواعظ الزُّهديّة ، وفي آخرِ هذا الباب قصيدة في الردِّ على فِرقَة التَّنْجيم الْغويّة ، وتَبْيين اعتقاد فرقةِ الحق الزيديّة ، الحُسينيّةِ الحَسَنيّة العَلويةِ النَّبويّة .

الباب الثاني : في مَدْح الخَمْسة أَهلِ الكساء المطهرين ، وخيرة الله من الخلائقِ أجْمعين ، وحجّته البالغة على جميع العالمين ، ومدح سادسهم ، المجدد لآثارهم ، المقتبس لأنوارهم[1] ، المبلّغ لِحُجَجِهِمْ وأخبارِهم ، المخصوص بما يعْجَزُ مَعَهُ واصفُه عن إدراك صِفته من مدحهم لَه ، والحثّ على الكَوْن معه ، والإِخبار بأنّ أشياعه ، وأتباعه وأنصاره ، كأشياعِهم . . وأتباعِهم وأنْصارِهم ، . . . ويدخلُ في هذا الباب ، ويلحق به تجرّمُهُ رضوان الله تعالى عليه مِمّنْ ظَلَمهمْ حقّهم ، وأنكرَهُمْ سبقهُمْ ، وآذى فيهم المصْطفى صلّى الله عليه وعلى آلِه وسلّم ، ولَم يُوفه أَجره إذ أغضبَهم ، وغَصَبَهُم ، وعَقَّهَمْ ، وفي آخرِ هذا الباب فصلٌ فيما مَدَحَ بهِ وكاتَبْ ، وراسَلَ وخَاطَبْ ، معاصريه من أَهلِ بيت المُصطفى ، صلى الله عليه وعلى آله الْحُنَفَا .

البابُ الثالثُ : فيما قالَه رضوان الله تعالى عليه من[2] الغزَل والتَّشْبيب ، وذِكر المنْزلِ والحبيب .

البابُ الرابع : فيما دارَ بينه رضوان الله تعالى عليه وبين أُدباءِ زمانه ، وجُملة إخوانه[3] ، من المدْحِ والمكاتَبة ، المشتَملة على المذاكرة والمعاهَدة والمسَاجَلة والمعاتَبة .

البابُ الخامسُ : فيما قالَهُ رضوان الله تعالى علَيْه مِنَ المراثي والتَّأبين ، في آل محمّد المطهّرين ، وشيعتهم الميامين[4] .

---

(١) لا توجد عبارة : « المجدّد لأثارهم » في «ف » وفيها : «المقتبس من أنوارهم » .
(٢) في «ف » : « في الغزل » تصحيحاً عن نسخة ثالثة ؛ أو من قبل احد القرّاء .
(٣) العبارة في «ف » هكذا : « وبين إخوانه وأدباء زمانه » .
(٤) في : «ف » : « آل محمّد الأكرمين ، وشيعتهم الصّادقين » .

البابُ السَّادسُ : في التحدّث بما أنعم اللهُ بهِ عليه مِن الإتصال بنَسب نبيّه الكريم ، ومُوالاة أهل بيته عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والتَّسليم ، والتجرّم من الزّمان الذي ما زَال مُولَعاً بتسْديدِ سِهامِ صروفِهِ إلى كلّ نبيهٍ فَاضلٍ كريم ؛ مُحافظاً على موالاة كلّ غرٍّ مَنْقوصٍ لئيم . . ، وسمّيتُه :

قلائد الجواهِرْ ، مِنْ شِعْر الحَسَن بن عليّ بن جَابرْ

وقد حرصتُ على كَتْبِ ما وجدتُ من شعره ـ رضوان الله عليه ـ مع علمي أن هذا الّذي أَثْبَتُّ لَهُ هو النَّزر الحقير ، وأن الفائت عليّ هو الجمّ الغفير[1] . ولقد أخبرني رضوان الله تعالى عليه ؛ أنّه قَدْ مَزّق من أشعاره المُتقدّمة دفاتر ، وأعدم منها كثيراً في الزّمن الآخر[2] ، فما ظفرتُ به إنشاء الله تعالى بعد ذلك فَسألحقه إلى نظيره ؛ ومِمّا حرّضني على جَمْع شعره رضوان الله تعالى عليه القصائدُ العلويّة « والزيْديّة » الّتي ينبغي أن تُكتبَ بالذَّهَبِ . . لاَ . . . بَلْ بِسَوادِ العيون ، وتُستَودع في تامور القَلْبِ إذا استُودِعَ في أصدافِهِ الدرُّ المكنون ، طمعاً[3] أن أُشاركه رضوانه تعالى عليه بتَخْليدِها في الأَسْفار في جائزتها ، وأنال إنشاء الله تعالى مِثلُ الذّي يناله إنشاء الله تعالى من عائدتِها ؛ إذ جائزتها لعمر الله الأَمنُ في جنّاتِ النّعيم ، والفوزُ بالرّضْوانِ في جِوارِ الملكِ الكريم .

---

(١) في : «ف » : و« أنّ الفائت منه هو الكثير » .

(٢) في : « ف » : « وغَرَّق وأعدم .

(٤) العبارة في «ف » هكذا : « رجاءَ أن أشاركه رضوان الله تعالى عليه في جائزتها ، وأنال مثل الذي يناله انشاء الله تعالى من عائدتها ، ولعمري أن جائزتها الأمن » الخ . . .



الباب الأول

في المناجاة الإلهيّة، والمواعظ الزُّهديّة والرّدّ على فرقة النجوم[1] الغويّة



(١) في «ف» : «التّنجيم» كما في المقدّمة.



مناجاة . . .

قال رضوان الله عليه يُنَاجي ربَّه ، ويَطْلبه أن يكشف ضره وكَرْبَه :

١	مَنْ ذا إلــى عَدْلِــه أُنهــي شكاياتي	ســواك يا رافــع السَّبْــع السَّموات؟
٢	مَنْ ذَا أُرَجّيه؟ أَمْ مَنْ ذا أُؤمِّلُهُ؟	لِمـا أَتَانـي مِنَ البلْـوى، ومَــا يَاتي ؛
٣	مَنْ ذا ألــوذُ به فيمــا أَلــمَّ؟ ومَنْ	أدعــوهُ إن قلّ صبــري في مضرّاتي؟
٤	مولاي؛ عَادَاتُكَ اللّاتي عُرِفْت بِهَا الْغُـ	ـفرانُ؛ مَهْمَـا غدا العصْيانُ عاداتي ؛
٥	وعفـوُك الجــمُّ يا مولايَ أَوسَــعُ مِمَّـ	ـا ضاق عَنْـهُ احتِمالـي مِنْ خطيئاتي ؛
٦	كَمْ نعمــة لك عنــدِي، لا أطيقُ لها	شكراً؛ ولو أنّنـي استَغرقـتُ ساعاتي ؛
٧	ومُعْضِــلٍ فادحٍ قد كادَ يُغرقني . .	في بحر هُلْكٍ؛ فكانَت مِنْك مَنْجاتي ؛
٨	أَحْسَنْــتَ يا ربّ تقْويمــي بتَسْويةٍ	مُكمّــلاً أدواتٍ لي، وآلاتِ ؛
٩	حفظْتَني ربّ، إذْ لا خلــق يَحْفَظُني	بِــرًّا، وقــدّرتَ أقْواتــي ، وأوْقاتي ،
١٠	ولــم تَزَلْ عينُ برٍّ مِنْــك تلحظني،	فما خلَـتْ مِن صَنيعٍ مِنـكَ حالاتي ؛

***

١١	أشــكو إليكَ أمــوراً؛ أنــتَ تعلَمُها	فأنـــتَ يا ربّ علاّم الخفيّاتِ ؛
١٢	لو كانَ غيركَ يكْفينــي عَظَائِمها؛	أَنْبأتُــه ما بقَلْبِـي مِنْ خبيّاتِ ؛
١٣	هَيْهَات . . مَالي عِنْدَ الخلْقِ من فرجٍ ؛	فأنتَ أنتَ الَّــذي أرجُــو لِحَاجاتي

١ ـ أُنهي: من أنهى يُنهي: أبلغ.

١ ـ في «ف» : أم ذا أُرجيَة وهو غلط .

٣ ـ لاذَ يلوذ: لجأ. وألمَّ: أصاب.

٧ ـ المعضل : المعيّي والمؤنّث معضلة، وهي المسألة المستغلقة المشكلة، والمعضلات: الشدائد.

- ٢ -

عُـــذراً يا رب ؛

وقال رِضوان الله عليه يُخَاطبُ خالِقَه ، ويُعظِّمُ رازقَه :

١ عُذراً فقــد حارتِ العقُولُ فيكَ ؛ فلــم نَدْرِ مَا نَقُولُ؛

٢ لَوْ لَمْ يكُنْ قامَ لِلْبرايا . . عليكَ من صُنعِــك الدَّليلُ؛

٣ ما عَلِمــوا أنَّ ثَمّ ربًّا؛ كلٌّ عَزيزٍ لَهُ ذليلُ؛

٤ تَفْنَى الْبَــرايا ؛ وأنــتَ حيٌّ بــاقٍ تَعَــاليتَ لا تزولُ

- ٣ -

إذا لَمْ تعُذني فَمنْ ؟

وقال رحمة الله عليه في التوكّل :

١	معــاذيَ، إن عاذَ اللَّهيفُ ولاذَا،	وغَوثي إذْ. . لا ذَا يُغيثُ، ولا ذا. .
٢	ويَا مَنْ إليهِ أَشْتــكي الضــرَّ والأَذَى	إذا ضرَّنــي صرف الزّمــان وآذَى. ؛
٣	إذا لم تُعذْنــي يا إلاهــي فَمَــنْ إذَا	دَهَتْنــي اللَّيالــي أرتجيهِ معاذَا. ؟



١ ـ المعاذ : الملجأ . واللهيف : المضطر، لاذَ : التجأ ، والغوث : من غاثَ غوثـاً : أعان ونصر .
٢ ـ صرف الزمان ؛ وصروفه نوائبه .

- ٤ -

انظرْ إلى فقري

وقال رضوان الله عليه في طلب العفو :

١	أصبحـــتُ مُنقــاداً لأَمــرِكَ، واثِقاً	بجميل عفـوكَ، مُخْلِصــاً لكَ ديني؛
٢	فَانْظـرْ إلـى فقــري؛ وجُـد مُتفضّلاً	بالعَفْــو منــك لعبــدِكَ المسكينِ



- ٥ -

ليــت . .

وقال رحمة الله عليه في الإعتراف :

١	وَاسوء حَالــي في غدٍ،	لَقَبيحِ ما قَد كان مِنّي؛
٢	وَفَضِيحتــي يــومَ الّــجَزا،	إنْ لم تَجُــدْ بالعَفْــوِ عنّي؛
٣	كيفَ التخلّصُ مــن عــذابــكَ ؟	ليــتَ أمّــي لــم تَلدْني!
٤	أَوْلَيتَ أنّــي لَمْ أعشْ	لــو كان يجدي لَيْتَ أنّي!

- ٦ -

دعــاء . . .

وقال رضوان الله عليه :

١ يــا عــادلاً في حُكمِهِ لا يَظـلِمُ بَـرِحَ الخَفَـا ؛ كم ذا نُجــنّ ونكتُم؟

٢ يا سامعَ الأصـوات إنْ لم تَسْتجبْ ؛ مــن يَسْتجِيبُ لَنَـا سِواكَ ويَرحَمْ؟

٣ يا مَنْ مقــاليدُ الأمــورِ بكفِّه ؛ عَطفـاً ؛ فأنـتَ بحـالِ عَبــدِك أعلمُ ؛

---

١ ـ في «ن» : «كم ذا تجنّ وتكتم» وهو خطأ واضح . ولعل الشاعر قد قال : «بَرِحَ الخفاء بما نجنّ ونكتمُ» .

٢ ـ في «ف» : «يا من مقادير العطاء بكفه» والمقاليد : المفاتيح .

- ٧ -

أضعتَ العُمرَ . . .

وقال رحمه الله في الوعظ :

١	أضعْـتَ العُمـرَ في إصـلاح حالِكْ	ومَـا فكّرت وَيْحَـكَ في مآلِكْ ؛
٢	أراكَ أَمِنـتَ أحـداثَ اللّيالي ؛	وقَـدْ صَمَـدتْ لِغَـدرِكَ واغتيالِكْ ؛
٣	ومِلْـتَ لِزخْـرفِ الـدّنيا غروراً	وقـد جاءتْ تسيرُ إلـى قِتالك
٤	وكَمْ أتعبـتَ بالآمـال قلباً . .	تَحَمَّـلَ ما يزيدُ علـى احْتِمالِكْ ؛
٥	ولَـمْ يكُنِ الّـذي أمَّلْـتَ فيها . .	بأسْـرعَ من زوالِكَ، وانتقالِكْ ؛
٦	فَعِش فيهـا خَميصَ البَطْـنِ ، واعْمَلْ	لِيَومٍ فيه تَذْهَـلُ عَنْ عيالِكْ ؛
٧	تجـيءُ إليه مُنْقـاداً ذليلاً ؛	ولا تدري يمينَـك مِن شِمالِكْ ؛
٨	إليهـا في شبابِـك مِلْـت جهْلاً ؛	فَهَـلاّ مِلْـتَ عنهـا في اكْتِهالِكْ ؟
٩	فَمَهْـلاً ؛ فهـيَ عنـد اللهِ أَدْنَى ،	وأهْـونُ مِن ترابٍ في نعالِكْ . !
١٠	وَإنْ جاءَتْـكَ خاطِيـةً ؛ فأعرِضْ	وقُلْ مَهْلاً . . فمـا أنـا مِنْ رجالِكْ . .
١١	إلـيَّ تَزَيّنين لِتَخْدَعيني ؛	فمـا أَبْصَـرتُ أقبـحَ مِنْ جمالِكْ !
١٢	أمـا لَوْ كُنـتِ في الرَّمضـاءِ ظِلاً ؛	إذاً مَا مِلْـتُ قطّ إلـى ظِلالِكْ ؛

١ ـ ويح : كلمة ترحم وتوجّع . والمآل : العاقبة .
٢ ـ صَمَد : قصد .
٣ ـ زُخرف الدنيا : أباطيلها المموّهة .
٦ ـ خميصُ البطن : ضامرها من الجوع .
١١ ـ في « ن » : « أقبح من وصالك » وهو خطأ .
١٢ ـ الرمضاء : الأرض الحامية .

١٣ صِلِـيْ ما شِئْـتِ هُجرانـي؛ فإنّي رَضيتُ الدَّهـرَ هَجْـراً مِنْ وِصالِكْ؛
١٤ فليسَ النّبـلُ من ثُعَـلٍ إذا ما رمَـتْ يَومـاً بأصمَـى مِنْ نبالِك؛
١٥ حرامُـكِ لِلْـورى فيهِ عِقابٌ عليهِ، والحِسـابُ علـى حَلالِكْ؛
١٦ وكُنْ منهـا علَـى حَذرٍ؛ وإلاّ هَلَـكْتَ؛ فإنَّهـا أَصْـلُ المهالِكْ؛
١٧ فَمَـنْ قَد كَانَ قبلكَ مِن بَنيها زَوالُهُـمْ يَدُلُّ علَـى زَوالِكْ!
١٨ وكَمْ شادوا الممـالِكَ والمباني؛ فـأينَ ترى المبانـي والممَالِكْ ؟
١٩ وأنـتَ إذا عَقَلْـتَ علَـى ارْتحالٍ، فَخُـذْ في جمـعِ زادِكَ لارْتحالِكْ؛
٢٠ ودَعْ طُرقَ الضَّـلالِ لِمُبْتَغيها؛ فطـرقُ الحـقِّ بيِّنـة المسالِكْ؛
٢١ إلامَ وفِيمَ ويْحـكَ ذا التَّصابي؟ وكَمْ هذا التغابـي في ضلالِكْ؟
٢٢ تنبّـهْ إنّ عمـرَكَ قَد تَقَضَّى، فَعَـدٍّ، وعُـدّ نَفسَـك في الهَوالِكْ؛
٢٣ وعاتِبْها علـى التّفـريط، وانظرْ لأيّ طريقـةٍ أَصْبحـتَ سالِكْ!
٢٤ وقُـلْ لي ما الّـذي يومَ التّنادي تجيبُ بهِ المهيْمـن عَنْ سؤالِكْ؟
٢٥ ومـاذا أنـتَ قائلُـه اعْتِذاراً، إذا نَشَـروا كِتابَـكَ عَنْ فِعالك؟
٢٦ فَخفْ مولاك في الخَلـواتِ واجأَرْ إليه بانْتِحابِـكَ، وابْتِهالِكْ؛
٢٧ وراقِـبْ أمـره في كلّ حالٍ، يُفـرّجْ في القيامَـةِ ضِيقَ حالِكْ؛
٢٨ ولا تجنَحْ إلـى العصْيانِ تُدْفَعْ إلـى ليلٍ مِنَ الأحـزانِ حالِكْ؛
٢٩ وإن أمـراً بُليتَ بهِ فَصَبراً؛ لَعَـلّ الله يُحـدِثُ بعْـدَ ذلكْ!
٣٠ فَرُبَّ مصيبـةٍ مَرّتْ؛ ومَرَّتْ عليكَ؛ كأنَّ ما مَرّتْ ببالِك؛
٣١ وكم قد ثقّفَـتْ منـكَ الرّزايا، وأَحكمـتِ اللّيالـي من صقالِكْ.

---

١٤ ـ ثُعَل: هو الثعلب؛ ويضرب به المثل في التحيل والمكر.

٢١ ـ هذا البيت رقم ـ ٢١ ـ لا يوجد في «ن».

٢٢ ـ عدِّ بفتح العين المهملة: أي خلِّ الأمر واتركه يقال: «عدِّ عما ترى» أي: اصرف بصرك عنه؛ وأما «عدّ نفسك»؛ فهي من: عد يعُدّ عدًّا الشيء: أحصاه وحسبه.

٢٩ ـ إقتباس من الآية الكريمة: «لا تدري لَعَلّ الله يحدث بعد ذلكَ أمرا» ـ ١ ـ الطلاق.

٣٠ ـ مَرّت الأولى من: مرّ يمُر مرارةً: صار مُرًّا، والمر: ضدّ الحلو. ومَرّت عليك وبك: أي اجتازتك.

٣١ ـ ثقّف: قوّمَ، وهذّب. وصقَل صقلاً وصقالاً الشيء: جلاه وكشف صدأه.

- ٨ -

هل يغترّ بالدنيا لبيب ؟

وقال رضوان الله عليه في ذلك :

١	هيَ الـدنيا؛ وأنـتَ بهـا خبيرُ؛	فـكَمْ هَذَا التَّجافي والْغُرورُ ؟
٢	تُدَلِّـي أهلَهـا بحبـالِ غدْرٍ	فـكلٌّ في حَبَائِلِهـا أَسيرُ؛
٣	إلـى كمْ أنـتَ مُرتـكِنُ إليها؛	تلـذّ لكَ المنـازلُ والقصورُ ؟
٤	وتَضحـكُ مِلْءَ فيكَ ولَسْـتَ تدري	بمـا يأتـي به اليومُ العسيرُ؛
٥	وتُصبـحُ لاهياً في خَفْضِ عَيشٍ،	تَحفّ بكَ الأمانـي والسّرورُ؛
٦	وعمـرَكَ كلّ يومٍ في انْتقاصٍ	تَسيرُ به اللّيالـي والشّهورُ؛
٧	وأنـتَ علـى شفـا النّيرانِ إنْ لَمْ	يُغْثـكَ بعفـوِهِ الـربّ الغفورُ؛
٨	تنبَّـهْ ويكَ مِنْ سنـةِ التّجافي	ولا تغفـل فقـد جاء النَّذيرُ!
٩	وشمِّـر للتَرَحُّـلِ باجْتهادٍ . .	فقـد أزفَ الترحُّـل والمسيرُ؛
١٠	وخـذ حصنـاً من التقْـوى ليومٍ	يقـلّ به المدافـعُ والنصيرُ؛
١١	ولا تَغْتـرَّ بالـدُّنيا، وحاذِرْ	فقـد أودَى بِهـا بَشَـرٌ كثيرُ؛
١٢	فكَمْ سَارتْ عليهـا مِن ملوكٍ	كأنّهمـو عليهـا لَمْ يسيروا . ؛

---

٥ ـ خفض العيش : لينُه وسعته .
٧ ـ شفا : شفا كل شيء : حرفه .
٨ ـ وَيْك : كلمة تعجب مركبّة من وي وكاف الخطاب .
٩ ـ أَزِفَ : حان .
١٠ ـ في هامش «ف» تعليق بخط أستاذي العلامة السيد محمد بن محمد المنصور ، نصه : « لعلّه وخُذ حظّاً من التقوى » لأنه أنسب » . والحظّ : النصيب .
١١ ـ أودى : هلك .

١٣ وكم شادُوا قصوراً عالياتٍ؛ فَهَلْ وسعتْهُمُ إلاّ القبورُ؟
١٤ فَهَلْ يغترّ بالدّنيا لَبيبٌ؟ وهَلْ يصبو إلى الدنيا بصيرُ؟
١٥ رُويدك رُبَّ جبّارٍ عنيدٍ له قلبٌ غداةَ غدٍ كسيرُ؛
١٦ ومُفتقر له جاهٌ صغيرٌ، وقدرٌ عندَ خالِقه كبيرُ؛
١٧ وربّ مؤمِّلٍ أمَلاً طويلاً.. تُخَرِّمَ دونه العُمُرُ القصيرُ؛
١٨ فوا أسفا.! وهل يشْفي غليلي، وينقعُ غُلّتي الدَّمعُ الغزيرُ؟
١٩ ومَنْ لي بالدّموعِ؛ ولي فؤادٌ تَلينُ- ولم يَلِنْ قطّ- الصّخورُ؟
٢٠ وكَمْ خلفَ السُّتورِ جَنيتُ ذنباً وربُّ العرش مُطلِّعٌ خبيرُ.
٢١ وما تغني السُّتورُ، ولَيْس يَخْفى عليهِ ما تُواريهِ السُّتورُ؛
٢٢ إلامَ الإغْترارُ بمَنْ إليهِ لعمْري كلُّ كائنةٍ تصيرُ.؟
٢٣ ومالي لا أخافُ عذابَ يومٍ تضيقُ به الحناجرُ والصّدورُ؟
٢٤ وأتركُ كلَّ ذَنبٍ خوف نارٍ بخَالِقها أعوذُ وأستجيرُ
٢٥ ولي فيهِ تعالى حُسْنُ ظَنٍ وذَنبي عِندَ رَحْمتِه يسيرُ؛
٢٦ تعالى عَن عَظيم الشكر قدراً؛ فَما مِقْدارُ مَا يَثني الشّكورُ؟
٢٧ وقُدِّسَ عَن وَزيرٍ أو مُعينٍ، فلا وزَرٌ لَديهِ، ولاَ وَزيرُ؛
٢٨ إلَه الخلْقِ؛ عفواً أنتَ أدْرى بما أُبْدي، وما يُخفِي الضّميرُ؛
٢٩ عصيتُ وتُبتُ من ذَنْبي؛ وإنّي إلى الغُفران محتاجٌ فقيرُ؛
٣٠ فإن تَغْفِرْ فَفضْلاً، أو تُعاقبْ فَعَدْلاً؛ أيّها العَدْلُ القديرُ؛
٣١ وحُسْنُ الظنّ فيكَ يدلُّ أنّي إلى إحْسانِكَ الضافي أصيرُ؛
٣٢ وصَلّ علَى شَفيع الخلق طُرًّا إذا ما الخلق ضمَّهُم النشورُ؛
٣٣ وعُترتِه الهداة الغُرّ حقًّا جميعاً؛ ما تَعاقبتِ الدّهورُ

---

١٥ ـ رويدك : تمهل .
١٩ ـ في هامش «ف» تعليق نصه : « تلين لفرط قسوته الصخور » في نسخة ثالثة .
٢٧ ـ الوزرَ : الملجأ ، والوزير : المعاون .
٣١ ـ الضافي : الواسع .

- ٩ -

الــدُّنيــا . .

وقال رضوان الله عليه في ذلك :

١ أينَ استْقـرّ السَّـلَفُ الأولُ؟ عَمَّـا قَريبٍ بِهـم نَنْزِلُ.
٢ مَرّوا سِراعــاً نحْـو دَارِ البَقا؛ ونحــنُ في آثارَهــم نرحلُ؛
٣ ما هذه الـدُّنيا لَنَـا مَنْزِلاً . . وإنمـا الآخـرة المنــزلُ . .
٤ قَدْ حذّرَتْنـا مِن تَصاريفها . . لـو اننّـا نَسمـعُ، أو نَعْقلُ
٥ يُطيلُ فيهـا المـرءُ آمالَهُ، والمـوْتُ من دُونِ الّـذي يأملُ
٦ حَلاَ لَـهُ ما مَرَّ مِنْ عيشِها ودونَـه لو عقَـلَ الحنظَلُ!
٧ أَلْهَتْـهُ عَنْ طاعـةِ خلاّقِهِ؛ واللهُ لا يلْهُـو ولا يَغْفُلُ؛
٨ يُدْبِرُ هَـمُّ المـرْءِ إن أَدبرتْ، ويُقْبِـلُ الهـمُّ . . إذا تُقبِلْ . !
٩ يا صَاحِ؛ ما لَذّةُ عَيشٍ بهَا . . والمـوتُ لا نَدْري مَتَـى يَنْزِلُ؟
١٠ يدْعـو إلَـى الأَحبـاب من بَيْنِنا: يجيبُـهُ الأوّلُ . . فالأوّلُ !
١١ يا كادِحـاً يَجْهُـدُ في كَسْبِها؛ أغـرَّكَ المشـربُ والمأكـلُ؛
١٢ ويا أخَا الحِـرصِ علَـى جَمْعِها . . مَهْـلاً ؛ فَعنْهـا في غَدٍ تُسْأَلُ؛
١٣ لا تَتْعَبَـنْ فيهـا ، ولاَ تأسَفَنْ؛ لِمَـا مَضَـى : فالأمـرُ مُسْتَقْبَلُ؛
١٤ مَا قولُنـا بَيْنَ يدَيْ حاكِمٍ . . يَعْـدِلُ في الحُـكم، ولا يَعْدِل . !؟
١٥ ما قولنـا للهِ في مَوقِفٍ؛ يخـرسُ فيه اللَّسِنُ المِقْوَلُ؟

١٥ - اللّسنُ : الفصيحُ البليغ . والمِقْوَلْ : البيّن القول الظريف اللسان .

١٦ إذا سُؤِلْنــا فيهِ عَنْ كلٍّ مَا . . نَقُــول في الــدُّنيا ، ومــا نَفعَلُ . ؟ !

١٧ ما الْفَــوزُ لِلْعالِــمِ في عِلمِهِ، وإنّمــا الفَــوزُ لِمَــنْ يَعْمَلُ . .



- ١٠ -

فضيحة الحشر

وقال رضوان الله عليه في ذلك أيضا :

١ واطــول حُزنــي في غدٍ وتَحسّري، وفَضيحتي في الحشــر إن لم تَسْتُرِ؛

٢ واحيْرتــي؛ إن فاز أقْرانــي غداً، وَوَقَفْــتُ وَحْــدي وقفَــة المتحيرِّ!

٣ واسَوأتــي؛ إن أَفْردَتْنِــي حائراً أَهْلــي، وأسْلمني هنــالك مَعْشري؛

٤ والهف نفســي؛ حينَ تكشَفُ في غدٍ عــن سُوء أعمالــي ثياب تَستُّري؛

٥ وَوَدِدْتُ فيهِ عنــدَ نَشْــرِ صحيفتي؛ أنّــي نُشِــرْتُ؛ وأنّهــا لَمْ تُنْشرِ!

٦ يا نفسُ كم هذا النّزوعُ إلى الهوى؟ طـالَ اكتسابُـكِ للذّنــوبِ فأقصِري؛

٧ يا عينُ ويحــكِ إنَّ أقرانــي ثوَوْا في الرِّمس فَاعْتَبري بهِـمْ واسْتَعبري؛

٨ هٰذي ديارهُــم بَلاَقــع بعدَهُمْ؛ فَسَلِـي البَلاقـعَ عَنْهــمُ،واسْتخبري،

٩ واذْري المدامــعَ حســرةً وتلهُّفاً، وتغسّلــي بمياهِهَــا، وتطهّري،

١٠ فازَ الرِّجــالُ الصَّالحــونِ بِسَبْقهِم، ولحقْــتُ بعدهــمُ لحــوقَ مُقصِّرِ؛

١١ ما لي غَفلــتُ عَنِ المعــادِ وشانِه، وأمنــتُ هولَ نقــاشِ يومِ المحشرِ!؟

١٢ ما لي عكفتُ علَى الذّنـوب وكَسْبها، وأمِنْــتُ مِن تبعاتهــا أمْــنَ البري؟

١٣ وهَصَرتُ غُصْنَ اللَّهوِ في روضِ الهوى بيدِ البطالَــةِ؛ لَيْتَنــي لم أَهْصِرِ!

١ـ « وا » : تأتي حرف نداء مختصاً بالندبة .

٥ ـ نُشِرْتُ : نُحِتُّ بالمِنشار .

٨ـ البلقع : الأرض القفر . ج بلاقع .

١٤ وجَـرَيتُ طَلْقـاً في مَيادينِ الصبّا، ... ومَشيتُ فيهـا مشية المسْتكبرِ!

١٥ يا خاطـبَ الـدّنيا حذار.. فإنها ... بـادٍ بَشاشتُهـا، وباطنها وري

١٦ سَلَبـتْ زخارفُهـا نُهـاكَ، ورُبَّما ... كشفَـتْ قناعـاً عن شنيع المخْبَرِ؛

١٧ وأضَعْـتَ عمـرَكَ في عمارتِهـا، ولَوْ ... تَـدري حَقيقـة أَمْرِهـا لم تَعْمرِ!

١٨ غرّتْـكَ كاذِبـةُ المُنـى؛ فأَطْعتَها؛ ... لَـوْ كُنـتَ ذَا عَقْـلٍ؛ بهـا لَمْ تُغْررِ.



---

١٤ ـ في «ف» : «مشْية المتكبّر» .

١٥ ـ وري يرِي ورْياً ؛ الرَّجلَ أصابَ رئتَهُ . ويقالُ وَرَى القيحُ جوفه ؛ أي أفسده والـوَرْيُ : قيحٌ في الجوف : أو قرح يقع في قصبِ الرّئتين . و: وَرَى يرَى وَرياً وريَةً : ورِتِ الإبل : كثر شحْمُها ؛ والوَرِي : الشحمُ السمين ، ولَحمٌ وَري : أي سمين ، وهو المراد هنا .

- ١١ -

إبكِ . . . واستغفِرْ . . .

وقال رضوان الله عليه في ذلك أيضاً :

١	قَدِ آسْتبـانَ الحـقُّ لِلْمبصِرِ؛	فهـل تُرى يُقلـعُ قَلْبـي الجري؟
٢	ما هَذه الجُـرأةُ يا قلبُ. ؟لو	تركتَهـا لِلْفـزَع الأكْبرِ. !
٣	يا أيّهـا المذْنـب؛ ما لي أَرى	أَمْنـكَ مِنْ ذنبـكَ أَمْـنَ البَرِي؟
٤	ضيّعـتَ في اللَّـذاتِ وقـتَ الصبّا،	ورحـتَ في الّلهـوِ. ولَـمْ تُقصِرِ؛
٥	فتُـبْ إلـى اللهِ، وَخَفْ مكرَهُ،	وابْـكِ علَـى ذَنبـكَ؛ واستَغْفِرِ،
٦	والْبسْ دروعَ الحـزنِ مِنْ خَوفِهِ	تُغْنِـكَ عن درعٍ وعـن مِغْفَرِ.

---

١ - في «ف» تعليق في الهامش هذا نصّه : « يَعْقِلُ قلبي الجري » ؛ أي في نسخةٍ أخرى .

- ١٢ -

عُـدْ إلى ربّك ..

وقال رحمة الله عليه في ذلك أيضاً :

١	أيُّهـا المختـال كِبراً	سِـرْ علـى الأرض رويدا . !
٢	قَـدْ تعاظمـتَ علـى الله	وجَـاوزْتَ الحـدودا ،
٣	مَنْ ترى الأيام .. أعطيـ	ـنَ مِن النّـاس الخلودا ؟
٤	كَمْ ملـوكٍ عوّضَتْهُمْ	بالمقـاصـيرِ اللّحودا .. !
٥	قادَهـم دَاعـي المنايا ؛	ولَـكَمْ قـادوا الجنـودا ؛
٦	بدّلَـتْ أجسامهـم عَنْ	وشيهـا تُربـاً ودودا ؛
٧	لا عدوًّا مُبْغِضـاً تُبْقي ،	ولا تِـرْبـاً وَدُودا .
٨	قـد أَكَلْنَ اللّحمَ .. هِضْنَ	العَظْـمَ ، مَزّقْـنَ الجلودا ،
٩	أيّهـا الآبـقُ .. إنْ لَمْ	تَـرْجُ وَعْـداً ؛ خَفْ وَعيدا
١٠	عُـدْ إلـى ربِّـكَ .. فالعَبْـ	ـدُ حَرِيٌّ أن يَعُودا .

---

٦ - في «ف» : «فرشها» بدلا عن «وشيها» .

٩ - أبق العبد ، فهو آبق : هرب من سيّده ؛ ويقال : وعد وعْداً الرجلَ بالأمر قال له : إنه يُجريه له أو يُنيله إياه . ووعد الرجل وعيداً : وعده شراً وتهدّده .

- ١٣ -

دار الحياة

وقال رحمه الله في ذلك أيضاً :

١ دَارُ الحياةِ غرورُ لاَ تَأْسَفَـنَّ عليْهَا . .
٢ فَسـوف تخـرجُ مِنها، كَمـا خَرَجْـتَ إليها . !
٣ وإنّمـا الـدّار دارٌ يكونُ خلـدكَ فيها .

- ١٤ -

الوقــارَ . . الوقــارَ

وقال رحمه الله في ذلك أيضا :

١ ألــم يأْنِ أن تَسْــتَقيلَ العثارَا، وتُمْعِــنَ ممّــا جَنَيتَ الفِرارَا؟

٢ وقــد وبّخَتْــكَ صروفُ الزَّمَــانِ، وزادتــكَ أحدَاثهــنَّ اعْتبارا؛

٣ وقــد لاحَ في عارِضيكَ الوَقَــارُ، وأضْحـى ينـادي: الوَقـارَ الوقارا

١ ـ ألم يأن: ألم يحِنْ من أنى يأنى: اي: دنا وقرب، واستقالَ عثرته: سأله أن يُنهضَه من سقوطه. وأمعن: أبعدَ وبالغ في الاستِقْصاء. الوقار: الشيبُ، والوقارَ الوقار: أي: الرزانة والحلم.

- ١٥ -

تحذير . . .

وقال رحمة الله عليه في ذلك ؛ وفيهما الجناس الكامل :

١ رويدكَ من كَسْبِ الذّنوب فأنت لا تطيقُ على نار الجحيم ، ولا تَقْوى؛

٢ أَتَرضَى بأنْ تَلْقى المهيمنَ في غدٍ، وأنت بلا عِلْمٍ لديك ولا تَقْوَى ؟



- ١٦ -

جهاد النفس

وقال رحمة الله عليه :

١ أجاهــد النَّفس إن تمادَتْ ولــم تَزَلْ قطّ في التّمادي؛
٢ يا ربّ فاكْتُــبْ ثَوابَ عَبْدٍ مــا زَالَ مُذْ كانَ في جِهادِ .



- ١٧ -

فكيف الوقوعُ . ؟ وكيفَ الخلود ؟*

وقال رحمه الله عاقِداً لقول يزيد الرقاشي : « ذِكرُ النّار شَديدٌ ، فكيفَ النظر إليها عيانا؛ ؟ والنَّظَرُ إليها عياناً شديدٌ . فكيفَ الوقوعُ فيها . . ؟ والوقوع فيها شديدٌ فكيف الخلودُ فيها . ؟» .

١ سَماعُكَ بِالنّارِ يا ذا الحِجَى شَديدٌ شديدٌ، شديدٌ شديدْ؛

٢ فكيف إذا أنْتَ أَبْصَرتها؟ فكيفَ الوقوعُ؟ فكيفَ الخلودْ؟

---

* هذه الأبيات والقِطَع الّتي تليها رقم - ١٨ - و- ١٩ و- ٢٠ - و- ٢١ - و٢٢ - إلى البيت العاشر من القصيدة رقم - ٢٣ - مما سقط في النسخة «ف» .

- ١٨ -

لن تنالوا البرَّ حتّى . . .

وقال رضوان الله عليه ناصحاً وفيها « الاقتباس » :

١ أيّهـــا المقتر شُحّاً لاَ تَخَفْ عيْلــةً؛ فالله حيٌّ يرزقُ؛

٢ مُحكمُ التنزيلِ قد قَالَ لنا: «لن تَنالوا البرَّ حتّى تُنفِقوا».



١ ـ المقتر: من يضيّق على عياله في النفقة، والشُّحُ: البخل والحرص، وعال الرجل عيلةً: افتقَرَ، وكثر عياله، وعَيلة الرجل: عائلتُه وأهل بيته.

- ١٩ -

ما خابَ راجي الله ؛

وقال رحمة الله عليه، وفيهما الجناس الكامل:

١ إفــزعْ إلى الباري ، وكُنْ ممــا جَنَيتَ علــى وجَــلْ.

٢ وارجُ الإلَــهِ فَلَــم يَخِبْ راجــي الإلَــه عَلا وَجَلْ . !



١ ـ الوجَلُ: الخوف.
٢ ـ جلَّ : تنزه وترفّع .

- ٢٠ -

ملل الصديق ؛

وقال رحمة الله عليه ؛ وفيهما الجناسُ الكامل :

١ ثِقْ بالّـــذِي خَلَــقَ الورَى ... وَدعِ البــرِيّةَ عَنْ كَمَلْ ؛

٢ إنّ الصَّــديقَ إذا اكتفَى ، ... ورأى غنــاءً عَنْــكَ مَلّ . !



---

١ ـ الكَمَلُ: الكامل؛ يقال: «أعطيته المال كَمَلاً» أي تماماً

٢ ـ الغناءُ : الاكتفاء . وملَّ : سئِمَ .

- ٢١ -

شبابٌ . . . وشيب

وقال رحمة الله عليه؛ وقد رأى شيبةً في رأسِهِ وفيهما التّورية والاكتفاء :

١	شبــابٌ غيرُ مذْمــومٍ تولَّى،	وشيبٌ قد أتـى؛ أهلاً وسَهْلاَ؛
٢	مضَـى عمري الطويلُ ومَرَّ عيشي،	كأنّـي لَمْ أعش في الدَّهرِ إلاَّ . .



---

٢ - «في الدهر إلاَّ»، أي إلا برهة.

- ٢٢ -

رضيــتُ بربّــي

وقالَ رضوان الله عليه :

١	رضيتُ بربّــي عن خَلْقِهِ	وعَــنْ هذِهِ الــدّارِ بالآخرَهْ،
٢	سأسْعَــى لِطاعتِــه طاقتي،	وإن قَصُرتْ همّتي القاصِرَه



- ٢٣ -

بُعــداً لِلْمنجّمين . .

وقال رحمه الله ؛ ولَمَّحَ فيها إلى معتقدي التأثير للنّجوم ، المتعرّضين لسخط الحيِّ القيّوم :

١	لخالِقِنــا ـ سبحانــه ـ الحــلُّ والعقدُ	فلا زحلٌ نحسٌ، ولا المشْتري سعدُ؛
٢	حكيمٌ عليمٌ لا يُحَــدُّ بغايةٍ؛	فليسَ لَه قبــلٌ، وليس له بعدُ؛
٣	يُصــرِّف أحــوال العبــاد بِحكْمةٍ،	ويَعلَم ما يَخْفـى لَديهـمْ، ومـا يبْدو،
٤	ويُدنــي الّــذي لا يُستطــاعُ دنوّهُ،	ويَدْفــعُ ما لا يُستطــاع لَه ردُّ ؛
٥	شقـاءٌ وسعـدٌ؛ ذُو الجــلالِ قضاهما	علَى العَبْدِ؛ ما مِن واحدٍ منهما بدٌّ . .
٦	وقــد جعــلَ «التخيْيرَ» غيرَ مُضيّقٍ	إلى العبدِ؛ فلْيَذْهَبْ بما شاءه العبدُ . !
٧	فبُعــداً وسحقــاً لِلْمنجِّــم . . إنّه	أتَــى بمقــالٍ يَقْشعِــرّ لَه الجلدُ . . ؛
٨	ولــم تَخْفَ أنــوارُ الــدليل؛ وإنّما	نَبَتْ عن ضياء الشـمس أعينُه الرّمدُ
٩	ومــا هيَ يا مغــرورُ إلاّ كَواكبٌ؛	يُسَيّرهــنّ الواحــدُ الصَّمَــدُ الفَرْدُ ؛
١٠	تُعَظِّــمُ ربَّ العَــرشِ جلّ جلالُه،	وتعلَــمُ أنّ الله ليسَ له نِدّ . .
١١	وهــا هيَ ممــا يُستَــدلُّ بخلْقِهِ	علــى الله ؛ لو أنَّ الضــلال لَه حدّ؛
١٢	فتبًّــا لِقــومٍ حكّموهــا، وأدْبروا	عن الرّشدِ من جَهْلٍ فَفاتَهـمُ الرشدُ؛
١٣	يرَوْنَ لَهــا التّــأثيرَ؛ وهــي مَقَالَةٌ	تــكادُ لهــا الشـمّ الشوامــخُ تنهَدُّ؛

---

٧ ـ فبُعداً وسحقاً ، السُّحق : البعد : يقال سُحقاً له : أي أبعده الله عن رحمته .
١٢ ـ تبًّا لقوم : من تبّ يتُبّ تباً وتباباً : هلك يقالُ تبًّا له : أي ألزمه الله هلاكاً وخسرانا .

١٤ بَرِئــتُ إلــى الرحمــن من كلِّ كافرٍ — يروحُ على هَذي المقالةِ ،أو يغدو؛ !

١٥ وعــادَيتُ من قَدْ لامنــي في عقيدتي — ولو أنّه ـ حاشاهمـا ـ الأبُ والجَدُّ. !

١٦ عقيدة حقٍّ لا أزالُ مثابراً. . — عليهـا حياتـي ، أو يَضمُّنـيَ اللَّحْدُ؛

١٧ قَفوتُ بها « زيداً» إمـام الهـدى الذي — يقصّــر عن أوصَافــه الحصــرُ والعدُّ

١٨ وإنَّ اتِّبَاعــي نهــج «زيدٍ» لِنعْمَةٌ؛ — يَقلّ عليَها الشُّكر ـ ما عِشْتُ ـ والحمدُ.



١٤ ـ في «ف » «يروح على هذي العقيدة».

١٨ ـ البيت رقم ـ ١٨ ـ لا يوجد في «ف » إلا في الهامش بخط يغاير خط الأصل . وأراد بزيد الامام زيد ابن علي عليه السلام.

- ٢٤ -

لا عدوى . . . ولا طِيرة . !

وقال رضوان الله عليه مشيراً إلى الخبر النّبويّ : « لا عدوى ولا طيرة في الإسلام » :

١	لا تَطيّرْ، وثِـق بربّـك تَلْقَاهُ. .	. عَلَى دفعِ ما تَخافُ قديرا؛
٢	وتَـوكّلْ فَرُبَّ مكْروهِ شَيءٍ	يَجْعَـل الله فيه خيراً كثيرا



- ٢٥ -

ولقد نهزتُ مع الغُواة . . .

وقال رضي الله عنه مخمّساً لبيتي «أبي نواس» :

١ دَارَسْـتُ كُلَّ عصابـةٍ في فَنِّهِمْ ،
وفَعَلـتُ فِعْلَهُـمُ ، ودِنـتُ بدينهِمْ ؛
وبلَغـتُ مبلـغ كَهْلِهـمْ ومُسِنِّهِمْ . .
« ولقـد نَهَـزْتُ مَعَ الغُـواةِ بشَنِّهِمْ وأشمتُ طرف اللَّحْظِ حيث أشاموا»

٢ ولـربّ ذنـبٍ ظَلْـتُ في تَطْلابه . .
ما خفـتُ مِن ربّـي أليمَ عِقابِه ؛
ولـكم أتَيتُ الأمْـرَ لا مِن بابِهِ ؛
«وبلَغْـتُ ما بَلَـغَ امـرءٌ بشبابِهِ فـإذا عصـارةُ كلِّ ذاكَ أثامُ» .

---

١ ـ هكـذا ورد البيت في النسخة « ن » المعتمدة أمّا في « ف » فهو « وأسَمْتُ طِرف اللّحظ حين أساموا » بالسين المهملة وهي من أسام إسامةً الماشية : أخرجها إلى المرعى . وأسام إليه ببصره : رماه به . ويظهر انّه الصواب ، إذ لا يقال أشام الاّ بمعنى دخل في الأمر ، وشام البرق . نظر إليه أين يتجه وأين يمطر ، والطَّرف بفتح الطاء العين ؛ ويطلق بكسرها على الكريم من الخيل ، وهو يؤكّد أن الكلمة « أسامٍ » بالسين المهملة لا بالشين المعجمة . ونهزَ بالدلو في البئر : ضَرَبَ بها في البئر لتمتلىء ، والشَنّ : القِربة . والمحفوظ «بدلوهم» . وظَلْتُ : ظَلَلْتُ .

الباب الثاني

في مَدح الخمسَة أهل الكسَاء المطهّرين ، وَخيرة خَلق الله مِن الخلائق أجمَعين





- ٢٦ -

ماذا عساهُ يقول المادحون ؟

قال رحمه الله ؛ وقد عُوتبَ على عدم مديحهِ لِلْمُصْطَفى صلىّ الله عليهِ وآله وسلّم :

١ قالوا : امْتَدِحْ سيّدَ الكونين ؛قلتُ لهمْ يجلّ عن كلمــي قدراً وأشعاري ؛

٢ ماذا عَسَــاهُ يقـولُ المادِحون وقَدْ أثنَـى عليهِ بِمـا أَثْنَى بهِ الباري . . ؟

- ٢٧ -

ماذا أقــول ؟

وقال رحمة الله عليه في ذلك :

١	ماذا أقــول مادحــاً في مُرسَلٍ	قَد أفحمت أوصَافُه مُدَّاحَهُ ؟
٢	مَنْ كَان «جبريلٌ» إذا ما جاءَهُ	يخفضُ تَعْظيمــاً لَهُ جَناحَهُ ؛
٣	من جاءَ والشِّــركُ ظلامٌ دامِسٌ	فحينَ وافى بالهــدَى أزاحَهُ ؛
٤	فمــا حكَى برقُ السّماء عَزْمَهُ	ولا حكتْ أنواءُهــا سَماحَهُ

---

١ ـ أفحمَ الرجل : أسكته بالحجة .

٣ ـ الدامس : المظلم . وأزاح : أزال .

٤ ـ الأنواء هنا جمع نوء ؛ وهو المطر . والسماح : الجود .

- ٢٨ -

المــدائح النبويّــة

وقال رحمة الله عليه من قصيدة لم أظفر منها بغير هذه الأبيات ويذكر فيها القرآن الكريم :

١ مديحكَ القولُ يشفي السَّامعينَ له، وغيرُ مدحِك فهو القَالُ والقيلُ؛

٢ يزدادُ مِن مدحكَ التّالي لَه شرَفاً كأنّما هو تَسبيحٌ وتهليلُ..

٣ في كلّ آونةٍ يأتي إليكَ مِن الرَّحمنِ - سبحانهُ- وحيٌ، وتَنزيلُ..

٤ وكلّما طالَ لم يملَلْهُ قارئُهُ؛ وربّما مُلَّ قولٌ فيه تَطْويلُ؛

٥ تقاصَرتْ عنكَ كلُّ الأنبياء؛ كما تقاصرتْ عَنهُ تَوراة وإنجيلُ

---

١ ـ هكذا في الأصل؛ ولعل الصواب «يُشْفَى السَّامعون به»، والقال والقيل: ما يقوله الناس.

- ٢٩ -

فصبراً بني المختار *

وقال رحمة الله عليه يمدحُ أمير المؤمنين عليّ، ويتجرم لأهل البيت:

١	مَلكْتُـــم فؤاداً ليسَ يدخلُـــه العذلُ؛	فَـــذِكْرُ سواكم كلّمـــا مَرَّ لا يَحْلُو !
٢	يؤنّبنـــي في حُبّـــكمْ كلُّ فارغٍ	ولـــي بهـــواكم عَنْ ملامَتهـــم شغلُ
٣	وماذا عَسَى تُجْدي الملامةُ في الهوى	لِمَـــنْ لا له في الحُـــبِّ لُبٌّ ولا عَقلُ؟
٤	لَئِـــنْ فَرضـــوا مِنّـــي السلـــوَّ جهالةً؛	فحبّكُم عنـــدي؛ هو الفـــرضُ والنَّفْلُ؛
٥	أأسْلـــو ولا صبـــغ المشيبِ بعارضي	يلـــوحُ، ولا صبـــغُ الشبيبـــة مُنحَلّ؟
٦	ولَـــو في سواكم «أهـــلَ بيت محمدٍ»	غرامي لكَانَ العَذْلُ عندي هو العَدْلُ؛
٧	حَملـــتُ هواكمْ في زمـــان شَبيبتي،	وقد كنـــتُ طِفـــلاً والغـــرامُ بكم طِفلُ؛
٨	فيا عاذلـــي في حُبّ آل محمدٍ	رويدكَ إنّـــي عنهـــمُ قطّ لا أسْلو؛
٩	أأسلُـــو هوى قومٍ قَضَـــى باجْتبائِهمْ،	وتَفْضيلهمْ بينَ الورى العقلُ والنّقلُ؛
١٠	أُولئِـــكَ أبنـــاءُ النبـــيّ محمدٍ؛	فقـــل ما تشا فيهـــم ؛ فإنّكَ لا تغلو؛

---

*هذه القصيدة رقم - ٢٩ - جاء ترتيبها متأخراً في النسخة «ف » .

١ - في «ف»: «وذكر سواكم» بالواو.

٢ - في «ف » : « ولي في هواكم » .

٣ - ربما كان الأصل : «لِمَنْ مَالَهُ في الحُبِّ الخ » - في «ف » : «فتفضيلكم عندي » .

٦ - في «ف » : « العَذْلُ عندي هو العَذْلُ » بالذال في الأولى والأُخرى ؛

١١	فروعٌ تَسامتْ؛ أصلُها سيّد الورى،	و« حَيْدَرةٌ»؛ يا حبّذا الفرعُ والأَصلُ؛
١٢	تَفَانَوا على إظهار دِينِ أبيهمُ	كراماً ؛ ولا جبنٌ لديهمْ ؛ ولا بخلُ؛
١٣	إلى الله أشكو عُصْبةً قد تَحاملوا	عليهمْ، ودانُوا بالأَباطيل واعْتلّوا؛
١٤	يرومون إطفاءً لأنْوارِ فَضْلِهمْ،	وما بَرحتْ أَنوارُ فضلِهمُ تَعلُو
١٥	....	....
١٦	وهُمْ أَنكروا في شأنِه بَعْدَ «أحمدٍ»	مِنَ النصّ أمراً لَيس يُنكرهُ العقلُ؛
١٧	وقد نوّه «المختار» «طه» بِذكْرِهِ	وقالَ لهم : هذا الخليفة والأَهْلُ !
١٨	وَوَلاّهُ في يوم «الغدير» ولايةً	على الخلقِ طرًّا ما لَه أبداً عَزلُ؛
١٩	ونصٌّ عليه بالامامة دونهم . ؛	ولو لم يكن نصًّا لقدَّمه الفضلُ؛
٢٠	أليسَ أخاهُ، والمُواسي بنفسِهِ	إذا ما الْتقى يَومَ الوغَى الخَيْلُ والرجلُ؟
٢١	أما كانَ أدناهُمْ إليه قرابةً؛	وأكثرهمْ عِلماً؛ إذا عَظُمَ الجهلُ؟
٢٢	« أما كانَ أوفاهمْ إذا قال ـ ذمّةً،	وأعظمُهم حلْماً ؛ إذا زلّتِ النَّعْلُ»؟
٢٣	وأفصَحَهُمُ عند التلاحي ، وخيرَهم	نَوالاً إذا ما شِيمَ نائلُه الجَزْلُ؛
٢٤	يحجّونَ «أنصارَ» الإلَهِ : بأنّنا	قرابتُهُ، مِنّا بهِ اتّصَلَ لحبلُ،
٢٥	وهَلْ كانتِ «الأصحاب» أدْنى قرابةً،	وأقربَ رِحْماً لَو عَقلتُم ؟ أم الأهلُ؟
٢٦	وهُمْ أخذوا بعدَ النبيّ محمدٍ	مِن «ابنتِهِ» ما كانَ أنْحلَها قبلُ . !
٢٧	تَمالوا علَيْها غاصِبين لِحقِّها	وقالوا : معاذ الله أن تورثَ الرسْلُ !
٢٨	وحكمهُم لا شك في ذاكَ باطِلٌ،	وكيفَ يصحّ الفرعُ والأصل مُختَلّ؟

١٤ ـ في «ف» : «يريدون إخفاءً لأنوار الخ » .
١٦ ـ في «ف» : « من النصِّ حكماً » .
١٧ ـ في «ف» : «طه » بفضْلِهِ .
٢٢ ـ تفرّدت النّسخة «ف» بهذا البيت رقم : ـ٢٢ ـ .
٢٣ ـ في «ف» : « وأفصحهم عند التّلاقي » . ٢٤ ـ حَجَّه : غلبه بالحُجّة والبرهان .
٢٥ ـ في «ف» : « وهل كانت الأنصار » وهو خطأ ظاهر . والرِّحم : القرابة .
٢٧ ـ في «ف» : «غاصبين لإرثها» ولعلّه الصّواب ؛ وتمالوا : تمالؤا أي : تعاونوا .
٢٨ ـ في «ف» : « وحكمهم في ذاك لا شكّ باطل فكيفَ الخ.

٢٩ أليسَ أمير المؤمنين هو الّذي لَه دونهم في ذلِك العقدُ والحل؟

٣٠ وهُمْ قتلوا مِن آل أحمد سَادةً كراماً بهم يُسْتدفعُ الضرّ والأزلُ!

٣١ سَقوا كلَّ أرضٍ من دماء رقابهم وشيعتِهم ،حتّى ارتوى الحزن والسَّهلُ؛

٣٢ فَصَبراً «بني المختار»؛ إنّ أَمَامَنا لموقفُ عدلٍ عندَهُ يقعُ الفَصْلُ؛

٣٣ وعندي لِمَنْ عاداكمُ نَصْلُ مقولٍ إذَا ما انْبرى يوماً يحاذرهُ النَّصْلُ.



---

٣٠ ـ الأزل : الضيق والشدّة .

- ٣٠ -

لو كان يعلم أنها الأحداق!

وقال في معنى القصيدة الأولى ، ويذكر قتل أميري المؤمنين أبي عبد الله الحسين السبط وحفيده أبي الحسين زيد بن علي رضي الله عنهما وانشدنيها في العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ست وسبعين وألف ١٠٧٦هـ بمحروس صنعاء في مسجد الامام صلاح الدين[٢] محمد بن علي عادت بركاته :

١ لو كانَ يَعْلَـمُ أنهـا الأحداقُ ... يومَ النّقـا ما خاطـرَ المشتاقُ!

٢ جَهِـلَ الهـوى حتّـى غدا في أسرِهِ ... والحُـبّ ما لأسيرهِ إطلاقُ؛

٣ يا صاحبَـيَّ، ومَـا الـرَّفيقُ بصاحبٍ ، ... إن لَم يكنْ مِن دأبـه الإشفاقُ!

٤ هذا «النّقـا» حَيثُ النّفـوسُ تُباح ... والألْبابُ تُسْلَـبُ ، والدّمـاءُ تُراقُ؛

٥ حيثُ الظِّباءُ لهنَّ سوقٌ في الهوى؛ ... فيهـا لألْبـابِ الرِّجـالِ نَفَاقُ!

٦ فَخُـذا يُمينـاً عن مَضاربـه ؛ فَمِنْ ... دُونِ المضَاربِ . . تُضْـربُ الأعناقُ؛

٧ وحـذارِ مِنْ تِلكَ الظبـاءِ؛ فمالَها ... في الحُـبِّ؛ لا عَهْـدٌ، ولا مِيثاقُ.

٨ وَبِمهْجَتـي مَنْ شاركتْنـي لُوَّمي ... وجـداً عليهِ ؛ فَكُلُّنـا عُشّاقُ. . !

٩ كالبـدْرِ؛ إلاّ أنّـه في تِمِّهِ، ... لا يَخْتشـي أن يَعْتَـريهِ محاقُ. .

١٠ كالغُصْـنِ ؛ لكنْ حُسْنُـه في ذَاته؛ ... والغُصـنُ زانـتْ قدَّهُ الأَوراقُ!

---

(٢) راجع ترجمته في: أعلام الديوان.

. . . .

١ ـ النّقا : القطعة من الرمل المحدودبه . وهو اسم مكان يكثر دورانه في الشعر العاطفي .

٥ ـ نفقت السوق نَفاقاً : قامتْ وراجت تجارتها .

٦ ـ المِضْرب : جمعه مَضارب : الخيمة العظيمة ، وتُضْربُ الأعناق : تُقطع الرقاب .

١١ مَهْما شكوتُ لَه الجفاء؛ يقول لي: ما الحُبُّ إلاّ جفوةٌ؛ وفِراقُ؛
١٢ أو أَشتكي سَهَري عليه؛ يَقُلْ: متى نامَتْ لِمَنْ حَمَلَ الْهوى آماقُ؟!
١٣ أو قلتُ: قد أشْرَقْتني بمدامعي؛ قال: الأهلّةُ شأنُها الإِشْراقُ!
١٤ ما كُنْتُ أدري قَبْلَه أنّ الْهَوى مُهَجٌ تَصَدَّعُ، أو دَمٌ مُهْراقُ؛
١٥ كنتُ الخَليّ فَعَرَّضَتْني لِلْهَوى؛ يومَ النَّقا الوَجَناتُ والأَحداقُ،
١٦ ومِن التَدَلّهِ في الغَرامِ، وهكَذا سُكرُ الصَّبابةِ مالَهُ إفراقُ؛
١٧ إنّي أُعبّر بالنّقا عَن غيرِهِ، وأقول: «شامٌ»، والمرادُ «عراق»!
١٨ ما لِلنَّقا قَصْدي، ولا بمحجّرٍ.. وجْدي، ولا أَنا لِلْحِمَى مُشتاقُ؛
١٩ بَرِحَ الخفا؛ «نعمانُ» أقصَى مَطْلبي، لَوْ ساعَدَتْني صحْبَةٌ ورفاقُ!
٢٠ يا بَرْقَ «نعمانٍ» أفِقْ، حتّى مَتى؟ وإلى مَتَى الأرعادُ والإِبراقُ؟
٢١ قُلْ لي عَن الأحباب؛ هَل عهدي على عَهْدي؟ وهَل ميثاقيَ الميثاقُ؟
٢٢ يا ليتَ شعري؛ إنّ ليتَ وأختَها لَسَميرُ مَنْ لَعِبَتْ بهِ الأشواقُ!
٢٣ أيعودُ لي بعدَ الصّدودِ تَواصلٌ؟ ويُعَادُ لي بعد البعادِ عناقُ..؟
٢٤ إنّي أَقولُ لعُصْبَةٍ «زَيْديّةٍ» وخَدَتْ بهمْ نَحو «العِراق» نياقُ؛
٢٥ بأبي وبي، وبِطَارفي وبتَالدي، مَنْ يمّمُوهُ ومَنْ إليه سَاقُوا.؛
٢٦ هَل مِنّةٌ في حَمْلِ جسْمٍ حَلّ في أرضِ «الْغَريّ» فؤادُه الخفّاق؟
٢٧ أَسْمَعتُهُمْ ذكرَ «الغريِّ» وقَد سَرت بعقولِهِمْ خَمرُ السُّرَى فأَفاقوا..!
٢٨ حبًّا لِمَنْ يَسْقي الأَنامَ غداً، ومَنْ تُشْفَى بتُربِ نعالِه الأَحداقُ..!
٢٩ لِمَنِ اسْتَقامَتْ مِلّةُ الباري بهِ، وعَلَتْ وقامَتْ لِلعُلىٰ أسواقُ؛

---

١٢ ـ المُوق ج أمواق: مجرى الدمع من العين.
١٣ ـ أشرقه: أغصّه. «١٤» مُهْراق: اسم مفعول من هَرَق، وهَراق الماءُ: صَبّه وأراقَه.
١٦ ـ في: «ف» «ما لها إفراق. والتدلّه: الدهشة وذهاب القلب من الهمّ. وأفرق: أفاقَ.
١٨ ـ في: «ف» «ولا بمحجّل» «٢٢» في الأصل «ن»: «إن ليتها وأختها» وهو خطأ.
٢٤ ـ في «ف»: «ولقد أَقول» هو المتداول. ووخدت: أسرعت.
٢٥ ـ في «ف»: «ومَنْ إليه يُساق» وهو المتداول والطّارف: المال الحديث ويقابله: التالد.
٢٧ ـ في «ف»: «خمرُ السُّرى بعقولهم وهو المتداول.

٣٠ ولمــن إليهِ حديثُ كلِّ فضيلةٍ ... مــن بَعْـدِ خيرِ المرسـلين يُساقُ

٣١ لمحطِّمِ الـرُّدْنِ الرِّمـاح وقـد غَدا ... لِلنَّقْـعِ مِن فوق الرِّمـاح رواقُ!

٣٢ لِفتـىً، تَحيّتُـهُ لِعظْـمِ جَلالِهِ؛ ... مِـنْ زائـريه الصَّمْـتُ والإِطراقُ!

٣٣ صِهـرُ النبـيّ، وصِنـوُه؛ يا حبَّذا ... صِنـوان قَدْ وَشَجَتْهمـا الأَعْراق!

٣٤ وأبـو الأُولى فَاقُـوا وراقُـوا، والألَى ... بمديحهِـمْ تتـزيّنُ الأوراقُ.!

٣٥ انْظـرْ إلـى غاياتِ كلِّ سيادةٍ.. ... أَسـواهُ كانَ جوادُهـا السبّاقُ؟

٣٦ وامدَحْـهُ لا متحرِّجـاً في مدحه؛ ... إذ لا مبالغـةٌ، ولا إغراقُ..!

٣٧ ولاّه أحمـدُ في «الغـديرِ» ولايةً ... أَضحـتْ مطوَّقـةً بهـا الأَعناقُ؛

٣٨ حتّـى إذا أَجْـرَى إليهـا طِرفَهُ ... حـادُوهُ عَنْ سَنـنِ الطَّـريقِ وعاقوا!

٣٩ ما كانَ أسـرعَ ما تَناسـوا عهْدَه ... ظُلمـاً؛ وحُلَّتْ تِلـكُمُ الأطواقُ؟!

٤٠ شَهِـدوا بهـا يومَ «الغَـديرِ» لحيدَرٍ ... إذْ عمَّ من أنوارِهـا الإِشراقُ؛

٤١ ....

٤٢ حتّـى إذا قُبِضَ المُـذلُّ سُطاهمُ ... وَغدتْ عليهِ مَن الثـرى أطباقُ..

٤٣ ....

٤٤ يا لَيْتَ شعـري؛ ما يكونُ جوابُهمْ ... حين الخلائـق لِلْحسـاب تُسَاقُ..!

٤٥ حينَ الخصيمُ «محمّـدٌ»، وشهودُه ... أهْلُ السَّما؛ والحاكمُ الخلاّقُ..!؟

٤٦ قَدْ قيّدتْ إذْ ذاكَ أَلْسنُهـم بمَا ... نكَثُوا العُهـودَ.. فمـا لَهـا إطلاقُ.!

٤٧ وتظـلّ تذْرِفُ بالدِّمـا آمَاقُهم ... لِلْـكَرْبِ؛ لا رَقـأَتْ لَهُـمْ آماق.!

---

٣٠ ـ في «ف»: «تُساق».

٣١ ـ الرديني: الرمح نسبة الى «ردينة» زعموا انها امرأة السَّمهري. جمعها الشاعر على «رُدْن».
والرواق: السقف.

٣٣ ـ وشجتهما: أي شبكتهما.

٣٤ ـ فاقوا وراقوا: تفوّقوا، وطابوا.

٤٢ ـ السُّطوة جـ سُطا: القوة والقُدرة.

٤٦ ـ في «ف»: «نقضوا العُهودَ».

٤٧ ـ رقأتْ: جفّت.

٤٨ رامُـوا شَفاعــةَ أحمــدٍ مِنْ بَعْدِما ... سَفــكوا دِمــا أبنائِــه ، وأراقوا . . !

٤٩ فَهُنــاكَ يدعــو ؛ كيفَ كانــتْ فيكمُ ... تلكَ العهــودُ وذلك الميثاق . . ؟

٥٠ الآنَ؟ حين نكَثْتــمُ عَـهْـدي ، وذَاقَ أقــاربـي مِــنْ ظُلْمـكمْ ما ذاقوا . .

٥١ و«أخي» غدَتْ تَسْعـى لَهُ مِن نكْثِكمْ ... حيّاتُ غَدْرٍ سُمُّهــنَ زُعَاقُ ،

٥٢ وأصـابَ «بنتي » من دفائِـن غدرِكم ... وجفــاءِكم دهياءُ لَيسَ تُطاقُ . ؛

٥٣ وسَنَنْتــمُ من ظُلـم أَهْلـي سنّةً ... بــكمُ اقْتَــدى في فِعْلهــا الفُسَّاق ؛

٥٤ وبسَــعْيكمُ رُمــي «الحُسَينُ» وأهلُه ، ... بكتائــبٍ غُصّــتْ بهــا الآفاقُ . !

٥٥ فَغَــدَتْ تَنُوشُهــمُ هُنــاكَ ذَوابِلٌ ... سمــرٌ ومُرهَفَــةُ المتــونِ رقاقُ ؛

٥٦ وكذاكَ «ز يدٌ» أَحْرقَتْــهُ مَعَاشِرٌ ... مــا إنْ لَهُــمْ يومَ الحِســاب خَلاقُ ؛

٥٧ مِنْ ذلِكَ الحَطَــبِ الّــذي جَمَّعْتُمُ ... يَومَ الفعيلــة ذَلكَ الإِحراق !

٥٨ ولــكَمْ دَمٍ «شركْتــم» في وزْرِهِ . . ... لِبَنِــيّ في الحَــرَمِ الشَّــريفِ يُراقُ !

٥٩ ولــكَمْ أسيرٍ مِنهــمُ ، وأَسيرةٍ ... تدْعُــو : أَلاَ مَنٌّ ؟ أَلاَ إعتاق؟

٦٠ أجَــزاء نَصْحِــي ؛ أَنْ يَنَــالَ أقاربي ... مِــن بَعْــدي الإِبْعــادُ والإِزهاق؟

٦١ فالآن . ؛ جِئتــم تَطْلبــونَ شفاعتي ... لَمّــا علا كَرْبٌ ، وضَــاقَ خِناقُ . . ؟

٦٢ أَتَــرونَ بعــدَ صَنيعــكمْ يُرجَــى لكمْ ... أبــداً خَلاصٌ ، أو يُحــلّ وثاقُ . . ؟

٦٣ يا ربّ جرِّعْهــمْ بِعَــدْلِكَ غبَّ مَا ... قَــدْ جَرّعُــوه أَقاربــي ، وَأَذاقوا . . !

---

٥١ - الزعاق : المرّ لا يطاق شربه ، ويقال سمٌ زُعاف بالفاء أي يقتل سريعاً .
٥٤ ـ في «ف » : فبسعيكم . و«غصّت بها » أي ضاقت بها .
٥٨ ـ «شرّكتمُ » في النّسختين والمتداول «شاركتمُ » وهو الصّواب .
٦٣ ـ «غِبّ ما » : بعدما .

- ٣١ -

وكل مصابٍ نالَ آل محمدٍ

وقال رضي الله عنه في مَعْنى القصيدةِ السَّابقة ؛ أنشدنيها في غرّة شهر رمضان سنة ١٠٧٥ بمحْروسِ صنعا* :

١ أيُغنيك دَمعٌ أنتَ في الرَّبع ساكبُهْ | وقد رَحلَتْ غِزْلانُهُ وربارِبُهْ ؟
٢ تُهَوِّنُ أَمرَ الحُبّ؛ مُدّعياً لَهُ. . ؟ | وما الحُب أهلٌ أن يُهوَّنَ جانبُهْ!؟
٣ لِكُلِّ مُحبٍّ كأسُ هجرٍ، وفُرقةٍ ، | فإن تُصْدقِ الدعوى فإنكَ شاربُهْ؛
٤ عَجبتُ لِصَبّ يَسْتلذُّ معاشَه، | وقد ذهَبَتْ أحبابُه وحبائبُهْ!
٥ فلا حُبّ مَهْما لَمْ يبتْ وهْوَ في الْهوى | قَريحُ المآقي ذاهلُ القَلْب ذاهبُهْ؛
٦ «ومُكْتَئِبٍ يشكو الزّمانَ وقد غدَتْ | مشارقُه مَسْلوكةً ومغارِبُهْ» ؛
٧ ومُلْتزم الأوطان يشكُو همومَه، | وقد ضمِنَتْ تَفْريجَهُنَّ ركائبُهْ؛
٨ فَشُقّ أديمُ الخافقيْنِ مُجرّداً | من الْعَزمِ سَيفاً لاَ تكلُّ مَضَارِبُهْ؛
٩ وحَسْبُك أدراعٌ من الصَّبر، إنّها | لَتُحْمَدُ في جُلَّى الخُطوبِ عواقبُهْ؛
١٠ فأيُّ لئيمٍ ما الزّمانُ مُسَالمٌ | لَه؛ وكريمٍ ما الزّمَانُ مُحاربُهْ؟

---

* في «ف » بزيادة «بعد رجوعه من «مَعين » وهيَ أولى القصائد العلوّية .
١ ـ الربربُ : القطيع من بقر الوحش .
٥ ـ قريح المآقي : جريح مجاري الدمع .
٦ ـ لا يوجد هذا البيت رقم ـ ٦ ـ في نسختنا «ن » المعتمدة .
٨ ـ كَلَّ : تَعِبَ وأعيا ، وكلّ السيف وغيره : لم يقطع .
٩ ـ الجلّى : جـ جُلَل مؤنث الأجل : أي الأعظم .

١١ فلاَ كَانَ مِنْ دَهْـرٍ بِهِ قَد تَسوَّدت — علـى الأسْـدِ في آجامهـنّ ثعالبُهْ؛
١٢ كفَـى بالنبـيّ المصطفَـى وبآلِهِ؛ — فهَـلْ بعدهـم تَصفـو لحُـرٍّ مشاربُهْ ؟
١٣ دَعـا كلٌّ باغٍ في الأَنـامِ ومُعتدٍ — إلـى حَرْبهـم؛ والدَّهـر جمٌّ عَجَائبُهْ؛
١٤ فكم غادرٍ أبـدَى السَّخائـمُ واغتدت — تنوشُهـمُ أظْفـارُه ومَخالِبُهْ؛
١٥ سيلقُـون يوم الحشْـرِ غِبَّ فِعالِهم؛ — وكُلُّ امـرءٍ يُجْـزَى بمـا هُو كاسِبُهْ؛
١٦ أُهِينَ «أبو السِّبطين» فيهـم و«فَاطِمٌ»، — وأُهْمِـلَ من حقِّ القرابـة واجبُهْ؛
١٧ تجاروا على ظلم «الوصـيّ»، ورُبّما — تجارَى على الرَّحمن مَنْ لا يُراقبُهْ. ؛
١٨ ولـم يُرْجعـوا ميراثَ بنـتِ «محمَّدٍ»؛ — وقد يُرجعُ المغصوبَ مَنْ هُو غاصبُهْ؛
١٩ فمـا كَانَ أَدْنَـى ما أَذَوْهـا؛ بأخذِ مَا — أبُوهـا لَهـا دُونَ البـريّةِ واهبُهْ؛
٢٠ . . . . — . . . .
٢١ أمـا لو دَرَى «يوم الفَعيلَـة» مَا جَنى — لَشابَـتْ من الأَمـرِ الْفَـظيعِ ذَوائبُهْ؛
٢٢ أغير «علـيٍّ» كانَ بعْـدَ «محمَّدٍ» — لَـهُ كاهِـلُ المجـدِ الأثيل وغاربُهْ؟
٢٣ ومَـن بعـد «طـهَ» كانَ أوْلى بإرثِه — أَأَصحابُـه؟ قولـوا لنـا: أم أقاربُهْ؟
٢٤ وشتّـان بين البَيْعَتين لِمنْصِفٍ.. — إذا أُعْطيَ الإنصـافَ مَنْ هو طالبُهْ؛
٢٥ فبيعـةُ هَذا أَحْـكمَ الله عقْدَها؛ — وبيعـةُ ذاكُمْ؛ فَلْتَـةٌ قالَ صاحبُه. . ؛
٢٦ فلا تدّعـوا إجمـاعَ أمّـةِ «أَحْمدٍ» — فأكثـرُ مِمّـن شاهَـد الأَمْـرَ غائبُهْ؛
٢٧ . . . . — . . . .
٢٨ . . . . — . . . .
٢٩ وقامَ «ابنُ حرب» بعدهم فتَضَعضَعَتْ، قُوى الـدِّينِ، وانهـدّتْ لِذاكَ جوانبُهْ؛

---

١١ ـ في «ف»: «قد تسوَّرتْ» بالرّاء وهو تصحيف والأجمة: مأوى الأسد.
١٥ ـ الغِبّ: العاقبة.
١٧ ـ في «ف»: في الهامش «وطالما» نخ «أي بدلاً عن «وربمّا».
٢١ ـ الذؤابة جمعها ذوائب: الشعر المضفور من شعر الرأس؛ وهي أيضا شعر الناصية.
٢٢ ـ الكاهلُ: أعلى الظهر والغارب: ما بين السنام والعنق من الجمل، وأعلى كل شيء.
٢٤ ـ شتّان بين البيعتين: بَعُدَ. والبَيعة: التولية وعقدها، والمبايعة بالخلافة.
٢٨ ـ المثالب: المعايب ٢٩ ـ تضعْضعت: تهدّمت وانهارت.

٣٠ فقـادَ إلـى حَرْب «الوصـيّ» كتائباً ولـم تُغْنِـه عنـدَ النِّزالِ كتائبُهْ؛
٣١ وما زالَ حتّى جرَّع «الحسنَ» الرَّدَى، ودَبّـتْ إليه بالسّمـومِ عقاربُه؛
٣٢ وما أنْسَ لا أنْسَ الشّهيدَ «بِكَرْبلاء»؛ وهَيهـات؛ إنّـي ما حييتُ لَنَادِبُه؛!
٣٣ سَبَوْا بعْدَ قَتْلِ «ابنِ النبيّ» حريمَهُ.. وَمَـا بَلِيتْ تَحـتَ التّـرابِ تَرائبُهْ!؟
٣٤ وبـاتَ «يزيدٌ» في سرورٍ، ولَـوْ دَرى بمـا قَدْ جَرَى قامَـتْ عليهِ نوادبُهْ؛
٣٥ وحَسْبُـك من «زَيدٍ» فخـاراً وسؤدداً تُزاحِـمُ هامـاتِ النّجـومِ مَناكبُهْ؛
٣٦ مضَى في رجالٍ صَالحينَ تحكّمتْ.. عوالي «هِشَـامٍ» فيهـمُ وقواضبُهْ؛
٣٧ و«يحـيَ بْن زيدٍ» جلّلـوهُ بقَسْطَلٍ مِن النّفع تَهْمِي بالمنـونِ سحائبُهْ..
٣٨ وصاحـب «فـخٍّ» صبّحْتهُ وقومَهُ عساكر «موسـى» جَهْـرةً وعصائبُهْ؛
٣٩ وكم قَتَلُـوا مِن آل «أحمـد» سيّداً، إمامـاً زكتْ أعراقُـهُ ومَناقبُهْ؛
٤٠ فَلِمْ لاَ تَمُورُ الأَرض حُزْنـاً؟ وكَيْفَ لاَ مـن الفَلكِ الـدوّارِ تهـوي كَواكبُهْ؟
٤١ وكلُّ مُصَـابٍ نَالَ آلَ «محمَّدٍ» فَليسَ سوى يَوم «السَّقيفَـةِ» جَالِبُهْ؛
٤٢ ....
٤٣ أَيَبْطُـلُ ذَحْـلٌ والنبـيُّ وليُّه؟ ويُهْمَـلُ وتْـرٌ. والمهَيْمنُ طالبه!؟
٤٤ فَهـذا اعْتِقـادي ما حَييتُ، ومَذْهبي إذا اضْطَرَبَتْ «بالنّاصبيّ» مذاهبُهْ.

---

٣٠ ـ الوصي: علي رضي الله عنه، والكتائب الجيوش
٣١ ـ الردى: الموت.
٣٣ ـ الترائب: أعلى الصدر.
٣٤ ـ في «ف»: «بما قد جنى» وهو الأقرب الى الصواب. والنوادب: النوائح.
٣٧ ـ القسطل: غبار الحرب.
٤٠ ـ مارت الأرض: مادت
٤٣ ـ الذحل: الثأر والوتر: الانتقام.
٤٤ ـ الناصبي: من يعادي أهل البيت.

- ٣٢ -

نفسي فداء الغريّ . .

وقالَ رحمه الله في مَعْنَى ما تقدم وأنشدَنِيها في أَوائِل شهر رمضان الكريم سنة ١٠٧٦هـ بمحروس صنعاء* .

١ يا دارَ «سَلْمَى» بسَفح ذي «سلَم» حيّاكِ؛ حيّاكِ واكفُ الدّيمِ؛
٢ نِداءُ صبٍّ؛ لا يُسْتجابُ لَهُ؛ وغيرُ مُجدٍ نداءُ ذَا صَمَمِ!
٣ أينَ الأُلى أَقْفَروكَ وارْتَحلُوا، وأوحشوا الرَّبع بعدَ أُنْسِهِمِ؟
٤ كانوا . . . وشملُ الْوصالِ مُنتَظَمٌ، فأصبَحوا؛ وهو غير منتظمِ
٥ أناَتْهُمُ عَنكَ أَيْنُقٌ رُسُمٌ؛ مالِي وما لِلأَيانقِ الرُّسُمِ؟
٦ سَرَتْ بِمَنْ لَوْ بَدَتْ لِبَدْرِ دُجىً في تِمّهِ لاسْتَجَنَّ في الظُّلَمِ!
٧ مَريضةُ الجفْنِ، لحظُ مُقْلَتِها . . يُحِلُّ صيدَ القلوبِ في الحَرمِ . . !
٨ كَتمتُ مِنْها خَوف الوشاةِ هوىً أَصْبحَ بالدَّمعِ غيرَ مُنكتم . !
٩ وجاهلٍ بي يَلُومني سَفَهاً؛ ولَوْ دَرى ما أُجِنُّ لَمْ يَلُمِ . !
١٠ أوقفَني ما رآهُ مِن غزَلي، ومِن نَسيبي مَواقِفَ التُّهمِ؛

* في «ف» بعد ديباجة طويلة أن الانشاد كان «في مسجد الامام صلاح الدين».
١ ـ الواكف: المطر المنهل. والديمة جـ ديمَ: مطر يدوم في سكون.
٥ ـ «أَنْأَتهُمُ عَنك»: أبعدَتهم، والأينق جمع ناقة، وأرسمَ الناقة: جعلها ترسم في سيرها.
٦ ـ استجنّ: استتر.
٨ ـ في «ف» كتمتُ فيها.

١١ أَسْتَغفِـرُ اللهَ لَم يكُنْ أبداً.. سلـوكُ وادِي الغـرامِ مِن شيمي؛
١٢ وقـدْ أقـولُ النّسيبَ مُفتَتِحاً مَدْحـاً؛ وليسَ النَّسيب من هِمَمي؛
١٣ هَيْهَـات قَلْبـي ما دَام يَصحبُني.. بغيرِ آلِ النَّبـيِّ لَمْ يَهِمِ.!
١٤ لا كُنتُ؛ لاَ كنتُ؛ إنْ جرى أبداً بمـدحِ قومٍ سواهـمُ قلمي!
١٥ إن قلْـتُ مدحـاً فَفيهـمُ؛ وإذا أقسَمـتُ يومـاً؛ فإنّهـم قسمي؛
١٦ حَسْبهـمُ؛ أن يكونَ فَضْلَهمُ في النّاسِ فَضْلُ الشِّفـا علـى الألَمِ؛
١٧ قَدْ عَدل اللهُ في بَرِيّتِه، واللهُ في العَـدْلِ غيرُ مُتَّهمِ!
١٨ إذ خصَّ خيرَ الـورى وعِترَتَهُ مِـن كلِّ فَضـلٍ بأوفَـرِ القِسَمِ؛
١٩ لو قُلْـتُ ما قُلْـتُ فيهـمُ قَصُرَتْ عَـنْ عُشْـرِ مِعشـار فَضلِهـمْ كلمي!
٢٠ وحقِّهِمْ؛ مَا أَبـرُّه قَسَماً.. ومـا أُحَيْلاَ؛ وحقِّهـمْ بِفَمي؛!
٢١ لاَ حُلْـتُ عَن ودِّهـم ولـو تَلِفَتْ.. رُوحـيَ في ذَاكَ؛ أو أريقَ دَمي!
٢٢ حُبّهُـمُ شيمتـي، ومُعْتَقَـدي، ومَذْهَبـي في الـورَى، ومُلْتزمي؛
٢٣ وهـوَ جَوازِي عَلَـى الصِّـراط إذا زلّـتْ بمـا قَدْ جَنيتُـهُ قَدمي.!
٢٤ لا يُبْعِـد اللهُ.. غيرَ زِعْنفةٍ: مِـن كلِّ رِجسٍ؛ عن الرَّشـادِ عَمِي؛
٢٥ قد كتمـوا مِن سَنَـا فَضائِلِهمْ مـا لَمْ يكنْ نورُه بمنكتِمِ،؛
٢٦ وأسَّسُـوا ظُلْمَهُـمْ؛ فكَمْ هُتِكَتْ مِـن حُرَمٍ للنَّبـيِّ في الحَرَمِ؛
٢٧ واستَوجَسـوا مِن عِقـاب خالِقِهمْ مـا أُوعِـدوا في قَطيعـةِ الرَّحِمِ؛
٢٨ وحَلَّلـوا عَقْـدَ عَهْـدِ أَفْضـل مَنْ وصّى بحفْـظِ العُهـودِ، والذِّممِ؛
٢٩ وزَحْزحـوا مَنْصـب الإمامـةِ عَنْ مَعْـدنِ فَصْـلِ الخِطـاب والحِكَمِ؛

---

١٣ ـ هيهات : اسم فعل معناه بعُدَ .
١٨ ـ عِترة الرجل : ولده وذريّته .
١٩ ـ العُشر : جزء من عشرة وكذلك المعشار .
٢٤ ـ الزعنفة : القصير ، الرذل .
٢٧ ـ استوجسوا : توقعوا في فزع . من أوجسَ : احسَّ .
٢٨ ـ «عقد عهد» هكذا في الأصل ولا يستقيم المعنى . ولعل الصواب «نقض عهد» إلاّ إذا كان يقصد بقوله «حلّلوا» أباحوا .

٣٠ ....

٣١ أكانَ مَنْ لم يَسْجُدْ إلى صَنَمٍ — أولى بميراثِ سيّدِ الأُمَمِ؟

٣٢ أمِ الّذي ما انْحنَى لِخَالِقِهِ.. — حتّى انْحنى في السّجودِ للصنَّمِ؟

٣٣ أفٍّ لَها إمرةً مَضَتْ عَجَلاً.. — دَامَتْ مراراتها.. ولم تَدُمِ.!

٣٤ ذاكَ متاعُ الغرور حينَ مضَى؛ — مَضَى بلا تَوبةٍ، ولا نَدمٍ؛

٣٥ وعارضٌ أَقْشَعَتْ سحابتُهُ — كأنّما أبصروهُ في الحُلُمِ..!

٣٦ نفسي فِداء «الغرىّ» إنّ بهِ — خيرُ إمامٍ مَشى عَلَى قدمٍ!

٣٧ نَفْسي فِداء «الغريّ»؛ إنّ بهِ — من لا يُسامَى في القدرِ والعِظَمِ؛

٣٨ نَفْسي فِداء «الغريّ»؛ إنّ بهِ — جلاء هَمّي؛ والبرءُ مِن سقمي!

٣٩ نَفْسي فِداء «الغريّ» مِنْ بَلَدٍ؛ — ما ضَمَّ من سُؤددٍ ومِنْ كَرمٍ.؛

٤٠ نَفْسِي فِدَى مَنْ ثَوى به؛ فَلَقَدْ — ثوتْ بهِ المكرماتُ عَنْ أَمَمٍ؛

٤١ يا تُربةً قد حوَتْ له رِمَماً؛ — بُورِكتِ مِن تُرْبةٍ، ومِنْ رمَمٍ!

٤٢ ليسَ سِوَى «طَيبةٍ» تفوقكِ في الفَضْلِ؛ فتيهي مَا شئتِ واحْتكمِي

٤٣ فَفيكِ كشّافُ كلِّ نازِلةٍ، — عَنِ البَرايا، وفارجُ الغُمَمِ؛

٤٤ ومَنْ إذا الحربُ أضرمَتْ لهباً؛ — لم يتأخر عنها، ولم يخِمِ؛

٤٥ قطبُ رحَاها إذا الكُماة بها؛ — بينَ قَتيلٍ، وبينَ مُنْهزمٍ؛

٤٦ مَنْ نامَ في مَرْقَدِ النبيّ دُجى، — وأعْينُ المشركين لَم تَنمِ..!

---

٣٤ ـ المتاع: ما ينتفع به انتفاعا قليلا، والغرور «بالضم»: الأباطيل، وبالفتح ما يسبب الانخداع وتوصف به الدنيا ـ

٣٥ ـ العارض: السحاب.

٣٦ ـ في «ف» من بعد هذا البيت ـ ٣٦ ـ حتى آخر القصيدة مما سقط منها. و«الغري» اسم المكان الذي دفن فيه الامام علي عليه السلام.

٤١ ـ الرمّة ج رمم: ما بلي من العظام.

٤٢ ـ طَيْبة: هي المدينة النبوية المنورة.

٤٤ ـ خامَ يخيم: أقام بالمكان.

٤٥ ـ الكميّ ج كماه: الشجاع.

٤٧ فداهُ بالنّفسِ لَم يَخَفْ أبداً … مــا دبَّــروا مِن عَظيم كيدِهِم . .

٤٨ يا سيّد «الأوْصياء» : دَعْــوَة مَنْ … إن هَامَ شوقــاً إليكَ لَم يُلَم . !

٤٩ أنــتَ ملاذِي في كلّ نائبةٍ ، … أنــتَ عياذي ، وأنــتَ مُعْتَصَمي ؛

٥٠ بكَ اسْتَقــامَ الهُــدى ، وقَــام ، ولَوْ … لاَ أنــتَ ؛ لم يَستقِــمْ ، ولــم يَقُم ؛

٥١ وسَابــقُ العــالَمينَ أنــتَ إلى … كلّ محَــلٍ في الفَضْــلِ لم يُرَم ؛

٥٢ ونفسُ خيرِ الأنــامِ أنــتَ ؛ فَمَنْ … مِثلكَ في العَــالمين كلّهم ؟

٥٣ كم رُتبــةٍ في الفخــارِ سَاميةٍ … بَلغتَهــا قبــلَ مَبْلــغِ الحُلم . ؛

٥٤ فكيفَ يخفــى ما فيكَ مِن كرمٍ ، … ومِــن خلالٍ غرّ ، ومِــن شيَمٍ ؟

٥٥ . . . . … . . . .

٥٦ وخالَفُــوا «النَصّ» فيكَ وهْــو سنىً … كالْبــدرِ يَجْلُــو حنــادِسَ الظُّلَمِ . !

٥٧ وستَــرُوا مِن عُلاكَ ما عَلِمُوا … وهــيَ لعمــرْي نارٌ علــى عَلَم . . !

٥٨ رَامُــوا انْتِقامــاً بالثار مِنــكَ كمَا … قَتَلْــتَ مِنهــمْ في اللهِ كُلّ كمي . . !

٥٩ فَحينَ ؛ لا نَاصِــرٌ لَجــأتَ إلى … خيرِ عزيزٍ ، وخيرِ مُنْتَقِمِ ؛

٦٠ سَيُنْصِفُ اللهُ مِنْ عِداك ، ومَا … أعْــدَل ربٍّ العِبــادِ مِنْ حكمِ .

---

٥٦ ـ الحندس جـ حنادس : الليل الشديد الظلمة ، وتطلق الحنادس على ثلاث ليال مظلمة من آخر كل شهر .

- ٣٣ -

حتّام عن جهلٍ تَلومُ ؟

وقال رحمةُ الله عليه في المعنى السَّابق ، وأَنْشدَنيها بعد عَصْر يوم الخميس المبارك لِلَيْلَتَين خَلتا مِنْ شهرِ مُحرَّم الحرام أوّل شهور سنة ثمان وسبعين وألف «١٠٧٨هـ»*

١	حَتّــامَ عَنْ جَهْــلٍ تَلُومُ؛	مَهْــلاً ، فَإنَّ اللَّوم لُومُ. . !
٢	طَرْفي الَّذي يَشْكُو السُّهادَ، . .	وقلْبــيَ المضْنَــى الْكَليمُ :
٣	إنَّ الشَّقا فيِ الحُــبِّ عِــنْــدَ العَاشِقِينَ ؛ هُوَ النعيمُ. . !!	
٤	مَــا الحُــبُّ ؛ إلاَّ مُقْلَةٌ. . .	عَبْــراءُ ، أو جِسْــمٌ سَقيمُ .
٥	وبَلاَبِــلٌ ، بَينَ الــجَــوانــحِ . . . . لا تَــنَــامُ ، ولا تُنيمُ. . !	
٦	يــا مَــنْ أُكَتِّــمُ حبَّــه ،	واللهُ بِـــي وبه عليمُ؛
٧	مــا لـــي ومــا لِلوائِمي ؛ ؟	أَعَلَيكَ ذُو عَقْــلٍ يلومُ. !

---

* في «ف » أضاف قوله : «بدار مولانا عماد الدين أيّده الله » .
ـ والمراد به السيد يحي بن الحسين بن المؤيد ـ

١ ـ حتّام: الى متي؟ واللّوم: العذلُ والتكدير بالكلام. واللّومُ هو «اللّؤم» يقال: لَؤم لؤماً: كان دنيء الأصل مهينا. وخفف الهمزة للضرورة الشعرية.

٢ ـ الكليم : الجريح .

٤ ـ العبراء : الباكية الحزينة .

٥ ـ البلابل : الهموم .

٨ يا هَلْ تُراه يَعُودُ لي بِـكَ ذلكَ الزَّمَنُ القديمُ؟

٩ وهَنِيُّ عَيْشٍ با«لِلّوى»، لَوْ أنَّ عَيْشَ هنىً يَدُومُ!

١٠ و«بِرامةٍ»؛ إذ نِلْتُ مِنْ وَصْلِ الأحبّةِ مَا أَرومُ؛

١١ يا حبّذا تِلكَ الرّبوع...؛ وحبّذا تِلكَ الرسومُ، !

١٢ يا تاركينَ بمهجتي.. شرراً يذُوبُ له الجحيمُ؛

١٣ طَالَ المِطالَ؛ ولم يهبّ لِصِدْقِ وعدِكمُ نَسيمُ،

١٤ مَطْلُ الغنيّ غريمَهُ.. حاشاكمُ خُلُقٌ ذميمُ، !

١٥ أيَخافُ طُولَ المطْلِ مَنْ أهْلُ «الغريّ» لَهُ غريمُ.؟

١٦ بأبي، وبي ذاكَ المحلُّ، ومَنْ بتُربَتِهِ مُقيمُ.؛

١٧ يا ليتَ شعري هَلْ إلى تلكَ المواطنِ لي قدومُ.؟

١٨ ومَتى أنالُ بهنّ مِنْ تَعْفير خدّي.. ما أرومُ..؟

١٩ ومَتَى أراني خادِماً بإزاءِ تُربتِه.. أقومُ.؟

٢٠ حيّاك قبراً «بالغَريّ» مِن الحيا هطلٌ سَجومُ؛

٢١ يا قبرُ فيك «المرتضَى» والسيّدُ السَّندُ الكريمُ،

٢٢ فيكَ «الوصيُّ أخو النّبي المخْتَار» وَالنّبأُ العظيمُ،

٢٣ فيكَ النَّجاةُ من الرَّدى، فيكَ الصِّراطِ المستَقيمُ،

٢٤ فيكَ الموازرُ، والمواخِي، والمواسي، والحَميمُ،

٢٥ فيكَ الشّجاعةُ والنّدَى، والعِلْمُ، والدّينُ القَويمُ،

٢٦ فِيكَ المكَارمُ والعُلاَ، والمجدُ، والشرفُ الصميمُ؛

٢٧ فيكَ الإمامةُ، والزَّعامةُ، والكرامة، لا تَريمُ.!

---

١٤ ـ في «ف»: مطل المليّ غريمه». ومطَلِ يمطُل مطلاً الرجلَ حقّه وبحقه: سوفه بوعد الوفاء مرّةً بعد أخرى؛ وماطل مطالاً ومماطلةً: مطَلَ.

١٨ ـ تعفير الخد: تمريغه ودسه في التراب.

٢٠ ـ الحيا: المطر. والهطْل: المطر الضعيف الدائم. والهَطِلُ: الهاطل. والسَّجوم: كثيرة السَّجمْ أي الانصباب والسيلان.

٢٧ ـ لا تريم: أي لا تبعد عنه ولا تفارقه.

٢٨ فيكَ الـذي يُشفـى بـتُـربِ نِـعـالِـه الطَّـرفُ السَّقيمُ

٢٩ فيكَ الّـذي لَو أنصفَتْ لهَـوتْ لِمَصْرعِـهِ النّجومُ. !

٣٠ فيكَ الّـذي كانَـتْ تُـحـاذِرُ بـأسَـهُ الصيَدُ القرومُ؛

٣١ فيكَ الّـذي كانَـت تـخـفـّ لِـهـولِ موقفِـهِ الحُلومُ. !

٣٢ فيكَ «الخصيمُ» عَنِ «المُـهَـيْـمنِ» يومَ تجتمعُ الخصومُ:

٣٣ لِمُحبِّـهِ دارُ البَقا؛ ولِمَـنْ يُعـاديهِ الجحيمُ.

٣٤ مَـنْ ذا سواهُ؛ لِهَذِه؛ ولِتِلْكَ في الأُخـرى قَسِيمُ؟

٣٥ ....

٣٦ صرَفتـهُ أربـاب الشّقَا؛ عَمَّـا حَبَـاهُ بهِ العَليمُ؛

٣٧ لَـمْ تُرْعَ تِلكَ المكرماتُ، وذلك السَّبـقُ القديمُ؛

٣٨ خُذْهـا ـ أَميرَ المؤمنين ـ كمـا زَهـا الـدرُّ النَّظيمُ؛

٣٩ كالـرَّوضِ باكرَه الحيا، وتَخطَّـرتْ فيهِ النّسيمُ،

٤٠ عَـذراء؛ لم يَفْتَضَّها.. أَهْلَ «الحجـازِ»، ولا «تميمُ»؛

٤١ مِن مُخْلِصٍ لكَ.. لم تُـخـالِجْـهُ الشّـكوكُ، ولا الوهوم؛

٤٢ واعْـذِرْ فَكلَّ مُفوَّهٍ، لَسِـنٍ بحقّـكَ لا يقومُ؛

٤٣ مَـنْ ذا يَفِـي بعَـظيم حَـقِّـكَ؟ إنّـهُ الحـقُّ العَظيمُ..!

٤٤ فأَجِـزْهُ، واقبَـلْ عَذرَهُ، فالعُـذرُ يقْبَلُـه الكريمُ؛

٤٥ واشفَـعْ لَهُ.. إذْ لَيْسَ يَـنْفَعُـهُ الصَّـديقُ ولا الحميمُ؛

٤٦ فَعَسَـاه يَظْفَـرُ مِنْ رِضى رَبّ الأَنـام.. بمـا يَرومُ.

---

٣٠ ـ القروم جمع قرم: السيّد العظيم.
٣٤ ـ القسيم: النصيب، والمقاسم.
٣٥ ـ لا شك أن البيت رقم ـ ٣٥ ـ مدسوس.
٤١ ـ خالج قلبه أمرٌ: خامره ونازعه منه فكر.
٤٢ ـ المفوه: المنطيق البليغ.

- ٣٤ -

فضائل أمير المؤمنين

وقال رحمه الله ؛ ونقله الله إليه قَبل أَنْ يُكمل نظم هذه القصيدة ؛ وكانَ يريد أن يُعدّدَ فيها نُبذاً من فضائل أمير المؤمنين كرّم الله وجهه .

١ لِحَيدرةَ الفضلُ دون الورى عَلَى أقربِ النّاسِ والأبعدِ؛
٢ فَدِنْ بِمَحَبّتِهِ، إنَّ مَنْ يَدِنْ بمحبّتِهِ يرشدِ؛
٣ أَخو المصْطفى، وخدينُ الهدى، وهادي البريّةِ، والمهتدي،
٤ إذَا مَا دَجَتْ ظُلَمُ المشْكِلاتِ جَلّى دُجى لَيلِها الأَسْودِ؛
٥ ومَهْمَا يُنادَى لأُكْرومَةٍ فَناهيكَ بالعَلَمِ المفردِ؛
٦ وحَسْبُكَ مِنْ فَضلِه؛ أنّه لِغَير المهَيْمنِ لَم يَسجُدِ؛
٧ وأنّ مَنِ المصْطَفى صنوُه لَفِي ذروةِ الشَّرفِ الأَتلدِ؛
٨ أبِنْ لِيَ مَن فَازَ دون الورى بنصٍّ الإمامةِ مِنْ أحمدِ؟
٩ حباهُ الإمامةَ من بَعْدِه وكانَا مِنَ النّاسِ في مشهدِ؛
١٠ ومَنْ ذَا سواه يُرى قائماً عَلَى الحوضِ يَسْقي الوَرى عن يَدِ؟

---

٢ ـ في: «ف»: «يَسْعَدِ».
٣ ـ في «ف» : « وخدينُ العُلا » . والخدين : الحبيب والصاحب .
٥ ـ الأكرومة : فعل الكرم .
١٠ ـ في «ف» : « يسقي الورى في غدِ » وهو الأصوب والمتداول .

١١ ومَـنْ ذا غدا حبُّـه في الورى دَلِيلاً عـلـى شرفِ المولِدِ؟

١٢ ونفسَ الرَّسـولِ بنصٍّ الـكِتـابِ، ومـا النّفسُ كالصَّاحب الأبعدِ!

١٣ ومَـن نامَ في مَرْقَـدِ المصْطَفى، وعينُ أُولـي الغَـدْرِ لم تَرقدِ..؛

١٤ وأهـوى العُقـابُ إلـى نَعْلِه لِيَدْفَـعَ عنـهُ أَذَى الأَسْوِدِ؛

١٥ وفي «الصّـوح» مَنْ شبّ نار الوغى وقـد أحجَـمَ النّـاس مِنْ؛ عَن يدِ

١٦ وَعَمْـروُ غداةَ دَعَـا لِلّقا، «أتَيـمٌ» لَهُ برزت؟ أم «عَدِي»؟

١٧ أبينُـوا لَنَـا، ويلـكُم، إنّني أرىَ الحـقّ أبلـجَ لِلْمهتـدي.!

١٨ حَسَدتـمْ «عليًّا» علـى فَضْلِه ومَـنْ نالَ مَا نَالَـهُ يُحْسَدِ؛

١٩ وخالفتمـوهُ بأهـوائِـكمْ.. خِـلافَ العَبيـدِ علـى السيّدِ،

٢٠ وأنكَرْتُمـو مِنْ سَنَـا فضلِه ضياءاً أَنَـافَ علـى الفرقِدِ؛

٢١ ولا عارَ لِلشّـمسِ إن أنكرتْ سَنَـا ضَوءِهـا مُقْلَـةُ الأَرمدِ

٢٢ فَهَـلاً وقَـدْ رُمْتمُـو شأوَهُ سبَقْتُـمْ إلـى غايةِ السُّؤددِ؟

٢٣ وهَـل جُنُـبٌ مِنـكمُ غيرُه أُحِـلَّ لَهُ اللّبـثُ في المسْجدِ؟

---

١٤ ـ الأسود: الحية، والحنش.

١٥ ـ «الصوح»: جانب الوادي، وهو يشير الى وقعة «الخندق» والعجز «من عن يد» هكذا في الأصل والمعنى احجموا جميعاً ولعل هناك تصحيف.

١٦ ـ «عمرو» يقصد «ابن ودّ العامري».

٢٠ ـ أناف: أشرف وطال وارتفع.

٢٢ ـ الشأو: الأمد، والغاية، ويقال: «فلانٌ بعيد الشأو» أي عالي الهمة.

- ٣٥ -

الامام علي وبنوه . . !

وقال رضوان الله عليه يمدحُ مولانا الإِمام الأعظم، أمير المؤمنين، أبا الحُسين زيد بن علي الحسين، عليه السلام. . . ويذكر اسْتشهاده، وطرفاً من مناقبه وما ورد فيه؛ مستفتحاً بمدح أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وانشدنيها صبح يوم السَّبت السَّادس عشر من شهر جمادَى الآخرة سنة سبع وسَبْعين وألف «١٠٧٧ هـ» بمحروس صنعاء بمنزله السَّعيد:

١	قَد آنَ أنْ تَلْـوي العِنَـانَ وتقصراَ	أوَمَا كفـاكَ الشّيبُ ويْحَـكَ مُنْذِرا؟
٢	كم ذا يُعيدُ لكَ الصِّبـا مَرُّ الصَّبا	مَهْمَا سَرى، والبَـرقُ وَهْنـاً إن شَرى؟
٣	حتَّـام لاَ ينفـكُّ قلبُـكَ دائِماً	لِهـوَى الغَوانـي مَوْرِداً، أوْ مَصْدَرا؟
٤	وإلامَ يَعْـذلكَ المناصِـحُ مُشْفِقاً	فتقـول: دَعْنـي ليسَ إلاّ ما تَرى؟
٥	وإلـى مَتـى تَزدادُ مِن مُقَـلِ الظِّبا	وخدودِهـنّ تَدَلُّهـاً، وتَحيُّرا. .؟
٦	ولَـكمْ تَذوبُ تَشَوّقـاً، وصَبَابةً	وتَظَـلّ تُجْـري من عيونِـكَ أَنْهُرا؟
٧	أضحَى «حـديثُ غديرِ» دَمعِـكَ شهرةً	يحكي «حَديثَ غديرِ خُمٍّ» في الورى. !

---

١ ـ لَوَي: ثنى، وأمال، وقَصَر عن الشيء: كف.
٢ ـ الصِبا: الصغر، وهو الشوق أيضاً. وبفتح الصّادِ: ريحُ مهبّها جهة الشَرق، ويقابلها الدبور. والوهْن من الليل: منتصفه أو بعد ساعة؛ وشرى البرق: لمع.
٦ ـ في «ف»: «تُجْرِي من دُموعك».

٨ أكرِمْ بهِ من مَنـزلٍ في ظلِّه نَصَبَ المهيمـنُ للامامـةِ «حَيْدَرا»!
٩ نصَّ «النبـيُّ» بهـا إذاً عن أمرِه في «حَيدرٍ» نصًّـا جليًّا نيّرا. ؛
١٠ إذْ قام في لَفْـحِ الهجيرة رافعاً يدَه؛ لأمْـرٍ ما؛ أقـامَ وهَجّرا..!
١١ صِنـوُ النبّـي «محمـدٍ»، ووصيُّه، وأبـو سَليلَيْهِ «شَـبير» و«شبّرا» ؛
١٢ مَن ذا سواهُ مِن البـريّة كلّها زكّى بخاتمه ، ومَـدَّ الخنْصُرا؟
١٣ مَنْ غيرُه رُدّتْ لَه شمسُ الضّحَى، وكفاهُ فضـلاً في الأنـام، ومَفخرا؟
١٤ مَنْ قَامَ في ذَات الإلَه مجاهداً، ولِحَصْـدِ أعـداءِ الإلَه مُشمِّرا.؟
١٥ مَنْ نامَ فوقَ فراشِ «طـه» غيرُه مُزَّمِّـلاً في بردِهِ مُدَّثِّرا..؟
١٦ مَنْ قطَّ في «بَـدْرٍ» رؤوس حُماتِها حتّـى علا بدرُ اليَقين، وأسفرا؟
١٧ مَن قدَّ في «أُحـدٍ» ورودَ كُماتِها إذ قَهْقَـر الأسـدُ الكمـيّ، وأدبرا؟
١٨ مَنْ في «حُنَينٍ» كانَ ليثَ نِزالِها والصِّيدُ قد رَجَعتْ هناكَ إلى الورى؟
١٩ مَنْ كانَ فاتـحَ «خيبـرٍ» إذ أدْبرتْ عَنْهـا «الثلاثـةُ» سَلْ بذلك «خيبرا»؟
٢٠ مَن ذَا بهـا المختار أعطَـاه «اللّوا» هَـلْ كانَ ذلك «حيدراً»؟ أم «حَبترا»؟
٢١ أفَهَـلْ بَقـى عُذرٌ لِمَـنْ عَرفَ الهدى ثُـم انْثَنـى عَنْ نَهجـهِ، وتغيّرا.؟
٢٢ لاَ يُبعـدِ الرَّحمـن إلاّ عصبةً ضلّـتْ، وأخطـأتِ السَّبيل الأنورا!
٢٣ نبـذُوا كتـابَ الله خلْفَ ظهورِهم، لِيخالفُـوا النَصَّ الجلـيَّ الأظْهرا؛
٢٤ واللهِ لو تركُوا «الإمامـةَ» حيثما جُعِلَـتْ لما فَرَعَـتْ «أميّةُ» منْبَرا!
٢٥ ....

---

٨ ـ في «ف» : «لِلخِلافةِ حيدرا» .
١٠ ـ اللفح : هبّة ريح حارة ويقابله النفح . والهجيرة : نصف النهار في القيظ ، وهي «الهاجرة» أيضاً ، وهجّر : سار في الهاجرة .
١١ ـ قال في القاموس المحيط : «شبّر كبقّم ، وشبّير كقمّير ، ومُشبّر كمُحَدّث أبناء هارون عليه السلام قيل وبأسمائهم سمى النبيّ ﷺ الحَسن والحسين والمحسّن .
١٧ ـ الورود ، واحده الوريد : عرقٌ في العنق «١٨» ـ الصّيد : الأسود الواحد : أصْيد .
٢٠ ـ الحبتر : الثعلب ، والقصير .
٢١ ـ لا يوجد هذا البيت في «ف» .

٢٦ . . . .

٢٧ . . . .

٢٨ . . . .

٢٩ . . . .

٣٠ . . . .

٣١ . . . .

٣٢ جعلــوهُ «رابعَهُــم» وكانَ مُقَدّماً ... فيهــمْ؛ ومأمــوراً، وكانَ مُؤمّرا؛

٣٣ وتَعَمَّدوا مِن غَصْبِ نِحْلَةِ «فَاطمٍ»، ... وَسِهَامِهــا المــوروث أمــراً مُنكَرا!

٣٤ يا مَنْ يُريدُ الحـقَّ؛ أَنْصِــتْ واسْتَمِعْ ... قولــي؛ وكُنْ أَبَــداً لَهُ مُتَدَبِّرا؛

٣٥ إرْبَأْ بِنَفْسِك؛ أَنْ تَضِـلَّ عَنِ الهدى، ... وَتَظلَّ فِي تِيهِ الْهـوَى مُتَحيِّرا؛

٣٦ أَنَا نَاصِـحٌ لَكَ؛ إنْ قَبِلـتَ نَصِيحَتي؛ ... خَلِّ الضّلالَ؛ وخُذْ بحجْزَةِ «حيدرا»؛

٣٧ مَنْ لَمْ يكُنْ يأْتي الصِّـراطَ لَدَى القضا ... «بجـوازِهِ» مِنْ «حَيْدَرٍ»؛ لَنْ يَعْبُرا!

٣٨ «والَيتُـهُ»؛ و«بَرِئْــتُ» مِنْ أَعْدائِهِ؛ ... إذ؛ «لاَ ولاء» يكونُ مِن دُون «البَرا»!

٣٩ قُلْ؛ «لِلّنواصِبِ»: قَدْ مُنِيتُـمْ مِن شَبَا ... فِكْري بِمَشْحُــوذِ الْجوانــب، أَبْتَرا؛

٤٠ كَمْ ذا . . إلى أبناء «أحمد» لم يزَلْ . . ... ظُلمــاً يدبُّ ضريرِكُمْ دَبَّ الضَّرى؟

٤١ أنَــا مَنْ أَبا . لِــيَ بغضَ آلِ محمّدٍ ... مَجْـدٌ أنـافَ على مُنِيفَــاتِ الذُّرى!

٤٢ أخوالــيَ الغُــرّ الأكارم «هَاشمٌ» ... وإذَا ذكرتُ الأَصــلَ، أذكرُ«حِميرا»؛

---

٣٥ ـ في «ف» : «وتَضِلّ في تيهِ الهوى» وما في «ن» اكثر صوابا وربأ : علا وارتفع، وربأ في الامر : نظر فيه وفكّر .

٣٦ ـ «خذ بحجْزه حيدرا» : إعتصِمْ به وتمسك . وحيدر من أسماء علي (ع) .

٣٨ ـ برِىء يبرؤ بُروءاً وبراءاً وبراءةً من العيب أو الدين : تخلّص وسلم منه . وقد قصر الممدود للضرورة الشعرية وعبارة «لا ولاء من دون براء» متداولة :

٣٩ ـ الشبا جمع شباة: ابرة العقرب وحدّ كل شيء، ومن السيف : قدر ما يقطع به . وشحذ السيف : أحدّه ، وبتر : قطع ، وأبتر هنا بمعنى باتر .

٤٠ ـ الضرير : المضارة ، والضرى : الجرب .

٤١ ـ أناف : أشرف وارتفع . والذِروة جـ : ذُرى : المكان المرتفع .

٤٣ غرسٌ نَما في المجدِ؛ أورقَ غُصنُهُ ... بِوِدادِ أبناءِ النبيّ، وأثمرا..!

٤٤ شرفي العظيم، ومفخري، أنّي لَهُمْ ... عبدٌ، وحُقّ بِمثلِ ذا.. أَن أفخرا.!

٤٥ لَن يعترينـي في اقتفاء طريقِهم ... ريبٌ يصدُّ عن اليقينِ ولا امْتِرَى..

٤٦ هذي عقيدتـيَ الّتي ألْقَى بها ... ربَّ الأَنام إذا أتيتُ المحشرا.!

٤٧ إنّي رجوت رِضَى الإِلـه بحبّهمْ، ... وجعلتُـه لي عندهم أقوى العُرى

٤٨ يا أيّها الغادي المجدّ بجَسْرَةٍ ... يَطْوي السَّباسِبَ رائِحاً ومُبكّرًا؛

٤٩ جُزْ بالغريّ؛ مُسَلِّمـاً مَتواضعاً، ... ولِحُرّ وجْهك في ثراهُ معفّرا؛

٥٠ حيثُ الإِمامة، والوصايةُ، والوزارة، والهُدى؛ لا شكَّ فيه ولاَ مِرا.؛

٥١ والْمـمْ بقبرٍ فيهِ سَيدة النّسا؛ ... بأبي وأمّي؛ ما أبرَّ وأَطهرَا!

٥٢ قبّلْ ثراها عَن مُحّبٍ قلبُهُ.. ... ما انفكّ جاحم حُزنِه مُتسعرًا؛

٥٣ مُتلهّفٌ غضبان مِمّا نالَها؛ ... لا يَستطيعُ تجلّداً، وتَصبّرا؛

٥٤ ....

٥٥ وأفِضْ إلى نَجل النبيّ محمدٍ، ... والسِّبط مِنْ رَيحانَتَيْهِ الأكْبَرا؛

٥٦ مَن طلّق الدنيا ثلاثاً، واغْتدى ... للضرّةِ الأُخرى عليها مُؤْثرا،

٥٧ مُسْتَسْلِماً؛ إذ خانَه أَصحابُهُ، ... وعراهُ من خُذلانِهم، ما قد عرا..

٥٨ واستعجل... «ابنُ هندٍ» موتَهُ؛ ... فسقَاه كأساً لِلْمنيّةِ أعفرا..

٥٩ وقُلِ التحية مِنْ «سميّك» مَن غدا ... بكمُ يُرجّي ذنبَهُ أن يُغْفرا؛

٦٠ و«بكَرْبلا» عَرّجْ، فإنّ «بِكَربلا» ... رِمَماً منعْنَ عيونَنا طَعْمَ الكَرى؛

٦١ حيث الّذي حزنَتْ لمصرعِه السَّما، ... وبكَتْ لمقتلِه نجيعاً أحمرا..!

٦٢ فإذا بلغتَ السُّؤلَ من هذا وذَا، ... وقضيْتَ حقّا لِلّزيارةِ أكبرا؛

---

٤٥ ـ أمترى: شك.
٤٧ ـ العروة جـ عرى: ما يوثق به.
٤٨ ـ الجسرة: الناقة العظيمة.
٥٥ ـ في هامش «ف»: «واقصد هديت من النبيّ محمدٍ» نخ، وليس بشيء.
٥٨ ـ في «ف»: «أغفرا» بالغين. وليس بشيء. وأعفر: الشيء دسه في التراب.

٦٣ عُجْ «بالكُناسـةِ» باكياً لِمصارعٍ غُـرّ تذوب لهـا النفـوسُ تَحَسُّرا؛

٦٤ مَهمـا نسيتُ فلَسْـتُ أنسـى مَصْرعاً «لأبـي الحُسين» الدَّهـرَ حتـى أقبرا!

٦٥ ما زلـتُ أسـألُ كلّ غادٍ رائحٍ عـن قبـره؛ لم أَلْـقَ عنـهُ مُخْبِرا؛!

٦٦ بأبـيْ وبـيْ؛ بَلْ بالخلائِـق كلّها مَـنْ لاَ لَهُ قبـرٌ يُزارُ، ولا يُرَى

٦٧ مَن لو يُوازَنُ فضلُـه يومـاً بفضْلِ الخلْـقِ كانَ أتـمَّ منـهُ، وأوفرا؛

٦٨ مَنْ قامَ لِلرَّحمـنِ؛ ينصـرُ دينَهُ، ويحوطُـه من أن يُضـامَ ويُقهَرا؛

٦٩ مَن نابـذَ الطَّاغـي اللّعينَ، وقادَها لِقتالِـه شُعْـثَ النَّواصـي ضُمَّرا..

٧٠ مَنْ باعَ من ربٍّ البـريّة نفسَهُ؛ يا نِعْـمَ بائِعِهـا، ونِعْـمَ مَنِ اشترى!

٧١ مَنْ قَامَ شاهـرَ سيفِـه في عُصْبَةٍ «زَيديّة» يَقّفُـو السَّـبيلَ الأنورا؛

٧٢ مَن لا يسامي كُلُّ فَضْـلٍ فَضْلَهُ، مَـن لا يُدانَـى قَدْرُه؛ أنْ يُقْدرا!

٧٣ مَن جاءَ في الأخبْـارِ طيبُ ثنائِه؛ عـن جدّه خيرِ الأَنـام مُكرّرا؛

٧٤ مَنْ قالَ فيهِ كقولِـه في جدّه أَعْني «عَليًّا» خيرَ مَنْ وطأَ الثرى؛

٧٥ مِنْ أنّ مَحضَ الحـقّ معْـهُ؛ لم يكن متقدّمـاً عنـهُ، ولا متأخرّا.!

٧٦ هو صفـوةُ الله الَّـذي نَعشَ الهدى وحبيبُـهُ، بالنصِّ من خيرِ الورى؛

٧٧ ومُزَلْـزِلُ السَّبـعِ الطبّـاق إذا دهَا، ومُزعزِعُ الشُـمّ الشوامـخِ إن قَرا..!

٧٨ كلٌّ يقصّـرُ عن مَدَى ميدانِه؛ وهو المجلّى في الكرامِ.. بلا مِرا.؛

٧٩ بِاللهِ أَحلِفُ أنّـه لأجَـلُّ مَنْ بعـد «الوصـيّ» سِوَى شَبير وشبَّرا.؛

٨٠ قد فاقَ سادةَ بيتـهِ بمكارمٍ غـرّاء جَلَّـتْ أن تُعَـدّ وتُحصَرا؛

٦٣ـ كان اعتماد ما ورد في «ف» أمّا «ن» فقد ورد فيها البيت هكذا:

عَـجْ بالكِناسـةِ باكيا لمصارعٍ لحبيب خير الرسـل حتـى أُقبرا

وهو خلطٌ من النّاسخ كما انّه أهمل البيْت رقم ـ ٦٤ ـ مهما نسيتُ الخ. والكناسة موضع قرب الكوفة وفيه قُتل الامام زيد عليه السلام.

٦٥ ـ في «ف»: «لم ألْقَ عنها في البلاد مخبرا».

٦٦ ـ في «النسختين»: و«لا ترى» ولكن المتداول: «ولاَ يُرى» وكأن «شوقي» قد نظر اليه حين قال:

أيها الغالون في أجداثهم ابحثوا في الأرض؛ هل عيسى دفين؟

٦٩ ـ شعِث الشعر: كان مغبرا، والنواصي جـ ناصية: مقدم الرأس، أو شعره إذا طال.

٨١ بسماحةٍ نَبَويّةٍ قَد أخْجَلَتْ ... بِنَوالِها حتّى الغمامَ الممطِرا؛
٨٢ وشجاعةٍ علويّةٍ قد أخرَسَتْ ... ليتَ الشّرى في غابهِ أنْ يزأرا؛
٨٣ ما زالَ مُذْ عَقَدَت يداه إزارَهُ؛ ... لم يَدْرِ كذْباً في المقال، ولا افتِرا؛
٨٤ لمَّا تكامَلَ فيه كلُّ فضيلةٍ، ... وسَرَى بأفقِ المجدِ بدراً نيِّرا..
٨٥ ورأى الضَّلالَ وقد طغَى طوفانهُ، ... والحقّ قد ولَّى هُنالكَ مُدْبرا..
٨٦ سلَّ السيوفَ البيضَ من عزماتِهِ ... ليؤيّدَ الدينَ الحَنيفَ وينْصرا..
٨٧ وسرَى على نُجب الشهادة قاصداً ... دارَ البقا؛ يا قرب ما حَمِدَ السُّرى؛
٨٨ وغدا وقد عقَد اللّوا مُسْتَغْفِراً ... تحتَ اللِّوا، ومُهَلِّلاً، ومُكبّرا..!
٨٩ للهِ يحمدُ حينَ أكملَ دينَه، ... وأنالَهُ الفضلَ الجزيلَ الأوفرا..
٩٠ يُؤلي أليَّةَ صادقٍ؛ لو لَمْ يكن ... لي غير «يحي» ابْني نصيراً في الورى؛
٩١ لم أثنِ عزمي، أو يعودُ بي الهدى ... لاَ أَمْتَ فيه؛ أوْ أموت فَأُعذرا.؛
٩٢ ما سرَّني؛ أنّي لقيتُ «محمداً»؛ ... لَمْ أُحْيِ «مَعْروفاً»، وأنكرْ «مُنكرا»؛
٩٣ فأتوا إليهِ بالصّواهِل شُزَّباً، ... وبيعْملات العيس تَنْفخ في البُرَى؛
٩٤ وبكلّ أبيض باترٍ، وبكلّ أزرق نافذٍ، ... وبكل لَدْنٍ أسمرا.؛
٩٥ فغدَتْ وراحتْ فيهم حَمَلاتُه ... وسقاهُم كاسَ المنيّة أحمرا؛
٩٦ حتّى لقد جَبُنَ المشجّعُ مِنهُم، ... وانْصَاعَ ليثهُم الهصور مُقَهْقِرا؛
٩٧ فهناكَ فوّق كافِرٌ من بينهمْ ... سَهماً فشقّ بهِ الجبينَ الأزهرا..
٩٨ تركوه مُنْعَفِر الجبين، وإنّما ... تركوا به الدّين الحنيفَ معفرّا.؛
٩٩ عَجَباً لَهُمْ؛ وهُمُ الثّعالبُ ذِلّةً ... كيفَ اغتدى جَزْراً لهم أسَدُ الشّرى؟
١٠٠ صلبوه ظُلماً بالعراءِ مجرداً، ... عَنْ بُرْدِهِ وَحموه مِنْ أنْ يُسترا
١٠١ حتّى إذا تركوه عرياناً علَى ... جذعٍ؛ عتوّاً منهمُ، وتجبّرا؛

---

٩٠ ـ يُؤلي: يحلف.
٩١ ـ لا أمت فيه: لا عوج.
٩٣ ـ في «ف»: «تنفخ في البرَا» بفتح الباء بعدها الفٌ وكأنّه قد أراد تنفخ في البراري مع الاكتفاء. والبُرى: جمعُ بُرَة: كلّ حلقةٍ من سوارٍ، وقرط، وخلخال في أنف الناقة، والبرى: التّراب.

١٠٢ نَسَجتْ عليهِ العنكبوتُ خيوطَها ... ضِنًّا بعَوْرته المصونةِ أن تُرى!
١٠٣ ولِجدِّه نسجَتْ قديماً؛ إنها ... لَيَدٌ يحقّ لمثلِها أن تُشكرا..
١٠٤ ونَعَتْهُ أطيار السماء بواكياً؛ ... لمّا رأتْ أمراً فظيعاً مُنكرا؛
١٠٥ أكذَا حَبيبُ الله؛ يا أهلَ الشقا، ... وحَبيبُ خير الرسْلِ يُنْبذُ بالعَرا؟
١٠٦ يا قُربَ ما اقْتَصَّيتمُ منْ جدّه؛ ... وذكرتمُ «بدراً» عليه و«خَيْبَرا»!
١٠٧ أمَّا عليك «أبا الْحُسَينِ»؛ فلَمْ يزلْ ... حُزني جديدَ الثّوبِ حتّى أُقبرا.؛
١٠٨ لم يَبْقَ لي بَعدَ التجلّد، والأسى، ... إلاّ فنائي حسرةً وتفكّرا؛
١٠٩ يا عُظَم ما نالَتهُ مِنك مَعَاشِرٌ ... سُحقاً لهم بين البريّة معشرا..
١١٠ قادوا إليكَ المُضْمَرات كأنّما.. ... يغزون كِسْرى - وَيْلَهُمْ - أو قيصَرا؛
١١١ يَا... لَوْ دَرَتْ مَنْ ذَا لَهُ قيدَتْ؛ لَمَا ... عَقَدَتْ سَنابكُها علَيْها عِثيرا؛
١١٢ حتّى إذا جرَّعتهم كأسَ الرَّدى، ... قتلاً؛ وأفْنَيتَ العديدَ الأكثرا..
١١٣ بَعثَ الطّغاةُ إليكَ سهماً نَافذاً؛ ... مَن راشَهُ شُلَّتْ يَداهُ، ومَن بَرى؛
١١٤ يا لَيتني كنتُ الفِداءَ، وإنَّهُ؛ ... لم يجرِ فيكَ من الأعادي ما جرى..
١١٥ باعوا بقتلِكَ دِينَهم، تَبًّا لَهُمْ؛ ... يا صفقَةً في دِينهم؛ ما أخْسَرا.!
١١٦ نَصَبوك مَصْلوباً على الجذع الّذي ... لَوْكَانَ يدْري مَنْ عليه.. تكَسَّرا..!
١١٧ واسْتَنزلوكَ، وأضرموا نيرانَهم؛ ... كيْ يُحرقوا الجسْمَ المصونَ الأَطْهَرا؛
١١٨ فَرموكَ في النّيرانِ بُغْضاً مِنهمُ ... «لِمُحَمّدٍ»؛ وكراهةً أن تُقبَرا.؛
١١٩ ولَكَادَ يُخفيك الدُّجَى لو لَمْ يَصِرْ ... بجَبينِكَ الميمونِ صُبحاً مُسْفِرا..
١٢٠ وَوَشَى بتُرْبتِكَ الّتي شَرُفَتْ شَذىً ... لولاهُ ما علمَ العدوّ، ولا درى..؛
١٢١ طيبٌ سَرَى لكَ زائراً مِن «طَيْبَةٍ»؛ ... ومن «الغَرِيّ» يخالُ مِسْكاً أذْفرا؛

١٠٢ـ ضناً بعورته: حرصاً عليها.
١٠٤ ـ لا يوجد هذا البيت رقم ـ ١٠٤ ـ في «ف».
١٠٩ ـ سُحقاً لهم: أي أبعدهم الله من رحمته.
١١٠ ـ المضمرات: الأفراس التي تضمّر ليخفّ لحمها وتهزل.
١١١ ـ السنابك: أطراف حوافر الخيل، والعِثير: التراب والعجاج.
١١٣ ـ راش السهم: ألزق عليه الريش، وبرى السهم نحته.
١٢١ ـ المسك الأذفر: الظاهر الشديد الرائحة.

١٢٢ وذروا رمـادَكَ في «الفـراتِ» ضلالَةً؛ أتُرى دَرَى ذاري رمادكَ ما ذَرى. . ؟

١٢٣ هَيهات ؛ بل جَهلوا لـطِيب أَريجهِ؛ أرمادَ جسمـكَ ما ذَروْا، أم عَنْبَرا. . ؟

١٢٤ سعـدَ «الفـراتُ» بقرْبـه؛ فَلـو انَّه ملْـحٌ أُجـاجٌ عادَ عَذبـاً «كوثرا». ؛

١٢٥ هذا جزاءُ أبيك «أحمـد» مِنْهمُ؛ إذ قامَ فيهـمْ مُنْـذراً، ومُبّشرا. !

١٢٦ وجـزاء نُصحِـكَ حينَ قمـتَ بأمرِه، وسَرَيتَ بدراً في الظلام كما سرى. ؛

١٢٧ فاسْعَدْ لَدَى «رِضْـوان» بالرِّضـوانِ منْ ربٍّ السماءِ؛ فمـا أَحـقّ وأَجْدرا. . !

١٢٨ يهنيكَ قد جاورتَ جدّكَ «أحمدا» وأَنـالكَ اللهُ الجـزاءَ الأَوفَرا؛

١٢٩ أهـونْ بهـذي الـدَّارِ في جنْـبِ الّتي أَصْبحـتَ فيهـا لِلنّعيمِ مُخيَّرا. !

١٣٠ لو كانَ للـدُّنيا لَدى خلاَّقها قَـدْرٌ؛ لَخـوّلكَ النّصيبَ الأكثرا. !

١٣١ بَلْ كنـتَ عِنـدَ الله جَلَّ جلالُهُ. . مِن أن يُنيلكَهـا. . أجـلّ وأخطرا. . !

١٣٢ يا ليتَ شعـري؛ هل أكون مجاوراً لكَ؟ أم تردّنـي الذّنـوبُ إلى الوَرا؟

١٣٣ أَأُذادُ عنكمْ في غدٍ؟ وأنـا الّذي لـي مِن وِدادِكَ ذِمـةٌ لَنْ تُخفرا. . !

١٣٤ قُلْ: ذا الفتى حضَـر اللِّقـا مَعنا وإنْ أَبْطَـا به عنّـا الزّمـانُ. . وأخّرا؛

١٣٥ يا خيرَ مَن بقيامِـه ظَهَـرَ الهُدى، في الأَرضِ، وانهزمَ الضّلالُ وقَهْقرا،

١٣٦ عُذراً إذا قَصـرتْ لديكَ مدايحي؛ فيحـقّ لي ـ يا سيّدي ـ أن أعْذَرا. . !

١٣٧ لم أجْـرِ في مَدْحِيكَ طِرفَ عبارةٍ، إلاّ كبـا مِن عَجـزه، وتَقطّرا. . !

١٣٨ أتخالنـي لِمـدَى جَلالِكَ بالغاً؟ اللهُ أكبـرُ؛ ما أجـلَّ وأكبرا. . !

١٣٩ ماذَا الّـذي الْمعصومُ دونَـكَ حازَه؟ إذْ لم تزلْ ممـا يشينُ مطهّرا. . !

١٤٠ صلَّـى عليكَ اللهُ بعـد «محمدٍ» مـا سارَ ذِكرُكَ مُنْجـداً أو مُغْورا؛

١٤١ والآل ما حيّا الصَّبـا زَهْـرَ الرُّبَى سَحـراً، وعَطّـرَ طيبُ ذِكركَ منبرا.

---

١٢٤ ـ الأجاج : المر .

١٣٣ ـ أخفره : نقض عهده وغدر به ويقال : خفره ، وبه وعليه : أجارَه وحماه وخفره : نقض عهده (ضد) .

١٣٧ ـ كبا : تعثّر ، وانكبّ على وجهه ، وتقطَّر : سقط .

١٣٩ ـ مما يشين : مما يعيب ، والمشاين : المعايب .

- ٣٦ -

الامام زيد بن علي . . . .

وقال رحمه الله يمدح مولانا الامام الأعظم أبا الحسين زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، ويذكر استشهاده ؛ وأنشدنيها صبح يوم الأربعاء لثمان ليال إن بقتْ من شهر جمادَى الأخرى سنة ثمان وسبعين وألف «١٠٧٨هـ» بمنزله السعيد في «صَوح النعيم» بمحروس صنعاء :

١ الآن؛ باحَ بمُضْمَرِ الأَسْرارِ إذ أزمَعَ السَّفرَ الفريقُ السَّاري؛

٢ صبٌّ يُعلِّلُ بالقرارِ فؤادَهُ يومَ الفراقِ؛ ولات حينَ قرارِ. !

٣ ولَهَانُ؛ هانَ عليهِ بيعُ رُقَادِه لِخفوقِ برقٍ بالأُبَيْرِقِ شاري. !

٤ ضُرِبتْ به في الحُبّ أمثالُ الهوى حتّى غدَا خَبراً مِنَ الأخبارِ. . ؛

٥ حُيِّيتَ؛ يا طَلَلَ «النَّقا»، وسُقِيتَ يا . دارَ الأحبَّةِ - «بالنّقا» مِن دارِ؛

٦ لا يَبْعُدَنْ عَيْشٌ بِرَبْعِكَ نِلتُه؛ والدَّهرُ من حِزْبي ، ومن أنْصاري؛

٧ تِلكَ اللّيالي؛ إذْ يُكفّرُ لي الصِّبا ما في خَلاعَاتِ الهوى مِنْ عارِ. . !

٨ فالآن ؛ آنَ . . لي النُّزوعُ عَنِ الهوى حقًّا، وحَانَ عنِ الْغَوَى إقْصارى؛

٩ لا كنتُ؛ إن مَلَك الغرامُ مقادتي، أو هَدَّ رُكْنَ سكينتي ، ووَقاري؛

١٠ كم ذَا أطيعُ النَّفسَ فيما لَم أَفُزْ مِنهُ بغيرِ ضلالةٍ وخَسَارِ. . ؟!

١١ أسْرفْتُ في العصيان؛ إلاّ أنّني راجٍ لِعَفْوِ مُسَامحٍ غفّارِ. . !

---

١ - أزمع : مضى في الأمر وعزم عليه والساري جـ سراة : الجماعة من القوم تسير ليلاً .
٢ - لات : أداة نفي تعمل عمل ليس . ولات حين قرار : أي لات الحينُ . . حينَ قرار .
٧ - كفّر الشيء : ستره ،وكفر الله الذنب: محاه .
٨ - حان : آنَ أي قرب وقته ، وأقصر عن الشي: أقلع .

١٢ حَسْبــي جميلُ الظَّــنِّ فيهِ وسيلة ؛ وَوِدَادُ آلِ المصْطفــى الأَطهارِ ؛
١٣ لَمّـا رأيتُ النّــاسَ قد أضْحــوا عَلى جُــرُفٍ مِنَ الــدّينِ الملَفّقِ هَارِ ؛
١٤ تابَعــتُ آلَ المصْطفــى مُتيقّنا ؛ أنّ اتّباعَهــمُ مرادُ الباري!
١٥ وَقَفَـوتُ نهــجَ « أبي الحسين » مُيَمِّماً منــه سبيلاً واضِــحَ الأنوارِ .
١٦ خيْر البــريّة بعــدَ سِبْطَــيْ «أحمدٍ» ، مختــارُ آل «المصْطفَــى» المختارِ ،
١٧ وحبيبُ خير المرســلين ، ومــن غَدا في آل «أحمــد» دُرّةَ التِّقْصارِ ،
١٨ مُقْــري الرّمــاح السَّمهــريةِ والظُّبا ؛ إذ ما لَهُــنّ قِرىً سِوى الأَعمارِ ؛
١٩ والبــاذلُ النّفسَ الكريمــة رافعاً لِمَنــارِ دينِ الواحــدِ القهّارِ ،
٢٠ ليثُ الشّرى ، حَيْث الصَّــوارمُ والقنَا تَسْعَــى بكأسٍ لِلْمنــونِ مُدارِ ؛
٢١ يُشْــجيهِ ترجيعُ القُــرانِ لديهِ لاَ نَقْــرَ الدّفــوف ، ورنّــةُ الأوتارِ ؛
٢٢ «أأبـا الْحُسَين» ؛ دُعـاء عبدٍ مُخلصٍ لكَ ودّهُ في الجهْــرِ والإِسرارِ ؛
٢٣ طوراً يصــوغُ لكَ المــديحَ ، وتارةً يَبْــكي عليكَ بمدْمــعٍ مِدْرارِ ،
٢٤ هَيْهـات أقصـرُ عن مديحــكَ دائماً ؛ مـا العُذرُ في تركي ، وفي إقْصاري؟
٢٥ ودّي علــى طُولِ المــدَى مُتجدّدٌ ، وفرائــد الأَشعــارِ فيكَ شِعاري ؛
٢٦ فاشفَعْ بفَضلِك في القيامةِ لي ، وقُلْ : هــذا الفَتَــى في ذمّتــي وجوارِي ؛
٢٧ مَا ضَرَّنــا ؛ أن لاَ ثرىً . . فنزورها ؛ إذْ أنــتَ بينَ جوانــح الزّوارِ . . !
٢٨ إن الأُلــى جاروكَ في أمــدِ العُلَى خلّفتَهــم في حلْبــةِ المِضمارِ . !

---

١٣ ـ « جُرُفٍ هارٍ » ؛ الجرف الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر . أي على جرف ضعيف ساقط.
١٥ ـ يمم : قصد .
١٧ ـ التقصار : القلادة .
١٨ ـ مقرى الرماح : مطعمها والقِرى : ما يقدم للضيف .
٢٠ ـ الشرى : مأسدة جانب الفرات ؛ يضرب بها المثل .
٢١ ـ القُران : القرآن .
٢٧ ـ في «ف » : فنزوره .
٢٨ ـ الحلبة : الخيل تجمع للسباق . والمضمار : الفسحة لسباق الخيل .

٢٩ قَدحــوا زنــادَ المجــدِ حين قدحْتَهُ فرجَعْــتَ دونهــمُ بزنــدٍ واري؛

٣٠ حُزتَ العُلَى، وسَبَقْت أهلَ السَّبق في ميدانِهــا ، وأمِنــتَ كلَّ مُجاري؛

٣١ فإذا سَلَــتْ عَنْهــا الـكرامُ وأصْبحتْ عنها عواريَ؛ فهـيَ منك عواري . .

٣٢ وحميتَ سرحَ الـدين منــك بعزمةٍ تغنيكَ عن حمـلِ القَنـا الخطَّارِ؛

٣٣ شَقِيتْ «أميَّةُ» ؛ سَوفَ تَلْقــى رَبَّها يومَ القِيامـةِ خُشَّـعَ الأَبصارِ!

٣٤ ماذَا لآلِ «أُميَّةٍ» عُصَـبِ الشّقا عِنــدَ النبــيِّ «محمّــدٍ» مِنْ ثارِ؟

٣٥ ظَفِرتْ بقتْـلِ ابْــنِ النّبـيِّ، وإنّما ذَهَبَــتْ بخــزيٍ ظاهــرٍ وبوارٍ؛

٣٦ يا عُصبَـةَ «النَّصــب» الَّتـي لم يُثنِها عَنْ قتل «أَهْلِ البيْت» خوفُ الباري!

٣٧ حتَّـى مَتَـى آلُ النبـيِّ «محمّدٍ» تُمنَــى بقَتْــلٍ مِنْـكُمُ، وإسارٍ. ؟

٣٨ أحرقتـمُ بالنّــارِ ظُلمــاً نجل مَنْ قَــدْ جاءَ يُنْــذِرُكُمْ عذابَ النّارِ!

٣٩ وضربتــم بعــد الحــريقِ رمادَهُ، وذريْتموهُ في الفــراتِ «الجاري»؛!

٤٠ أسَفــي عليه؛ كم أواري دائِماً. . . مِــن كربِ أَنفــاسٍ وَحَــرِّ أُوارِ. . ؟

٤١ صلّــى وسلّــم ذُو الجَــلالِ عليه بَعْــدَ «محمّدٍ» ، و«العُتْرةِ» الأطهارِ

---

٢٩ ـ قدحُ الزناد : محاولة إخراج النار منه ، والزند جـ زناد وأزْندُ : العود الأعلى الذي يقتدح به النار ، والزند الواري : الذي خرجت ناره ؛ ويقال : «واري الزند أي ناجح ، و« كابي الزند » أي خاسر .

٣١ ـ في «ف » « عنها العواري » .

٣٢ ـ سرح الدّار : فناؤها وهي كذلك في الأصل ؛ وربما انها «صرح الـدين » بالصاد : أي قصره المشيد ، والقنا : الرمح . والخطّار ؛ من خطر الرمّح : اهتزّ . وخطر بسيفه أو رمحه : هزّه معجباً بنفسه .

٣٤ ـ في نسختنا «ن» : « ماذا لآل محمّدٍ» وهو غلطٌ واضح من قبل النّاسخ تجاوز الله عنه .

٣٥ ـ البوار : الكساد والخسران .

٤٠ ـ أواري: أستر . والأوار: الحرّ والعطش.

٤١ ـ في هذه «الصلاة» ما يشعر بأن « الهبل » يرى أن « العترة » هم « الخمسة » أهل « الكسا» .

- ٣٧ -

مجموع الامام زيد

وقال رحمه الله مُذيّلاً لِلْبيتين الأوّلين من القصيدة الآتية ؛ وهما للسيّد الأكرم جمال الدين علي بن[٣] أحمد بن محمد الآنسي عافاه الله قالها على لسان « المجموع » : مجموع مولانا الامام الأعظم أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ؛ والذّي هو أفضل كتاب بعد كتاب الله ، يرويه الامام زيد عن أبيه زين العابدين علي عن أبيه سيّد شباب أهل الجنّة الحسينَ عن أبيه باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم الّذي قال الله فيه : ﴿ ما أتاكم الرّسولُ فَخذوهُ ، ومَا نَهاكُم عَنْه فَانْتَهوا﴾وقال : ﴿فَلاَ وربِّكَ لا يُؤمِنونَ حتّى يحكّموكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾﴿ثمّ يجِدُوا في أَنْفسِهِمْ حَرَجاً ممّا قَضيتَ ويُسلِّموا تَسْليما ﴾. وهذا المجموع مُتلقّى عندَ أهلِ البيتِ بالقَبول كما أفاد الامام عزّ الدين[٤] بن الحسن في رسالته التي ذكر فيها كتب أهل البيت ، ولله القائل :

وإنّ التّلقي بالقَبولِ على الّذي ... بـه يَسْتَـدِلُّ المـرءُ خيرُ دَليل ؛
ومَا أمّةُ المختارِ من آلِ هاشمٍ ... تَلَقّـى حَديثـاً كاذبـاً بقبُولِ ؛

وهذه هي الأبيات المترجم لها :*

« أنـا غيظُ كلّ مُناصِبٍ ... وأنـا السَّبيلُ إلى الجنانِ» ؛
« وأنا «الصَّحيحُ» عَن النبي ... الْمَبْعوثِ بالسَّبْعِ المثاني » .
١ أنـا عَن «علـيّ» ذي العُلَى ، ... لا عَنْ فلانٍ أو فُلانِ ؛

(٣) و(٤) راجع التراجم في : أعلام الديوان

* اختصرتُ مقدّمة جامع الديوان دون إخلال : وتختلف العبارات في «ن » و« ف » ، وقد قال في نهايتها : وإنّما ترجمت لهذه القصيدة بهذه الترجمة لأمرٍ ما » .

٢ أَنـا دينُ آلِ «محمدٍ» سفـنُ النَّجـا، شهْـبُ الأمانِ،

٣ وأنـا القـرينُ برغـم آنـافِ «الـنّـواصِـب» «لِلْقُرانِ»؛

٤ أنـا غُرّةُ التّـاجِ الـمـكلّـلِ.. درةُ العِقْـدِ الجُماني،

٥ هَـلْ من مُجـارٍ، أو مُـبَـارٍ... أو مُـسَـامٍ، أو مُداني؟

٦ هَيْهـات؛ كـلٌّ قـاصِـرٌ عَـنْ غَلوتـي يوم الرِّهان؛

٧ بـي يَهتَـدي، بي يقْتَدي الثقـلانِ؛ من إنسٍ وجان؛

٨ أيُقـاسَ بي ظُلمـاً من الـكُتُـبِ الـجـديدةِ ما عَداني..؟

٩ كلاّ؛ وآيات «المثاني»؛ ليسَ لي في الكُتْـب «ثاني»؛

١٠ وكفَـى بمَـنْ هُو جامعي فخـراً لِمَـنْ عَنـهُ رواني،

١١ «زيدٌ» إمـامُ الحـقِّ خـيـرُ... الـخـلْقِ من قاصٍ وداني؛

١٢ يا مَنْ تنـكّبَ جَاهِلاً؛ سُبُـلَ الْهـدايةِ والبيان؛

١٣ أقْبِـلْ علـيَّ مُشمّراً، ودع التكاسُـلَ والتّواني؛

١٤ وذرِ اتّبَـاعـكَ لِـلْهَـوى؛ إنّ الْهـوى شركُ الْهَوانِ،

١٥ لِتَفـوزَ في يَوم القِيامَـةِ بالأمَـانِ، وبالأَمـاني؛

١٦ وتُخَصّ في جَنّـات عَـدْنٍ؛ بالمكـانـةِ، والمكانِ؛

١٧ إيّاكَ تَعـرضُ شانِئاً.. لِـي، جَاهِـلاً لِرفيع شاني؛

١٨ مَـنْ راحَ عنّـي مُعْرِضاً مَـا راحَ.. رائحـةَ الجِنانِ.!.

---

٢ ـ النجاء ممدود: الخلاص. وقصره للضرورة.

٣ ـ القرين: المصاحب والعشير.

٦ ـ الغلوة: الغاية؛ وهي رمية سهم أبعد ما تقدر عليه.

١٢ ـ تنكّب: تجنّب واعتزل وأعرض.

١٤ ـ شرك الهوان؛ الشرك حبائل الصيد.

١٦ ـ المكانة: المنزلة ورفعة الشأن

١٧ ـ الشانىء: المبغض مع عداوة وسوء خلق.

١٨ ـ راح عني: ذهب ومضى. ما راح رائحة: لم يجد رائحة.

بين حِمير وبني هاشم

وقال رحمه الله يمدح أميرَ المؤمنين عليًّا كرم الله وجهه؛ ويتحدّث بما أنعم الله عليه مِنَ الخُؤلة في بني هاشم وحُبّ آل محمّد :

١	حَدِّثاني عن «عليّ» حَدثاني	ودَعاني عَنْ فلانٍ وفلانِ؛
٢	وانظرا؛ هَلْ تَرَيا ما عِشْتما	غيرَه لِلْمصْطَفى المختارِ ثاني؟
٣	كيفَ أُخفي حبَّهُ؛ وهو الّذي	قرنَ الباري تعالَى بالقُرانِ؟
٤	إنّ ديني، واعْتقادي حُبُّه؛	ونَجاتي يومَ حَشْري، وأماني،
٥	أيّها السَّائِلُ عَنّي؛ جاهِلاً:	أنا مَنْ قد عَلِمَ الناسُ مكاني؛
٦	قَسَماً؛ لو لم يكنْ لي مَفْخَرٌ	غير حُبّي لِعَليٍّ.. لَكَفاني؛
٧	مَعَ أنّي في أعَالي ذروةٍ	كلَّ عَن غاياتها مَرْمَى العِيانِ؛
٨	أَنا؛ مَنْ أخوالُه مِنْ «هاشِمٍ»	ضُمَّر الحَلْبَةِ في يوم الرِّهانِ؛
٩	أنجبتْهُ «سادةٌ» مِنْ «حميرٍ»	يَنثَني عن فخرِهم كلُّ مُداني؛
١٠	أهلَ بيتِ المصْطفى؛ ودّي لكُم	دونَ أهلِ الأرضِ من قاصٍ وداني؛!
١١	لامَني قومٌ على مَدْحي لكم.،	وبه أحوي فراديسَ الجِنان..!
١٢	إن يكنْ مدحُ «عليٍّ» مُنكراً؛	فَمَنِ الأوْلى بأبكارِ المعاني؟
١٣	سوفَ أرعَى ما اسْتطالَ العُمرُ مِن	حُبّهِ؛ ما أَبوايَ استودعاني؛!
١٤	سأُوالي مِدَحي فيهِ، وفي	آلِه؛ ما مَلك النّطْقَ لِساني.

---

٧ - كلَّ عن غاياتها : تعب وأعيا .
٩ - ينثني : ينعطف ويرتدّ .

- ٣٩ -

من ترى غير «عليّ » ؟

وقال رحمه الله فيهِ وأنشدنيها مِراراً؛ وهي من أول ما قاله في أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

١ مَــنْ ترَى غيرَ «عليٍّ» كانَ صِنــواً لِلنَّبيِّ؟
٢ مَــن ترى؛ من بعــد خير الأنــبيا . . . خيرَ وصِيٍّ ؟
٣ مَــنْ ترى؛ فاز «بُخمٍّ» بالْفِخــارِ الأبــديِّ ؟
مَنْ تُرى ولاّه خير الرُّسْــلِ عنْ أمــرِ العليِّ
٥ مَــن ترى؛ كانَ إمــامَ الــخــلــقِ بالنصِّ الجلّيِّ ؟
٦ مَــنْ ترى ؛ السَّابــق في ديــن الــقَـديــمِ الأزلــيِّ ؟
٧ مَــن ترى قاتِــلَ عَمْرٍو؛ ذي الثبــات العامِــريِّ ؟
٨ منْ ترى آسر عمرو؛ عِنــدَ إحجــامِ الكميّ
٩ مَــنْ ترى رُدَّت لَــه الشّمْــسُ فتــىً. . . غير عَليّ ؟
١٠ مَن تراهُ . . حاط دينَ « الــمــصْــطفى » بالمشرفــيِّ ؟
١١ أَبِــهِ الملّة حيطَــتْ؟ أم «بتَيْــمٍ » و« عديٍّ » ؟
١٢ قُــلْ لَنــا ؛ فالأَمْــرُ إنْ أنْصفــتَنَا . . غيرُ خَفــيٍّ . . ؛

---

٧ ـ عمرو بن ودَ العامري .
٨ ـ عمرو بن معدي كرب .
١٠ ـ المشرفيّ : السيف المنسوب الى «مشارف» قرية باليمن .
١١ ـ الملّة : الدين .

- ٤٠ -

أيهّا السائلون عنّي مَهلاً !

وقال رحمه الله فيه كرم الله وجهه ويتجرّمُ لَه من أعدائه ويفْتَخر بما لَهُ مِن الخؤولة في بني هاشم، وبنسَبه الحميريّ، وشعره؛ وافتَتحها بالتجرّم من زمانه :

١ غيرُ مُسْتنكرٍ مِنَ الأَيَّام؛ ما أَرى مِن إهانتي واهْتِضَامي؛
٢ هكذا؛ لَمْ تَزَلْ تحطُّ الكرامَ الصّيدعَنْ رُتبةِ الخِساسِ اللّئامِ؛
٣ أخرّتْني - علَى نَباهَةِ قدري - عَنْ أُناسٍ عن المعالي .. نِيامِ؛
٤ وتَحَمَّلْتُ - في الحَداثةِ - من أحْداثها .. ما يهدُّ رُكْنَيْ شَمامِ؛
٥ غَير أنّي حملتُ نفساً أرتني لِقُنوعي أنّ الزّمان غلامي؛
٦ أَلِفَتْ نفسيَ القَناعةَ حتَّى لَيْسَ يُدْرى غِناي من إعدامي!
٧ لَسْتُ أرجو من الأنامِ نوالاً؛ إنّني في غِنىً بربِّ الأنامِ..!
٨ كيفَ تَرضَى بأن تُرى باذلاً ماءَ محيَّاكَ في يَسيرِ حُطَامٍ..؟
٩ لَيس فقرُ الكريمِ ينقص شيئاً مِن فخارِ الأَخوالِ والأَعْمام؛
١٠ أَيُّها السَّائلونَ عنّيَ.. مَهْلاً: أنا مِن نَبْعَةِ المليكِ الهُمَامِ؛
١١ «أَسْعد الكامل» ؛ الّذي كانَ في الشّرقِ ، وفي الغرب نافذ الأحكام؛
١٢ ذاك جدّي إذا افتخرتُ، وأخوالي «بنو هَاشمٍ» نجومُ الظَّلام،

٤ - الحداثة: أوائل الشباب و«شمام» اسم جبل مشهور.
٨ - الحطام : حطام الدنيا : ما فيها من مال كثير أو قليل يفنى ولا يبقى .
١٠ - النبعة : الأصل .

١٣ مَن ترى مِثلَ «أَسْعَدٍ» كانَ، أومَنْ ... مِثلَ قومي تراهُ في الأقوامِ ؟
١٤ أنَا مِن مَعْشَرٍ أتاحَهُمُ اللهُ.. لِنَصْرِ «النبيِّ» والإسلامِ
١٥ مِن أناسٍ كانوا ملوكَ البرايا؛ ... كلُّ كهْلٍ منهمْ؛ وكلّ غلامِ؛
١٦ ناصروا سيّدَ الأنامِ، وأفنَوا ... دونَه كلَّ ذابلٍ وحُسامِ؛
١٧ «حميريٌّ» لا تُنكِرِ الأنجمُ الزهرُ؛ إذا قلتُ: فوقهنّ مقامي!
١٨ وأبيٌّ، فلَو رأيتُ الدّنايا ... في منامي؛ إذاً هجرتُ منامي؛
١٩ وكريمٌ بما وجدتُ على فَقري - ... وكم باخلٍ بردّ السَّلامِ..!
٢٠ ولَعوبٌ بالشعرِ؛ يَستَنْزلُ العُصْمَ من الشاهِقِ الأشمّ كلامي؛
٢١ تَتَوقَّى نَوافِثي عُصَبُ «النَّصْبِ»؛ كأنّي أرميهمُ بسهامِ؛
٢٢ وكَفاني حُبّ «الوصيّ» فخاراً ... فهو إن أظلمَ السَّبيل أمامي؛
٢٣ لا تَلُمني؛ إذا مدحتُ «عَليًّا»؛ ... إنّ أولَى مَنْ لامني بالملامِ..!
٢٤ أنا في حُبّه لَعمركَ «عمَّارٌ»؛ ... فلِمْ لا أبْني بيوتَ نِظَامي..؟
٢٥ هاتِ، قلْ لي باللهِ: مَنْ كأبي «السِّبطين»؛ إن أَدْبَرَ الهزبْرُ المحامي؟
٢٦ بدرُ أفقِ الوغى؛ إذا ما استْهلّتْ ... بِرؤوسٍ من العداةِ، وهَامِ؛
٢٧ ضاربُ الْهامِ في الكريهَةِ؛ ثبتٌ ... يَتحاماهُ كلُّ جيشٍ لُهَامِ.!
٢٨ بِمَزيدِ الجلالِ - دُونَ البرايا - ... خصَّهُ ذُو الْجَلَالِ والأكرامِ.؛
٢٩ لَسْتُ أحْصي لِذي الجلال ثناءاً؛ ... إذْ هَدَانا بآلِ خير الأنامِ..

---

١٤ - في «ن»: لنصر الملوك والاسلام.
١٥ - الكهل: من كانت سنوّ عمره بين الثلاثين والخمسين.
١٦ - الذابل: الرمح.
١٩ - في «ن»: «بما وجدتُ على بُخلي» وهو خطأ ظاهر.
٢٠ - الشاهق: الجبل المرتفع.
٢١ - قصد بالنوافث قصائده.
٢٤ - عمّار بن ياسر رضي الله عنه.
٢٥ - أبو «السبطين» هو علي رضي الله عنه. والهزبر: الأسد.
٢٧ - اللّهام: الجيش العظيم كأنه يلتهم كل شيء.

٣٠ أذهَبَ الله عَنهمُ الرِّجسَ حتّى طُهِّروا من بواطنِ الآثام؛!

٣١ فَهُمُ السَّادةُ المطاعيم، والقادة، والصِّيدُ، والبحورُ الطَّوامي.؛

٣٢ إن دُعُوا؛ خِلْتَهم غيوثَ نوالٍ، أو دَعَوْا؛ خِلتَهم ليوثَ صدامٍ،!

٣٣ أخذوا دينَ ربِّهم عن أبيهِمْ لم يشيبوا حلالَهُ بحَرام..!

٣٤ مَن يكنْ ضَلَّ في الغرامِ؛ فأنّي ليسَ إلاّ لَهُمْ جعلتُ غرامي.؛

٣٥ فعَليهِمْ منّي التحيّةُ تبقى ببقاءِ الشّهورِ والأَعوامِ؛

٣٦ ....

٣٧ آه من غصّةٍ؛ تردّدُ في الحَلْقِ، وجُرحٍ بين الجوانح دامي؛

٣٨ لِلّذي جاءتِ «....» مِنْ غَدْرٍ شنيع أَوْهَى قُوى الإِسلامِ؛

٣٩ غدرةٌ أقدمَتْ عَلَيْها الأَذلّونَ، الأَقلّونَ ساعةَ الإِقدامِ.؛

٤٠ ....

٤١ يا لَها سبَّةً مدى الدَّهر شَنْعاء أَتَتْ مِنْ أولئكَ الأَغتام.

---

٣١ ـ المطاعيم جـ مطعام: وهو الكثير الأضياف. والطوامي من طما البحرُ: إذا امتلأ.
٣٧ ـ الغُصَّة جـ غصص: ما يغص به الانسان، والحزن والهم.
٤١ ـ في «ف»: «من أولئك الأقوام» والأغتم: من لا يفصح في كلامه.

- ٤١ -

خير الورى بعدَ النبي !

وقـال أيضـاً :

١ إنْ قيل: مَنْ خَيْرُ الورَى بعـدَ النَّبـيّ المُرْسَلِ ؟
٢ ومِـنِ المواسـي ، والمـواخِـي ، والمُـوالي ، والـولـيْ؟
٣ ومَـنِ الّـذي في الـرّوْع عَنْ أعـدائِـه لَمْ ينْكل ؟
٤ إن قيلَ: مَنْ ذا حازَ هَـذِي المكرمات؟ فَقُـلْ : «علي» ؛
٥ خَيرُ البـريّة، و« الإمـامُ » الـبرّ ؛ بالنصّ الجـلي ؛
٦ قَـدْ نَصَّهـا فيهِ « رسـولُ الله » ، عـن أمـرِ العَلي ؛
٧ «يومَ الغـديرِ» بمحفلٍ ؛ أعظـمْ بهِ من مَحْفِلِ ؛ !
٨ فثَنَتْـهُ عَنْهـا عُصْبَةٌ، جـاءَتْ بـأَمْـرٍ مُعْضلِ ؛
٩ ....
١٠ ....
١١ ....
١٢ ....

---

٣ ـ في «ف» : «عن أقرانه». ولم ينكل: لم ينكص ولم يجبن.
٨ ـ المعضل : المستغلَق الضيّق المخارج .

- ٤٢ -

أطراف الكرامَهْ ،

وأنشدني رحمه الله في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلّم :

١ يا آل «طٰـهَ» أنتُمُ؛ أهــلُ السَّيادةِ والزّعامَهْ،

٢ يهنيكمُ شرفُ الـنـبـوَّةِ. . . . والوصــايــةِ ، والأمامَهْ؛

٣ جَمَعَـتْ لكمْ هَذي الـثّــلاثُ الغُـرُّ؛ أطـرافَ الكرامَهْ؛

٤ بِـودادِكم أرجــو النَّجا، والأَمْــنَ؛ في يومِ القيامَهْ.

- ٤٣ -

محبّة الآل . . !

وأنشدني رضوان الله عليه :

١	إمامُنا «حيدرةٌ» أفضَلُ الأمــــةِ أُخْـراهــا ، وأُوْلاَهَا؛
٢	أحقُّها ـ من بَعدِ خير الورى بالسَّبق في الفَضْل، وأَوْلاَها؛
٣	وآلــه ؛ أكرمْ بهــمْ «عُتْرةً» شرّفَهــا الله ، وأعلاها ؛
٤	يا لائِمي ؛ لا تَلْحُ في زُمرةٍ مــن الهــدى؛ أن أتولاّها ؛
٥	مَحَبَّــةُ «الآلِ» حَياتــي ؛ فَما أَلَذَّهــا عنــدي ، وأَحْلاها . !
٦	فضــلٌ مِن الله ؛ حَبَانــي بِهِ؛ فَــلا تَلُمْنِــي . . ولُــمِ اللهَ!

---

٦ ـ حباني : أعطاني .

- ٤٤ -

حبٌ حتّى الشهادة ؛

وقال رحمه الله ؛ وأَحسَنَ وأجاد :

١ لكُمْ آلَ الرَّســولِ جعلــتُ ودّي   وذاكَ أجــلُّ أسْبــابِ السَّعادَهْ ؛

٢ ولَــوْ أنّــي استَطعــتُ لَزِدْتُ حُبًّا ؛   ولٰكِنْ ؛ لاَ سَبيل إلى الزِّيادَهْ ؛

٣ أعيشُ ؛ وحبُكُمْ فَرضِــي ونَفلي ؛   وأُحْشَــرُ ؛ وهــو في عُنقِــي قِلادَهْ ؛

٤ أُنَاضِــلُ عَنْ مكارِمِــكمْ لأنّي   كريمُ الأَصْــلِ ميمــونُ الولادهْ !

٥ أظــلُّ مجاهداً لحَليفِ «نَصبٍ» ؛   أَضَــلّ بِبغْضِــكم أبــداً رَشَادَهْ ؛

٦ فإن أَسْلَــم ؛ فَأجْــرُ لَمْ يَفتْنِي ؛   وَإنْ أُقْتَــلْ ؛ فتُهْنِيــني الشَّهادَهْ !*

---

* لقد كان الشاعر يتوقع الموت شهيداً ، وموته بالرّمد ولمّا يتجاوز الثلاثين يدل على أن قوماً ما ، كانوا قد ضاقوا بطموحه ونوافثه ذرعاً وذلك ديدنهم وإن لله جنوداً منها العسل كما قال شيخهم .

- ٤٥ -

خذوا بيدي . .

وأنشدني رضوانُ الله عليه :

١ خُذوا بيَدي في الحشْرِ؛ يا آلَ «أحمدٍ» فإنّي لَكُمْ ما طَالَ عُمْرِيَ خادِمُ!

٢ وعِنْدِي لِسَانٌ مُرهَفٌ إن سَلَلْتُهُ؛ غَدَتْ تَتَحَامَاهُ السّيوفُ الصَّوارمَ ،

٣ تَقَلَّدتُ مِنْه مُرهَفَ الحدِّ صَارِماً؛ أذبٌّ به عَنْ مجدِكمْ، وأصارمُ.

٣ ـ السيف المرهف : سيف محدد مرقق الحد . وأصارم؛ أي أقاطع .

- ٤٦ -

يا آل طـــه . . .

وأنشدني رضوان الله عليه، وهما من أوّل شعره:

١	مَدْحِـي لكم؛ يا آلَ «طهَ» مَذْهبي	وبــهِ أفُــوزُ لَدى الإِلَهِ، وأُفلحُ؛
٢	وأودُّ - من حُبّــي لكُمْ - لو أنّ لي	في كلِّ جارحــةٍ لسَانــاً يَمْدَحُ. !

- ٤٧ -

يا بني المختار . .

وأنشدني رضوان الله عليه :

١ يا بنـــي «المخْتــارِ» مِن «مضَرٍ» كلِّهــا «والعُتْــرة» البرَرَهُ؛
٢ لَيْسَ يُخْفِـي فَضْلَـكم أَحَدٌ . . غيرُ مَنْ أعْمَـى الهــوَى بَصَرَهْ؛

- ٤٨ -

هَــلْ أتى ؟

وأنشدني رضوان الله عليه :

١	يا مُنــكِراً فَضــلَ بنــي «أَحمدٍ»	كُنْ لِلّــذي تَسْمعُــهُ مُنْصِتا:
٢	هَل خاتــم الرُّسْــلِ سِوى جدِّهمْ؟	وهَلْ أتَـى في غيرِهــم: «هَـل أتى»؟!



---

٢ ـ «هل أتى على الإنسان «حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا» أول آية في سورة الدهر.

- ٤٩ -

الفقر . . وأهل البيت . !

وقال رحمه الله؛ وقد بلغه أنّ بعض «النّاصبة». قالَ فيه لَمّا لزمَهُ دَينٌ في المكارم: «ما رَبحَ إلاّ الفقْرَ من حُب علي»! . :

١ قالــوا : إلام تَحُــبّ آلَ «محمدٍ» وتَضَــلّ مَشغوفــاً بِهِــمْ وتَبيتُ؟

٢ فأجبتُهــم : كفّــوا المــلامَ فإنّني أُرْشِـدتُ نهـجَ وِدادهِــمْ؛ فَهُديتُ؛

٣ قالــوا : فإنَّ الفَقْــرَ حَظُّ مُحبّهِمْ؛ أرضيتَ؟ قلتُ:نعمْ؛رَضيتُ، رضيتُ؛

٤ إنّــي ملــكتُ ذَخائــراً أَحْرَزْتُها؛ مِنْ «كيمياء» ودَادهــمْ. . فَغَنِيتُ!

٥ فدَعوا الملامَ؛ فقـد أهـبَّ بمهجَتي؛ داعي الهُـدَى، فَأجبْـتُ حِينَ دُعيتُ.

---

١ ـ المشغوف : المجنون حبا .

- ٥٠ -

المودّة في القُربى

وقال رحمه الله :

١ بودادِ آل «محمدٍ» وولائِهِمْ أمْشي غداً في الحَشرِ تَحت لِوائِهِمْ؛

٢ حَسْبي مفَازاً؛ أنّني وَاليتُ مَنْ وَالاهُمُ، وبرئْتُ مِن أعدائِهِمْ؛

٣ لا زِلتُ أنظمُ فيهمُ دُرَّ الثنا؛ وأقَلّدُ الأَمْداحَ جيدَ علائِهم؛

٤ سِيَما «أمير المؤمنين»؛ فَإنّهُ بيكار نُقطتِهمْ، وبدرُ سَمائِهم.

---

٤ ـ البيكار ، والبركار : آلة ذات ساقين لرسم الدوائر . ولعلّه أراد «نقطة بيكارهم» .

- ٥١ -

هدى من الله

وقال رحمه الله :

١ حـبّ «علـيٍّ» وَبَنِيهِ ...... الطُّهـرِ أَهْـلِ الرَّشَدِ
٢ فَـرضٌ علـى كلّ الورَى؛ مِـن والـدٍ وَولَدِ؛
٣ لـو أَبْغَضَـتْهُـمْ مُهْجتي.. أخْرَجتُهـا من جَسَدي؛
٤ ولَـو عَصَـتْ فيهـمْ يدي أَبَنْتَهـا عَنْ عَضُدي؛
٥ هُـدىً مِنَ اللهِ، ومَنْ يَهـدي الإلـهُ يَهتَدي.

- ٥٢ -

فآهٍ لَهَا عثرة . . !

وقال رحمه الله يذكرُ سبقَ أميرِ المؤمنين . . . .

١ أغير أَبــي السِّبــطِ لِلْمصْطَفى أجــابَ ولَبَّــاه لمَّــا دَعَا؟

٢ وَصلَّــى ؛ وكلّهــمُ مشركٌ؛ وزَكّى بخَاتِمِــه راكِعا؟

٣ وقَــدْ كان لِلْمصطفــى ثانياً؛ فَلِــمْ جعلــوهُ لَهُــمْ أربعا؟

٤ . . . .

٥ علامَ إلى الــذّكرِ لم تَرْجعَا غَــدَاةَ الخِــلاف، ولــم تَفْزَعا؟

٦ كأنّكمــا لِحَــديثِ «الغَديرِ» . . وعَقْــد الــولاَيةِ لم تَسْمَعا . !

٧ ظلَمْتُــمْ نبــيَّ الهــدى أجرَهُ وقتّلتُــمْ أَهْلَــه أجْمَعَا . . !

٨ رعــاكُمْ ؛ ولَــم يألُ في هَدْيكمْ؛ فَهَــلاّ رعَيْتُــمْ له ما رَعَى؟

٩ وكيفَ غَدَا حقّــه فيكم ولَــم تَبْــلُ أَعْظمُــهُ ضَائِعا؟

١٠ فَرعتُــم مَنابــرَ لم تَرْتضي سِــوى « حَيْدَرٍ» منــكمُ فارعا؛

١١ فآهٍ لهَــا عثــرةً مِنكمُ؛ أقــولُ إذا ذُكِرَتْ: لا لَعا . !

١٢ فلا رَحِــمَ الله من قد غدا لأَرحــامِ خــيرِ الــوَرى قَاطِعَا!

---

٥ - في النسختين «ن » و «ف » : « ولم تَفرعا » بالرّاء المهملة .

٧ - يشير إلى الآية : «قل لاَ أسألكُم عليهِ أجْرًا إلاّ المودّة في القُربى » .

٨ - ألا يألو في الأمر : قصّر وأبطأ .

١٠ - فرع : صعدَ .

١١ - العثرة : السقطة : ويقال للعاثر : « لعاً لك » دعاء له ، و« لا لعاً لك» دعاء عليه ، أي لا أنعشك الله ولا أقامك من عثرتك .

- ٥٣ -

الموتُ حقّ

وقال وهي من آخر شِعره :*

١	المــوتُ حقٌّ فاستَعَدّ	وجــدّ؛ إن الأَمرَ جِدْ؛
٢	واعلَــمْ بأن الله لا . .	يُخلفُ حَقــاً ما وَعَدْ؛
٣	ســوف تُرى عَمَّـا قريبٍ	وارداً فيمــن وَرَدْ؛
٤	لازِمْ بَنــي « المختــار » إنّ . .	مَــنْ يُلازِمهــم سعِدْ!

* في «ف» أورد قبل هذه القطعة أبياتاً مطلعها: «أَبَعْد مديح جدّكمُ» وهي في «ن» متأخرة رقم - ٧١ -
٢ - في «ف»: مَا يعِدْ.

- ٥٤ -

الزيديّة . . !

وخرجت - أنا وهو - ليلةً بعد العشاء الأَخيرة من مسجد «نُصَير » بصنعاء المحروسة ونحن نتذاكر الأحاديث المرويّة في فَضْل إمامنا الأعظم أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم ؛ الدّالّة على أن «الفِرقة النّاجية » هي الّتي اتّبعته ودانت بدينِه؛ قولاً وفعلاً واعتقادا فقلتُ :

أَلِيَّةٌ ألــيَّــهْ؛ بِبــارىءِ البريَّــهْ؛*
أنَّ الجنــان زُخْرِفَتْ لِمَعْشَـرِ « الزيديَّهْ » .

فقال مجيزاً :

١ وأنّ كُلَّ الحــقّ عِــنــدَ «العتْــرةِ» الزكيّهْ؛
٢ هُــمْ قادتــي وسَادتي وأسْوتــي المرضِيّهْ؛
٣ أَمَّــا سواهُــم فــأبــتْــهُ نَفْســيَ الأَبيَّهْ.

---

* الألّيــة : القسم .

٢ - (٥) الإسوة: القدوة.

ـ ٥٥ ـ

حُبٌّ في الله !

وأخبرني ؛ أنّه خرج يوماً هو والقاضي الأكرم ، واسطة عقد الشيعة المنظَّمْ ، بدر الدين محمد[٥] بن صالح بن محمد بن أبي الرّجال عافاه الله إلى « البَرِّية » فقال القاضي محمد مرتجلاً :

لاَ تُكثِّرْ ـ فدَتكَ نَفْسي عتابي، ودع الخَوضَ في الهَوى والتَّصابي؛

شنِّفِ السَّمعَ لي بذكْر «عليٍّ» خير مَاشٍ يسيرُ فوق التُّراب؛*

وبَنِيهِ؛ فَهُمْ أولُو الْفَضْلِ حقًّا؛ سَلْ بهذَا ـ إن شِئْت ـ أيَّ كِتاب .

قال رحمه الله : فقلتُ مجيزاً مرتجلاً :

١ يا لَهُمْ سادةً أبانَ بهِمْ بَارِي البرايا لِلْخلْقِ نهجَ الصَّوابِ؛

٢ وعد الله من يُحبّهم الفوزَ ؛ بِحُسْنِ الثواب يوم الحِساب؛

٣ فهنيئاً لَهُمْ؛ بما وعد اللهُ، وطُوبى لَهُمْ، وحُسنُ مآبِ .

ولَمَّا أَسْمَعني ذلك قلتُ مجيزاً مُرتجلاً :

. . . .

أَسَّسُوا ...... لِكُلّ كفورٍ ظالمٍ؛ لا يَخَافُ يومَ العقابِ؛

فَبِهِمْ «حَيْدرٌ» أُصِيبَ، ونَجْلاَهُ، وَ «زَيدٌ»، وكلُّ دَاعٍ مَجابِ

---

(٥) راجع ترجمته: في أعلام الديوان.

. . . .

* هكذا في النسختين : وكأنّي به قد قال

شنّف السمع لي بذكر عليٍّ خير ماشٍ قد سارَ فوق التراب!

وبنيه فهم أولو الفضل حقًّا سَلْ بهذا ـ إن شئت ـ آي الكتاب:

- ٥٦ - توسّل شيعي !

وهذه الأبيات الأوّل منها للقاضي شرف الدّين الحسين بن صالح بن أبي الرجـال[٦] ؛ والبيتان اللّذان بعده لي ، والرّابع لِلْقاضي زيد بن صالح بن أبـي الرجال[٧] ؛ والبيتان الأخيران لِلصنو شرف الدّين الحسن بن علي الهبل غفر الله للجميع :

بِحُـبّ «الرَّسـول» ، وحُـبٍّ «البتولِ» . . . . و«سِبْطَيهمـا» ، و« عَلـيّ» الرِضَى ؛
و«زَيدٍ» إمـامِ بنـي المصطفى وسيفهِـمُ القاطـعِ المنتضَى ؛
و«عُتـرةٍ» خيرِ الـورى من قضَى سـعيداً على مَنهـج المرْتَضَى ؛
يكونُ لِبَاسـيَ يوم القضا بـدار النّعيم ثيابُ الرّضا ؛

١ إلاهـي ؛ بهـمْ جُدْ بعفْـوٍ علَىَ أَسيرٍ ؛ بهِ ضَاقَ رحـبُ الفَضا ؛
٢ أقِـلْ عثرتـي ، واغتفِـرْ زَلّتي وقُـلْ لي : عفَـا الله عمّـا مَضى !

---

(٦) و(٧) راجع ترجمته في : أعلام الديوان

. . . .

١ - في «ن» : « أسيرِ بهمْ » وهو خطأ ظاهر .

- ٥٧ -

العَونُ والغوث

وهذه الأبيات ؛ الأوّلُ منها لِلقاضي حسين بن صالح ، والثّاني لأخيه زيد بن صالح ، والثلاثة الّتي بعد الثاني للصنو الحسن بن علي ، والبيتان الأخيران لي :

بِحُبِّ «المصطفى» المختارِ... قلْبي مغرمٌ ، مُغْرى ؛*
وحُبّ «عليّ» الفَاروق ، و«السّبطين» و«الزّهرا» ؛

١ وحُبّ أبي الحسين ؛ إمامِ آلِ المصْطفى طُرّا ؛
٢ هُمُ ذخري ؛ إذا مسّتْني البأساءُ ، والضرّا... ،
٣ وهُمْ عَوْنيَ في الأُولى، وهُمْ غَوثيَ في الأُخْرى ؛
بِحبّهمُ يحطّ اللهُ... عَنّي الذّنبَ ، والوِزْرا ؛
ويُسْكنني جَناناً ؛ لا أجوعُ بها ، ولاَ أعْرى .

---

* مغرى : مولع .

- ٥٨ -

قفوتُ زيداً إمام الحق . !

وَجَرَتْ بينَهُ وبينَ بعض أَهْلِ زمانه مراجعةٌ في الكلام فيمنْ تقدّم أمير المؤمنين « عليًّا » صلوات الله عليه ، وفي مَسائل فروعيّه ؛ ولمّا انْفصَل من ذلك المجلس كتب رسالةً إلى ذلك الرجل جاء منها :

- «ولَيَعْلَمْ أطال الله بقاه ، وكتبَ لنا جميعاً الفَوزَ بِالنّجاه* يوم لقاه ؛ أنّا بعون الله وتوفيقِه ، عن طريقةِ إمامِنا الأعظمِ أمير المؤمنين أبي الحُسين زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام وطريقِه، لا نميلُ ، وإن كثُر فينا القَالُ والقيل ، وصدّنا ذو الجَهْل عن سواء السَّبيل » .

١	هَيْهَـات ذلك دِينٌ لا أُفارقُه	حتَّى أجيءَ غداً في زُمْـرة الشُّهدا ؛
٢	حَتّـامَ يعْتَادنـي التَّقليدُ بينكمُ ؛	مَضَـى زمانـيَ ما آنسـتُ نارَ هُدَى ؛
٣	فاليوم أَحْمَـدُ خلاّقـي ، وأشكره	شكراً به أستزيدُ الفَضلَ ، والمدَدا . ؛
٤	إذْ مِن غطَامِطِ بَحْـر الجهـلِ أنقذني	فَضـلاً ، ووفّقني سُبحانَـه ، وهَدى ،
٥	أصبحـتُ أرجـو بِسَـعْيي في خِلاَفِكمُ	مَعيشَـةً رَغـداً ؛ عنـد النبـيّ غَدا ؛
٦	كَمْ عاكِفٍ فوقَ سفـرٍ ظلَّ يعبدُهُ ؛	أيامُـهُ ولَياليهِ تَمُـرُّ سُدَى ؛
٧	إنّـي رضيتُ كِتـاب الله لي بدلاً	مـن كلّ فَدْمٍ علـى الآراء قد جَمَدا !
٨	ومـا رواهُ عن المختـار «حيدرةٌ»	حَسْبي به ؛ إنّ فيه الهَـدي والرَشَدا ؛

*في «ن » : « القول بالنجّاه» وهو غلط .

٤ - غطمط البحر : عظمت أمواجه ، وبحر غُطامط : عظيم الأمواج .

٧ - الفدم : العيّ عن الكلام والأحمق .

٩ قَفَوتُ زيْداً إمامَ الحقِّ متّبعاً طريقَهُ، لَسْتُ أقْفُو دُونَهُ أَحَدا؛

١٠ فَقَصِّروا عن ملامي؛ إنّني رجلٌ لا أرتضي غيرَهُ ديناً، ومعتَقَدا؛

١١ واللهِ؛ لو أنّ روحي دونه تَلِفَتْ، لاَ حلْتُ عَنْه، ولا فَارقتُه أبَدا.



---

٩ ـ قفي: اتبع.
١١ ـ حال يحول: تحوّل وانقلب.

- ٥٩ -

خفتُ أن لا أوفّيه . !

وقال رحمه الله وقد عاتبتهُ على عدمِ مديحه للأمام «زيد» بن علي بقصيدةٍ طويلة قبلَ مديحه له بالقصيدتين السَّابقتين :

١ يقولُـون : «زَيدٌ» لِمْ تَركْتَ مديحَهُ، وقـد ظَهَـرتْ مثـل النجـومِ معاليهِ؟

٢ فقلـتُ لهـم : ما ذاكَ جهـلاً لِحقّهِ عَلَـيَّ؛ ولـكنْ خِفـتُ أن لا أوفّيه؛

٣ ومـاذا عَسَـى المـدَّاحُ فيه يقولُهُ؛ وكلّ غلـوٍّ فيه؛ دون الّـذي فيه!؟

---

١ ـ وردَت الأبيات رقم ـ ٥٩ ـ متقدّمة في «ف» والشطر في البيت الأول هكذا: «يقولون زيدٌ لم تُطل في مديحه» وفي البيت الثاني هكذا: «فقلت لهم: ما ذاكَ جهلٌ لما حوى. . . وحازَ الخ.

- ٦٠ -

مدح زيد

وقال رحمه الله :

١ إذا أنا لم أصغْ في مدحِ «زيد» قلائدَ في العشيّ، وفي الغدوِّ؛

فقلتُ مجيزاً :

فلا رفَع المهيمنُ لي مناراً ولا نِلْتُ المرامَ من العُلوّ؛

ومَهما قلتُ فيه فلا أبالي؛ لأنّي قد أمنتُ مِن الغُلُوِّ!

١ ـ هذا البيت في القطعة رقم ـ ٦٠ ـ والقطع رقم ٦١ ـ ٦٢ ـ و٦٣ ـ شطبت في النسخة «ف» من قبل أحد القرّاء.

- ٦١ -

النصُّ كالشّمس . !

وقال رحمه الله :

١ يا معشرَ «النصّاب» لا نِلتمْ غداً ... مِنْ رحمة اللهِ العَليّ نَصيبا؛

٢ كم ذا إلى آل النبيّ محمدٍ ... أَضْحتْ عقاربكم تدبُّ دبيبا؟

٣ عَمداً تناسيتُم مقالةَ أحمدٍ، ... إذ قامَ في يوم «الغديرِ» خطيبا!

٤ الحقّ مُتّضحٌ، ولكنّ الشّقا ... أَعْمَى بصائِرَ منكُم وقلوبا؛

٥ والنصّ مثلُ الشمسِ لا يَخْفَى ولا ... يضْحي بغيمِ عنادِكم محجوبا!

---

٥ ـ أضحى يضحى : صار يصير .

- ٦٢ -

جدل مرير . . !

وقال رحمه الله :

١	. . . .	. . . .
٢	. . . .	. . . .
٣	. . . .	. . . .
٤	. . . .	. . . .
٥	. . . .	. . . .

- ٦٣ -

تَلَقُّف . !*

وقال رحمه الله يشير إلى قول عمرو بن العاص في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : « إن فيه دُعابة » وإن الذي سبقه إلى قول ذلك هُو عُمر بن الخطَّاب (رضي الله عنه) .

١ ألاَ تعجبَــنْ «لِعَمْــرٍو» وقَدْ رمَى بالدُّعابــةِ خَيرَ البَشَرْ؟

٢ ولــم يَخْتَرِعْهــا . . . ولكنَّه تَلَقّفَهــا عَنْ أخيهِ «عُمَرْ»!



*حذفنا التقديم من جامع الديوان للبيتين رقم - ٦٣ -

١ - الدُعابة : المداعبة ، أي اللعب والمزح .

- ٦٤ - شيمة . . ! *

وقال؛ وأنشدنيها في شهر شوال سنة ١٠٧٨ هـ.

١ . . . .

٢ . . . .

٣ . . . .

٤ . . . .

* حذفنا مقدّمة جامع الديوان والأبيات لأن فيها ما لا يليق نشره وما توفي صاحب التقديم إلاّ وقد تاب عن مثل هذا وانظر ترجمته .

- ٦٥ -

قالوا . . . وقلت !

وقال :

١ قالوا :«ذكرت» «أبا بكر» ! فقلتُ لَهُمْ : لا غافلاً أبداً عنْهُ، ولاَ لاهي . !

٢ قالوا : كذاكَ «أَباحَفْصٍ»، وصَاحبَه ؛ «عثمان» ! قلتُ : نعمْ ؛ والحمدُ لله ؛



١ ـ أبدلت كلمة في البيت تكريماً للهبل وكذلك فعلت في البيتين رقم ـ ٦٦ ـ وأما الأبيات رقم ـ ٦٧ ـ فإنها سخيفة فحذفتها وكذلك بيتي علي الآنسي التي ذيلها الهبل بالبيتين رقم ـ ٦٨ ـ كما فعلت ذلك في الأشباه والنظائر خدمة للحق وتنزيها للديوان، وقد لا يرضى عن ذلك «الحرفيّون» لكنّي قد أرضيت ضميري وفي وسع من يعاند الرجوع إلى «المخطوطات».

- ٦٦ -

لا منكرٌ . . . ولا ناهي . .

وقال :

١ قالوا: أتُنكِرُ ذِكْرَ «الشَّيخ»؟ قلتُ لَهُمْ: لا منـــكرٌ ذكره يومـــاً، ولا ناهي!

٢ وإنّ «ذِكْر» أبـــي حفْصٍ، وصاحِبِهِ؛ «عثمان» يَعْلُـو بهِ يومَ اللِّقَا جاهي!



- ٦٧ -

اعجال «الصوفي» !

وقال :

١ ....
٢ ....
٣ ....

- ٦٨ -

رضيتُ عليّا . .

وأنشده السيّد جمال الدين علي بن أحمد بن محمد الآنسي لِنَفْسِهِ :

. . . .
. . . .

فقالَ مذيّلاً :

١ إنّـــي رضيتُ «عَليًّا» دونَ البــرايا إماما ؛

٢ الحمــد للهِ أنّي ؛ مـا كنتُ مِمَّـنْ تَعامَى !

- ٦٩ -
عجبتُ من «الفعلاء» !

وقال وأنشدَنيها يوم «عاشورا» الجمعة سنة ١٠٧٨هـ بمسجد الإمام صلاح الدين محمد ابن علي عليه السلام؛

١ عَجِبتُ مِنَ «الفعلاء» إذْ حُدِيَتْ بها ... إلى حَرْب خيرِ الأَوصياء الطلائح!

٢ أَتَتْ نحوه ركضاً يحفّ بِرَحْلِهَا؛ ... من القومِ غادٍ في الفعال ورائحُ؛

٣ وَقَدْ أُمِرَتْ؛ أن لا تُفارق بيتَها؛ ... فَسَارتْ لأَبطالِ الحروب تكافِحُ؛

٤ تُوبّخُها حتى «الكَلابُ» لِفِعْلِها . ؛ ... وتُنصحُ؛ لو أجدتْ هناك النّصائحُ؛

٥ فيا عَجَبَا مِمَّنْ يُحسِّنُ فِعْلَهَا؛ ... وقد لامَها؛ حتّى الكلابُ «النَّوابحُ»!

---

١ ـ حدا الإبل وبالإبل: ساقها، وغنّى لها، طَلَحَ البعيرُ: أعيا، وتعب، والطلائح جـ طليح: التعِب المُعيي.

- ٧٠ -

بأبي أنتَ!

وقال . . يُخاطبُ أمير المؤمنين ، ويذكر استشهاده :

١	يا أخـا «المصطفـى» الّذي	لِسَمـاء العُلَـى سَمَكْ؛
٢	بأبـي أنـتَ مَا أَجَلّكَ	قَـدْراً ، وأعْـظَمَـكْ!
٣	. . . .	. . . .
٤	. . . .	. . . .
٥	ذلكَ الجـورُ والشّقـاقُ ؛	اسْتحلّـوا بهِ دمَكْ!
٦	حَسَـداً مِنْهـمُ لِنَـصٍّ	بـهِ اللهُ أكرمكْ،
٧	فَلِـذاكَ «ابـنُ ملجمٍ»	بشَبَـا السَّيفِ أَلْجمَكْ . . !

---

١ - سمك : رفع .

- ٧١ -

إني تارك فيكم . . .

وقال رحمه الله في آل محمدﷺ .

١ أبعــدُ مديحِ جَدِّكمُ؛ أرى أنّــي أوفّيكمْ.؟!

٢ تــركتُ مَديحــكمْ مِنْ أجـ ـلِ: «إنّــي تاركٌ فيكم»؛

٣ ولكنّــي لِمَحْضِ الودّ دون النّــاس أصفيكمْ.



فَصْلٌ

فيما مَدَحَ به وكاتبَ وراسلَ وخاطب مُعاصريه من أَهلِ بيت المصْطَفى صلى الله عليه وآله وسلم .

- ٧٢ -

تهنئة المتوكّل ؛

قال يمدح إمام زمانه أمير المؤمنين المتوكّل على الله اسماعيل[٨] ابن الامام المنصور بالله القاسم بن مُحمّد بن علي ويُهنّئه بعيد النّحر سنة ثلاث وسبعين وألف «١٠٧٣هـ» وأرسلها إليه من صنعاء إلى شهاره :

١ وافــاكَ يصحبُـهُ الإسْعـادُ والظَّفَرُ ... عيدٌ به سُحُـبُ الإقبـال تَنْهمِرُ؛

٢ فالْبَسْ بهِ حُلَلَ المجـدِ المؤثّـل لا ... يَعْـرُو فُؤادكَ لا بُؤْسٌ ولا ضَجَرُ؛

٣ واحكُمْ مطاعاً بمـا تَهْوى على زمنٍ ؛ ... أيّامُ مُلْـكِكَ في أيّامِـه غُرَرُ؛

٤ واستقبـل الملكَ مُخضـرًّا جوانبُهُ؛ ... يَزْهـو ويُزْهـر حُسْنـاً عِطفُـه النَّضِرُ؛

٥ ولا برحــتَ قرير العينِ مُمْتَدَحاً؛ ... تأتــي إليك الأَمانــي وهــي تَعْتَذِرُ!

٦ يَعْنــو لِفضــلكَ مَنْ في أنفِــه شمَمٌ؛ ... طوعـاً، ويَسْجـدُ مَن في خدهِ صَعَرُ؛

٧ تَرْقَــى إلى فلكِ العَلياءِ مُرْتَفِعاً ... عِزًّا، ويَجْري علَى ما تشتهـي القَدَرُ؛

٨ الحمــدُ للهِ؛ وجــهُ السّعْـدِ مُقْبِلٌ ... كمـا تشـاء، وقَلـبُ النّحْسِ مُنْكسِرُ!

---

٨ - راجع ترجمته في : أعلام الديوان

....

٢ - المؤثل :أثُل، وأثل: تأصل في الشرف فهو أثيل ، ومؤثّل . وعَرا يعرو : ألمَّ به .
٤ - العطف من كل شيء : الجانب . والنضير : الجميل الحسن الرونق .
٦ - يعنو : يخضع ، والصَّعَر : من صعَّر خده : إذا أماله تهاونا وكبرا .
٨ - في «ب» : « كما تحب » .

٩	يا نعمــةً بكَ لا نَسْـطيعُ نشكرها،	فـي جَنْبهـا سيِّئـاتُ الدَّهـر تُغْتَفرُ؛
١٠	أخفْيتَ ذِكرَ ملـوكِ الأرضِ قاطبَةً؛	إنّ الـكواكبَ يُخفـي ضوءَهـا القمرُ!
١١	تكبُّـو جيادُ المعالـي دونَ غايتِها؛	وأنـتَ تبلُـغُ أقصَاهـا . . وتَنْتظِرُ؛
١٢	وكيفَ يُدْرِكُ ما أصبَحْـتَ مُدْرِكَهُ	بِطـول باعِـكَ مَن في باعِـهِ قِصَرُ. ؟
١٣	والنّـاسُ دُونَـك جسـمٌ لا حياةَ به؛	وأنتَ رُوحُ العُلَى والسَّمعُ والبَصَرُ؛
١٤	وكلّ مَعْنـىً فخيم مِنـكَ مُكتَسَبٌ؛	منكَ المعاني ومن أقرانِكَ الصّورُ؛!
١٥	كادَتْ تُحـاكِيكَ كفُّ المـزْنِ هَاطِلةً،	والبحرُ جوداً ، ويَحكي خُلقكَ الزّهَرُ؛
١٦	هَيهات هيهات؛ وجْهُ الفَرْقِ مُتّضحٌ؛	والصّبـح لا يختفـي عَمّـنْ لَهُ نَظَرُ!
١٧	أيُشْبِـهُ البحـرُ والأَنْوا يديك، وقَدْ	جـادَتْ ومـا كانَ لا بحـرٌ ولا مَطرُ؟
١٨	قُلْ لِلْمغَالينَ في العلياء: حَسْبكُمُ . .	فقد حَمَى سَوْحَها الصَّمصامَةُ الهَصِرُ!
١٩	وقـد تكفّـلَ أرزاقَ الـورى مَلكٌ،	مُسَـوّدٌ، في يَديْهِ النَّفـعُ والضَّررُ؛
٢٠	لاَ تُكْثِروا في اكْتِساب الفخرِ سَعْيَكُمُ؛	فمـا لِغَيرِ إمـامِ الحَـقّ مُفتَخَرُ!
٢١	وخَلِّفـوا البيضَ في الأجفـانِ مُغمدةً؛	فإنّهـا لِسَـواهُ ليسَ تأتَمِرُ. . !
٢٢	مَلكٌ يجـودُ؛ وكفّ القطـرِ حابسَةٌ،	ويستْهِـلّ ونـار الحـرب تَسْتَعِرُ؛
٢٣	أيّامُ دَوْلَتـهِ غُرٌّ مُحجَّلَةٌ؛	على معاطفهـا من عَدْلِـهِ حِبَرُ
٢٤	لَو لاَذَتِ الغِيدُ من خَوفِ المشيب بهِ	إذاً . . لَمَـا مَسَّهُـنَّ الشيبُ والكِبَرُ!
٢٥	لو كانَ صَارِمُـهُ عونـاً «لفاطمةٍ»	لم يغتَصِبْهـا «أبـو بكرٍ»، ولا «عُمَرُ»!
٢٦	يا جنّةَ الخُلْـدِ؛ وافاهـا الـورى فرأوا	فوقَ الّذي سَمعوامنها؛ الّذي نَظَروا. !
٢٧	رأتـكَ فوقَ ادّعـاء السَّمـع أعينُهم؛	ورُبّ خُبـرٍ لَديهِ يَصغُـرُ الخَبَرُ!

١٤ ـ في «ب» : «ومن اعداءك» والفخيمُ : الفخم العظيم القدر .
١٥ ـ المزن : السحاب أو ذو الماء منه .
١٧ ـ النوء جـ أنواء : المطر . والقصر للضرورة .
١٨ ـ الصمصامة : السيف لا ينثني ، والهصِرُ : الأسد المفترس .
٢٢ ـ استهل الوجه : تلألأ فرحاً .
٢٣ ـ محجّلة : مشهورة ، والحِبَرُ : ضربٌ من برود اليمن .
٢٤ ـ الغيد جـ غيداء : المرأة اللينة البينة الغيد . والغيدَ : النعومة .
٢٦ ـ وافى : أتى .

٢٨ ما زلْـتَ سيفـاً لدين الله منصلتاً؛ إذا تقلَّـده الإسـلامُ ينتصِرُ؛
٢٩ كَمْ معشرٍ نَقَضـوا ميثاقَهُـمْ، وبغوا، أذقْتَهُـمْ غِبَّ ما خانـوا ومـا غَدَرُوا؛
٣٠ جاؤا لِحربـكَ من خوفٍ ومـن حذرٍ؛ كذَا على الأُسدِ خَوْفـاً تقـدمُ الحُمُرُ!
٣١ قتلْـتَ حاضرَهـم ضربـاً، وغائِبَهمْ خوفاً ؛ فسيَّان، إنّ غابوا وإنْ حَضَروا ؛
٣٢ أصْلَيْتَهُـمْ جمـراتٍ من سيوفـكِ لا تُبقـي على أحـدٍ منهـمْ، ولا تَذرُ. !
٣٣ نغَّصْـتَ في هذه الـدّنيا معيشتَهُمْ؛ ومُستقرّهُـمِ مِن بَعْدِهـا سَقَرُ؛
٣٤ فرّوا حذاراً؛ وهـل يثنيكَ وَيْلَهُمُ فِرارُهـمْ عَنـك؟ أَوْ يُغنيهـمُ الْحَذرُ ؟
٣٥ شرّدْتَهُـمْ في الفَـلاَ حَتَّـى لو اعترضَتْ لهم جهنَّـمُ في نيرانهـا عَبَروا. . !
٣٦ وَدُّوا ـ وحاشاك ـ أن ترضَى ومَن لهمُ؛ أن يَجعَلوا لكَ ما صَلَّوا، وما نَحَروا؟
٣٧ وهَـكَذا لَم تَزَلْ في كُلّ مَلْحمَةٍ غـرّاء يُسْعِـدُكَ الإقبـالُ والظَّفَرُ!
٣٨ حتّـى أضـاء مُحيًّا الـدّين مُبتَلِجاً، وزالَ عن مُقلَتيهِ السوءُ والضَّرَرُ؛
٣٩ يا ناثـرَ الـدرِّ؛ إن وافـاهُ مُمتَدحٌ، ومَـنْ لِتاجٍ عَلاهُ تُنْظَـمُ الدّرَرُ؛
٤٠ قد حبَّر النّاسُ فيكَ المدحَ واجْتَهدوا، وعنـك قصَّـر ما قالـوا، ومـا شَعُروا!
٤١ وقَـدْ مُدِحـتَ بآي الـذّكرِ مُحكمةً؛ فمـا عَسَى قدرُ مَا تأْتـي بهِ الفِكَرُ!؟
٤٢ هَيْهات أن يَدّعي حَصراً لِفضْلِك مَنْ قد كانَ يعْجِـزُهُ مِنْ وَصفِـكَ العشرُ!
٤٣ فلا تُكلّفْهُـم ما لا يُطـاقُ، وعُذْ بفَضْل صَفحِك، واعذِرْ؛ إنّهُـمْ بَشرُ!
٤٤ وانْعـمْ بمقـدمِ عيدِ النّحـرِ؛ يا مَلكاً يخـافُ سطوتَـهُ الصَّمصامـةُ الذّكرُ؛
٤٥ وافَـى يجـرّرُ أَذْيالَ السّـرور لِكيْ يفـوزَ مِنـكَ ببـرٍّ ليس يَنْحَصِرُ؛
٤٦ واحمَـدْ إلاهـكَ واشـكرهُ فَقَـدْ وعَدَ العِبادَ مِنْهُ مَزِيدَ الْفَضْلِ إنْ شكروا؛
٤٧ واسْتجْلِهـا بنـتَ فكرٍ لا يُقَـاسُ بها؛ يكاد يخجَـلُ مِنهـا المنـدَل العَطِرُ. .

---

٣٣ ـ نغَّصَ : كدَّر . وسقر : جهنم .
٣٨ ـ المبتلج : الوضاء المشرق .
٤٠ ـ في «ف» : «ما قالوا وما ذكروا» . وحبّر : حسّن وزيّن .
٤٧ ـ في «ن» : «يكاد يخجلُ منه» والمندل : العود الطيب الرائحة .

٤٨ وابْسُطْ لي العُـذرَ في تركي إطالتَها؛ لأنّ كلّ طويلٍ فيكَ مُخْتَصَرُ!

٤٩ لكنّهـا حلـوة الأَلفـاظ، ما طمعَتْ «ربيعـةٌ» أن تدانيهـا ولا «مُضَرُ»؛

٥٠ لَو أنّهـا أَدْرَكَتْهـا؛ لم تكنْ أبداً بغَيْرِهـا العَـرَبُ العَرْبـاءُ تَفْتَخِرُ. . !

٥١ فإن تكُنْ أنـتَ فَوقَ النّـاسِ قاطبَةً؛ فإنهـا فوقَ ما قَالُـوا، ومـا شَعَروا؛

٥٢ لا زَالَ سوحُـكَ مَعْمـوراً؛ ولا برحَتْ سُحْـبُ الصَّـلاةِ علـى ناديكَ تَنهَمِرَ؛

٥٣ بَعْدَ النّبي الْمصْطَفـى الْهـادي وعِتْرَته مَـا لاحَ بَرقُ شرى، أو ما سَرَى قَمَرُ



---

٤٨ ـ في «ن» : «كل طويل منك وهو خطأ .

- ٧٣ -

إمامُ اليمن الكبرى . .

وقال يمدحه أيضاً ، ويُهنِّيهُ بعيد النحر سنة ثمان وسبعين وألف « ١٠٧٨هـ» ويستعينُه على قضاء ديون لزمته ، وأرسلها من «صنعاء » إلى « سودة شُطب » وقبضـه الله إليه ، ولَمَّا يُعَنْ بشيء! :

١ لِكَسْبِ العُلَى فاجْعَلْ هُمومَك تُحْمَدِ، وتَجْنِ ثمار الشكرِ من روضِها النَّدي؛

٢ ومـا المـرؤ إلاّ مَن يُخلّـدُ ذكرَه؛ فما اسْطعْتَ من ذِكرٍ جميلٍ فَخَلِّد. . !

٣ بيومِك فاحفلْ؛ إنَّ أَمْسَكَ قد مَضَى، ولم تَدْرِ مايقضِي المهيمنُ في غدِ. . !

٤ سَأسْلكُ من سُبْلِ المعالي مَحَجَّةً؛ أبى لي سِواها طيبُ أصلي ،ومحتدي؛

٥ وقلَّ لعَمْري في المعالـي لو انّني، أجـوبُ إليهـا فَدْفَـداً بعـدَ فَدْفَدِ. !

٦ تَركتُ الهوى من قبل أن أعرف الهوى، فنامَ وشاتـي؛ واستـراحَ مفنّدي؛

٧ فمـا خَطَـرتْ يومـاً ببالـي بَلابِلٌ؛ ولاَ بتّ مِنهـا ربُّ طرفٍ مُسَهَّدِ؛

٨ فلا كُنتُ ـ إن مَلّكتُ يومـاً يدَ الهوى زِمَامي ـ وأعْـطَيتُ الصَّبابـةَ مِقْودي؛

٩ أَبَى اللهُ أن أسلو عن المجدِ والعُلَى؛ بقَـدٍّ نَضيرٍ، أو بخَـدٍّ مورّدِ. . !

٣ ـ حفَل يحفِل: بالى واهتم.
٤ ـ المحجّة : جادّة الطريق . والمحتد : الأصل .
٥ ـ أجوب : أجتاز . والفدفد : الفلاة .
٦ ـ المفنّد : اللائم .
٧ ـ المسهّد : الساهر .
٨ ـ المِقود : الزمام .

١٠ وإنْ تَزْدَهيني ـ والتُّقى لي رادعٌ ـ مَعَاطِفُ خَوْدٍ، أو سوالفُ أغيدِ؛
١١ وإنّي ـ وإن أزرَى بيَ الفقرُ، وانتَحَتْ عليّ اللّيالي بالمصائب عَنْ يَد . . !
١٢ فما أنا من رَوح الاله بآيسٍ؛ وإن جاءني ما لم يُطقْه تجلّدي؛ !
١٣ سأدْرَؤُ في نَحْرِ الخُطوبِ إذا عَدتْ ـ بأروع مِن أبناء « أحمَد »، أصْيَدِ. . ؛
١٤ بأسْمَح مَنْ تُثْني العناصر باسمِه، وخيرِ إمامٍ قامَ مِن آل «أحمدِ». .
١٥ إمامٌ حَمَى الإسْلامَ عن كلّ مُلحدِ، وألّف منه عقدَ شمْلٍ مبدّد؛
١٦ أقامَ قناةَ الدين؛ بعد اعْوِجَاجها؛ وقالَ لباغيها كفيتكَ، فاقْعِدِ؛
١٧ بِسعْدٍ؛ على مَرّ الزّمانِ مُسَاعدٍ، وجَدٍّ على طولِ المدى مُتجدّدِ؛
١٨ وكلِّ طويلِ القدّ؛ أسْمر ذابلٍ، وكُلِّ رَقيقِ الشّفرتَيْن، مُهَنّدِ،
١٩ وأزرق من طَبْعِ المنيّة نافذٍ، ، وذي شِرَّةٍ من نَسْل «أعوج»، أجْرَدِ؛
٢٠ فَلَوْ كَانَ في وقت الوصيّ « حُسَامُه» لَمَا طمعَتْ في الأمرِ «تيمٌ» ولا «عَدي»!
٢١ . . . . بنت «مُحمّدِ» !
٢٢ لَقَدْ بشّر الإقبالُ يومَ ولادِهِ بأشرف مولودٍ لأسْعد مولدِ؛!
٢٣ وقد زيْنَتِ الأيّام مِنهُ بسيّدٍ تُقَرِّضُه المدّاحُ في كلّ مَشهد،
٢٤ وأروع يُمضي فِعْلَهُ قبل قولِهِ؛ إذا جَادَ. . لا يُصغي لرأْي مُفنّدِ؛
٢٥ به كلُّ بدرٍ زاهر الأوجِ يَهْتدي، وكلُّ خِضَمٍّ زاخر المَوْجِ يقتدي،
٢٦ تَمَثَّلَهُ الأبطالُ في كلّ مَعْركٍ، وتدعو لَهُ النَسّاكُ في كلِّ مسجدِ،
٢٧ يُعانقُ قدّ الرُّمْحِ في الحرب أسمراً، ويَصْبُو إلى خدّ الحسام المورّدِ،

١٠ ـ تزدَهيني : تستفزني . والخودُ : المرأة الشابة والجمع خُود .
١١ ـ أزرى. عاب . وأنحتْ: أقبلت .
١٤ ـ هكذا : « العناصر » وفي «ف » : « الخَناصِر » .
١٧ ـ الجَد : الحظ .
١٨ ـ طويل القد: الرمح. ورقيق الشفرتين: السيف.
١٩ ـ نصل أزرق : شديد الصفاء . والشِرّة: النشاط . و« اعوج » فرس مشهور .
٢٣ ـ في «ف » ـ هامش : « وزُيِّنَت الأيّام »
٢٤ ـ في «ن » : « إذا قالَ لا يُصغي » . والأروع :الشهم الذكي.
٢٥ ـ الأوج: أبعد نقطة في مدار القمر عن الأرض ويقابلها الحضيض.

٢٨ ويُغنـي عن البيضِ الصَّـوارمِ والقنا … بـأبْيَضَ من آرائِـه غيرِ مُغْمَدِ؛

٢٩ ولا يَنْتَهـي جَدْوَى يَدَيْهِ لِغَايةٍ، … وَمَهْمَـا انتهَـى مِنْ غايةٍ فيه يَبْتدِي؛

٣٠ لأَعْطَـى ؛ إلـى أن مَلَّ سائلُـه العَطا، … وكادَ يقـولُ المسْـتَميحُ له : قَدِ. !

٣١ وأغْنَـى الـورى طُرًّا، فأصبـحَ سيِّداً … لِـكلّ مسـودٍ منهـمُ ومسوّدِ؛

٣٢ ورامَ الْحَيَا يَحْـكِيهِ قُلـتُ له: اتَّئِدْ، … أتَرمـي إلـى شأوٍ من المجـدِ أَبْعَدِ؟ ،

٣٣ فَبيْنَكمـا في الجُـودِ أيّ تَفَاوتٍ؛ … فأقْصِـرْعن السَّيرِ السـريع وأقْصِدِ؛

٣٤ فأنْـتَ تُروّي هَذِهِ دون هَذِهِ؛ … وهَـذَا يُروّي ساحـةَ الأَرض عَن يدِ،

٣٥ وتفقـد أحيانـاً علـى حين حاجةٍ؛ … ولَمْ يُخْلِ أحـوالَ الـوَرى من تفقّدِ؛

٣٦ وأنْـتَ بإخـلافِ المـواعيد في الورى … عُرِفْتَ؛ ولَمْ يُعـرَفْ بإخـلاف مَوعدِ؛

٣٧ ويُطْلِـقُ كفّيهِ، وأنـتَ مُقيَّدٌ، … ومـا مُطْلَـقٌ في فِعْلِـهِ كمُقيّدِ. !

٣٨ ونـارُكَ شَرٌّ؛ وهـو إن جئـتَ نارَهُ؛ … «تَجِدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقِدِ» ؛

٣٩ ومَنْ عنهُ تَرْوِي الجودَ قُلْ لي؟ . . فإنَّهُ … إذا جاد يَرْوِي عن أبيه «محمّد»!

٤٠ فَصَـلِّ وسَلِّـمْ خَلْفَ سَابِـقِ جودِهِ؛ … وقَبِّل ثرى أرضٍ بهـا حَلَّ، واسجُدِ؛

٤١ فَسَلَّمَ؛ لَمّا استوضَحَ الأمـرَ، وانثنَى، … بأدمعِ مَحـزونٍ، وأنفـاسِ مُكمَدِ!

٤٢ ومَـنْ كأميرِ المـؤمنينَ لمفْخَرٍ . . … أصيلٍ، ومَعْـروفٍ جَزيلٍ وسُؤْدَدِ؟

٤٣ وَمَـنْ كأمير المـؤمنين لِعَزْمَةٍ … يَحـوطُ بهـا الإسـلام عن كلِّ مُلْحِدِ؟

٤٤ إليك عقيد المكرمـات قصيدةً، … كمنْتَظـمِ العِقْـد الفـريد المنضّدِ؛

---

٢٩ ـ في «ن» : « ولا تَنْتَهي جدوى » . والجدوى : العطية .
٣٠ ـ المستميح طالب السماح . وقد بمعنى كفى .
٣٢ ـ اتّئدْ: تمهّل ؛ من تَوأّد في الأمر : تأنّى وتمهّل . والشأو : الغاية .
٣٣ ـ أقصِد : لا تفرط .
٣٥ ـ تفقد : تغيب وتنعدم ، وتفقّد : طلب .
٣٧ ـ في «ف » : « وما مطلقٌ في أمره » .
٣٨ ـ ضمّن عجز بيت الحطيئة من قصيدته التي مدح بها بغيض بن عامر وصدر البيت : « متى تأته تعشو إلى ضوء ناره » .
٤١ ـ المكمد : مريض القلب همّا .
٤٢ ـ السؤدد : كرم المنصب والقدر الرفيع .
٤٤ ـ عقيد المكرمات : قائدها . والمنضد : المرصف المحكم .

٤٥ ألَـذُّ مَذَاقـاً مِن جَنَـى النّحـل ذَوقُها؛ … وأطـربُ مِن رجْـع الهـزارِ المغرّدِ؛
٤٦ أتتـكَ علـى بُعْـدِ الـديار؛ وإنّما … إليكَ بأنـوارِ الخلافـةِ تهتدي؛
٤٧ أمَـا والعُلَـى إن القصائـدَ أسهمٌ … متَى ترمِ أغراضَ المقاصـدِ؛ تَقصدِ؛
٤٨ وأنـتَ لعمـر الله أوْلَـى بعقدِها، … وأحـرى به من كلّ جيدٍ مُقَلّدِ؛
٤٩ فإنـكَ لي رُكنـي الأشَـدّ، وعُدّتي، … وكعبـةُ آمالـي، وقبلـةُ مقصدي؛
٥٠ وأنتَ الّذي يُهدَى لكَ المـدحُ والثّنا؛ … ولَـوْلاكَ لم يحفـلْ بهِ كلُّ مُنْشدِ؛
٥١ تَهـنَّ بهـذا العيد؛ لا زالَ عائداً؛ … عليكَ بإقبـالٍ، وعزٍّ مُؤَبَّدِ؛
٥٢ ولا زَالَـتِ الأفـواهُ من كلّ ناظمٍ؛ … تُهّنيكَ بالمجْـدِ الـرَّفيع المشَيّدِ؛
٥٣ وسَمْعـاً أميرَ المـؤمنين؛ فإنّني … دعوتـكَ للطّـرفِ القـريحِ المسَهَّدِ. !
٥٤ تنمَّرَ لي دهْري؛ فكُنْ أنـتَ ناصري، … وأسْلَمني حظّي؛ فكنْ أَنتَ مُنجدي؛
٥٥ فإنْ أنـتَ لم تقمَـعْ زمانـي يَعتدِي؛ … وإنْ لَمْ تُنَبّـه طَرفَ حَظّـي يرْقُدِ؛
٥٦ وإنْ بَعُـدَتْ عَنْ رأيِ عيْنِـكَ فَاقَتِي … فـإنّ افتِقَـاري مِنْ نَداكَ بِمَشْهَدِ؛
٥٧ وأشكوكَ دَيْنـاً أثقـلَ الظّهْـرَ حملُهُ؛ … فحالـي إذاً حَالُ الطّـريد المشرّدِ؛
٥٨ وقـد ضَمِنَـتْ عنـكَ الأَمانـي قضاءَهُ؛ … فأنجِـزْ مواعيدَ الأَمانـي؛ وأنجِدِ. !
٥٩ ودُمْ، وابـقَ في عزٍّ مَنيعٍ، ومَقْعَدٍ … رفيعٍ، وإفْضـالٍ تروحُ وتَغْتدي؛
٦٠ وصلّـى عليك اللهُ بعـد «محمد» … نبـيّ الهـدى المختـار والآل عن يدِ.

---

٤٥ ـ جنى النحل: العسل، ورجْع الهزار: تغريده.
٤٧ ـ أقصدَ: طعن فلم يخطىء وأقصده السهم: أصابه فقتله في مكانه.
٥٤ ـ تنمَّر: غضب وساء خلقه وتنكّر وتغير. وأسلم: خذل.
٥٦ ـ الفاقة: الفقر والعوز. من افتاق الرجل: اذا افتقر.
٥٨ ـ أنجز الوعد: وفى به.
٥٩ ـ في «ف»: «يروح ويغتدي».

- ٧٤ -

مدحٌ، وتحريض، واستجداء . .

وقال يمدحُ السيّد الهمام الأعظم سيف الإسلام أحمد بن الحسن[٩] إبن أمير المؤمنين المنصور بالله؛ وقَصَدَهُ بهذِهِ القصيدة مِن «صنعاء» إلى « الخارد » ـ وهو ماءٌ على بُعْدِ بَرِيْدَين مِن صنعا سنة ١٠٧٤هـ .

١	كَمْ ذَا يذوبُ أســىً؟ وكَمْ يتجلَّدُ؟	أينَ المعينُ لَهُ؟ وأينَ المسْعِدُ؟
٢	أَأُهَيْلَ وادِي المنْحَنَــى وحياتِكُمْ؛	إنّــي علــى ما تَعْهَــدونَ ، وأعْهَدُ؛
٣	لا تُنــكِروا كَلَفــي بكمْ وصَبَابتي؛	هــذا الضَّنَى، ودمــوعُ عَينـي تشهَدُ؛
٤	ما خَانَ قَلْبـي عَهْــدَكم؛ أبــداً، ولا	مُــدّتْ لِسلْوانــي إلــى صَبْــرِي يَدُ؛
٥	أَأَخُونُــكُمْ؛ وأودُّ قومــاً غيرَكُمْ؟	أنَّــى . . ؟ وعَهْــدكُم لديَّ مُؤكَّدُ؟
٦	يا هاجــرينَ، وليسَ لي ذَنْــبٌ سِوى	دَمْــعٍ يفيضُ ، ولَوْعَــة تتجدَّدُ؛
٧	ومُحمّلــي الصــبّ الــكئيب صَبَابةً	بينَ الجوانــح ، حَرُّهَــا لاَ يَبْرُدُ،
٨	أَكَذا يكونُ جزاءُ مَن حفظ الهوى،	ورعَى عهودَكُم يُهَــانُ، ويُبْعَدُ؟
٩	وبمُهْجتــي الرشــأ الّــذي مِنْ خدِّهِ	في كلِّ قَلْــبٍ جمــرةٌ تَتَوقَّدُ!

(٩) راجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

٣ ـ الكلف : شدّة الحبس والولع . والصبابة : الشوق والهوى .

٤ ـ في «ف» ضبط« مُدّتْ » بضم الميم على البناء للمجهول وهو ما اعتمدناه وضبطها في «ن» بفتحها ؛ ولَعل العجز في البيت هكذا: « مُدَّتْ إلى السلوان مِنْ صبري يَدُ » .

٥ ـ أنَّى هنا استفهامية بمعنى كيف .

٦ـ في «ف» : « يا هاجرون » . واللوعة : حرقة الحزن والوجد .

١٠ الطّرفُ مِنْهُ مُهَنَّدٌ، والخدّ مِنْهُ ... مُوردٌ، والجِيدُ منهُ مُقلَّدُ؛
١١ يُمسي ويُصبح آمِناً في سِرْبِهِ؛ ... وأخافُ؛ وهو القاتِلُ المتعمِّدُ!!
١٢ يُسْبِي القلوبَ بِمقْلَةٍ سَحّارَةٍ؛ ... «هاروتُ» فِتْنَتِها يحلّ، ويعقدُ؛!
١٣ وبقِامةٍ ألفيّةٍ، فتّانة.. ... من فوق أرْدَافٍ تُقيمُ وتُقعِدُ.!
١٤ سكِرتْ معاطفُهُ بكاسِ رُضابهِ؛ ... فلَها اعتِدالٌ تارةً، وتأوّدُ..!
١٥ فكأن ذِكرى «أحمدٍ» خطرت لَها؛ ... ولِذكرهِ يَنْدَى الجمادُ الجلْمَدُ؛

١٦ يا مالكِ الملكِ العقيمِ؛ ومن لَهُ ... في كلّ أرضٍ أنْعُمٌ لا تُجحَدُ؛
١٧ «مَهلاً»: فما فوقَ السّماكِ لِطالِبٍ ... قصدٌ؛ ولا فوق الثريّا مقعَدُ»!
١٨ أنفقْتَ مالكَ في النّدى مُسْتَخْلِفاً ... ربّاً؛ خزائنُ فَضْلِهِ لا تَنْفدُ؛
١٩ تالله؛ ما تركَتْ لِقاكَ معاشِرٌ ... إلاّ وفضلكَ فيهم يَتردّدُ؛
٢٠ أو يمّمَ الطلاّبُ يَمَّ مكارِمٍ.. ... إلاّ وأنت مُناهمُ، والمقصدُ؛
٢١ عِلماً، وحِلْماً باهراً، وسَماحة: ... فَلْيَهْتَدوا، وَلْيَقْتَدوا؛ وليجتدوا
٢٢ سَجَعُوا بِذكْرِكَ في البلادِ؛ وإنّما ... طوّقْتَهُمْ بالمكْرماتِ فغرَّدوا.!
٢٣ وتَعلّموا مِنكَ المديحَ؛ فمِنكَ ما ... تُعْطيهُم كرماً؛ وأنتَ المُنْشِدُ؛
٢٤ ما سوحُكَ المحروسُ إلاّ جنّةٌ؛ ... لو أنّ مَنْ يأتي إلَيْهِ يُخَلّدُ..
٢٥ ما زالَ سيفُكَ منذُ كان مجرّداً.. ... في غير أفئدةِ العِدى لا يُغْمَدُ؛
٢٦ ماذا أقولُ؟ وكلُّ قولٍ قاصِرٌ؛ ... والفضلُ أكثرُ فيك منه وأزيدُ؛؟
٢٧ الدّهرُ من خطّارِ رُمحِكَ خائفٌ؛ ... والموتُ من بتّارِ سيفكَ يرْعدُ؛

---

١٢ ـ في «ف»: «يسبي العقول».
١٣ ـ الرضاب: الريق، والتأوّد: التعطّف.
١٥ ـ يندى: يبتل فيلين. والجلمدُ: الصخر.
١٦ ـ الملك العقيم: الذي لا ينفع فيه نسب.
١٧ ـ هذا البيت ـ رقم ـ ١٧ ـ لا يوجد في «ن».
٢٠ ـ يمّم: قصد. واليمّ: البحر.
٢١ ـ اجتدى: طلب الجدوى وسأل الحاجة.

٢٨ كَمْ موقفٍ يُوهـي الجليدَ وقفتَهُ؛ لِلْمـوت فيهِ توعّـدٌ، وتهدّدُ؛

٢٩ ما زال عنـكَ النّصـرُ فيه؛ كأنّما في الـكفِّ منك زِمامُـهُ والمقودُ!

٣٠ حتّـى تَردَّدَ من رآك؛ أَأَنْـتَ لِلْفَـتْـحِ المبينِ؛ أم السّيوف تُجرّدُ؟!

٣١ وهْـي الرّمـاحُ الـزاعبيّة؛ أم هي الأقْـدَار تَرْمـي من أردْتَ فتُقْصِدُ؟!

٣٢ وهـيَ السَّعـادةُ إذ قَصَـدْتَ إلى الوغَى حمَلَتْـكَ؛ أَمْ سَامـي المقلّـدِ أجردُ؟

٣٣ وهْـيَ الجيوشُ، أمِ المنـايا قُدْتَها لِلْحَـرْب؟ أم بحـرٌ خِضـمٌ مزبدُ؟

٣٤ هَيْهـات؛ لا يقْوى لمـا تأتـي به.. بشـرٌ؛ ولـكنّ الملائـكَ تَعضدُ؛

٣٥ يا خيرَ من ركبَ الجيادَ ومَـنْ لَهُ في الـكَونِ ألـويةُ الْـولاية تُعْقَدُ؛

٣٦ ذلَّلْـتَ في الأَرضين كلَّ مُمَنّع فجميعُ أمـلاكِ الـورى لك أعبُدُ!

٣٧ لَمْ يَبْـقَ إلاّ «مَـكَّةٌ» فانهضْ لَهَا؛ فـاللهُ جلّ؛ بنَصـرِه لك مُنجدُ..؛

٣٨ جرِّدْ لهـا أَسياف عزْمِـك؛ إنّها لِطلـوعِ نَجْمكَ بالسَّعـادة ترصُدُ..

٣٩ والدَّهـرُ فيمـا تَبْتغيهِ طائِعٌ، والسّعـدُ فيمـا تَنْتَحيه مسْعِدُ؛

٤٠ أيصدّكمْ عَنْهـا أُنـاسٌ ما لَهُمْ قَـدمٌ إلى العَلْيا تَسيرُ، ولا يَدُ؟

٤١ وَلأَنْتـمُ دونَ الـورى أولَـى بِها فَبهـا مقَـرُّ أبيكمُ؛ والمعْهَدُ.!

٤٢ طَهِّـرْ مِنَ «التُـركِ» الطَّغـام بقاعَها، فَلَطَـالَ مَا عاثـوا هُنـاك وأَفْسدوا؛

٤٣ عوِّدْ عداةَ اللهِ من إهْلاكِهِمْ؛ مـا كانَ عوّدهـم أبـوك «محمَّدُ»؛

٤٤ جرِّدْ حُسَامَـكَ إنَّـه في غمدِهِ ـ لِلْغيظِ منهـمْ ـ جَمْـرَةٌ تتوقَّدُ؛

٤٥ وأَدِرْ عَليهـمْ بالصَّـوارم والقَنا حربـاً يشيبُ إذا رآهـا الأمردُ؛

٤٦ ومُـرِ الزَّمـانَ بهـم؛ فإنَّ لِصَرفِه سَيفـاً يُشتِّـتُ شَمْلَهُـمْ ويُبدِّدُ؛

---

٢٨ ـ الجليد : ذو القوّة والصبر .

٣١ ـ الرماح الزاعبية : التي إذا هزّت كأن كعوبها يجري بعضها في بعض ؛ وقيل نسبة الى رجل اسمه «زاعب» .

٣٨ ـ ترصد : ترقب .

٣٩ ـ تنتحيه : تقصده .

٤٢ ـ الطغام : اوغاد الناس .

٤٦ ـ صرف الزمان : نوائبه .

٤٧ أينَ المفرّ لَهُم؛ وسيفُكَ خَلْفَهُمْ ... في كلّ أرضٍ. ؛ أغوروا، أو أَنجدوا؟

٤٨ إن أشْهَروا جهلاً عليك سيوفَهمْ؛ ... فَلَسَوْفَ في الهاماتِ مِنهم تُغْمَدُ!

٤٩ أو أَشْرَعوا سُمْرَ الرِّماحِ فإنّها ... لا بُدّ في لَبّاتِهِمْ تتفصَّدُ!

٥٠ أَوْ أوقَدوا نارَ الحروبِ فإنّها؛ ... بدمائِهِم عمّا قريبٍ تَخْمَدُ!

٥١ ماذا عَسَى أنْ يُوقِدوا مِنْ كَيدِهِم ... ناراً، ورُبكَ مُطْفِىءُ ما أوقَدوا!

٥٢ لا تبتإسْ بِفِعالِهِمْ؛ فَلَرُبَّما ... يكفيكَ شأنَهمُ القضاءُ المرْصَدُ!

٥٣ ما فِعلُهم ويدُ الإِله عَليهمُ!؟ ... ما فِعلُ سيفٍ لَيس تَحمِلُه يَدُ..؟

٥٤ وهُمُ الكِلابُ العاوياتُ، وإنّما ... ذاقوا حلاوةَ حِلمِكمْ فاستأسَدوا.!

٥٥ اللهُ أسعدكم، وأشقى جَمعَهُمْ؛ ... واللهُ يُشْقِي من يشاء ويُسْعِدُ؛

٥٦ وأراد منك الله جلَّ جَلالُهُ ... من نَصرِ هذا الدينِ ما تتعوّدُ.؛

٥٧ ولَسوفَ تَقدحُ فيهمُ أسيافُكُمْ ... شرراً لأيْسَرِهِ يذوبُ الجلمدُ!

٥٨ ويُقالُ: قومٌ قُتِّلوا مِنهمْ؛ وقومٌ ... أوثِقوا أسراً؛ وقومٌ شُرِّدوا.؛

٥٩ وإليكَها ملكَ البريّة مدحةً ... كادتْ لها الشمسُ المنيرةُ تسجُدُ؛

٦٠ مِن صادقٍ في ودّ آل محمّدٍ، ... يفنَى الزّمانُ وودّه يتجَدَّدُ؛

٦١ نظماً تودُّ الغانيات لَو انّها ... يوماً بدرّ عقودِهِ تتقَلَّدُ؛

٦٢ «يشكوك فَقْراً؛ قد تحمَّلَ قلبُهُ ... من أَجْلِهِ كُرَباً؛ تقيمُ وتُقْعِدُ»

٦٣ فَقراً أناخَ على العِيالِ بكلكَلٍ، ... «وسَطا؛ فقلتُ: لِسَيْفِهِ ما يُولَدُ؛»

---

٤٨ ـ الهامات: الرؤس.
في «ف»: «في كبّاتِهم تتقصَّد» بالقاف وهو تصحيف والصوّاب بالفاء، وتفصّد الدّم: سال وجرى، وأشرع الرمح: سدّده.
٥٠ ـ لا يوجد هذا البيت رقم ـ ٥٠ ـ في «ن».
٥١ ـ في «ف»: «من نارهِم كيداً».
٥٨ ـ في «ف»: «شرراً لأيسرها».
٦٣ ـ لا يوجد هذا البيت ـ رقم ـ ٦٣ ـ في «ن».
٦٤ ـ علّق أحد القراء على البيت ـ ٦٤ ـ بقوله: «يُضمّن بيت المتنبي:
أعطى؛ فقلتُ لجودِهِ ما يُقْتنَى ... وسطا؛ فقلتُ لسيفه ما يولَدُ

٦٤ أرســل عليه مِن نوالِكَ غارةً شَعْــوا؛ تُفــرقُ جيشَــه ، وتُبدِّدُ؛
٦٥ وأفضْ عَلــيَّ بحــار جُودك منعماً، حتّــى يمــوتَ بغَيظِـهُ مَن يحسُدُ؛
٦٦ لا زِلــتَ مَرجــوّاً لكلّ عظيمةٍ تَبْنــي مَعالــمَ لِلعُلَــى، وتشيّدُ؛
٦٧ وعليكَ صلّــى الله بَعــد مُحمدٍ مــا دامَ ذكركَ في البــريّة يُنْشَدُ؛
٦٨ والآل ما هبّــتْ صَبــاً نجديّةٌ، وشــدا بذكركَ مُغْــورٌ أو مُنْجِدُ .



---

٦٤ ـ غارة شعواء : مُتفرقة ممتدة .
٦٥ ـ في «ن» : « وأفض عليه بحارجودك » الخ .
٦٨ ـ في «ف» : « وشدا بمدحك » الخ .

- ٧٥ -

شكوى ، وإطراء ، واستئذان .

وقال رحمه الله يمدحُه أَيضاً ويستنجزه وعداً وعَدهُ بهِ بعد امتداحه له بالقصيدة السَّابقة ؛ ويَسْتأذنُه بالعَوْد إلى «صنعاء» :

١	هَذَا العَقيقُ؛ فقِفْ بنـا يا حادِي	فبِـهِ سُلِبْـتُ حُشَاشتـي ورُقادِي؛
٢	واحْبِسْ «بكاظمـةٍ» قلوصَـكَ مُنْشداً	«مـا لِلدّمـوع تسيلُ سَيْلَ الوادي»؟
٣	وأعِـدْ أَحـاديثَ «الغُـويْرِ» لِمُغْرَمٍ	أضْحَـى حليفَ صَبابـةٍ وسهادِ؛
٤	وحـذارَ مِنْ وادي «النَّقـا» والسّفـحِ مِنْ	«أضم» ؛ فَثـمَّ مصَـارِعُ الآسادِ!
٥	وأنـا الفِـداء لِبابلـيّ لَواحِظٍ	يَسطـو ببِيْضٍ مِنْ رناهُ حِدادِ. !
٦	ظَبْـيُ مِنْ « الأتراك» ، غُصْـنُ قوامِهِ	يُزْري بغصْـنِ البَانـةِ الميّادِ. .
٧	فارقـتُ قَلْبـي عندمـا فَارقتُهُ	فكأنّمـا كانَـا علـى مِيعادِ. . !
٨	كم ذا أكابِـدُ من هواهُ علـى النّوى	حُرَقـاً تُفَتِّـتُ قلـبَ كل جمادِ،
٩	رشـأٌ بُليتُ بهجْـرِهِ، وبِعَادِه،	وبِرَائـحٍ بالعَـذْلِ فيهِ وغادِي. !
١٠	يا عاذلـي؛ خلّ الملامـةَ؛ إنّني	أدْري بِغَيّي في الهـوَى ورشادي؛
١١	دَعْنـي وشأنـي، أو فكُنْ لي مُسْعداً؛	إنّ الـكئيبَ أحـقّ بالإسْعادِ. .

١ ـ الحُشاشة : بقية الروح في المريض .
٤ ـ ثَمَّ وثمةَ وثمّتَ ؛ بمعنى هنالك .
٥ ـ سطا يسطو به وعليه : وثب عليه وقهره . ورنا يرنو اليه : أدام النظر اليه بسكون .
٦ ـ الميّاد : الكثير التمايل والاهتزاز .
٩ ـ الرشأ : ولد الظبية .
١٠ ـ في «ف » أدرى بغبني ؛ وهو تصحيف .

١٢ حَسْبي صروفُ الدَّهْرِ تهضِمُ جانبي، وتحولُ ما بَيْني وبينَ مُرادي؛
١٣ كَمْ أَشْتكي جَوْرَ الزَّمانِ، ولا أرى لي مَنْ يعينُ على الزَّمانِ العادي!؟
١٤ حتَّى دعَاني السّعدُ: لا تَخْضَعْ، ولذْ بحِمَى «الصَّفيّ»، ونادِ زَينَ النّادي؛
١٥ السيِّد العَلَم الهمام المنتَقَى؛ حرم الطَّريد، وكعبة الْوفَّادِ،
١٦ الملك، سَيف الدّينِ أَفضل من نَضَا سَيفاً على الأعداء يومَ جلادِ؛
١٧ مَلكٌ؛ حديثُ فخارِهِ يرْويهِ بالإسنادِ عن آبائِه الأَمجادِ. !
١٨ لَيْثٌ مخالِبُهُ إذا حَضر الوَغَى؛ بيضٌ مهنّدَةٌ وسُمرُ صِعادِ!
١٩ كرمٌ؛ يودّ البحرُ لو يَحْكيهِ، مَعْ بأسٍ يُذيبُ البيضَ في الأغمادِ؛
٢٠ ملكٌ علا رُتبَ الفِخار بهمّةٍ، رفعتْهُ فوقَ الكَوْكَبِ الوقّادِ. ؛
٢١ وَقَفَا مآثِرَ سالفينَ تقدّموا من كلّ ذي شمَمٍ طويل نجادِ؛
٢٢ وتقدَّم الأمْلاكُ طرًّا في النّدى سبْقاً؛ وهل سبقٌ لِغَيْرِ جَواد. ؟
٢٣ لَو كانَ في الزّمَنِ القديم تشرّفَتْ بِشريفِ خِدمتِهِ بنو «عبّاد». !
٢٤ للهِ كم مِننٍ أفاضَ على الْورى، غَرّاء كالأطواقِ في الأجيادِ؛
٢٥ لَو قصَّر العافونَ عن طَلب النّدى، لأقامَ فيهمْ للنّوال مُنادي. !
٢٦ يَسْتقبل الجُلّى ببيْضٍ صَوارمٍ كفلَتْ له بغناء كلِّ معادي. ؛
٢٧ وبَسَالةٍ أغنتْهُ عَن حَمْلِ القنا تُوهي القُوى، وتفتّ في الأعضادِ؛
٢٨ فلْتَفتخِرْ منه العُلَى بأغرّ؛ رحْب الكفِّ، رحْب الصدرِ، رحب النّادي؛
٢٩ بغضنْفَرٍ شرسٍ لَهُ من نصرهِ؛ عينٌ على الأعداء بالمرْصادِ؛
٣٠ يقظان في طلب العُلَى؛ لم تكتَحِلْ من غير سُوءٍ - عينُه برُقادِ!
٣١ تالله؛ ما «عمرٌو» أخا بأسٍ، ولا «كعب بن مَامة» عندهُ بجوادِ. !
٣٢ من معشرٍ سبقوا الملوك إلى العُلى سَبْقَ الجياد الضّمْر يوم طِرادِ؛

---

١٤ - «الصفي» يطلق في اليمن على من اسمه «أحمد».
١٦ - نضا السيف: سلّه.
١٨ - اللّيث: الأسد. والصِعاد جمع صَعدة: القناة المستقيمة.
٢١ - النجاد: حمائل السيف، و«طويل النجاد»: كناية عن طويل القامة.
٢٥ - العافون: العُفاة جمع عافي: كل طالب فضل.
٢٩ - الغضنفر: الأسد.

٣٣ وحَوَوا تراثَ المجدِ عن آبائهم؛ ووراثة الآباءِ لِلأولاد،
٣٤ وتبوّأوا في المجدِ أشرفَ مَقعَدٍ، ورقوا مِن الجوزاءِ فوقَ مهادِ؛
٣٥ أَمُبلِّغَ الأَملِ الطَّويل، ووارثَ المجدِ الأثيل، وملجأَ القُصَّادِ؛
٣٦ أَمُجَرِّدَ الأسيافِ لم يُغْمَدْنَ في شيءٍ سِوى الهاماتِ والأكبادِ؛
٣٧ لكَ في العزائم عن سيوفِك غنيةٌ؛ فذرِ السيوف تقرّ في الأغمادِ؛
٣٨ ماذا عَسى مَدْحي المقصِّرُ قائلٌ وثناكَ بينَ غوائرٍ ونجادِ؟
٣٩ ما زالَ ذِكْرِكَ حيثُ كنتُ مُصاحبي؛ في كُلِّ رابيةٍ عَلَوْتُ وَوادي؛
٤٠ فافخَر على قومٍ مَضَوا؛ ما إنْ لَهم في الفخرِ غير تقدّم الميلادِ!
٤١ واسمعْ شكيةَ ذي وَدادٍ صادقٍ، وأسيرِ فقرٍ ما لَهُ مِن فادي؛
٤٢ عبدٍ تخطّى نحوهُ صَرْفُ القَضَا؛ وعَدَتْ عليهِ من الزّمانِ عوادي؛
٤٣ طالَ البقاء؛ وقد وعَدْتَ، ولم تَزلْ مُعْطي الأماني، صادقَ الميعادِ!
٤٤ فانْظُرْ إلى حالي، وعَجّلْ أوبَتي فَضْلاً، وفكّ مِن الخُطوب قيادي؛
٤٥ أرسِلْ على أرضِ افْتقاري غارةً بسحائب المعروفِ والإمدادِ..!
٤٦ واللّبْثُ عندكَ لم يَطُلْ لِمَلالَةٍ؛ أيملّ عَذْبَ الماءِ قلبُ الصَّادي؟
٤٧ لكِنْ؛ إلى طَلَبِ العُلومِ وكَسْبِها طالَ اشتياقي واستَطالَ سُهادي؛
٤٨ أَيطيبُ لِيْ زَمَني؛ ولم أُجْرِي بهِ في حَلْبَةِ العِلمِ الشّريفِ جوادي؟
٤٩ مولاي؛ قد وافيتُ بابَكَ وافِداً؛ وعلى الكريم كَرامةُ الوفّادِ.
٥٠ وركِبتُ مِنْ عَزْمي إليكَ مَطيّةً؛ وجعلتُ ذكركَ في المفاوزِ؛ زادي؛
٥١ وتركتُ أَملاكَ البريّةِ عن يدٍ؛ إذ كنتَ قِبْلةَ مَقْصَدِي ومُرادي،
٥٢ وطويتُ نحوكَ كُلَّ أَغْبرَ قاتِمٍ عن حَرِّ أكبادٍ، وضرٍّ بادي..

---

٣٤ ـ تبوّأ المكان وبه : أقام به .
٤٦ ـ الصادي : الظمآن.
٤٨ ـ في «ن» : « في حلبة العمل الشريف » وهو تصحيف .
٥٠ ـ المفاوز جمع مفازة : وهي الفلاة لا ماء فيها .

٥٣ وقَصَـدْتُ حَضرَتَـكَ الشّريفـةَ عندما جَـار الزّمـان، ولـجَّ في إبْعادي!

٥٤ وافيتُهـا والنَّحسُ موهـنُ ساعدي، فحلَلْتُهـا؛ والسَّعْـدُ من أعضادي؛

٥٥ وسلـوتُ عن أهلـي وأوطانـي بها؛ إذ حيثُ كُنْتَ من البـلادِ؛ بلادي؛!

٥٦ وَآستَأْمَنَتْ منّـي صروفُ الدَّهْـرِ إذْ نَهَضَـتْ جيوشَ نَداكَ في إنجادي؛

٥٧ وأَنَلْتَني الحُسْنَى؛ وكم مِنَـنٍ بها.. قَلَّـدتَ أعنـاقَ الـورى، وأيادي؛

٥٨ شكراً؛ أَبَـا حَسَـنٍ لِنُعمـاكَ الّتي عَـادَ الصَّـديقُ بهـنَّ مِن حُسَّادي!

٥٩ عادات فَضْـلٍ منـكَ لم تَخـرجْ بها عـن عادةِ الآبـاء والأجدادِ.!

٦٠ وجميلُ رأيك فيَّ؛ يا مَن لم تزلْ أراؤه مقرونـةً برشادِ.

٦١ واسْتَجْلِهَـا عـذراء؛ شابَ لِحُسْنِها فَودُ «الوَلِيدِ»، و«بانَ نقصُ» «زِيادِ»!

٦٢ واسْلـم؛ عليكَ سلامُ ربِّـكَ دائماً وصلاتـه؛ بعـدَ النَبـيِّ الهادي.



---

٥٣ ـ في «ف»: «ولَحَّ في إبعادي» بالحاء. ولجّ بمعنى. كان عنيداً في الخصومة شديداً فيها.

٥٤ ـ هكذا في النّسختين ولعلّ الصَّواب: «والنّحسُ يُوهـنُ ساعـدي». والأعضـاد جمـع عضـد: الأنصار.

٥٧ ـ الأيادي: النِّعم.

٦١ ـ الفودُ: الشعر الذي على جانب الرأس. وأراد بالوليد «البحتري» وبزياد «زياد الأعجم» أو «ابن أبيه».

- ٧٦ -

خمسةٌ وعشرون حرفا . !

قال رضوان الله عليه : لما وفدتُ إلى الحضرةِ « الأحمديّة » ، والعَقْوة الّتي رياضها بغمائم الإحسان نديّة ، وامتدحتُه بالقصيدتين المتقدمتين ، قابلني المولى سيف الإسلام بالإنصاف ، ووردتُ من برِّه أعذب موردٍ صاف ، وأجازَني بجائزة جلّ أن يجيزَها أبناءُ جنسِه ، فإنّها قصرتْ عن مقدار الشعر فضلاً عن مقدار نفسه ؛ فاتّهمتُ الوسائط ، وظننتُ أن ذلك الدرّ اختطفتهُ بيني وبين ذلك البحر يدُ لاقطْ؛ وحقّق ذلك الظنّ، وكشفَ صحّة ذلك الوهمَ وبيّنْ ، أن أخبرني بثبوت هذِه القضيّة ، أكثر المتعلّقين بالحضرة السيفيّة ؛ فقلتُ هاتين القَصيدتين أعاتبهُ، وأشكو الزّمان الّذي ما زَالتْ ترميني عَن قسيّ الحرمان نوائبه ؛ ولم أرسل بهما ولا بأحدهما إليه ؛ والأولى منهما :

١ يا صفيّ الإسلامِ ؛ دعوة عبدٍ ... قَدْ حَسَا كأسَ صَفْوِ ودّك صرفا . .

٢ قَدْ أتاكمْ من المديحِ بعقْدٍ ... حسنه مثل وَصفِكم ليس يَخْفَى ،

٣ كالصَبا رِقّةً ، وكالروضِ نَشْراً ، ... وكأخلاقك الشّريفةِ لُطْفًا . .

٤ «كعقُودِ الجمانِ » يعجز عَنْهُ ... كلّ من صرَّع القريضَ وقفّى ؛

٥ خُذلَهُ مِنْ عصابةٍ خالفُوا الأمْرَ ، ... وأخطَوْا خَطيئةً لَيس تُعفَا

٦ قوم سوءٍ أَصْغَوا إنايَ وقد أتْرَعْتُهُ ... مِن نوالِكمْ فتكفّا . . !

٧ قد أنالَتْ كفّاكَ عَبدَك خمْسينَ ؛ ... فأَخْفَوا نِصْفاً ، وأعطوهُ نِصفا!

---

١ - حسا يحسو : شرب شيئاً بعد شيء ، والصِّرف : الخالص .
٤ - صرّع الشعر : جعله ذا مصراعين . و« التصريع » من الصناعات البديعية .
٦ - أصغى : أمال . وكفأ واكتَفأ الأناء : أماله وقلبه ليصبّ ما فيه .

٨ وأبَـى اللهُ أنْ تكونَ عَطيّاتـكمُ خَمسـةً وعشـرينَ حرفا..!

٩ وأَراهـا تَخَالفَـتْ دونـك الأَيدي علـى نَقْصِهـا ؛ ومثلكَ وفّى..

١٠ ولأَنـتَ الّـذي به يُدْفَـعُ الفَقْـرُ ؛ ويُعطِـي الأمـوالَ ألفـاً فألفا.!

١١ أينَ مِنـكَ السَّمـا؛ سمـوًّا وجوداً أَنـتَ أسمَـى قدراً، وأسمـحُ كَفّا.



---

١١ ـ السَّما هنا : السحاب .

- ٧٧ -

خيبة أمل

وهذه الثانية :

١	رميتُ أسْهُمَ آمالي فلَمْ تُصِبِ	ورحتُ أدعو النَّدى جهراً فلم يُجبِ
٢	وخابَ ظنّي فيمنْ كنتُ أحسبه	أبرّ من رحمي الأدْنى، وأرحم بي؛
٣	أهْلُ الفضائل والخيلِ الصَّواهل، والسّمر الذّوابل ؛ والخطّيّةِ القُضب	
٤	ومَنْ إليهمْ تناهى كلُّ مكرمةٍ	ومَنْ بهمْ عزَّ قلبُ الجحفلِ اللجبِ
٥	ومَن أنامِلُهُم جوداً؛ لآمِلِهمْ	في كلّ مخمصةٍ تُغني عن السُّحبِ
٦	ما لي وقد جئتُ ناديكم ألوذُ به	رَجَعتُ عنهُ أسير الهمّ والكربِ؟
٧	حبّرتُ فيكمْ برودَ المدحِ مُعْلَمةً	فما حَصلْتُ على شيءٍ سِوى التّعبِ!
٨	حاشاكُم ؛ ما لِبخْلٍ تمنعونَ فتىً	وَفاكُمُ ببديعِ النظم مُنْتَخبِ؛
٩	أينَ النّوال الذي ما زال دأبكمُ	بهِ ملكتمْ رقاب العُجم والعَربِ؟
١٠	وأينَ ما قد عَهِدنا من تَلطفكّمْ	بكلّ مُنْتزحِ الأَوطانِ مُغتربِ؟
١١	وكيفَ خابتْ ظنوني في أكفّكمُ،	وظنّ غيري فيكم قطّ لم يَخبِ؟
١٢	وما أقولُ لِمنْ قد جاء يسألني	عنكم؛؟ ومثلي لا يَصْبو إلى الكذَبِ؟

---

٣ - الصواهل ؛ صهل الفرس : صوّت . و« الخَطّيّة » : نسبة إلى الخط وهو مرفأ بالبحرين .
٤ - الجحفل اللجب : جيشٌ ذو جلبة وكثره .
٥ - المخمصة : الجوع .
٨ - منتخب : مختار .
١٢ - من هنا رقم ١٢ - حتى آخر القصيدة سقط من : «ف » ، وصَبا : حنّ ومال .

١٣ أَمَـا بِكمْ تُضـربُ الأَمثـالُ سائرةً؛ في المجدِ والجودِ، والعلياءِ والحَسَب،

١٤ واللهِ ما قصّـرت منّـي مدائحكم؛ وإنّمـا أدركتنـي حرفـةُ الأدبِ!

١٥ يا ويحَ قلبـيَ؛ كم ظلَّـتْ تُقلِّبهُ أيدي الهموم على فرشٍ من اللّهب؛!

١٦ ولهفَ نفسـي لَو أجـدى، وَوَاحربَا، لـو كان ينفعنـي إن قلـتُ واحَرَبي.!

١٧ أفـي المروءةِ أن تظمَـى وقَـد صَدرتْ عَنْ بَحْـر جودٍ بعيد القَعْـر مضْطربِ؟

١٨ فإن أعـدْ خائبـاً عن بابِـكم فلقَدْ قلّدتـكمْ بعقُـود الـدرّ والذّهبِ!

١٩ وقلـتُ فيكم مديحـاً؛ لو مدحـتُ به شمس الضحى لَسَخَتْ بالأنجم الشّهُبِ!

٢٠ وقـدْ رميتُ عِدى فَقْـري بنائِلكمْ؛ لكنّنـي لِسـواد الحـظِّ لم أصُبِ؛

٢١ هي السَّعـادةُ إن تبـدُو مطالعُها يُحْظَ الفتـى ببلـوغ السُّولِ والأربِ؛

٢٢ وإن يكن غيرهـا؛ والحـرُّ مُمتَحَنٌ فمـا علَـى مَنْ أقـام العـذرَ بالطّلبِ!

٢٣ يا دهـرُ كم أتلَقّـى كلَّ نائبةٍ بِعَزْمِ ذي جلـدٍ يُوهـي قُوى النّوب؟

٢٤ وكم أُصبّـر نَفْسـاً طالَ ما طَعمتْ طعْمَ البلاَ في طلابِ المجد كالضَّرَبِ!

٢٥ وكم أُومِّـلُ؛ والآمـالُ تَعـكسُ آمالـي؛ وتمنعُنـي عن نَيل مُطلّبي!

٢٦ وكم أُردّدُ زفراتـي وأكتمُهَا خَوفاً مِن الحاسدِ الغيّارِ يَشْمـتُ بي؛

٢٧ واحسْرتـا لِهُمـومٍ في الهمـوم غدتْ فعّالـة فيه فعلَ النـارِ في الحطب

---

١٥ - ويح: كلمة ترحّم وتوجّع.

١٦ - لهف على ما فات: حزن وتحسّر، ويقال: يا لهف نفسي، وهي كلمة يتحسرّ بهـا. وأما «واحربا» فهي كلمة يندب بها الميت وتستعمل للتأسف؛ وكذلك واحربي، وواحرباه.

٢٠ - النائِل: المعروف والعطيّة.

٢١ - السؤل: المطلب.

٢٣ - النّوَب جمع نائبة وهي: المصيبة.

٢٤ - الضرَب: العسل الأبيض.

٢٥ - هكذا في الأصل، وثمة تحريف ولعل الأصل: «وكم أؤمّل والأفعال تعكِسُ».

٢٦ - الغيّار: كثير الغيرة، وشمت به: سخر منه.

٢٧ - هكذا في الأصل؛ ولعل الصواب «واحسرتـا لهمـوم في الفـؤاد غدت» و«واحسرتـا»: كلمة تلهّف.

- ٧٨ -

طبْ نفساً . . !*

ولَمّا أمره سيّدي سيف الإسلام أيده الله [يعني الأمير أحمد بن الحسن] بالبقاءِ عندَه والمُلازمة لِحضرته ، وولاّه عَمَلَ الكِتابة بعد أن وصل مرّةً أخرى إلى « معين » من بلاد « الجوف » سنة ١٠٧٥هـ قال رضوان الله تعالى عليه :

١ تنبّـهَ حظّـي بعـدَ طولِ مَنامِ ... بخَيْرِ مليكٍ وابـن خير إمامِ

٢ وردتُ النّميرَ العَذْبَ من سوح «أحمدٍ» ... على ظمـإٍ منّـي لَهُ وأوامِ . ؛

٣ فَنِلـتُ به رُمـحَ السِّمـاكِ مصاعداً ، ... وطَنّبـتُ فوقَ الْفَرقـدين خيامي ؛

٤ ورحـتُ بعَينٍ بالأَمانـي قَريرةٍ ... ولاقيتُ مِنـهُ الحادِثـات بِلاَمِ !

٥ أمنـتُ مَرامِـي الحادثـاتِ بظلِّهِ ، ... ونلـتُ مِنَ المرْمَـى البعيدِ مَرامي ؛

٦ وطُلْـتُ بهِ من كَان قِدمـاً مُطاولي ، ... وسـامَيتُ في العَلياء كلَّ مُسَامي ،

٧ وأصبحتُ والشّاني الحسودُ يقولُ لي : ... لِيُهنِـكَ مَرقـاً في السَّعـادةِ سَامي ؛

٨ وأصبـحَ بي عَامـي الطَّـويلُ كَلَحْظةٍ ، ... وكم لَحْظَـةٍ مَرّتْ علـيَّ كَعَامِ . !

---

*هذه الأبيات لا توجد في «ف»

٢ ـ النميرُ من الماء : الكثير . والأوام : شدّة العطش .

٣ ـ السماكان : نجمان يسمى أحدهما السماك الرامح والآخر السماك الأعزل ؛ وطنّبَ الخيمة : شدها بالأطناب وهي الحبال ، والفرقدان : نجمان معروفان .

٤ ـ اللام جمع لأمة وهي الدرع .

٥ ـ « مرامي الحادثات » : المرمى جـ مَرامٍ : مكان الرمي . و« نلتُ مرامي » : ما أرومه وأريده .

٩ وكنتُ أظنّ الدّهرَ أنكدَ لاَ يفي . . بِحِفْظِ عهودي ، أو بِرَعْيِ ذِمَامي ،

١٠ فأصبحَ دَهْري خَاضِعاً وكأنّما يُحاذِرُ حَدَّيْ ذَابِلي وحُسامي ؛

١١ ولِمْ لا تذلُّ النّائباتُ لِمَنْ أوَى إلى خَير منّاعٍ ، وخيرِ مُحامي؟

١٢ فيا قَلبُ ؛ طِبْ نفساً فقد فُزْتَ بِالْمنى ، ويا عينُ قَد نِلتِ الأَمَانَ فَنامي



١٠ ـ في الأصل : «يحاذر جدّى » بالجيم : تصحيف ، والذابل : الرمح ، والحسام : السيف .
١٢ ـ في الأصل : «قد نلت الأنام » ولا معنى له .

- ٧٩ -

الكتابة . !*

وقال رحمه الله في ذلك :

١	إن الكتابـة شأنُها	أعْزِزْبـهِ عنـدِي وأَعظِمْ؛
٢	يَعلُـو بهـا قَدرُ الفتَى	وتُعـزُّ صاحبهَـا وتُكْرِمْ؛
٣	ولقَـدْ دَخَلْنَـا لِلصّنَاعَـةِ من	قريبٍ ؛ ربِّ سلِّمْ

* الأبيات رقم - ٧٩ - سقطت من «ف» .

- ٨٠ -

في ركاب البحتري وأبي تمّام

وقال رضوان الله عليه يمدحه وكان إنشاء هذه القصيدة يوم الجمعة سلخ شهر جمادَى الأخرى المنتظم في سلك سنة خمس وسبعين وألف«١٠٧٥هـ» بمعمور صلْية «ظفار» من بِلاد «الجوف» ؛ واتّفق أن الشمسَ كَسَفت في ذلك اليوم فألحق ثلاثة أبيات في ذلك الكسوف ؛ وهذه من غرر قصائده :

١ مُلْكٌ بهِ عِزُّ الشَّريعةِ مُظهَرُ ... يُزْهَى به الدينُ الحنيفُ ويَفْخَرُ،

٢ وبناءُ عزٍّ شيدَ في أوج العُلَى، ... ينحَطُّ «كسْرى» عن ذراهُ و«قيصرُ»،

٣ ومخائلٌ ميمونَةٌ، وسعادةٌ ... مقرونةٌ بعزائمٍ لا تفترُ. ؛

٤ وَصوارمٌ مَصقولةٌ ، وذوابلٌ ... يعنو لها المسْتكبرُ المتجبّرُ؛

٥ وغنائمٌ من ذي الجلالِ؛ ولم يزلْ ... ربّ البريّةِ لِلْجميلِ يُيسّرُ

٦ يا مَنْ لَه في كلِّ يومِ كَريهةٍ ... من جدِّه الميمون سيفٌ أبتَرُ؛

٧ لولا محبّتك الجلاء لِمَنْ طغى ... لَكَفاكَ جَدٌّ في الحروب مُظفَّرُ

٨ أيقيسكَ البحرُ الخِضمّ، ولِلْورى ... من كلّ أنملةٍ بكفّكَ أبْحرُ. ؟

٩ كفٌّ ترى الأَملاكَ لثْمَ بنانِها ... شرفاً، ويحسدُها الغمامُ الممطرُ؛

١٠ مَن ذا يطيقُ نِزالَ مثلك في الوغى؛ ... لو قابَلتْكَ بكلّ «قَيْلٍ» «حميرُ»؟

٣ ـ المخايل . جـ : مَخيلة وهي « المظنّة » .
٦ ـ الكريهة : الشّدة في الحرب .
١٠ ـ القَيْلُ : الملك من ملوك « حمير » .

١١ ولَمَنْ رآكَ ولم يَمتْ من حِينِهِ بسيوفِ خوفك؛ إنّه لِمُعَمَّرُ!
١٢ ولَرُبَّ يومٍ قَدْ أثرتَ قتامَهُ وصبرْتَ؛ إذْ لا ذُوجَنانٍ يَصبرُ؛
١٣ وظلامِ نقعٍ لِلْوغى جلّيته، والأُسْد في أجُمِ الذوابلِ تزأرُ؛
١٤ فغدا الضّحى بكَ وهْو ليْلٌ أَلْيلٌ، وغدا الدُّجى بكَ وهو صُبْحٌ مُسْفِرُ
١٥ يابْنَ الأُولى نَصروا شَريعةَ جدِّهم، واستَنْقَذوا دينَ الإِلَه، وأَظْهروا،
١٦ قومٌ؛ لهمْ غاياتُ كلِّ سيادةٍ عنها تأخّرتِ الملوكُ وقَهْقَروا..
١٧ طَالُوا، وطابوا عنْصراً ووَشيجةً، نِعْمَ الوشيجةُ منهُم، والعنصرُ؛
١٨ سِرْ حَيثُ شئتَ يَسِرْ لديكَ مُصاحباً مِنْ نَصرِ مَولاكَ العَديدُ الأكثرُ؛
١٩ ومُرِ الزّمانَ بما تَشاءَ فَلَم تَزَلْ طُولَ المَدى تنهى الزّمانَ وتأمرُ
٢٠ ما اختراكَ المولَى لِتَحْمي مُلْكَهُ؛ إلاّ لأنّكَ دِرعُهُ والمغْفَرُ؛
٢١ كَمْ مِن مُلوكٍ قادةٍ ذلّلْتَهمْ وقد استَطَالُوا جُهْدَهُمْ وتكبّروا!
٢٢ ومَقاولٍ أفنيتَهم قَتْلاً وقَدْ سلكُوا سِوى نَهجِ الهدى فَتَحيّروا.؛
٢٣ نَبذوا عُهودَ اللهِ خلفَ ظُهورِهم، وعتَوْا على باريهم، واستكبروا،
٢٤ لو كانَ لِلتّوفيق فيهمْ مدْخلٌ تابوا إلى بَاريهمُ، واستَغْفَروا،
٢٥ عَميتْ بصائرُهُمْ لعظْمِ ذُنوبهمْ؛ والحقّ أَبْلجُ واضِحٌ لو أبْصَروا؛
٢٦ راموا بجَهْلِهمُ، وضَعْفِ عقُولِهمْ إخفاءَ دينِ محمدٍ.. لم يَقْدروا.
٢٧ طَلَبوا المحالَ فحالَ دُون مَرامِهمْ مَصْقولةٌ بيضٌ، وموتٌ أحمرُ؛
٢٨ وكَتَائبٌ خُضْرٌ تَظَلّ كُماتُها كالأُسْد في أجُم القنا تَتَبخْتَرُ،
٢٩ ظنّوا الإلَه يُنيلُهمْ ما أمّلُوا؛ واللهُ أعلَى أن يُضَامَ، ويُقْهَرُ،

---

١٢ ـ القتام: غبار الحرب. والجنان: القلب.
١٣ ـ النقع: الغبار. والوغى: الحرب. والأجمة جـ أُجُم: مأوى الأسد والأُجُم جـ آجام: الحصن.
١٤ ـ ليلٌ أليل: طويل شديد الظلام. ومسفرٌ: مشرق.
١٥ ـ المغفر جـ مغافِر: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة.
٢١ ـ في «ف»: «وتكثّروا» ـ ١٨ ـ في «ن»
٢٨ ـ في «ن» «كالأجم في أجم القنا» وهو خطأ.

٣٠ جُزْتَ السَّباسِبَ خَلْفَهُمْ فتركتَها — والمسْكَ أدْنى ريحِها ، والعنْبَرُ ،
٣١ وفَتَحتَ قهراً مِنْ معاقِلِ أرضِهم — ما كانَ يعجزُ عِندَه الإسكندرُ ،
٣٢ وغَدَا يُصَفَّدُ كلُّ ليثٍ منهمُ ، — ويُبَاعُ بالنّزْرِ الغَزالُ الأعفَرُ ؛
٣٣ في مَوقفٍ لِلنَّقْعِ فيه غَمامَةٌ ؛ — نَارُ المنايا تحتَها تتسعَّرُ ؛
٣٤ سُلَّتْ به مثلَ النجومِ صوارمٌ — تَركَتْ رداءَ النّقعِ وهو مُشَهَّرُ ،
٣٥ بيضٌ تُسَوِّدُ كلَّ منتصرٍ بها ؛ — ما لم يكنْ لجميلِ صُنعك يكفرُ ؛
٣٦ مِن كُلّ مشحوذِ الجوانبِ لم يَزَلْ — مُذْ كنتَ مِن عَلَقِ الأعادي يقطرُ ،
٣٧ والسُّمرِ تخطُر للِّقَا ؛ فقُدودُها — تُزْهى ارتياحاً ، والأسنّة تزهرُ ،
٣٨ مِنْ كلّ مطرورِ السّنانِ طَعينُه — لا يَنْثني ؛ وكسيرُهُ لا يُجبَرُ ،
٣٩ ما زِلتَ تسْقيها دماءَ رقابِهم — فلِذاك تثمرُ بالرؤوس وتبذرُ !
٤٠ والخيلُ تمشي في الحديد مُعَدَّةً ، — وعيونُها شزراً إليهمْ تنظرُ
٤١ لم يُدْرَ حينَ تكرُّ في آثارهم ؛ — أهي السّهامُ أمِ الجيادُ الضمَّرُ ؟
٤٢ يُطْلِعْنَ من غُرَرٍ لَهُنّ أهِلّةً — ينجابُ مِنْ إشراقهنّ العِثيرُ
٤٣ مِن كلّ معروفِ الأصُولِ تَخَالُه — كالسَّيل من أعلى الذرّى يتحدّرُ ،
٤٤ وإذا جرَى البرقُ اليَماني خلْفَهُ — أبصرتَه بغُبارِهِ يتعَثّرُ
٤٥ وإذا سَعى مَعَهُ الحيا متصَوِّباً — أَلفيتَهُ من خلْفه يتكسَّرُ ؛
٤٦ تَهوي لِهَاديهِ القَنا فيرُدّها — نفسٌ لَهْ لِلْغيظِ مِنهمْ يَزْفِرُ ،

---

٣٠ ـ السباسب . المفازات .
٣٢ ـ يصفّد : يكبّل بالأصفاد والقيود . والأعفرُ : نوع من الظبا .
٣٥ ـ تسوِّدُ : تجعله سيّداً .
٣٦ ـ العلَقُ : الدم .
٣٨ ـ مطرور السنان : مشحوذ محدّد .
٤٠ ـ العين الشزراء : المحمرّة من الغضب .
٤٢ ـ الغرّة : بياضٌ في جبهة الفرس . والعثير . الغبار .
٤٥ ـ متصوّباً : منصباً من صاب المطر : انصبّ ونزل .
٤٦ ـ الهادي هُنا : العُنق .

٤٧ نَسَـجَ العجـاجُ عليه درعـاً سابغاً ... عَـن فضِّهـا باعُ الأسنـةِ يقصرُ؛
٤٨ لولاَ امتثـال الأمـرِ في إرهابهمْ ... لكفَـاهُ ما نَسـجَ العجـاج الأكدرُ؛
٤٩ يَعلُـوهُ مَلْكٌ ما أَهـمّ بغايةٍ ... لِلْمجْـدِ إلاّ نَالَ ما يتعذّرُ،
٥٠ للهِ أَحْمـدُ؛ كم عُلًـى ، ومكارمٍ ... تُعـزى إليهِ، وكم معـالٍ تَبْهرُ!
٥١ مَلكٌ إذا ركبَ الجـوادَ حسبتَه ... بـدراً، له متـنُ«السَّحاب» مسخّرُ!
٥٢ وكأنّمـا أخلاقُـه لجليسه ... مِـن وَرْدِ روضـات المحامـد تُعْصَرُ،
٥٣ مَنْ ذا سواهُ لَه المحامِـد تُنْتَقى ... وتُحـاكُ أبـرادُ الثّنـا، وتُحبَّر.؟
٥٤ يا أيّهـا الملك الّـذي عزَماتُه، ... وَصِفاتُـه في كلّ أَرضٍ تُذكَرُ؛
٥٥ وافيتَ هذِي الأَرضَ تُحْيي مَيْتَها، ... ولِنُـورِ دينِ الله فيهـا تُطْهِرُ
٥٦ ومَنَحتَهـا نَظـر الشّـفيقِ ؛ فجئتَها ... تَحْيي مآثـرَ سالِفيكَ وتَعْمرُ،
٥٧ فأشـدْتَ من آثارهـم ما شَيّدوا، ... ولَمـا ابتَـدأْتَ من المـكارمِ أكثرُ،
٥٨ حتّى لَقَـد حَسـدتْ رُبَاهـا «مكّةٌ» ... واشْتَـاقَ قربَـكَ خيْفُهـا و«المشْعَرُ»،
٥٩ فاسْتَجلِهـا عذراء يَطْـوي نشرُها ... «طَيًّا»، ويقصـرُ عن مَدَاهـا «بُحترُ»
٦٠ لَمْ أذكرِ «الفتحَ بن خاقـان»، ولاَ ... قـد عاقَني عن بَحْـرِ جُودِكَ «جعفَرُ»
٦١ لا زِلـتَ؛ والدَّهـرُ العصـيّ مطاوعٌ، ... والملكُ ريّان المعـاطِف أخضر؛

٦٢ والشّـمسُ لَم تكْسفْ لأمـرٍ فادحٍ، ... أنّـى وَحظّـكَ في السعـادةِ أوفرُ؟
٦٣ لكِنّهـا اسْـتَحيتْ فأطْفَـتْ نُورها ... لَمَّـا رأتْـكَ ونـورُ وجهـكَ أنورُ؛
٦٤ أَوْ أنّهـا هويتْ جَوادكَ فاغتَدَتْ ... تهـوي إليهِ وهـيَ نَعْـلُ أحمرُ. !

---

٤٧ ـ العجاج : الغبار .

٥٩ ـ يشير إلى «أبي تمام» «الطائي» وله قصيدة على نفس الروي مدح بها المعتصم ومطلعها :

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمَرُ ... وغدا الثرى في حليه يتكسّرُ

والى «البحتري» وقصيدته على نفس الروي مشهورة في مدح المتوكل ومطلعها

أخفى هوىً لك في الضلـوع وأظهر ... وألام في كمـدٍ عليل وأعذر.

٦١ ـ الريان : النّاعم من كل شيء .

٦٥ هَذي الكَرَامـاتُ الَّتـي لا تَنْتهي — والمجـدُ، والشـرفُ الَّـذي لا ينكَرُ؛

٦٦ وبقيتَ كَهْفـاً يسـتغيث بكَ الورى — طـرًّا، ويبصـرُ رُشـدَهُ المستَبصِرُ

٦٧ وعلَـى النبّـي وآلـهِ مِنْ رَبِّنا.. — أَسْنَـى صَلاةٍ لاَ تَزالُ تكَرَّرُ

٦٨ ما فاحَ مدحُـكَ في البسيطـةِ عنبراً — واهْتـزّ مِن طَربٍ لِذكركَ منبرُ!



---

٦٦ ـ طرًّا : جميعا .

- ٨١ -

أقسمتُ لولا أياديه

وقال رضوان الله عليه يمدحه أيضاً ويهنّيه بعيدِ الفِطر سنة خمس وسبعين وألف (١٠٧٥هـ) وأرسلها إليه من «صنعاء» إلى المخيّم المنصور بالجوف :

١	عيدٌ ، ثغورُ الأَماني فيهِ تَبتسِمُ	وموسمٌ ؛ كلّ أجرٍ فيه يُغْتَنَمُ ؛
٢	عادتْ بعزٍّ وإقبال عوائدُهُ	لِمَنْ تُقَصِّر عن أوصافِه الكلِمُ ؛
٣	مَلْكٌ بَنَى غُرفَ العَلْيا ، وشيّدها	على دعائم عزٍّ ليسَ تَنْهَدِمُ ،
٤	يَعْفُو فتَبْتَسِم الأَرجاء ضاحِكةً ،	وترجُفُ الأرضُ خوفاً حين ينْتَقِمُ ،
٥	له سيوفٌ حِدادٌ أَكْلُها أبداً ،	وشربُها مُهَجٌ مَفْرِيةٌ ، ودَمُ ؛
٦	بيضٌ إذا فارقَتْ أجفانَها لِوغىً	فإنّما الْقَدرُ الماضي لَها حُلُمُ !
٧	أقْسَمتُ لولاَ أياديْهِ ، وعزْمته	ما كَانَ في الأَرض لاَ سَيفٌ ولا قلمُ ،
٨	كم موقفٍ خَاض أحشاءَ الحروب بِهِ ؛	وموجُها بدَم الأَبطال يَلْتطمُ ؛
٩	وكم أعادٍ أبادتْهم صَوارِمُهُ	قتْلاً ، ولو أسْلَموا طَوْعاً لَهُ سَلِموا ،
١٠	ما زالَ يقتلُهم في كلِّ مَعْركَةٍ	تشيبُ منْ هَولِها الأَصداغ واللمَمُ ،
١١	إذْ ظَلّ يدعو أخاهُ كلُّ ذي رحمٍ :	إليك عنِّي ؛ فليسَتْ بيننَا رَحِمُ ؛
١٢	أقْراهمُ ماضيات الحدِّ تفْعَلُ في	مَوائِد الحرْب ما لاَ يفعلُ النّهمُ ،

---

١ ـ في «ف» : «كلّ برّ فيه مُغْتَنَمُ» . والموسم : العيد . ومجتمع الناس .
٥ ـ مفرّيةٌ : من فرى يفري : شق وقطع .
١٠ ـ الصُدغ : ما بين الأذن والعين وهما صدغان : والشعر المتدليّ منهما . واللمّة : ما تشعّث من الشعر ، وما تجاوز شحمة الأذن .
١٢ ـ النهم : الشره إلى الأكل وإفراط الشهوة فيه .

١٣ جزاهُـمُ السيفَ عنْ كُفْـران نعمتِهِ — والسَّيفُ أحفـظُ ما تُحمَـى به النِّعمُ ؛

١٤ ولـم يَزلْ مُقدمـاً في كلِّ ملحمةٍ — غـرّاء فيهـا عُرَى الأَقـدام تَنْفَصِمُ ،

١٥ حتّى غدا الـدينُ ؛ لا في عينِـه عَمشٌ — مِـن الضّـلال ، ولا في أُذنِـه صمَمُ !

١٦ مِن الملـوكِ الأُلـى لَولاَ وجودُهمُ ، — وجودُهُمْ في الوَرى لم يُعْرَفِ الكرم ؛

١٧ من سَادةٍ قادةٍ شمٍّ جَحَاجحةٍ — تُرعَـى لديهـمْ عهـودُ اللهِ والذّممُ .

١٨ سادُوا البـريّةَ من عالٍ ومُنْخفضٍ ، — فَهـمْ ملـوكٌ وأمـلاكُ الـورى خدمُ ؛

١٩ فَكُلّ فضـلٍ نَبيلٍ دونَ فضلِهِمُ — وكلّ مجـدٍ أثيل دونَ مجدِهِمُ ؛

٢٠ إذا تفاخـرَ أمْـلاك الـورى فَخَروا ؛ — وإنْ تحـاكم أبنـاءُ العُلـى حكَموا ؛

٢١ وإن دَعاهـم إلـى الإعطـاء مُفْتَقِرٌ — يلبِّـه المجـدُ والعلياءُ والشيَمُ ،

٢٢ وتسـتعيرُ البـرايا مِنْ مكَارِمِهِمْ ، — فَـكُلُّ مكرمـةٍ بينَ الـورى لَهُمُ ،

٢٣ فازوا مِن الرتَـب العُلْيَا بأرفـعِ مَا — تَدْعُو لَه شِيَمُ العَلْياءِ والهِمَمُ ،

٢٤ ترى معاديَهـمُ في كلِّ معركةٍ: — « شهـبُ البـزاةِ سواءٌ فيه والرخَمُ » ؛

٢٥ يَبْني لَهـمْ غرفَ المجـد الأثيل فتىً — مُسَـوّدٌ لا يدانـي جودَهُ «هَرِمُ» ،

٢٦ لو أنّ أَسيافـه في الأرضِ مُصْلَتةٌ — من أوّلِ الدَّهـر لم يُعبَـدْ بهـا صَنَمُ ،

٢٧ لِيَهْـنِ قَومـاً إلـى أبوابـه وَفدُوا ؛ — فإنهـا كعبـةُ المعْـروفِ والحَرَمُ ؛

٢٨ أَمُسْتَـرِقٌ ملـوك الأَرضِ قاطبةً ؛ — كيفَ استرقّ يديكَ الجـود والكرمُ؟

---

١٥ ـ العمش : ضعف البصر .

١٧ ـ الجحجاح : السيد المسارع الى المكارم . والذمةُ : الأمان والعهد .

٢١ ـ لبَّ يلبُّ : لغة يمنيّة بمعنى : أجابَ بسرعة ؛ وكانّ منها اشتقوا لبّيك أي إلباباً بك بعد إلباب ، وإقامة على طاعتك بعد إقامة ؛ وإجابةً بعد إجابة ومن ذلك أيضاً الرجل اللبيب . والشِيَمُ جـ شيمة . الطبيعة ، وهي عند اليمنيين المروّه والكرم .

٢٤ ـ عجز بيت للمتنبّي وصدره : «وشرّ ما قنصته راحتي قنصٌ» . والشهب: جمع أشهب ؛ ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم جمع رخمه طائر معروف .

٢٥ ـ هرم بن سنان ممدوح زهير .

٢٧ ـ في «ف» « فإنها كعبة الوفاد » .

٢٨ ـ استرقّ العبد : ملكه . وقاطبةً جميعاً .

٢٩ لو أنصفَ الدَّهــرُ أَهليهِ لمــا حُديتْ إلاّ لِقَصْــدِ حمــاك الأيْنــقُ الرُّسُمُ ؛

٣٠ لا يُعْـدِمِ اللهُ هَذَا الخَلْـقَ منــكَ يداً بجودِهــا أُمِــنَ الأقْتــارُ والعُدُمُ ،

٣١ وانعــمْ بمقــدمِ هذا العيد لا بَرِحَتْ لــديك فيه ، وفي أمثالِــهِ النِّعَمُ ،

٣٢ واسْعـدْ بمأجـورِ ما قدَّمــتَ مِن قُربٍ ومـا دعا لكَ فيه العــربُ والعجمُ ؛

٣٣ يَفْـديكَ رُبَّ حَســودٍ في الملــوكِ بما أحــرزْتَ من قَصَبـاتِ السَّبـقِ دونَهُمُ

٣٤ ما دُمْــتَ فالدَّهْــرُ مأمُــونٌ عداوتُه ، والعيشُ غضٌّ ، وثغــر الملكِ مُبتسِمُ



٣٠ ـ أُمِنَ ؛ مع البناء للمجهول ـ والأقتار : قلّة المال ، والعُدُم : الفقدان ، والعِدَم : الفقير .

٣٣ ـ رُبَّ هنا للتقليل ، وهي زائدة والمعنى يفديك حسودٌ من الملوك ، وقصبات السبق ؛ يقال أحرز قصب السبق ؛ أي فاز وغلب ، وأصله أنهم كانوا يرفعون قصبةً في ساحة السباق والسابق إلى اقتلاعها هو الفائز .

٣٤ ـ الغضّ : الطري الناعم النّضرِ .

أتقبلُ من جاء يستغفرُ ؟

وقال يمدحه ونقله الله تعالى إلى دار كرامته قبل إكمال هذه القصيدة :

١	سقامـــيَ يُظهِـــرُ ما أضْمِرُ	ودَمْعـــي يُعـــرّفُ ما أُنكِرُ؛
٢	كتمـــتُ الّـــذي بي خوف العِدى،	ومُضْمـــرُ سِرّ الهـــوى مظهرُ؛
٣	ولـــي عاذلانِ علـــى مالِكي؛	فهـــذا نكيرٌ ، وذَا مُنكرُ،
٤	أطيلا ملامـــي ، أو أَقْصِرا،	فإنّـــي في الحُـــب لا أقصر،
٥	بليتُ به ؛ قَاسِـــيَ القلـــبِ لا	يُراعـــي عهـــودي ولا يذكرُ،
٦	يُخادِعنـــي جفنُـــهُ	بالفتورِ ، ومـــا المـــوت إلاّ إذا يفترُ. ،
٧	ويخطـــر تيهـــاً ؛ فلا	السَّمهـــريّ لَدْنٌ ، ولا الغُصُـــنُ الأخضرَ؛
٨	فيا خَاطِـــراً في رداءِ الْبَها،	ســـواكَ بِبَالِـــيَ لاَ يخطرُ. .
٩	إلـــى كمْ تجـــيء شكاتـــي فَلاَ	تُصيخُ إليهـــا ، ولا تنظرُ؟
١٠	أحينَ سَعـــتْ بي إليك الوشـــاةُ	صدّقـــتَ فيَّ الّـــذي يُذْكَرُ؟
١١	وَهَبْنـــي كمـــا نَقَـــلَ الحاسدونَ	عنّـــيَ ظُلْمـــاً ، ومـــا زوّروا. .
١٢	فأينَ التجـــاوز عمّـــن يُسيءُ؟	وأينَ إقالـــةُ مَنْ يَعثر؟

---

١ ـ في «ف» : «ووجدي يُعرّف» .
٣ ـ مُنْكرٌ ونكير : فتّانا القبور .
٦ ـ الفتور : الضعف، وأفتر : ضعفت جفونه فانكسر طرفه .
٧ ـ خَطَر في مشيته : مشى متبختراً يرفع يديه ويضمها .
٨ ـ خطر الأمر بباله : ذكره بعد نسيان .
١٢ ـ الشكاة : الشكوى .
١٢ ـ أقال . أنهض ، ورفع .

١٣ أذنْبـي وَحْـدي ؟ أمْ هكذا ذنـوبُ المحبّين لا تُغفَرُ؟
١٤ وهـا أنـا قد جئـتُ مُستغفراً أتَقبَـلُ مَنْ جاء يَستغفِرُ؟
١٥ ويا هَاجـراً ليَ حتّـى متَى لِمُضنـاكَ طُول المـدى تهجر؟
١٦ إذا شِئـتَ أَنْ نتسلّـى هواكَ، ونَصْبِـر ؛ لاَ كَانَ مَنْ يصبرُ!
١٧ فقُـلْ لِقوامِـكَ : لا ينثني، وقُـلْ لِلحَاظِـكَ : لا تَسحَرُ؛
١٨ ولا تُرِ أبصَارَنـا مُقْلَةً، وقَـدًّا؛ هُمـا السَّيفُ والأسْمرُ!
١٩ وغَـطِّ العـذارَ فَمَهْمَـا بدا . . فإنّـا علـى خَلْعِـهِ نُعْذَرُ . !
٢٠ وإلاّ فَقُـلْ ليَ ماذا نقولُ غـداً؛ حين يجْمعنَـا المحشرُ؟
٢١ فإنـكَ أورَثْـت جسمـي الضّنَى وَحمّلتنـي فوقَ ما أَقْدرُ،
٢٢ وخلّفْـتَ قَلبـي لاَ يَهتَدِي لغيرِ هواك ، ولا يُبْصِر،
٢٣ أمـا خِفْـتَ أنـي بسيفِ الهُدى مليكِ البـريّة أسْتَنْصِرَ؟
٢٤ بأمْنَـعِ مَنْ سَمـعَ السَّامعـونَ ، وأكْرم مَن أَبْصَـرَ المبصرُ؛
٢٥ فـإن جادَ يومـاً ؛ فَمَـنْ «حاتمٌ»؟ وإنْ جَالَ يومـاً ؛ فَمَـنْ «عنترُ»؟
٢٦ هـو ابـنُ « النبـيّ »، هو ابـنُ « الوصـيّ »؛ كذلك فَلْيكن المفخرُ؛
٢٧ هُـو الضّـاربُ الهـامِ يومَ الوغى إذا ما الكُمـاةُ بهـا قَهقَروا؛
٢٨ مليكٌ بكفّيهِ للطّالبينَ سَحَائـب لا تأتلـي تُمْطِرُ؛
٢٩ نَمَتْـهُ نجـومُ سمـاء العُلَى ولكنّـهُ بدرُهـا النيّرُ؛
٣٠ حَوَى رتبـةً كلُّ سامي الفخـار منَ النّاس عَنْ نيلهِـا يقصرُ.

---

١٩ ـ العذار . الخدّ ؛ والشعر الذي يحاذي الأذن . ويقال : خلع عذاره : أي اتبع هواه .
٣٠ ـ في «ف» : « كلّ سامي الغلى » .

- ٨٣ -

نسيبٌ ، ومدحٌ ، وشكوى ؛

وقال يمدحه ونقلَه الله تعالى إلى دار رحمته ولما يُكمل هذه القصيدة أيضاً :

١	هُو الربعُ؛ لكنْ غيَّر الدَّمعُ مَغْناهُ	فَلا تُنكِروه إنْ محاهُ، وأبلاهُ. !
٢	وأقفرَ مِمّنْ تَعْهدون ؛ فقُلتمُ	سِواهُ ، ولاَ واللهِ ما هُو إلاّهو. !
٣	يُذكّرني شاري البروقِ أهيلَهُ	فَيضمنُ دَمعي عِند ذلك سُقياه؛
٤	ويرتاحُ قلْبي إنْ تذكّرتُهمْ وقدْ	تُهوِّنُ ما يلْقى المتيّم ذِكْراه!
٥	سقَى اللهُ عَصراً فيه قدْ ضمّ شملَنا	جميعاً، ودهراً بالوِصال قطعناهُ؛
٦	وأُنْساً بِهمْ أبْدلْتُ عنْه بوحْشةٍ،	وعيشاً تقضّى لستُ واللهِ أنساهُ؛
٧	فيا ليت شعري ؛ هلْ يعود زمانه	ويُسعِد دَهري في المنام بلقْياهُ؟
٨	وقائلة : صبراً على غُصصِ النَّوى	فَقدْ قيل إنّ الصّبر تُحمد عُقباهُ؛
٩	ومن يكُ لم يَصبْر مَعَ القرب قلبُه؛	فكيفَ وقد زمّ الرَّحيل مَطاياهُ؟
١٠	فآهاً لِصَبّ كلّما ذكرَ النّوى	أبا ذكرُها أن يطْعَم النّومُ جفناهُ؛
١١	وآهاً لآمالٍ طَوتْها جوانحي	إذا هَبَّ دَاعيها بدمْعي لَبَّاهُ؛
١٢	أقولُ لعلّ الدَّهر قد نَامَ طرفه	وجاءَ من الإِقبال ما أتمنّاه؛

---

١ - في: ف «غير البين».

٦ - في «ف» : « أبدلتُ مِنه » .

٩ - في «ف» : « فكيف إذا زمَ الرحيل » . وزمّ الجمال : خطها

١٠ - في «ن» : « أن تَطْعمَ » .

١٣ ومَهمـا أومّـلْ قطّ مِن نَيل حاجةٍ أباهَـا عليَّ الدّهـرُ ؛ ما لـي وإيّاهُ؟
١٤ وليسَ علـى الأيّام تَقْـريب مَطْلبٍ إذا أَبْعـد الشّخصُ المؤمِّـل مرماهُ . !
١٥ ألا في سبيل الحُبّ قلـبُ مُعذّبٌ رمـاهُ بسهْـمِ البعـد من كانَ يَهواهُ!
١٦ قَضَـى برْهَـةً في طيب عَيشٍ بوصلِهِ فأبعـدَهُ عنـه الزّمـان وأقصاهُ ،
١٧ ودُرِيّ ثغـرٍ ما لَـه مِن مُشابهٍ وربّما لِلّنـاسِ في النّـاسِ أشباهُ ؛
١٨ تمثّـلَ لي بالسِّحْـرِ ورْداً ونَرْجساً ومـا هي إلاّ وجنتـاهُ وعَيْنَاهُ ؛
١٩ دَعانـي إلـى دينِ الصَّبابـةِ طرفُه ولـم أدرِ ما دينُ الصَّبابـةِ لولاهُ . ؛
٢٠ فيا ويحَ قلْبـي ما أشـدّ خضوعهُ لـديهِ ، ومـا أقسـاهُ قلبـاً وأجفاهُ ، !
٢١ وأحفظنـي حبًّـا لِعَهـدِ ودادِه ، وأوهَـنَ عقـدُ الـودّ منّـي وأوهَاهُ ؛
٢٢ ومكتئِـبٍ أَخْفـى هواهُ صبابةً زَمانـاً ، فأضْنـاهُ سقامـاً وأحفَاهَ ؛
٢٣ يهيمُ لعُلْـوي النسيم إذا سَرَى بنَشْـرِ أَقاحـي «حاجـرٍ» وخُزَاماهُ ؛
٢٤ ويَصبو إلى الأَغْصَانِ أغصـان «رامةٍ» إذا ذكّرتْه قَدَّ مَـنْ كَانَ يهواهُ ؛
٢٥ ويسـألُ عنْ حال «العقيق» وأهله ؛ ألاَ فَسَقـى اللهُ العَقيقَ وحيّاهُ!
٢٦ ويُذْري لتـذْكار «الغُـوَيْر» مدامِعاً تكفّـل عَنْ أيدي الغمـامِ بسقْياهُ ؛
٢٧ ويذكرُ «نَعْمـانَ» الأَراك فينتشي بعاثِـر رَيّاه ؛ فكيفَ برُؤْياهُ . . !؟
٢٨ ومـا أنسَ لا أنْسَ «الحِمَـى» ولرُبّما تحـوّل دَهـرٌ بالْمحبِّ فأَنْساهُ ؛
٢٩ وليلٍ سَرينـاهُ عَلـى مَتْـنِ هِمّةٍ تُكَلِفنـا ما يُعْجِـزُ الدّهـرَ مأتاهُ ؛
٣٠ تكفّـل فيه «النّسـر» خَفْضَ جناحِه لِعـزم فتَـىً لا يرتقـي النّسـرُ مَرقاهُ

٢١ ـ أحفظ : أغضب ، وأوهن : أضعف .
٢٢ ـ أحفى : أذرى .
٢٣ ـ عُلويّ النسيم : النسيم الذي يهب من العوالي . والعوالي قرى بظاهر المدينة ، والأقاحي جمع أُقحوانة : نبات أوراق زهرة مفلجة . والخُزامى : من فصيلة الزّنبقيّات وأزهاره متعدّدة الألوان .
٢٥ ـ العقيق : موضع بالمدينة المنوّرة .
٢٦ ـ أذرت العينُ دمعها : صبّته .
٢٧ ـ الأراك واحدته أراكه : شجرٌ طويل الساق تتخذ منه المساويك .
٢٩ ـ المتن : الظهر .
٣٠ ـ النّسر : نجم معروف .

٣١ وقـد وقَفَـتْ فيه «الثـريّا» كأنّما تُعرِّفنـا أَدنـى الطَّـريق وأقصاهُ؛

٣٢ كأنَّ عَصـا «الجـوزاء» حدَّتْ لِسيرهَا مـن الأُفـق حَدًّا ؛ فهـي لا تتعدّاهُ !

٣٣ فَشبّهتُهـا بين النجـوم وقَـدْ بدَتْ بـكفِّ «صفـي الـدين» بينَ عَطَاياهُ؛

٣٤ فتـىً لا يُدانَـى في المـكارمِ رِفعَةً، ولا تبلـغ الأوهـام في المجـد مرماهُ،

٣٥ فتـىً جلَّ قدراً في الـورى عن مُشابهٍ مِـن الخلْـق طرًّا، والخلائـق أشباهُ ؛

٣٦ أخـو كَرَمٍ لاَ يبْتَـدي القـولَ واعداً بَجدْواهُ ؛ حتى تَبْـتدي الفِعْـلَ كفَّاهُ ؛

٣٧ ومـا هُو إلاّ عقْـد مَجْـدٍ وسُؤدَدٍ وتبْـرٍ مِن العَلياء أخلَصَـهُ الله!

٣٨ فلـو أنصفَـتْ غُرُّ الأهلّـةِ نَعْلَهُ لكان على الأحـداق مِنْهـنّ مَمشاهُ ؛

٣٩ «صَفِيّ الهُدَى» كُنْ حيث شِئتَ من العُلَى؛ فما الجـودُ إلاّ اسمٌ وأنـت مُسَمَّاهُ؛

٤٠ رويدَكَ ما فوقُ الـكَواكِبِ رِفعةٌ؛ فـأيُّ محـلٍّ فوقَهـا تَتَوخّاهُ ؟

٤١ أبا «حَسَنٍ»؛ والدَّهرُ قد جار واعتَدى عَلـيَّ؛ وبالأَضـرارِ قَدْ طَالَ مَسْعَاهُ ؛

٤٢ وحَمّلنـي دَينـاً أبيتُ لأَجلِهِ أُسَامِرُ نجْـم الأُفـق لَيْلِـي ؛ وأرعَاهُ،

٤٣ فكُن مُنْقِـذي منْ جَوره يابْـن «حَيْدرٍ» وكُنْ صَارِفـاً عنّـي أذاهُ وبلواهُ،

٤٤ أنِلْنـي منَ المعْـروف ما أنـتَ أهلُه؛ وقُـلْ لِتَصـارِيف القَضَـا قَدْ أجرناهُ؛

٤٥ فَسوحُـكَ سَوحٌ لا يُضـامُ نَزِيلُه وكيفَ يضيمُ الدهـرُ مَنْ أنـت مولاهُ؟

---

٣١ ـ الثريا : مجموعة كواكب في عنق «الثور» .
٣٢ ـ الجوزاء : برج معروف .
٣٥ ـ في : «ف» : «جلّ قدراً في العلى» .
٣٧ ـ التبر : الذهب في تراب معدنه .
٤٠ ـ في «ن» : «فأي محل دونها» . وتوخّى : تطلّب .
٤٣ ـ في «ن» : «من جوره يابْنَ أحمدٍ» .
٤٤ ـ تصاريف القضا : نوائبه وحدثانه .
٤٥ ـ لا يُضامُ نزيلُه : لا يُظلم ولا يُقهر .

- ٨٤ -

زيّن إبليس لهَمْ ما أتوا . .

وقال رحمه الله يخاطبه وقد نقضَ عهدَه قومٌ يُقَال لهم «المعِضّة»* ووَقع بينهم وبينَ بعض «مَقادمِته» حرب وأسروه فيها ثم تابوا :

١ ثِقْ بالذي صيّر دونَ الورى ... في راحتيْك البسْطَ والقَبضَا

٢ ما أحكموا من كيدهم عقدةً ... إلا وأحكمتَ لَها نَقْضَا ؛

٣ كم عرّض الكلبُ على قُبْحِهِ ... بالنَّبحِ لِلْبدرِ ، وما عَضّا ،

٤ زيّن إبليس لهم ما أتوا ... فاعتقدوا طاعتُه فَرضَا . !

٥ راموا بحكمِ الجهْلِ أن يَجْحدوا ... مِن فضلِكم ما طبّق الأرضا ،

٦ وما دَروا أَنّ ديونَ العُلى ... بسُمْرِ أرماحك تُسْتَقضىَ ؛

٧ وأن أَسيافك من غَيظِها ... ما طَعمتْ أجفانها غَمْضَا ؛

٨ وأنّ آراءَك إن أُعْمِلَتْ ... في حادثٍ كالسّيف أو أمضَى ؛

٩ فَرّوا مِن الْخَوفِ فما قصّرتْ ... خيلكَ في أَدبارهم ركْضا ،

---

* ضبطها في «ف» بكسر العين المهملة وتشديد الضّاد المعجمة وقال في الهامش : ان اسم الأسير السيّد محمد بن صالح الحمزي ، والمقدمي : قائد الحملة ورئيسها .

١ ـ الراحة : باطن اليد ؛ والبسط والقبض ، أي السّعة والشدّة .

٢ ـ أحكم : أتقن .

٥ ـ طبّق : غطّي وعمّ .

٨ ـ أُعْمِلَتْ : عُمِلَ بها ونفّذتْ . وأمضى : أشدّ قطعاً .

٩ ـ في «ف» : « فرّوا من الصبر» .

١٠ كانــوا مِنَ الحيرةِ في ظلمةٍ يَلعــنُ فيهــا بعضُهــمْ بَعْضا .!

١١ حتــى استْبَانــوا بكَ نهــجَ الهدى واستوضحــوا السنــةَ والفَرْضا ،

١٢ وقَــد غَدا غَايةُ مَطْلوبهمْ أن تغفــرَ الذنــبَ وأنْ ترضى ،

١٣ فاصفــح بحلــمٍ عنهــمُ مُغضياً فالصَّفــحُ من دَأبــك والإغضــا،

١٤ وخلّهــم في الأرض أَسْــرى فَقَدْ ملــكتَ مِنهــا الطّــول والعَرضا.



---

١٣ ـ في «ن» : « فاصفح بعلم » .

- ٨٥ -

ألاَ .. في سبيل الحَبّ

وقال رحمه الله يمدحه ؛ وقبض الله تعالى روحه قبل إكْمالِ هذه القصيدة:

١ سلــوا دارَهُــم أينَ استَقــرَّ فَرِيقُها ... وأَيّ فلاةٍ كانَ فيهــا طَريقُها؟

٢ سقَاهــا الحيَا مِنْ أَرْبُــع ومَنازِلٍ ... لَهـوتُ بهــا إذ ليسَ غيري طروقُها ؛

٣ إذ العيشُ ريّان المعــاطفِ أخضرٌ ... ولم تَذْوِ مِنْ دَوْحات لَهْوي عروقُها ،

٤ لقَــدْ رَحَلــوا مِنهــا الغَــداةَ وخلَّفوا ... حشاشــة قَلْـب لَيْسَ يَهْـدا خفوقُها ،

٥ خليلَــيَّ قد أبرَمْتمــا ، إذ عَذَلْتُما، ... وكَلّفتمانــي خُطَّــةً لا أطيقُها ؛

٦ تَرومانِ أنْ تسلو عن الحُبِ مُهجتي، ... أيحســنُ مِن بعــدِ الوفــاءِ عقوقُها؟

٧ وغيرُ سواءٍ يا خليلَــيَّ فاعْلَما ... مقيّد نفسٍ في الْهــوى وطَليقُها ؛

٨ أَلا في سبيل الحُــبّ مهجــةُ وامقٍ ... إذا لاحَ برقُ «الأَبــرقين» يُسوقُها ؛

٩ وغيداء يُسبــي الغُصــنَ لينُ قوامِها ... ويفضحُ شمسَ الأُفـقِ نوراً شروقُها؛

١٠ سقَتْنــي علــى أُولــى الشَّبيبــة والصِّبا ... كؤوسَ هوىً ما خلـتُ أنّــي أذوقُها،

---

١ ـ الفريق : الجماعة من الناس .
٢ ـ الطروقُ :و الطارِق ؛ وهو الآتي للزيارة ليلاً .
٣ ـ لم تَذْوِ : لم تذبلَ .
٤ ـ الغَداة : أول النّهار .
٥ ـ أبرَمَه : أملّه ، وأضجره . والخُطّة : الأمر .
٧ ـ غير سواءٍ : غير متساويين .

ومنها في المدح :

١١ من القومِ طَالتْ في الْمعالي فروعُها | عُلوًّا ، وطابتْ في المساعي عروقُها ،
١٢ إذا انتَسَبَتْ لِلْمكرماتِ بنو العُلى | فأَنتَ أخُوها دوَنَهمْ وشقيقُها ،
١٣ وكَمْ من ملوكٍ قد ثَلَلْتَ عروشهَا | وما كانَ لولا أنتَ خلقٌ يُطيقُها ،
١٤ طغَتْ وبَغَتْ فِعْلَ الفسوقِ وأَعرضَتْ فحاقَ بها طغيانُها وفسوقُها؛
١٥ صمدتَ لَهمْ في كلّ بيداء مَجْهَل | وقد أظْلمتْ تحتَ العجاجِ طريقُها،
١٦ وسقيتهم كأسَ الحروبِ كأنَّما | أديرتْ عليهم بالعوالي رحيقُها،
١٧ وأدْخَلْتَهمْ في الدين كَرهاً وطاعةً، | وقد بان مِنْ دين الإلهِ مروقُها؛
١٨ إلى أن رعوا حقّ الشَّريعةِ وارعووْا | وما كَان لَولاَ أَنتَ تُرعى حقوقُها؛
١٩ وما زِلتَ حتَّى انقاد طوعاً حماتها | وحتى استوتْ أملاكُها ورقيقُها ؛
٢٠ وجاءتْك تمشي في القيودِ ذَليلةً | وقد جَفَّ خوفاً من سيوفك ريقُها،
٢١ أَتترعُ يوماً لِلْعُفاةِ مواردأ | وأصدُر عنها ظامياً لا أذوقُها!
٢٢ لك المجد والعلياء غير منازَعٍ ، | إذا لجّ في دعوى المعالي فريقها .

---

١٢ ـ الشقيق : الأخ لأب وأم .
١٣ ـ ثلَّ : هدم .
١٤ ـ حاق : نزل واحاط .
١٥ ـ صمد : قصد . والمَجْهل : المفازة لا أعلام فيها لهداية السالك .
١٧ ـ المروق : الخروج بضلاله .
١٨ ـ ارعوى : كفّ عن الجهل .
٢١ ـ أتْرَعَ : ملأ . والعفاة : المسْتَرزقون . وأصدر عنها : وأرجعُ عنها .

- ٨٦ -

تذكير . . !

وقال رحمه الله يستنجزه وعداً كان وَعَدَهُ به :

١ أذكِّر الوعــدَ مولاَنَــا ومالِكَنا ولــم يكُن ناسياً وعْــدي فيدّكر ،

٢ لكِن هزَزتُ به ماضــي الغِــرار كما يُهَــزّ لِلْفتــكةِ الصَّمصامــةُ الذكرُ؛

٣ والله قد أمــر الطّهــر البتــولَ بأن تهـزّ بالجـذع ِ حتّــى يسقــط الثّمرُ ؛

٤ لَو شاء جلَّ لأَغناهَــا وأطعَمها ممــا تشــاءُ ولا جذعٌ ولا شجرُ!

٥ وكم شكَونــا لَه سبحانــه ضَرَراً؛ ومنــه كان امتحانــاً ذلكَ الضررُ.

---

١ ـ ادّكر : تذكّر .

٢ ـ الغرار : حدّ السيف .

٣ ـ البتول : العذراء ويقصد السيدة مريم عليها السلام ، والجذع : ساق النخلة .

- ٨٧ -

قطرٌ، وبحر . . *

وقال رحمه الله وأرسلها اليه صحبة «قطر» أهداه له .

١	أمـولاي قَدْ أهـدى أسيرُ ودادكم	لمالِـكِهِ شيئـاً يسيراً من القَطرِ
٢	فجـد بقبـولٍ واعـذرِ العبـدَ مِنّةً	فما خلتُ أنّ القَطْرَ يُهْدى الى البحرِ!
٣	ولن يبلـغ المملـوك غاية قدرِكم،	ولـو جاء بالشـمسِ المنيرةِ والبدْرِ

---

* الأبيات رقم - ٨٧ - سقطت من «ف» .

١ - القطر : سكّرٌ يذاب بالماء ثم يغلى على النّار حتى ينعقد . وماء الورد أيضاً

- ٨٨ -

صفيّ الدين

وقال فيه :

١	يا طالباً لِلّــرزقِ إن تَرُم العَطا	مِــن غير «أحمــد» فاقْتنــعْ بالدّونِ
٢	لا تأمَلَنّ ندى الــكرامِ فإنّما	أخـذوا المـكارم عَن «صفــيّ الدين»



- ٨٩ -

مشروع قصيدة . .

وقال أيَّام إقامتِه لديه وكأنَّه كان يريدُ أن يجعلَها قصيدةً على هذه القافية :

١ أنِخْها؛ فَهَذا مربعُ المجدِ والفَضْلِ ، وقِفْ نُملِ أَخبار المعالي ونَسْتَملي؛

٢ ونقضِ بهِ ما أوجَبَتْ شرِعةُ النَدَى عَلى الحُرِّ مِنْ فَرضٍ أكيدٍ ومن نَفْلِ !

---

١ ـ أناخ البعير : ابركه . وأملى الكتاب : قاله فكتب عنه ، واستملاه : سأله أن يمُليه عليه .

٢ ـ في كلٍّ من «ن » و «ف » «على الخدِّ» بالدّال والصّواب . ما أثبتُّه «عَلَى الحُرِّ» بالحاء المُهمَلَة والرَّاءِ .

- ٩٠ -

حقّ الشعراء .

وقال يَستشفع لجماعةٍ من الشّعراء وفدوا إليه :

١ مولاي للشعـراء حَقٌّ لازمٌ لا يَنبغـي في شأنـهِ الإغضاءُ ؛

٢ وبِبابِكَ المحـروسِ منهـم عصبَةٌ، مسَّهُـمُ البأسـاءُ والضرّاءُ!



- ٩١ -

أغلال الديون

وقال رحمه الله وأرسلها إلى السيد الأكرم عزّ الإسلام محمد[١٠] بن أحمد ابن أمير المؤمنين المنصور بالله يشكو إليه ديوناً لَزِمته :

١	لِعـدْلِكَ قد وجّهـتُ يابـن محمّدٍ	شكاتـي عن حُزنٍ مراجلُـه تَغْلي
٢	حنـانيك من دهـرٍ غدا لي مُخادِعاً	يعاملنـي بالجـدِّ في صورة الهزلِ
٣	دَهتْنـي في شرح الشبـابِ صروفه	بما يذهلُ الخـلَّ الشـفيقَ عن الخلِّ!
٤	رمانـي بنبل لم يُرش قطّ مثلَها،	ولا بلغـت غاياتهـا همّـةُ النّبلِ ؛
٥	وصـدَّر دُونـي كلَّ أحمـق جاهِلٍ ،	وكلَّ لئيمٍ ؛ لا يُمـرُّ ولا يُحْلي ،
٦	إلـى كم أعانـي الفقـرَ فيكم ، وأنتمُ	لَعَمري أحمَى مِن أبي الشبلِ للشِّبل ، ؟
٧	ويَظْلمنـي صرفُ الزّمـان ، وأنتمُ	بكم رُفِعـتْ بينَ الـورى رايةُ العدلِ؟
٨	فَفُـكّ بأيْدي الجـودِ أسـريَ مُنْعِماً	علـيّ فإنّـي من ديُونـي في كبْلِ . !
٩	ديونٌ أخافتْنـي، وبَثَّـتْ عَلائقي	مِنَ النّاسِ حتّى كدتُ أفزعُ من ظلِّي ؛
١٠	ولا زلـتَ فينـا يَسْتغيث بِكَ الورى ،	لِمـا نَابَ من ضرٍّ عظيمٍ ، ومِـن أَزلِ

١- انظر ترجمته في اعلام الديوان

....

١ ـ المراجل جمع مِرجل : القِدر .
٢ ـ الحنان : الرحمة . وحنانيك : يقولها طالب الرحمة كأنه يقول : تحنّن عليّ حناناً بعد حنان . وفي «ف» : « في معرض الهزل » .
٣ ـ شرحِ الشبابِ : أوّله وريعانُه .
٥ ـ صدّر : قدّم .
٨ ـ في «ف» : «فإني من ذنوبي » وهو تصحيف .
٩ ـ في «ف» : « كدتُ أهربُ من ظلّيّ » ، والأزل : الشدّة والضيق .

-٩٢-

تهنئة وفراسة

وقال يهنيءُ السيّد العلامة عماد الدين أبا عليّ يحيى بن الحسين[١١] بن أمير المؤمنين المؤيد بالله بحدوث ولده «زيد بن يحيى[١٢]»؛ يوم الخميس ٥/ ذي الحجة سنة ١٠٧٧ هـ .

١ كنانة عزّ فوّقتْ لِلْعِدى نَصْلاَ ... وغَايَةُ مجدٍ أطلعتْ لِلْعُلَى شبلا؛

٢ وأفق فخارٍ أطلعَ البدرَ زاهراً ... يُنير فيمْلاَ نورُهُ الحزنَ والسَّهلا؛

٣ وروضةُ فضلٍ أنْبتتْ غصن سؤددٍ ... عَلاَ فوقَ دوحات المكارم واستَعْلَى،

٤ ونجمٌ به تُرمَى حواسدُ مجدِه، ... ونجلٌ لخير الرسل أكْرِمْ بهِ نَجْلاَ ؛

٥ وفرعُ كمالٍ أصْلُه سيّدُ الورى ... فيا حبذا فرعاً، ويا حبّذا أصْلاَ؛

٦ وملكٌ نضاهُ اللهُ سيفاً لدينه ... يقود إلى أعدائِه الخيلَ والرَّجْلاَ

٧ يُشتّت شَملَ الكَافرين بعزْمِهِ، ... ويجْمع للدّينِ الحنيف به شَملا

٨ ويهدم ربعَ الظلمِ بالبيض والقنا، ... ويوسع أهلَ الأرضِ منْ حُكمِهْ عدْلا؛

---

(١١) و(١٢) تراجع ترجمتهما في: أعلام الديوان.

١ـ الكنانة جُعبة السّهام. وفوّق السّهم: جعل له فُوقاً، والفُوقُ. مشقّ رأس السّهم حيث يقع الوتر.
٣ـ الدوحة: الشجرة العظيمة.
٤ـ النجل: الولد، والنسل.
٥ـ في «ف»: «ويا طيب ذا أصلا». و«حبّذا» كلمة مركبّة من حبّ وذا تستعمل للاستحسان.
٦ـ الرَّجل: جمع راجل: من يمشي على رجليه لا راكبا.
٧ـ الشمل: «ضد» ما اجتمع من الأمر وماتفرق منه حسب السياق؛ يقال: شتت الله شملهم: أي ما اجتمع من أمرهم، و«جمع الله شملهم»، أي ما تشتت من أمرهم.
٨ـ الربع: الموضع يرتبعون فيه، وارتبع بالمكان: أقام فيه زمن الربيع.

٩ أرى الله منـه الخلـقَ باهــرَ صُنعِه فصَـوَّر لِلْنـاسِ السَّماحــةَ والفَضْلا؛

١٠ وأبــرزَهُ في حَلْبَةِ المجـدِ والعُلَى جواداً إذا صَلَّتْ فوارسُهــا جلَّى، !

١١ لِيَهْـنِ عمـادَ الـدّين منـهُ مُسوّدٌ بـه جمـعَ اللهُ السَّيادة والنّبلا؛

١٢ غدا لِلْمَعالـي قُبْلَـةً في جبينها إذا كانـتِ الأمـلاك في ساقِهـا حجْلا

١٣ سميّ أميرِ المـؤمنين الَّـذي لَهُ محامدُ في صحْف العُلى أبـداً تُتْلَى،

١٤ إمام الورى «زيد» الّذي نعش الهدى ومدَّ علـى الآفـاقِ من عدْلِـه ظِلاً..

١٥ وجـدّدَ رسـمَ الـدينِ بعـد اندراسِهِ، وأوسَـعَ في أعدائِـه الأسـرِ والقتلا،

١٦ بعـزم يهـدّ الـراسيات مُصَمّمٍ، ورأي إذا يُنْضَى جلا ظُلَـمَ الجُلَّى،

١٧ فشـكراً لمـا أَولاكَ يابْـنَ مُحمّدٍ إلهك ؛ ما أحْـراهُ بالشّكرِ، ما أوْلى!

١٨ سَيَبْلـغُ ما أمّلْـتَ فيهِ من العُلَى ويَلْبَسُ بُرداً للسَّعـادةِ لا يَبْلَى،*

١٩ ويقفـو أميرَ المـؤمنين سميَّه، ويســلكُ عَن قُربٍ طريقتَـه الْمُثْلَى،

٢٠ ويشـربُ ريًّا مِن نَمير علومِهِ، ويدرك من زخّارهــا العَـلَّ والنّهْلاَ،

٢١ ويُظْهِـر في الآفــاق أنـوار دينِه، ويملكُ في هَذَا الورى العَقْدَ والحَلاَّ،

٢٢ ويَرْوي علـومَ الطّهـر آل النبـيّ عَنْ أبيهِ الّـذي جلَّـى بميدانهــا طِفْلا؛

---

*كأن الشاعر كان ينظر في مرآة الغيب فقد كان كما قال وقد ترجم له الشوكاني في البدر الطالع ، وأخره في «نسمة السحر» وتُوفي شابًا سنة ١١٠٤هـ .

٩ ـ باهر صنعه : عجيب صنعه .

١٠ ـ جلّ الفرس: سبق في الميدان ، وصلّ : تلا السابق فالأول : المجلّي ؛ والذي يليه المصلّ .

١١ ـ عماد الدين : يدعى به من اسمه «يحيى» مثل صفي الدين » لأحمد و« فخر الدين» لعبدالله، و «وجيه الدين » لعبد الرحمن ، الخ .

١٢ ـ الحجل : الخلخال .

١٣ ـ أراد بأمير المؤمنين الامام زيد بن علي .

١٥ ـ اندرس الرسم : امحى الأثر .

١٦ ـ الراسيات : الجبال الشوامخ .

١٨ ـ البُرد : الثوب المخطط .

١٩ ـ الطريقة المثلى : الشُبْهى بالحق .

٢٠ ـ علّ : شرب ثانياً أو تباعا ، ونهلت الابل شربت أول الشرب ، والنَهَل : أول الشرب ، والعَلَلُ الشرب الثاني ؛ ويقال: «عَلَلٌ بعد نهل « أي الشرب المتوالي بعد الشربة الأولى .

٢٣	ويتبعُـه في القـولِ والفِعْـلِ مثلما	حكَى قبلَـهُ من جدّه القـولَ والفِعلاَ،
٢٤	أتَـى بعـد «زيدٍ» يقْتفـي نهـجَ هَدْيه	ويوضحُ فينـا بعـدَهُ الفـرضَ والنَّفلاَ؛
٢٥	فلا زالَ فينـا ما أقـامَ «يلمْلَمُ»	يبينُ لنا ـ منْ نهجهِ الواضحِ ـ السُّبْلاَ.



٢٥ ـ يَلَمْلم : جبلٌ على مرحلتين من مكة . وهو ميقات أهل اليمن .

- ٩٣

قم بنا نطلب الحقّ . !

قدم جامع الديوان لهذه القصيدة بديباجة طويلة صبّ فيها وابلاً من الشتائم على مبغضي الشاعر الذين سمّاهم «النّواصب »وقال «إن لذلك سبب يوجب سحّ العبرة غُر فيه من غُرّ مع هوى وجهل صدًا عن سلوك نهج الأناة الذي ينفع صاحبه ولا يضر »، وأنه « تمَّ لهم في بادىء الأمر ما أرادوا ، وبلغوا بكيدهم الأمل أو كادوا» . فهدرت شقاشقه بهذه القصيدة ؛ « وقالها عن غضب » « ولم يلبث بعدها إلاّ مدّة يسيرة » ، « وقبضه الله تعالى إليه شهيداً بسيوف الحزن والغيرة » « لآل محمّد و« مذهبهم » ! ثم قال : إن الله سبحانه بعد موت الشاعر فضح «الناصبة » «العاملة الناصبة ، وأظهر مَيْنَهم ، وبان كذبهم في نقلهم وبهتانهم» ثم قال «ولم يرسل بهذه القصيدة إلى سيّدي عماد الإسلام ، ولا وقف عليها إلاّ بعد وفاته » ويقصد بعماد الاسلام السيّد العلامةيحيى بن الحسين بن المؤيد الذي خاطبه الشاعر محرّضاً على الثورة والخروج على الامام المتوكل على الله اسماعيل ، ولم يشرح لنا جامع الديوان ـ سامحه الله ـ السبب الذي أشار اليه ، ولا ما هي نوع الوشاية التي افتُريَتْ على الهبل ، التي دفعته الى الغضب بل سبّبت له الموت في عنفوان العمر . وهل لذلك علاقة بما ذكره الامام الشوكاني في البدر الطالع من أن الهبل كان ضمن جماعة أرادوا أن يعبثوا بمجموع الامام زيد بن علي عليه السلام وفندناه في المقدمة بكلام الامام حسين السياغى .

١	كيفَ يرضيكَ على الضّيم المقامُ؟	ويُواتيكَ على الذلِّ المنامُ؟
٢	كيفَ أَغضَيتَ وفي العين قَذىً؟	كيفَ يغذوك شَرابٌ وطَعامُ؟

---

١ ـ آتى مؤاتاةً . . على الشيء : وافق عليه . ويُواتيك أي يوافيك .

٢ ـ القذى : ما يقع في العين من تبنة ونحوها ، ويقال : «فلان يغضى على القذى : أي يحتمل الضيم » .

٣ أيُّ نَفْسٍ حُرَّةٍ أذلَلْتَها؟ لحُطامٍ؛ إنّما الدّنيا حُطامُ؛

٤ تُقنعُ النّفسَ بأَدْنى عيشةٍ في بلادٍ كلّ أَهليها لِئَامُ!؟

٥ إنّ هذا العيشَ عيشٌ كَدرٌ لَيس يرضاهُ الأبيّ المستضام؛

٦ في زمانٍ أهلُه زِعنَفَةٌ، هَمَلٌ، مَلبوسُهم عابٌ وذامُ،

٧ أهلُ غدرٍ لَيس يُرعى فيهمُ أبداً عَهْدٌ ،ولا تُوفى ذِمَامْ

٨ قد أهينَتْ عُصَبُ الحقّ به، وأعزّتْ عُصَبُ النّصبِ الطّغامُ، !

٩ أنتَ أبّاءُ الدّنايا ؛ هل ترى بَطَلاً شهماً على الضّيم ينامُ؟

١٠ كَمْ تغاضٍ ؟ طالَ ما قد نالَنا بينَهم ذلٌّ عظيمٌ واهتضامُ!

١١ كيفَ ترضى الذلَّ ما بينَهُمُ؟ أين تلكَ النفس قُلْ لي.. يا عِصَامُ؟

١٢ قد بُلينا باطّراح مثلما.. فازَ بالْحظْوةِ عبدٌ، وغلامُ. !

١٣ كم سهامٍ رشقَتْنا فُوّقَتْ عَن قسيّ الهون تَتْلوها سهامُ ؛

١٤ كم نفوسٍ قد أهانوا حُرّةٍ، هُنّ تبرٌ وسواهنّ رغامُ. ، !

١٥ بِعُرى الرّحمنُ كنْ مُسْتمسكاً، إنّه مَا لِعُرى اللهِ انْفصامُ؛

١٦ ثقْ به في كلّ حالٍ، لا يَكُنْ لكَ بالرِّزقِ احتفالٌ واهتمامَ؛

١٧ لا تُؤَمِّل عندَ كربٍ غيرَ مَنْ لانْفِراج الكَربِ يَدْعوه الأنام ؛

١٨ رُبّ كربٍ قد عرا، ثم انْجلَى مِثلما انْجابَ عن الصّبحِ الظّلامُ ،

١٩ إنّما الدنيا منامٌ والمُنى حلمٌ، والنّاسُ في الدنيا نيامُ؛

---

٦ ـ هَمَلٌ : مهملون لا شأن لهم . والعاب : العيب . والذام : الذم .

٨ ـ الطغامُ : أوغاد الناس .

١٠ ـ الاهتضام الظلم .

١١ ـ يشير الى قول الشاعر : نفس عصامٍ سوّدَت عصاما وعلمته الكرّ والاقداما . وهو عصام بن شَهْبَر حاجب النعمان بن المنذر ، ومنه قولهم : ما وراءك يا عصام .

١٢ ـ اطّرح الشيء : رماه وقذفه وأبعده ، والحظوة : الحظوالمكانة .

١٣ ـ رشق : رمى . و«قسيّ الهون» : أقواس الخزي .

١٤ ـ الرغام : التراب .

١٥ ـ الانفصام : الانقطاع .

١٨ ـ عرا . ألَمّ . وانجاب : انزاحَ .

٢٠ وإذا ضَاقَت بنا أرضُهُمُ ... لم يضق يَا سيّدي «مصرٌ» و«شامُ»؛

٢١ هذه «خولان» أضحتْ ولها ... بكَ دونَ النَّاسِ وجْدٌ وغرامُ!

٢٢ تَتمنّى مِنكَ أدْنى نظْرةٍ ... فبها من حرّةِ الشَّوق أوامُ؛

٢٣ فمتَى عيني تَراها، ولَها ... بكَ بشرٌ وابتهاجٌ وابتسام؛

٢٤ سِرْ إليها واتخذْها وطناً ... معقلاً فيه امتناعٌ واعتصامُ،

٢٥ إنّما «خولان» حِصْنٌ شامخٌ؛ ... حَرَمٌ مَن حَلَّ فيه لا يُرامُ؛

٢٦ دون درب من جبالٍ قد غدتْ ... دون أدناهنّ تنهلّ الغمامُ؛

٢٧ يا لَها من شامخاتٍ تغتدي ... عندها الشمّ العُلَى وهي أكامُ.!

٢٨ تلك أخياسُ ليوث لهُمُ.. ... بالرّقاقِ البيض شوقٌ وهيامُ،

٢٩ كلّ ماضي القلب فردٌ حولَهُ ... في الوغى من بأسِه جيشٌ لُهامُ؛

٣٠ وكَذَا «الحيمةُ» فاعلَمْ أنهمْ ... إن تَسُمهمْ قَوْمةً لِلنّصرِ قاموا،

٣١ المساعير إذا جدّ اللّقا، ... المراجيحُ المساميحُ الكرَامُ،

٣٢ كمْ بِهمْ من رابطِ الجأش لَهُ ... إن دَجَى النَّقعُ على الموت اقتحامُ؛

٣٣ أيّ حيّين لِراجي نصرةٍ؛ ... وهما «خولان» طُرًّا و«الحيامُ»!

٣٤ حُقّ إن أطنبتُ في مدحهم؛ ... فهمُ الأقوامُ، والنّاس القُمامُ!

---

٢١ ـ خولان: قبيلة يمنيّة من قبل حواز صنعاء أبناؤها مشهورون بالشجاعة والنجدة وهي قبيلة الشاعر «الهبل».

٢٢ ـ حرة الشوق: شدته واشتعاله.

٢٤ ـ المعقل: الحصن والملجأ.

٢٥ ـ لا يُرام: لا يُنال إذا طُلِبَ من قبل العدو.

٢٦ ـ الدرب: الطريق.

٢٨ ـ الخيس جـ أخياس: غابة الأسد.

٣٠ ـ الحيمة قبيلة من قبل حواز صنعا أهلها مشهورون بالمروة والبسالة؛ وهما حيمتان الداخلية والخارجيّة ومنها جامع ديوان الهبل أحمد المخلافي، و« إن تَسُمْهُم قومةً»؛ أي ان تكلفهم أو تطلب منهم نهضة ونصره من سام الأمر: كلفه إياه.

٣١ ـ المساعير جـ مِسعر؛ و« مِسعَر الحرب» موقد نارها، والمراجيح: ذو الأحلام الراجحة.

٣٢ ـ رابط الجأش: الشجاع الذي لا يخاف.

٣٣ ـ «أيّ» هنا للتعظيم والدلالة على معنى الكمال كما تقل: «زيدٌ رجل أيّ رجل».

٣٤ ـ حُقّ: وجب.

٣٥ ليتَ شعري ؛ ليتَ شِعري هل لنا | معشر الحقّ من البغي انتقامُ؟
٣٦ هَلْ لَنَا من يوم نصرٍ أبيضٍ | يُقْصَرُ الباطلُ فيهِ ويُضامُ؟
٣٧ هَلْ لَنا مِن حملاتٍ في الوغى | في العِدَى ينْدكُّ منهنّ شمام؟
٣٨ هَلْ نسلّ البيضَ مِن أغمادها | ونَرى الأغماد منهمْ وهيَ هامُ؟
٣٩ هل نرى السّمرَ تُبدّي ألْسُناً ؛ | نَفْثُها عندَ اللِّقا الموتُ الزؤامُ
٤٠ هل نقود الخيلَ تَتْرى شزّباً | جلّلَ الأكفالَ منهنّ القتامُ ؟
٤١ هل نشقّ النقعَ يوماً بالظّبىَ | مثلما انشقّ عنِ الشهب الغمامُ؟
٤٢ هَلْ نرى الدّين عزيزاً بعدما | قد غدا بالثّمن النزرِ يُسامُ ؟
٤٣ هَلْ لِبَدْرِ الحقّ -يا لِلَّهِ- مِنْ | بعدما قد نالَه المحْقُ- تمامُ؟
٤٤ هَلْ نرى «مذهب زيدٍ» ظاهراً؟ | فلقدْ طالَ اختفاءٌ وَاكْتِتَامُ!

٤٥ قُمْ بِنا - يا بْنَ النبيّ المصْطفى | نطلبُ الحقّ ؛ فقد آنَ القيامُ؛
٤٦ جِدّ واجْهدْ ؛ لا تخفْ من لائمٍ ، | ليسَ من يدعو إلى الحقّ يُلامُ،
٤٧ واطّرحْ شأن التّواني ؛ إنّه | من توانى ، لم يُساعدْهُ المرامُ ؛
٤٨ لا يَهولَنّكَ جَهامٌ مِنهمُ، | هل تَرى أمطرتِ السُّحُب الجهَامُ؟
٤٩ بك يا مولاي يحيى ما بنَتْ | في العُلَى آباؤكَ الصيّد الكرامُ ؛
٥٠ كَمْ - وأنتَ اللّيثُ مرهوب السُّطا - | يَسْغَبُ الذّابلُ ، أو يَظْما الحسامُ ؟
٥١ قمتَ لِلْعلياء لمّا قَعدوا، | وتنبّهتَ لَها ، والقومُ ناموا، !
٥٢ فإذا ما لَمْ تَقُمْ في هذه؛ | فعلى الدين وأهليهِ السَّلامُ. . . .

٣٩ - الموت الزؤام : السريع الكريه .
٤٠ - تترى : تتابع . الشزب : الضمّر . وجلّل الأكفال : غطّى الأعجاز والأرداف .
٤١ - الظّبى مفردها ظُبَة ، وهي حدّ السيف أو السّنان .
٤٢ - النزر : القليل . يُسام : يعرض للبيع .
٤٣ - المحق أراد المحاق ، والمحاق مثلثة الميم : ثلاث ليال من آخر الشهر لا يرى فيها القمر .
٣٨ - الجهَام : السحاب لا ماء فيه .
٥٠ - السُّطا جـ سطوة ؛ وهي القهر والوثوب . ويسغب : يجوع . وفي : «ف» يسغب الرمحُ ؛ وكم يظما الحسام» .
٥١ - ٥٢ - يشير بالبيتين الى حادثة وقعت وقام فيها الممدوح بعمل ما ويحرضه على القيام في هذه .

- ٩٤ -

هول الحساب . !

وكتب إليه يستعفيه من حسابٍ قلَّده به مداعبا :

١ يابنَ خير الأنامِ دعوةَ عبدٍ عضّهُ حادث الزّمانِ بنابِ،

٢ إنّ هولَ الحساب عرّفني لونَ مشيبي في عنفوانِ شبابي ؛ !

٣ كلّما قلتُ صَحَّ يصبحُ طوراً في ابتعادٍ ، وتارةً في اقتراب ؛

٤ يدّني تارة ويذهب أخرى ؛ فلكم جيئةٍ له ، وذهاب . !

٥ كيفَ أقوى على الحساب بذهنٍ ما خلا من تشتّتٍ واضطرابِ؟

٦ فأقِلْني ؛ يا نجلَ خيرِ البرايا، وأعذْني من هَوْلِ يومِ الحساب!

٧ وأحاشيكَ أنْ تُرى عن جوابي معرضاً أو تُطيل فيهِ عتابي . !

٦ ـ أقاله من منصبه : رفعه منه ، وأعاذه : انقذه وحفظه .
٧ ـ أحاشيك : أنزّهك .

- ٩٥ -

استئذان !

وكنت أنا وهو رضوان الله عليه في سمرٍ ليلةً في مقام سيدي عماد الاسلام يحيى بن الحسين ابن أمير المؤمنين المؤيّد بالله أيده الله فطال بنا السَّمَر ، وأضرَّ به السَّهر فكتب إليه مرتجلاً :

١ النـــومُ قد ملأَ الأجفـــان والمقلاَ فـأْذنْ لنـــا يا سليلَ السَّـــادة الفُضَلاَ ؛

٢ فكم لَه من غزاةٍ في لواحظِنا ومن معـارك توهـي الباسـلَ البطلا . !

---

٢ ـ الغزاة : الغزوة .

- ٩٦ -

كأنَّ في كُلِّ لَحْظٍ بيت خَمَّارِ*

وبلغهُ أن سيّدي عماد الإسلام أيّده الله قد خرج من شهاره مُتهيئاً للوصول إلى صنعاء فشرع في نظم هذه القصيدة تهنئة بقدومه فبلغ فيها إلى المخلص ، وعاقه عن التمام ارتحاله إلى دار السلام ؛ فتولى إتمامها السيد الأفضل ضياء الدين صلاح بن محمد بن علي العُبالي[١٣] عافاه الله في شهر شعبان سنة ١٠٨١هـ .

١ لولا ضنى جسدي والمدمعِ الجاري ... ما كنتُ أظهر لِلْواشين أَسراري ؛

٢ يا هاجرينَ ؛ بلا ذنبٍ ولا سَبَبٍ ، ... عطفاً ؛ ولو بخيالٍ في الدجى ساري ؛

٣ لا تمنعوا طيفكم من أن يمرّ بنا ، ... فما على عبرات الطيف من عارِ ؛

٤ سلوا اللَّواحظَ :هَل عندَ القلوبِ لَها. ... ثارٌ . . فهنّ يُرِدْنَ الأخذ بالثار؟

٥ وما لها تسلب الألبابَ إن نظرتْ؟ ... كأنّ في كلّ لحظٍ بيتُ خمّارِ!

٦ مالي ولِلْغيدِ ما زالتْ لواحظها ... تسْطو بكلّ رقيق الحدِّ بتارِ. ؟

٧ وبي مُهَفْهفةٌ ما دار ناظرُها ... إلاّ وأصمَى فؤاد البَيْهسِ الضّاري ؛

٨ يا نائماً عن سهادي لا بُليتَ بما ... أَبْلَيتَ قلبي منْ شوقٍ وتذكارِ!

٩ عَرّجْ على أربعٍ للصَّبر قد درسَتْ، ... وقفْ على دمَنٍ منها وآثارِ،

١٠ ويا عذولي تَرَفّقْ، لا تلُمْ كَلِفاً ... يهيمُ ما بينَ أنجادٍ وأغوارِ،

١٣- راجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

* القصيدة رقم - ٩٦ - سقطت من «ف» .

٥ - في الأصل «ن» «أكان في كل لحظ بيت حمار» فأصلحناه.

٧ - المهفهفة : الضامرة البطن الدقيقة الخصر . وأصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه . والبيهس : الأسد الشجاع .

٩ - عرّجَ : مال من جانب الى جانب. والدِّمن؛ واحدتها دمنة: آثار الدار.

١٠ - الكلف : العاشق .

١١ عارٌ علـيّ سلـوّي عَنْ هوايَ وما، عليكَ في تركِ عذلِ الصبّ من عارِ!
١٢ لقد تَزَينـتْ فيهـا بالغـرامِ كما تزَيّنتْ «بعمـاد الـدين» أشعاري؛
١٣ أجـلّ آل رسـول الله، أعلمُهمْ، منـزّه العـرض عن حُوبٍ وآصارِ،
١٤ أبـو علـيّ عظيم الشان من ظهرتْ لـه براهين فضـلٍ ذات أنوارِ؛
١٥ جمّ المكارم أعلـى النّـاس مرتبةً، مسدّدالـرأي في وردٍ وإصدارِ،
١٦ بحـرٌ غدا عيبـةً لِلعلـم واعيةً فـريدة في علـوم العتـرةِ الواري!
١٧ حوى من العلـم ما لم يحـوه أحدٌ مـن الخلائـق من بدوٍ وحُضّارِ؛
١٨ أُوتـي من السنّةِ البيضـاء ما عجزتْ عنـه نحـارير رهبـانٍ وأحبارِ،
١٩ من رامَ يدركُ شأواً منـه فاق به؛ فإنّمـا هو عن ثوب الحِجـى عاري؛
٢٠ يا جاهلاً؛ دَعْ محالاً، لا يُنـالُ، فلم يظفـر بنيل المعالـيَ غير صبّارِ،
٢١ أعـداؤه نطقَـتْ، حُسَّـاده اعترفت بفضلِـه، لم يسعهـم نهـج إنكارِ.؛
٢٢ وكيف لا وهـو في التحقيق معجزةٌ ونعمـةٌ للبـرايا ذات مقدارِ؛
٢٣ أضحـتْ به روضـةُ الأيمـان يانعةً، مخضـرةً ذات أزهـارٍ وأثمارِ،
٢٤ ودين آل رسـول الله متضحاً، أزاحـه عن مزلاّتٍ وأخطارِ،
٢٥ لا سيّمـا نهـج من جاءتْ مبشرة بـه صحيحـات أخبـارٍ وآثارِ،
٢٦ حبيب طه أمير المـؤمنين؛ أبي الحسـنين، أفضل داعٍ، صفوة الباري،
٢٧ ما زال يدأبُ في تَبيين منهجه مُرغّبـاً فيه؛ في جهـرٍ وإسرارِ؛
٢٨ مثابـراً كلّ حين، ليس يصرفه عـن هديه عذل جهـالٍ وأغمارِ،
٢٩ وافى إلى سوح «صنعا» بعد أن ظمئَـتْ إليـه شـوقاً، وصـارت ذات إعصارِ،

---

١٤ ـ الحُوب: الإثم. والأصر جـ آصار: الذنب.

١٦ ـ العيبة: الصندوق. والواري: الذي خرجت ناره. (ومن هنا يتلاشى نفس الهبل، ويظهر النفس العُبالي حتى آخر القصيدة ولولا ان جامع الديوان أثبتها لأعرضنا عنها).

٢٦ ـ يقصد الامام زيد بن علي عليه السلام.

٣٠ فأصْبَحَتْ في برودِ الفخر تائهةً حتّى غدت كرياضٍ ذات أزهارِ،
٣١ ولم تزل أبداً من زهْوِها طرباً به، تقول بترداد وتكرارِ:
٣٢ «يا نعمة الله حلّي في منازلنا وجاورينا رعاكِ الله من جارِ»،
٣٣ وكيف لا تفضل الأقطار قاطبةً وقد حوت بحر علمٍ ، نجل أطهارِ. ؟
٣٤ يهنيكِ أرض «أزالٍ»؛ إذ حويت جليلَ القدر، من طابَ في خُبرٍ وأخبارِ،
٣٥ أعظِمْ به من قدومٍ قد هزمتَ به عن قلب كلّ محبّ جيشَ أكدارِ؛
٣٦ بشيره لو بغى جعْلاً نُكافئهُ به ؛ سَمَحْنَا بأسماعٍ، وأبصارِ،
٣٧ قرّت به أعين الأَحباب وانهزمَتْ عنهم كتائب أحزانٍ وأفكارِ،
٣٨ وظلّ كلّ عدوٍّ مذ غدوتَ بها من غمّهِ يتشكّى ضيق أقطارِ،
٣٩ تابَ الزّمان؛ وأضحى الدهر معتذراً مما جناه على عمدٍ وإصرارِ،
٤٠ أنلتني ما اقترحتُ الآنَ يا زمني، من بعد أن قُلّمتْ بالبين أظفاري،
٤١ لقد خفضتَ جناحَ الذلّ لي أدباً، وقد قضيت لُبَاناتي وأوطاري،
٤٢ وعُدت عطفاً على ذي مُقلةٍ أرقتْ، وطالما بعتَ يساري بأعساري،
٤٣ فالحمد للهِ شكراً لا نفاد لَهُ، إذ منّ فضلاً بغيثٍ منه مدرارِ،
٤٤ بمن غدا حرماً بِهِ أمنتُ، وكعبة بغشيانِها خفّفت أوزاري،
٤٥ لا زال يروي علوم الآل مغترفاً من بحر علم بعيد القعْر زخّارِ،
٤٦ أكرم به من همامٍ ماجدٍ، علم، من فتيةٍ، قادة للنّاس أخيارِ!
٤٧ سادوا الخلائقَ من عربٍ ومن عَجمٍ فهمْ مَصابيحُ عِلْمٍ تهدي السَّاري!
٤٨ لهم مَن الله تَشْريفاً وتَزْكيَة؛ في محكم الذكر آي ذات أسرارِ،
٤٩ كآية «الودّ»، و«التطهير»، و« النبأ العظيم .. حقّاً فما مقدار أفكاري
٥٠ و«هل أتى» قد أتت فيهم مبيّنةً لفضلِهم فهي تحكي نور أقمارِ،
٥١ صلّى الآلهُ عليهم بعد جدّهم، من معشرٍ طاهري الأثواب أبرارِ.

---

٣٢ - البيت : «يا نعمة الله » لبشار والمحفوظ «يا رحمة الله » اسم المرأة التي كان «بشار » يشبب بها .
٤٤ - في البيت زحاف .

- ٩٧ -

وافيتَ في يوم سعدٍ . . .

وقال يهنّي السيد الأكرم العلاّمة ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن(١٤) ابن أمير المؤمنين المنصور بالله رضوان الله عليهم بقدومه صحبة والده من «اليمن»* إلى «صنعاء» وكان ذلك يوم «الغدير» ١٨/ ذي الحجّة سنة ١٠٧٢هـ .

١	يَهْنَا المعالي قدومٌ منكَ ميمونُ	سُرَّ الوجودُ به والملكُ والدينُ؛
٢	كادتْ لأجلكَ أنْ تُعطي البشيرَ به	فتورَ أعينهنّ الخرّدُ العينُ،
٣	وودَّ كلُّ مُحبٍّ لو حَبَاهُ بما . .	حواهُ «قيصرُ» أو ما حاز «قارونُ»،
٤	وماستِ السُّمرُ وافترَّتْ لذاك ثغور البيض ، وارتَعَدَتْ منه الفراعين ،	
٥	وكادت الأرض تيهاً أن تميد بنا	لو لم يكنْ فوقَها مِنكمْ أَسَاطينُ،
٦	وفاخَرتْ بكَ «بغداداً» «أزالُ» وقدْ	وافى إليها «أمينٌ» منكَ «مأمونُ»،
٧	وتاهتِ الأرض مُذ وافيتَ وافتخرتْ	بوطي نعلِك حتى الماء والطينُ ،
٨	حَمَى حماها هزبرٌ منك مفترسٌ	وصارمٌ من سيوف الله مسنونُ،

(١٤) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

* المراد «باليمن» هنا «الجنوب» ؛ فكل ما كان جنوب «صنعاء» يُطلق عليه أهل اليمن . . «اليمن» ، أو «اليمن الأسفل» وكلما شاملَها يسمونه «الشّام» .

١ ـ هنأ يهنُؤ ويهنىء الطعامُ الرجلَ وللرجل :صار هنيئاً وساغ . وهَنِيءَ يهْنَأ بالأمر : فرح وهو المراد هُنا .

٤ ـ في «ن» : «واهتزتْ لذاك ثغور البيض» وهو خطأ ؛ وافترَّ الرجل : ضحك والفِرّة : الابتسام ، والأفرّ : الحسن الثغر والابتسام . وماس : تمايل وتبختر .

٥ ـ ماد : تحرك واضطرب ودار . والأسطوانة جـ أساطين : العمود .

٨ ـ الهزبر : الأسد .

٩ وافيتَ في يوم سعدٍ زدتَه شرفاً؛ فكلّ ماردِ نحْسٍ فيه مسجونُ،

١٠ «يوم الغدير» الذي فيه «لحيدرةٍ» على إمامتِه نصٌّ وتبيينُ،

١١ ولاّه « أحمدُ» عن أمرٍ أتاهُ بهِ عن الإله أمينُ الله «جبرينُ»!

١٢ رحَلتَ عن دار ملكٍ أنت بهجتَها فكلّ قلبٍ إلى أن عدتَ محزونُ،

١٣ ندعو لك اللهَ في حلّ ومرتحلٍ، وللسّعادةِ والإقبال تأمينُ؛

١٤ وعدت لا شاكياً وغثَ الرحيلِ، ولا في صفقة المجدِ والعلياء مغبونُ

١٥ لكَ السيوف اللّواتي لا يفارقها أنّا قصدتَ بها نصرٌ وتمكينُ،

١٦ لكَ الرماحُ اللّواتي لا يزالُ لها مُذْ أُشرعتْ من عداةِ الدين مطعونُ؛

١٧ لكَ العلوم اللّواتي لا تمدّ بها إلاّ وغاضَ حياءً منك «سَيْحون»؛

١٨ لكَ الحلومُ اللّواتي كاد ثاقبها يرى الّذي في ضمير الكون مخزونُ؛

١٩ لكَ العطَايا اللّواتي قَدْ دَعاكَ بها - حقًّا - أباها - اليَتامَى والمساكينُ؛

٢٠ لكَ الخصالُ اللّواتي بانَ مُذْ ظهرتْ بها على فضلك الجمّ البراهينُ؛

٢١ للهِ فيكَ إراداتٌ حباكَ بها ربُّ الأنام، وسرٌّ فيك مكنونُ؛

٢٢ أبوكَ «طه» نبيُّ الله كانَ وما «لآدم» في ضمير الكون تكوينُ،!

٢٣ و« حيدرٌ» قاتل الأحزاب، منتهبُ الألبابِ، صُنو رسول الله، «هارون»؛

٢٤ قُلْ لِلْموالين؛ عزّوا ما بدا لَكُمُ، ولِلْمعادين؛ مَهْمَا شِئتمُ هُونوا؛

٢٥ قد أطْلعَتْ غابة الإقبال ليثَ شرى مرامه بقرين السَّعدِ مقرونُ؛

---

٩ - المارد : العاتي ، العاصي ، المتجرّد من الخير.
١٠ - يوم الغدير : اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة .
١١ - جبرين : جبريل .
١٤ - وعث السفر ووعْثاء السفر : المشقة والتعب . والصفقة : عقد البيع . والمغبون : المخدوع المغلوب في البيع والشراء .
١٦ - أشرع الرمحَ : سدّده .
١٧ - غاض . نضب .
٢١ - في «ف» : « وسرٌّ فيك مخزون » . وهو خطأ .
٢٣ - الصنو : الأخ الشقيق .

٢٦ وقَدْ بدا في بروج اليُمـنِ نجمُ عُلىً ترُمَـى به من أعـاديه الشياطين
٢٧ وقـد تربّـعَ في دسـتِ العُلَـى مُلكٌ شَهـمٌ له طائـرٌ في الملكِ ميمونُ
٢٨ وقـد نَحـا قِبْلَـةَ العَليا إمـامُ تقىً بـرٌّ؛ به قام مفـروضٌ ومسنونُ
٢٩ وقـد رقي منبـر الإِحسـان مُخْتَطِبٌ لَـه من الله تسـديدٌ وتلقينُ
٣٠ وقـد أَقـامَ قِوامَ الملك من أودٍ بـهِ ؛ فعـادَ إليهِ العـدْلُ واللّينُ؛
٣١ حَلَّـى الإلـهُ به جيدُ العُلَـى ؛ فلَهُ منـهُ مدى الدّهـرِ تزيينٌ وتحسينُ؛
٣٢ ملكٌ أغـرّ حَوى ما كَان مِن قدمٍ عليه آبـاؤُهُ الغـرّ الميامينُ،
٣٣ نادَى المعالـيَ فانْقـادَتْ لطاعتِه، ودَانَ منهـا لَه الأَبـكارُ والعُونُ،
٣٤ تُصـبيه في الحَـرْب أسيافٌ مهنَّدَةٌ يسيلُ منهـا علـى أعدائِـه الهوْنُ!
٣٥ وأسمـرٌ ليِّنُ الأعطـافِ مُعتَدلٌ، وسابـريٌّ عظيم السَّـرد موضونُ،
٣٦ يا طالبَ الـرزقِ لا تقصـد سواه ففي يديه رزقـكَ مكفـولٌ ومضمونُ،
٣٧ ويا أخـا السَّعـي يَمِّـمْ يَمَّ راحتِهِ وقـرَّ عَيْنـاً؛ ففيه «العَينُ» لا «النّونُ»؛
٣٨ لَه المـكارمُ؛ طبعـاً فيه قد خُلِقَتْ وهـنّ في غيرهِ وهـمٌ وتظْنينُ!
٣٩ يا مَن به تفخَـر الـدُّنيا إذا افتخرَتْ، ومَـن بذكر اسْمِـه تُزهَـى الدَّواوينُ؛
٤٠ إليكهـا مدحـةً تعنـو لِبَهْجتِها. زُهْـر الـكواكب لا وردٌ ونسرينُ!
٤١ مرقومـةٌ لم تحـكْ شبهـاً لهـا «عَدَنٌ» ولا حكى نَشرَهـا المسكيَّ «دارينُ»
٤٢ قضى بهـا العبـدُ حقًّا من ثنـاكَ وإنْ يقـلّ عنـدك منثـورٌ وموزونُ؛
٤٣ لكِن إضافـة ودٍّ فيكَ ثابتةٍ لـم يسْـعَ في قطعهـا مذ كان تنوينُ،
٤٤ ومـا يكونُ مديحـي فيكمُ؛ ولَقَدْ أثنَى على فضلـكم «طـٰه»، وياسينُ؟

---

٢٧ - في الأصل «ن» : « طائرٌ في الملوك » وهو خطأ .
٣٠ - أقام الحقّ : أظهره ، وقِوام الأمر : نظامه وعماده وما يقوم به . والأود : الاعوجاج .
٣٣ - العوان جـ عون : المرأة في منتصف عمرها .
٣٥ - الدرع السابري : نسبة الى سابور وهي كورة في فارس . وسردَ الدرع : نسجها ، ووضن الشيء : نضّده ، وثنى بعضه على بعض . والدرع الموضونة : المقاربَة النسج ، أو المنسوجة بالجواهر .
٣٧ - العين : الذهب المضروب . والنون : الحوت .
٣٨ - في «ف» : « له المكارم طبعٌ » .

٤٥ يذُلُّ كلُّ عزيزٍ عنــدَ عزّكمُ، وكلُّ غايةِ فَوقٍ عنــدكم دُونُ؛
٤٦ عشْعُمر «نوحٍ» على رغم الحسودِ فما بقيتَ ؛ لم يبــقَ في الأَرضين مِسْكينْ



---

٤٦ ـ الأرضين : جمع أرض .

- ٩٨ -

ولاية العُدين

يمدحه ويهنّيه بولاية «العُـدَيْن» وأرسلهـا إليه من «صنعـاء» في شهـر شوال سنـة ١٠٧٥هـ .

١ عزمـتَ باليُمـنِ تحمـي حوزة اليَمَنِ ... وسـرتَ والطالـعَ المسعـود في قرنِ!
٢ لم يبـقَ في اليمـن الميمـون ذو أشرٍ ... مـن «الفـراعين» إلاّ خرّ للذّقنِ ؛
٣ وأصبحـتْ ألسـنُ الأيام منشدةً: ... « هذي المكارمُ لا قعبان من لبن» ؛
٤ فاحكم بما شئتَ في الأرضين؛ نافذةً ... لك الأوامرُ في «شام» ، وفي «يمنِ» ؛
٥ إنّ الـولايةَ قد ألقـت مقالدها، ... لم ترض غيرك كفواً من بني الحسنِ ؛
٦ تصـدّ عنهـا وتأبَـى وصلَهـا شرفاً؛ ... وشوقهـا لكَ شوق العين لِلْوسنِ ،
٧ ومـا الـولاية من أمـرٍ تُزان بهِ، ... فأنـت زينتُهـا ، بل زينـة الزّمنِ ؛
٨ هَلْ كان يدري الأُلى وُلِّيتَ أرضهمُ ... بأنّهـم قد سُقـوا بالعـارضِ الهتنِ ؟
٩ ولاَّهـم اللهُ مَلْـكاً من بنـي حسنٍ ... نـظيره في قديم الدَّهـر لم يكنِ ؛
١٠ ساحِي قديم الأَسَـاطير الّتـي رُقمتْ ... في سالِف الدهر عن «سيف بن ذي يزن»

---

١ ـ القَرَن : حبل يقرن به البعيران ، وتقارن الرجلان : تصاحبا .
٢ ـ الأشر : من أشرَ إذا بطِر ومرح .
٣ ـ صدرُ بيت لأمية بن أبي الصلت يمدح سيف بن ذي يزن والعَجزُ : «شيبا بماءٍ فعادا بعد أبوالا» .
٦ ـ الوسن : النوم .
٨ ـ العارض الهتن : السحاب المتتابع المطر .

١١ والمبْتَني - دونَ أملاك الـورى - شرفاً بنـاءَ عزٍّ علـى هام «السّمـاك» بُني ؛

١٢ والصَّائِـن العـرض بالأمـوالِ يبذلها وربُّ عرضٍ عن الأقـوال لم يُصَنِ ؛

١٣ والثّابت الجأش في حُمر الهياج ، فما يلقاهُ ذو البأسِ إلاّ وهـو في الكفن ؛

١٤ من شنّفـتْ أذُنُ الآدابِ فكرتُه مـن القـريض بدرٍّ جلّ عن ثمنٍ ؛

١٥ مَلكٌ عَلاَ عن مدانـاة الملـوك لَهُ، وفـات حصـر علاه كل ذي لسنٍ ،

١٦ مَنْ قاسَـه بملـوك الأرض قاطبةً فليس يفـرقُ بين الـورْمِ والسِّمن !

١٧ تَستَخـدمُ الصـارمُ الهنـدي سطوتُه ؛ فلو تَبـدت لِصَرف الدهـرِ لم يَخُنِ ،

١٨ ولـو بَدتْ لبنـي العبّـاس عزمتُهُ لروّعـتْ كلَّ «مأمـونٍ» و« مؤتمنٍ » ،

١٩ أنعـم بهـا صفقـةً مذ كان عاقدها كفُّ العُلَى ؛ بعدتْ عن صفقةِ الغبن ؛

٢٠ يهنا «العدينُ» شمولُ العدلِ منك بما أقمتَـهُ من فروضِ الـدينِ والسُّننِ ؛

٢١ تاهَتْ على الأرض طُرًّا مُنذ كنتَ بها ، كالتّاج للـرأس ، بل كالـروحِ للبدنِ ؛

٢٢ يقـلّ يا مَلك الـدنيا إذا افتخرتْ على «المخا» بك ،أوتاهَتْ على«عَدن»

٢٣ فَلْيشـكروا اللهَ إذ ولاّكَ ارضَهمُ فإنّهـا مِنّـةٌ من أعظـم المِنَنِ ،

٢٤ وحُـقّ أن يشـكروا ربًّـا أتـاح لَهُمْ من كفكَ العذبَ بعد المورد الأسنِ !

٢٥ مَا اخْتـاركَ اللهُ مَلْـكاً في بسيطَتِهِ إلاّ لتُخْمِـدَ فيهـا جَمْـرةَ الفتنِ ؛

٢٦ فَمَنْ أهنـتَ مِنَ ابْنـاءِ البَسيطـةِ لَمْ يَعـزّ قطّ؛ ومـن أعـززتَ لم يَهُنِ ؛

٢٧ فمثل سعيك فليُحمدْ لكسْبِ عُلىً، ومثـل مُلْـكك بعـد الله . . فَلْيَكُن

---

١١ - في «ف» : « والمتنبي فوق أملاك » .

١٣ - « في حمُر الهَياج » هكذا في الأصل ؛ ويُقال : « احمرّ البأس » : اشتد ، ولعل الصواب : في حرّ الهياج .

١٤ - شنّف الكلام : زينّه . والقريض : الشعر . وشنّف الجارية ، جعل لها شَنْفاً ، والشنّف : ما عُلّق في الأُذن من الحليْ .

٢٤ - في «ف» : « من كفّكَ البحر » .

٢٥ - في «ن» : « ما اختارك الله ملكاً مِن بني حسنٍ » .

- ٩٩ -

حلّ «صنعا» فزانها

وقال أيضاً يهنيه بقدومه إلى «صنعاء» في شهر المحرم سنة سبع وسبعين وألف «١٠٧٧ هـ»:

١	طالعُ اليُمن بالوصال استهلاّ	ألف أهلاً بالواصلين وسَهْلاً؛
٢	بعدما طالتِ النّوى وأطالَتْ	بهم اليَعْمَلاَت حَلاًّ، ورَحْلاً،
٣	أيُّ سعدٍ وافى؟ وأيةُ بشرى	بِلسان الهنا على الدَّهر تُملَى؛؟
٤	لو قدرنا إذاً قضينا بتقبيل خفاف المطيّ ؛ فرضاً ، ونَفْلاَ!	
٥	إذا أَدَارتْ من الوصالِ كؤوساً	أسكرتنا بهنّ عَلاًّ، ونَهْلاَ؛
٦	إذْ ثَنَتْ نحونا الأزمّة بالأحباب؛	مَنًّا مِنْها علينا، وفَضْلاَ؛
٧	يا لها منّةً لَهُنّ علينا،	ويداً صادفت لدينا مَحَلاًّ..!
٨	لَستُ أنسى ذاك الوداع الذي مَرَّ؛	وذاك الفراقَ حين أطلاّ،
٩	والركاب الّتي غداة استقلّتْ	دعتِ الصبر للنّوى فاستقلاّ!
١٠	والخيام الّتي حرمْنَ الأماقي	بعدهنّ المنام إلاّ الأقلاّ؛
١١	ودموعاً غدتْ تبلّ خدوداً،	وغليلاً وزفرةً لم يُبَلاّ..!
١٢	يا أُحَيْبابنا؛ وقولي تصغيراً أُحَيبابنا..	ألذّ وأَحْلاَ!
١٣	أيّ صبٍّ تركتمُ ساعةَ البينِ	يُطِلّ الدّموع سجلاً فسجلاَ؟

٢ ـ اليَعْمَلات جمع يَعْمَل ويعمَله : وهما الجمل والناقة المطبوعان على العمل .

٤ ـ الخِفاف جـ خُف : للبعير والنعام كالحافر لغيرهما .

٩ ـ استقلّ : ارتحل .

١١ ـ الغليل : العطش الشديد .

١٣ ـ يُطِلّ الدموع : يهدرها . أو يُقطرّها كالطلّ . وسجلَ الماء : صبّه .

١٤ لازمَ الربْـعَ بعـدكم مذ رحلتُمْ فَسَلُوا الربـعَ بعـدكم؛ هل تَسَلّى؟
١٥ وعلـى اليعْمـلات حين تولّت بـدرُ تَمٍّ علـى النفـوس تولّى؛
١٦ يُخجـل الغصـنَ قامـةً واعتدالاً، ويغير البـدورَ حسنـاً وشكلاً؛
١٧ سلَّ يوم الـوداع سودَ لحاظٍ، ليس للْبيض عندهـا أن تُسلاّ؛
١٨ لسـتُ أرتـاب كيف حرَّم وصلي؛ إنمـا الشـانُ في دمـي كيف حلاّ؟
١٩ عذتُ من جورِه بعـدلِ مليكٍ مَدَّ مِـنْ عدلِهِ علـى الأرض ظِلاّ؛
٢٠ ملكٌ سادَ في الزّمـان كمـا سـاد أبـوه، من قبـل؛ مَجْـداً وفَضْلا؛
٢١ وجـوادٌ بكفِّـهِ غُصُـنُ الجودِ لِسؤّالِـه.. دَنَـا فَتَدَلَّى؛
٢٢ فرعُ مجـدٍ نمـاه خيرُ البرايا؛ طابَ هذا وذاك؛ فـرعـاً وأصـلا.!
٢٣ طاهـر العـرض لم يزل وهـو طفلٌ في، مراضـي الإلّه.. عزَّ وجَلاّ!
٢٤ ذُو أيادٍ يغـدُو إذا ما استهلّتْ عندهـا جودُ هاطـلِ الغيث بخلاً؛
٢٥ فوّقَ الـدِّينُ من عزائِمِـه الـبيـض إلـى مقتـل الضلالَـةِ نَبلاَ؛
٢٦ أحـرز العلـمَ والسيادةَ، والحِـلْـمَ، وبذلَ العطاءِ، والبأسَ طِفلاَ،
٢٧ وتحلّـى مِن العُلَـى بصفات لـم يكن غيره بهـا يتحلّى؛
٢٨ وأبانـت عُلاه آيات فضلٍ لم تَزلْ في صحيفـةِ المجـدِ تُتْلاَ؛
٢٩ لا يطيقُ «الضـلّيل» حصـر مَعاليـهِ، وإن بات في القـريض وظَلاَّ!
٣٠ سابقتْـهُ الملـوك في حلْبـةِ المجدِ فصلّـوا وراءَه، وهـو جَلَّى،
٣١ وقفـوا دونَ منتهـاه، وأضحَى قِدحُـهُ في الكمـالِ وهـو المعلَّى؛
٣٢ وأقـرُّوا لَه اعتِرافـاً، وقالوا: خُـذ هنيئـاً؛ فمـا أحـقّ وأولى،
٣٣ حَلّ «صَنعـا» فزانَهـا بعُلاهُ، وحلاَهـا بفضْلـهِ حينَ حَلاّ..،
٣٤ يا مَليكاً نداهُ قَدْ أخجـل البحْـر، وعـمّ الأَرضين حَزنـاً وسَهْلاَ؛
٣٥ وابـنَ خيرِ الأنـام طرًّا، وأزكى أَهْـل بيت النبـيّ قولاً وفعلاَ؛

---

٢٩ ـ الضلّيل: امرؤ القيس.
٣١ ـ القِدحُ: السَّهم، والمُعَلّىّ: سابع سهام الميسر.

٣٦ أنُهنّيكَ بالوصـولِ الّـذي ضـمَّ من المجـدِ والمـكارم شملا؛؟
٣٧ أم نُهَنّـى؟ فَطـالَ مَا قَدْ رقبْنَا بـكَ بدر الوصـال حتـى تَجَلَّى،
٣٨ فلِذي العـرش أفضـل الحمدِ والـشـكـر علـى ما ابْتَـدَا إلينـا، وأولى،
٣٩ هاكَهـا مِن أسير فضـلِكَ عـذراء مَشت نحو سوحك الرحب خجْلَى،
٤٠ هيَ جهـدُ المقـلِّ مولاي فاعذرْ عبـدَكم إن أَقـلّ، أو إن أخَلاّ!
٤١ وابـقَ واسْلَـم مدى المـدَى في قبولٍ ونعيم، برودُهُ ليْس تَبْلَى



٤٠ ـ الجُهْد، والجَهْد: الطاقة والاستطاعة.

- ١٠٠ -

استشفاع بأمير

وكتب رحمه الله الى السيد ضياء الدين العلامة القاسم[١٥] بن أحمد ابن أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد[١٦] هذه القصيدة يُسْتشفع به إلى أمير المؤمنين المتوكّل على الله اسماعيل في حاجةٍ له ، وأرسلَها اليه من صنعاء إلى «سُودة شطب» :

١	أغيرك يُرْجَى لِخَطْبٍ نَزَلْ	فَتُزجَى إليهِ ركابُ الأمَلْ ؛
٢	لقد فازَ من كان في أمرِهِ	على ربّه وعليكَ اتّكلْ ،
٣	فكم مِن شدائد لَوْ لم تكنْ	لِتَفْريجها أبداً ما حَصَلْ ،
٤	حويتَ من المجد غاياتِهِ ،	وغيرك قصّر عنها ، وكلّ ،
٥	ورثتَ المكارمَ من «قاسمٍ»	سميِّك ، والكرم أصلُ العَسَلْ !
٦	لَنِعم الفتى أنتَ إنْ حادثٌ	ألمَّ ، وإن ريب دهرٍ أَطل ؛
٧	نمتك جَحاجحُ من «هاشمٍ»	غدوا لِوجوه المعالي مُقَلْ
٨	كرامٌ سموا في سماء العُلَى	لأَبعدَ مرقى ، وأعلَى مَحَلْ !
٩	وشادوا المكارم حتى اغتدتْ	مكارمُهمْ في البرايا مثَلْ

(١٥)و(١٦) تراجع ترجمتهما في: أعلام الديوان

١ ـ زجا ، وزجى ، وأزجى : ساق ، ودفع برفق .
٥ ـ قاسم : أراد به جدّ الممدوح الإمام القاسم بن محمد ، والكرم العنب ، ومنه نوع يصنع منه الدبس ؛ والدبس : العسل .
٦ ـ ريب الدهر : صرفه .
٧ ـ في «ن » غدوا لوجوه المعالي قُبلْ « وهو خطأ » .

١٠	فكم عالـمٍ منهـمُ عاملٍ	نبيلٍ؛ وكم مِن همـامٍ بطَلْ!
١١	له المجـدُ أتبـع من ظِلّه؛	فـإن سارَ سارَ، وإن حلّ حَلْ؛
١٢	إذا حَمـل الطِّـرسَ في كفِّهِ،	أو الرمحَ؛ تدعو العُلَى: لا شلَلْ؛
١٣	وأنـتَ المجلّـي بميدانِهم،	وحائـز ما فيهـمُ عن كَمَلْ؛
١٤	وأطولهـم في المعالـي يداً،	وأثبتُهـم تحـت ظلِّ الأسَلْ،
١٥	وإنّـكَ أنـتَ الهمـام الّذي	تـردّى رداء العُلَـى واشتَملْ،
١٦	وإنـكَ بدرُ الكمـال الّذي	أنـار بآفاقـه، واكْتَملْ،
١٧	فأيّةُ عارفـةٍ لم تُنِلْ؟	وأيّةُ مكرمـةٍ لم تَنَلْ؟
١٨	إليكَ ضياء الهـدى أشتكي	همومـاً أقَمْـنَ، وصبـراً رحَلْ،
١٩	وقلبـاً أعلّلـهُ إن غلَتْ	مراجلُـه بعَسَـى أو لـعَلّ؛!
٢٠	ودَيْنـاً عَدا صِرتُ من أجْلِه	على وَجَلٍ من هجومِ الأَجل،!
٢١	وأحـداثَ دهـرٍ أرَتْنِـي مـشيـبَ رأسي وصبغُ الصِّبا ما نصَل!	
٢٢	وكم ليَ من عِلّـةٍ لم أبُلّ	منهـا، ومـن غُلّـةٍ لَمْ تُبَلْ. !
٢٣	ومِـنْ شُغُـلٍ مَنَعَتْنـي الكرَى،	ومـا شُغُـلُ القَلـبِ إلاّ شُغَلْ؛
٢٤	وذاك لعمـري دأبُ الزّمـان.	فـكم مِثلهـا مَعَ مِثلـي فَعَلْ؛
٢٥	فحتّـى متَـى طرفـهُ ما غَفا؟.	وحتّـى متـى صرفُـه ما غَفَلْ؟
٢٦	فهـل يغلـطُ الدّهـر لي مرة	بعـطفٍ؟ وهـل نافعي قولُ هَلْ؟
٢٧	ويا بُعـد ما رمـتُ من عَطْفِهِ؛	مَتَـى حالَ عن حالِـه، وانتقَلْ؟

---

١٢ ـ الطرس: الصّحيفة. والشّلل: فساد في اليد. وشلّت يده: يبست. ويقال في الدعاء لمن أجاد الرمي: لا شلّت يُداك.

١٣ ـ في «ن»: «وحائز ما فيها» وهو خطأ. والكمَل: الكامل.

١٤ ـ الأسل: الرماح.

١٧ ـ العارفة: المعروف والعطية. ولم تُنِلْ: لم تُعطِ.

٢٠ ـ الأجل: الموت.

٢١ ـ نصل: تغيّر لونه، يقال نصلت اللحية: خرجتْ من الخضاب، ونصل الثوبَ تغيّر.

٢٢ ـ بلّ وأبلّ من علته ومرضه: برىء وشفي. والغُلّة: العطش الشديد. وبلّه بالماء: نداه.

٢٧ ـ حال: تحوّل.

٢٨	لَقـد سمتُـه الضـدَّ من طبعِهِ	وكيفَ يُنيلُ الشفـا من أَعَلّ؟
٢٩	وهـل أنـا إلاّ كمـنْ يبْتغي	مِن العَلْقـمِ المرَّ طعـمَ العَسَلْ؟
٣٠	ولـكِنْ بسَـعْيكَ يابْـنَ النبي	يَنَـال المؤمِّـل أقصـى الأمَلْ،
٣١	وأنـت الخبيرُ بحالـي، وعن	زيادة نقصانهـا ؛ لا تَسَلْ؛
٣٢	أأَشـرح حالـي ، وأنـت الّذي	لـديكَ تفاصيلُهـا والجُمَلْ؛؟
٣٣	وقـد رقّ لي زَمنـي بُرْهَةً	وكاد؛ ولكنّـه . . . ما فَعَلْ!
٣٤	وبوّأنـي عنـد شمسِ الهدى	مَحَـلاً تقاصـرَ عنـه زُحَلْ!
٣٥	وكنـتُ رفلْـتُ بنعمائِه	حسان المطـارف فيمَـن رَفَلْ ؛
٣٦	فأحـزنَ دهـريَ ما نلتُه	فعـاد لِتلكَ الخِـلال الأُولْ؛
٣٧	ولمّـا تخوّفـتُ ما قَدْ عَلمتَ	تقنّعـتُ عن بحـرِه بالوشَلْ
٣٨	فكنْ أنـت يا «مالـكي» شـافعي	إلى مَنْ لِهَامِ السّماك انتعَلْ؛
٣٩	ومَـن بمآثِـرِهِ الصّالحات	تُزْهـى العُلَـى ، وتُـزان الدُّوَلْ،
٤٠	إمـامِ الزَّمـانِ ، قرين القُرانِ،	أمانِ الأنـامِ ، إذا الخطـبُ جَل؛
٤١	وإن أنـا ثقّلْـتُ في مَطلبي	فمثلكَ من للصديق احتَملْ !
٤٢	بقيتَ لَنَـا ما سَرى بارقٌ،	ومـا سار ذكْركَ فينـا مَثَلْ . .

٢٨ ـ في «ن » : « وكيف يريد». وأعلّ : أمرض .
٢٩ ـ العلقم : الحنظل .
٣١ ـ في «ف » : « وأنت خبيرٌ بحالي».
٣٤ ـ بوّأه ، ولَهُ منزلاً: هيأه له ، وأنزله فيه ، وزحل : نجم معروف ، ويقصد بشمس الهدى المهدي «أحمد بن الحسن » .
٣٥ ـ رفل : جرّ ذيله وتبختر ، ورفّل الأزار أرسله . والمُطرف جـ مَطارف : رداء من خزّ ذو اعلام .
٣٦ ـ أحزن : صيرّه حزينا . أو صيرّه حَزْنا ، أي غليظاً قاسيا.
٣٧ ـ الوشل : الماء القليل .

- ١٠١ -

استنجاز وعد

وكتب إليه أيضاً هذه القصيدة يستنجزه وعداً وعده به وأرسلها إليه من «صنعاء» إلى «الروضة» :

١ يا واهبَ الجردِ السّلاهبْ والسّمرَ، والبيضَ القواضبْ،

٢ يا راقياً مِنْ فخرِ آل محمدٍ، أَعْلى المراتبْ؛

٣ يا مَالكاً رِقّ العُلَى، وسواه لِلْعلياء غاصِبْ؛

٤ يا مَنْ ضياءُ كمالِهِ.. ملأَ المشارقَ والمغاربْ،

٥ يا من ثناهُ وشكره أبدَ الزّمان عليّ واجبْ،

٦ يا سيفيَ الماضي الّذي أفدي به مُهَجَ النّوائب،

٧ يا ناصري عند الخطوب إذا عدمتُ أخاً وصاحبْ؛

٨ أشكو إليكَ جفاءَ دهرٍ ليسَ يُعتِبُ مَن يُعاتِبْ؛

٩ يُسْلي قلوبَ العاشقين عنِ الأحبّة والحبائب؛

١٠ تَنفكّ؛ ترشقُني سهامُ صروفه من كل جانب!

١١ ما إن يزالُ مكتِّباً لي من نوائبه كَتَائب؛

١ ـ الجُرْدَ جمع أجرد: وهو من الخيل ما كان خفيف الشعر سبّاقا، والسلهب من الخيل: الطويل وما عظم، والقواضب: القواطع.

٨ ـ أعتَب يُعتب: أرضى ومنه «العُتبى» أي الرضى.

١٠ ـ ترشِقني: ترميني و«تنفكّ»: أي «ما تنفك».

١١ ـ كتّبَ الجنود: هيأهم وجعلهم كتائب.

١٢ ولقـد لجـأتُ إليك مِنْ دونِ الأَعاجِـم والأعاربْ ؛
١٣ ووثقـتُ منـكَ بماجدٍ جـمٍّ المحامـدِ والمناقب ،
١٤ ورجـوتُ أكرمَ سيدٍ مـا عادَ مَنْ يرجـوه خائبْ ،
١٥ وإلـى حِمـاك بعثتُها غـرّاء تهـزؤ بالكواكبْ ،
١٦ هي مثـلُ ما قَال «البَها» تحـكي عقـوداً في ترائبْ ؛
١٧ وتخـالُ في أوراقها ذهبـاً علـى الأوراق ذائبْ ، !
١٨ ذكّرتُ ـ لا مُسْتَبطئـاً ـ وَعْـداً ولا زارٍ وعَاتبْ ؛
١٩ لكن خشيتُ بأنّني عَـن فكركَ الميمـون عازبْ ،
٢٠ لاَ زلـتَ عَنْ نُوَبِ الزّمـانِ السّـودِ مَحْـروسَ الجوانبْ.



١٢ ـ في «ف» : «يا دون الأعاجم» ! وهو خطأ .
١٦ ـ «البها» . هو البهاء زهير الشاعر المعروف.
١٨ ـ الزّاري : العاتب العائب .
١٩ ـ عازب : من عزب يعزُب عزوباً : بعد وغاب وخفي .

- ١٠٢ -

ولكنّي بليتُ*

وقال مجيباً على بيتين كتبهما إليه السيد صفي الدين أحمد[١٧] بن محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين المنصور بالله حماه الله تعالى :

١ أتـتْ تفتـرّ عن زَهْـرِ الأقاحِ بيوتٌ منـكَ عَطّـرتِ النَّواحي ،

٢ حياضٌ تلكَ قلْ لي أم رياضٌ؟ أجـادَتْ صَقْلَهـا أيدي الرياحِ ؛

٣ ألَـذُّ جنـىً من العسـلِ المصفّى وأحلـى من معانقـةِ الملاحِ ،

٤ أتَتْنـي مِن مليك العَصْـرِ حقّاً ، وسيِّد أهل « حَيّ على الفَلاحِ » ؛

٥ «صفـي الـدين » نخبـة آلِ «طه» وَواسـط عقْـدِ أربـاب السَّماحِ

٦ ونجـل السَّـابقينَ إلـى المعالي ، « وأَندى العـالَمين بطـون راحِ »

٧ وأسـد الحـرب ؛ إذ لا غاب إلاّ سيوف الهنـد أو سمـر الرّماحَ ،

٨ أتتْنـي فانثنيت بهـا ـ غراماً ـ أهيمُ من المساء إلـى الصَّباحِ ،

٩ فَسَـرّتْ عن فؤادي كلَّ هَمٍّ ، ودامَ بهـا ابتهاجـي وانشراحي ؛

---

(١٧) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

*وردت هذه القصيدة رقم ـ ١٠٢ ـ متأخرة في «ف » شأنها شأن بعض القصائد السَّابقة وقد اعتمدت في الترتيب على نسختي « ن » لأنها أقدم ، وأوفى ، وأكثر إتقاناً .

٣ ـ في «ف » : « وأحسن من معانقة الملاح » . والجَنَى : ما يُجنى من ثمر ، أو عسلٍ ، أو ذهب .

٥ ـ واسطة العقد : الجوهرة التي في وسط القلادة ، وهي أجودها . والواسط مذكر الواسطة .

٦ ـ عجز بيت لجرير وصدره : « ألستم خير من ركب المطايا » .

٩ ـ سرّى عنه الهم : كشفه .

١٠ ولكِنْ ضمّنتْ منه عتاباً . . بلا ذَنبٍ أتيتُ ولا اجتراحِ ،

١١ رويدكَ سيّدي لا تَلْحُ ظلماً فلي عذرٌ أردّ به اللّواحيَ؛

١٢ فلم يَكُ في السّراج إذاً لعمري جرى ذاك التّخاصم والتلاحي ،

١٣ وما أنا والسراج ، وأنت شمسٌ بك الأرجاء تشرق والنواحي؛

١٤ ولكني بليت بخصم سوءٍ؛ خسيسِ الأَصل ذي وجْهٍ وقاحِ

١٥ سفيهٍ لا يردّ لسانَه في ميادين السَّفاهةِ عن جماحِ

١٦ يظلّ يهينُ أعراضَ البرايا فكم عرضٍ لديه مُسْتباحِ !

١٧ ولمّا أن رأينا الأمرَ يفضي إلى أشياء معضلةٍ قباحِ ؛

١٨ بذلتُ النفس دون الصّحب حُبّاً لِصونهُم ، وسعياً في الصلاحِ ،

١٩ وقمتُ أذبُّ عَنهم ثَمَّ كيلاَ يكون الجدّ عاقبة المزاحِ ؛

٢٠ فهل أخطا محبّكَ بعدَ هَذا؟ وهل فيما أتاه من جُنَاحِ؟



---

١٠ ـ اجترح الأثم : ارتكبه .

١١ ـ في «ف» : « رويدك مالكي » . ولحا يلحو ، ولحى يلحي : لام وعاب فهو لاحي .

١٢ ـ التلاحي : التشاتم والتخاصم .

٢٠ ـ الجناح : الأثم .

- ١٠٣ -

سَلْ خيالك . . .

وقال مجيباً على بعضِهم :

١	فيك ؛ أمّــا في سواك فَلاَ	أنظــمُ التشـبيبَ والغزلا ؛
٢	وأسـدُّ الأذنَ إن عذلوا ،	فيك كيلا أسمـع العَذَلاَ ؛
٣	مَنْ لِقَلْـبٍ ما سلاك وإن	قالـتِ العُـذّالُ فيه سلا ؛ ! ؟
٤	ودمـوعٍ فيك حين جرتْ	جعلــتْ خدّي لهـا سُبُلا . ؛
٥	وخيالٍ منـك حين سرى	يتخطّـى نحـوي المُقَلاَ ؛
٦	قد رأى قلبـي ؛ فَسَلْـهُ إذاً ؛	هــل رأى في طيّهِ بدلا . ؟
٧	ونصيحٍ غير مُتّهَـمٍ . .	قد أطـال العـذْل فيك . . بلا . !
٨	يا نصيحــي ؛ أنــتَ أكبـر مِن	أن تقـولَ الغـيّ والخطلا ؛ !
٩	أنــتَ فيمـا قلتـه ثقةٌ	غير أن القلـب ما قبلا . !
١٠	كيف أسلـو حُب ذي كفلٍ	بهــلاك الخلـق قد كفِلاَ ، ؟

١ ـ التشبيبُ في الشعر: ذكر أيام الشباب واللهو والغزل. والغزل: اللهو مع النساء ومحادثتهن وما يقال في ذلك من القريض.

٢ ـ العَذَل : الملامة .

٧ ـ «بلا » أي بلا فائدة ، أو بلا تأثير ، أو بلا رحمة ، أو نحو ذلك ! .

٨ ـ الغيّ : الضلال والخطل : الحمق ، والكلام الكثير الفاسد .

٩ ـ الثِقة : من يعتمد عليه للمذكر والمؤنث .

١١	كم رنـا ثم انثنـى مَيَداً ..	فأغـارَ البيضَ والأسلا ؛
١٢	ليت شعـري عن لواحظه	أسيوفـاً كنَّ أم مُقَلاَ ؟
١٣	وعـنِ الأعطـافِ هَل سرقت	مَيَدَ الأغْصَـانِ والميَلا ؟
١٤	وفتُـورٍ في لواحظِهِ	كيف يوهـي الفـارسَ البطلا ؟
١٥	وكؤوسٍ مِنْ مَرَاشفِهِ	حـوتِ الصَّهبـاءَ والعَسَلا ؛
١٦	كخِصـالِ الفَضْـلِ إذ جُمعَتْ	في سليل السَّـادة الفُضَلا ؛
١٧	من إذا جادَتْ أناملُه	قالـتِ العَلْياء : لاَ شللاَ ؛
١٨	كم لَهُ في النّـاس من نعمٍ	ضربـتْ بين الـورى مثلاً ،
١٩	كمْ قتـامٍ تحـت ظلمته	عانَـقَ العسّالَـةَ الذُّبلا . ؛
٢٠	تركَ الأتـرابَ في تعبٍ،	وعلـى هامِ السّمـاك عَلاَ ..
٢١	ربّمـا ازدادَتْ طلاقتُه	حينَ يلقـى الحـادثَ الجلَلاَ
٢٢	لو رأتْ عينَـاكَ نائِلَهُ	لـرأيتَ العـارضَ الهطِلا ،
٢٣	أو تبـدّى يومَ مَعْركةٍ	قلت : ليث الْغَاب قد حَملا ؛
٢٤	سيّدي وافـى قريضُكُمُ	فشَفَـى الأوصَـابَ والعلَلاَ
٢٥	وطلبتُـم أن أجيبـكم،	فأطعـتُ الأمـر مُمْتثِـلا

---

١٠ ـ الكفَلُ : العجز والردف . وكفِلَ : ضمِن .
١٣ ـ الميَدُ : الميَدَان : التمايل ، والميَلُ : الميَلان : التمايل والتبختر .
١٩ ـ عسل الرمحُ : اشتدّ اهتزازه ، الذبّل . الذوابل ، وهي الرماح الدقيقة .
٢٠ ـ في «ن» : «تركَ الأتراكَ» وهو تصحيف .
٢١ ـ الطلاقة : البشاشة .
٢٤ ـ الأوصاب : الأمراض .

- ١٠٤ -

استنجاد

وقال رحمه الله وكتبها إلى بعضهم :*

١	يابنَ خير الورى ومَنْ	جاءَ بالحقِّ والهُدى ؛
٢	وابنَ صنوِ النَّبيّ «حيدر»	نَفْسي له الفِدا ،
٣	والهُمام الّذي تأزَّرَ	بالمجدِ وارتدَى ،
٤	والكريم الّذي تَقدّمَ	في حلْبةِ النَّدى ،
٥	والَّذي طابَ في البريّةِ	أصلاً ومحتِدًا ،
٦	والّذي لم يُحط بنعماهُ	مَنْ قامَ مُنْشدا ؛
٧	أنت غيثٌ على العُفاةِ ،	وليثٌ على العِدى ،
٨	لكَ أَشكُو نَوائِباً	تركتْني مُسَهَّدا ؛
٩	وسهاماً بها رَمَاني	زَماني فأَقْصَدا ،
١٠	وديوناً غدا بهنَّ	مَنامي مُشرّدا . . !
١١	فأعنّي بنفحةٍ	وجزيلٍ من الجدا ؛

---

*في «ف» وردت هذه القصيدة رقم - ١٠٤ - متقدمة في الترتيب وقال الناسخ أنه وجهها إلى السيد محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين الذي شكا إليه تراكم الديون عليه بالقصيدة السابقة رقم - ٩١ - .

٣ - تأزّر : لبس الإزار .

١١ - في «ن» : «بجزيلٍ من الجدا» . والجدا : العطية .

- ١٠٥ -

قل للمساكين أهل الشعر!

وقال وأراد إرسالها الى السيد العلاَّمة الأديب أحمد[١٨] بن محمد الآنسي ولكنّه أخَّر إرسالها ولم يقف عليها الآنسي إلاّ بعد وفاة ناظمها :

١ أُذن النَّـدَى عن نِدَاءِ الشّعـر صَمّاءُ ... فَلَيسَ يُجْـديك إنشـادٌ وإنشاءُ ؛

٢ يا قالَـةَ الشِّعـر؛ مَهْلاً، لا أَبـاً لكمُ؛ ... رويدَكمْ مَا لِزَنـدِ المـدْحِ إيراءُ. !

٣ إنّا لَفِي زَمـنٍ ودّ الفَصيحُ به.. ... لـو انّـه ألْـكَنٌ في القـولِ فأفاءُ؛

٤ كَمْ تمدَحُـون ولا تعطـون جائزةً. ... كأنّمـا مَدحـكم بالمنْـعِ إغراءُ. !؟

٥ لو كَانَ في الطِّينِ أو في الماءِ رزقكمُ ... يومـاً لأَعجـزَ؛ حتّى الـطينُ والماءُ،

٦ ويا مُرجّـي نوالاً أنـتَ في زَمنٍ ... فيهِ المـكارمُ والعَلياءُ أسماءُ؛

٧ إيّاكَ إيّاكَ أَن تُدلـي بسابقةٍ ... فـإنّ ذلك إنْ حققتَـه الداءُ؛

٨ ولا تَقُـلْ إن أردتَ النّجـحَ قَد قُتِلَتْ ... أَمامَـكُمْ ليَ أجْـدادٌ وآباءُ!

(١٨) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

(١) هذه القصيدة الرائعة أوردها الناسخ في «ف» في الباب الرابع فيما دار بينه وبين أدباء زمانه ؛ وهي وبعض ما ورد في هذا الباب بذلك المكان أليق وقد قال في الديباجة ما نصّه : « وقال هذه القصيدة يشكو بها الزّمان ويتجرّم فيها من صروف الحدثان وكان يريد أن يرسل بها إلى مولانا السيّد العلاّمة الفصيح المقول الفهّامة شمس الدين أحمد بن محمد الآنسي قدس الله روحه وهو إذ ذاك «بسُودة شُطَب» بالحضرة المتوكّلية . فوصل السيد قبل الإرسال بها ، فكتمها عنه ، ولم يقف عليها إلاّ بعد وفاته » .

٣ - الألكن : العيّ الثقيل اللسان . والفأفاء: الذي يكثر ترديد الفاء في كلامه.

٧ - السابقة : فضيلة السبق في جهاد أو فضل !

٩ يُقصَى المحبُّ ويُدْنى مَن عقيدتُه؛ نَصْبٌ، وجَبرٌ، وتشبيهٌ، وإرجاءُ!
١٠ كم ملحدين و«نُصّابٍ» كأنّهمُ لمفْرطِ القرب أرحامٌ وأحماء؛
١١ ومَنْ يكنْ ذا صلاحٍ في عقيدتِهِ فإنما حظُّهُ طردٌ وإقصاءُ
١٢ إنْ تَسْتَمِحْ؛ قيل كلٌّ في السؤال، وإنْ عاتبتَ؛ قيل بذيّ القول هجّاءُ!
١٣ أستغفرُ الله ليس الهجو من شيمي لكنّني رجلٌ للضّيمِ أبّاءُ؛
١٤ ما الملكُ إلاّ مُضاعُ السَّرج مُطّرَحٌ إن لم يكن لِعنانِ البَذلِ إرخاءُ
١٥ أينَ الملوكُ الأُلى ما جاءَ آمِلُهم إلاّ وقابلَه بشرٌ وإعطاءُ؟
١٦ حتّى ينسّون مِنْ ريٍّ ومِن شبع قَوماً لهم أكبدٌ لِلْجوعِ حرّاءُ؛
١٧ قلْ لِلْمساكين أهلِ الشعرِ يا تَعَبَ الأفكار؛ إنْ لم يُصبْهم منه إثراءُ؛
١٨ هذي الملوكُ: ملوك العَصْر هل أحدٌ مِنهم على سنن المعروفِ مشاءُ؟
١٩ كم قد مَدَحْنا فما أجَدتْ مدائِحُنا لأنّهم إنّما يعطون من شاؤوا!
٢٠ يا «أحْمَ»؛ دعوةَ عانٍ قلّ ناصرُهُ وخانَهُ لِجفَا الدّهرِ الأحبّاءُ؛
٢١ اسمعْ شكيةَ معْلٍ مُعْلنٍ حَزَناً إن كانَ ينفعُ إعلانٌ وإعلاءُ!
٢٢ ما لِلقوافي إذاً أقوتْ مَعَاهدُها؟ أفي زمانِك يُوهِي الشعرَ إقواءُ؟
٢٣ مَن ذا الذي مِن مَقَامِ الذلّ يُنهضُها؟ إن نالها بنعال الذّلِ إيطاءُ؟
٢٤ أفٍ لَها خطّة يشقَى ملابسُها ضاقتْ بِصَاحِبها للأَرض ارجاءُ؛
٢٥ وحرفةً أُزْجيَتْ فينا بضاعتُها فربح بائعها فقرٌ وإكداءُ.!
٢٦ إيهاً أغِثْ مُستَغيثاً أنتَ قطّ له المرجوّ؛ إن مَسَّه بأسٌ وضرّاءُ؛

---

٩ - ذكر أربع نحل مذمومة [انظر الملل والنحل] .
١٢ - استماح : طلب . والكلُّ : الثقيل . والبذيّ : كثير البذاء وهو الفحش .
١٤ - العنان : سير اللجام .
١٨ - السَّنَنُ : الطريقة .
٢٠ - يا أحم : يا أحمد ؛ مرخمًا . وعانى : تاعب .
٢٢ - أقوت الدار : خلتْ من ساكنيها ، والإقواء : من عيوب الشعر .
٢٣ - وطِيء : داس . والإيطاء : من عيوب الشعر .
٢٤ - أفٍّ : اسم فعل بمعنى أتضجّر : ويقال : أفاً له وعليه أي قذراً له .
٢٥ - الحِرفة : الصناعة ، وطريقة الكسب ، وأراد « حرفة الأدب » والأكداء : الفقر بعد غنى .
٢٦ - إيهاً بالنصب وبالفتح : أمرٌ بالسكوت .

- ١٠٦ -

أما هذه حَزْوى؟

وكتب إلى السيّد عز الدين محمد بن المطهّر بن محمد الجرموزي[١٩] هذه القصيدة وأرسلها إليه من «صنعاء» إلى «سودة شطب» «الى الحضرة المتوكلّية» في شهر رجب سنة سبع وسبعين والف هـ .

١	نعم؛ هذه «حزوى»، وتلك «زرودُ»	فهل ذلك العيش النضيرُ يعودُ؟
٢	وَهَلْ تُقْتَضَى فيها لُبَاناتُ عاشقٍ	وتُذكَرُ أيمانٌ لَنَا وعهودُ؟
٣	وهلْ لليالٍ قد مضت ثَمَّ عودةٌ؟	وهلْ ليَ من بعد الصّدورِ ورودُ؟
٤	وهل أجتني زهر اللّقا مِن أحبتي	على حين أغْصان الشباب تميدُ؟
٥	وهلْ أبلَغنْ مِمّن أحبّ على الهوى	ورغم النّوى ما أشتهي وأريدُ؟
٦	سقى الله أكنافَ العقيقِ سحائباً	يبيتُ عليها ودْقهنَّ يجودُ؛
٧	ولله دهرٌ قد مضى لي بالغضا،	وعيشٌ قَضَى بالرَّقمتين حميدُ،
٨	جنيتُ به روضَ المُنَى وهو يانِعٌ	وقد غابَ عنّا كاشحٌ وحسودُ؛
٩	وما أنسَ لا أنسَ الحِمى، فَسَقى الحِمَى	وأَهْليه صَخّابُ الرعودِ ركودُ؛

---

(١٩) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

١ ـ «حزوى» و« زرود» مكانان يكثر ورودهما في الشعر العاطفي .
٢ ـ اللبانة : الحاجة .
٦ ـ أكناف العقيق : نواحيه الظليلة . والودق : قطرات المطر .
٧ ـ « الغضا » و« الرقمتان » مكانان يكثر ورودهما في الشعر الوجداني .
٨ ـ اليانع : ما حان قاطفه . والكاشح : من يبطن العداوة .
٩ ـ الصخّاب : شديد الصوت والركود : الدائم . ويقال : ناقة ركود أي لا ينقطع لبنها .

١٠ يمثّلهم شوقي لِعَيني، وبيننا.. جبالٌ عوالٍ، أو مهامهُ بيدُ؛
١١ همُ نقَضوا عهدي جهاراً، وعَهْدهُمْ لديّ على طولِ البعاد أكيدُ؛
١٢ وغيداء؛ أمّا جفنُها فهو فاترٌ ضعيفٌ وأما قلبُها فشديدُ!
١٣ إذا أَعْمَلَتْ سُودَ اللّحاظِ حَسبْتَها لدى الفتك أيقاظاً وهنّ رقودُ؛
١٤ تكلّفُني فوقَ الّذي بي مِنَ الهوى على أنَّ وجدي ما عليه مزيدُ؛
١٥ وتوعدني بالوصلِ سرًّا؛ وكم لها وعودُ مِطالٍ بَعْدَهنّ وعودُ!
١٦ فإياكَ مِن وَعْدِ الغواني بوصْلِها، فهُنّ اللواتي وَعْدُهنّ وعيدُ،
١٧ خليليَّ هل تَدنو الديار لمغْرَمٍ تمالَتْ عليه أعينٌ وقدودُ،؟
١٨ أما قلتُما لي إذْ وقفْنا على الحِمَى نُكرّرُ تَسْآل الرُّبى ونَعُيدُ؟:
١٩ أفِقْ «فبحزْوى» أو «زَرود» خيامُهم؛ أما هذه «حزوى»، وتلكَ «زرودُ»؟
٢٠ وأَمْرُكُما لي بالتَصبُّر ضَلّةٌ.. ألاَ إنَّ أمراً رمتُماهُ بعيدُ؛
٢١ ومَن ليَ بالصّبر الجميل وقد أَتَتْ لِقَتْليَ مِنْ حَشدِ الغرامِ جنود؛
٢٢ وما تركتْ جهداً عزائمُ سلوتي ولكن شيطان الغرام مريد
٢٣ وإن كنتُ لا أَسْطيعُ صبراً على النّوى فإنّي على حمل الهوى لَجَليدُ؛
٢٤ يقلّ اصطباري؛ والغرامُ بحالِهِ، ويَبلَى شبابي، والغرام جديدُ؛
٢٥ فليسَ كَمِثلي في المحبّين مُغرَمٌ، ولا مِثل «عز المكرمات» مَجيدُ،
٢٦ فتىً ساد أبناء المكارمِ كلُّهُمْ، وما النّاسُ إلاّ سيّدٌ ومسودُ
٢٧ فتىً أَقْعدتْهُ كاهِلَ المجدِ والعُلَى جحاجح من أبناء «أحمد» صيدُ؛
٢٨ غدَا وزِمامُ الدَّهر طوعَ يمينِه، يُصرّفهُ أنّا يَشا، ويريدُ،

١٠ ـ المهمه. البلد المقفز.
١٥ ـ المِطال: التسويف بوعد الوفاء مرةً بعد أخرى.
١٧ ـ تمالَتْ عليه: يعني تمالأت: أي اجتمعت وتعاونت واليمنيون يحذفون الهمزة.
٢٠ ـ الضَلّة: المرة من ضلّ.
٢١ ـ في: «ف»: «لقتلي من جيش الغرام».
٢٥ ـ «عز المكرمات» و«عز الدين» لقب لكل من اسمه «محمد».
٢٧ ـ الكاهل: أعلى الظهر.

٢٩ إذا ما دَعَـا داعي المطالـب مالَهُ يُلبّيه منـه طارفٌ وتليدُ،

٣٠ فدع «حاتمـاً» إن شيمَ بارقُ نائلٍ؛ فمـا لأخـي جودٍ سواهُ وجودُ؛

٣١ وفـارسُ «عَبْـدٍ» لو تَوهَّـم بأسَهُ لـذاب لو انّ القلـب منـه حديدُ؛

٣٢ « أعزّ الهدى» مُرْ في الزّمان بمـا تَشا فأنـتَ لعمـري في بنيه وحيدُ

٣٣ تظُـنّ الـكرامُ المجـدَ ما يَبتنونُهُ وليسَ سوى ما تبتنـي وتُشيدُ؛

٣٤ فكَمْ مِن فخـارٍ أنـتَ دونَ الـورى لهُ نهضـتَ ؛ وأبنـاء الزّمـان قعودُ؛

٣٥ ومكرمـةٍ بكرٍ بنَيتَ أساسَها، وهُـمْ عَنْ بنـاءِ المكرمات رقودُ!

٣٦ ورُبّ رفيع الـذكر أخملـتَ ذكرَهُ؛ فـكلٌّ عميدٍ مُذْ نشـأتَ عميدُ. !

٣٧ وأتعَبْتَ أهـلَ السَّبـق في حلبـة العُلَى بمـا رحْـتَ منهـا تَبْتَـدي وتعيدُ؛

٣٨ وكم أظهـرتْ أوصافُـكَ الغـرّ لِلْورى بـراهينَ مجـدٍ ما لَهـنّ جحودُ؛

٣٩ وكم نقصـتْ لِلنّيل يومـاً أصابعٌ، وبحـرُك ما ازدادَ النـوال يزيدُ؛

٤٠ شمائـل تزْري، بالصَّبـا، وبلاغةٌ، وبـأسٌ يذيبُ الـراسيات، وَجُودُ،

٤١ ومـا لسـتُ أحصـي من فضائـل جَمّة غدتْ وهـي في جيد الفخـار عقودُ؛

٤٢ عُلًـى أقْعَـدَتْ عجـزاً سواك كأنّها جوامـعُ في أعناقهـم وقيودُ؛

٤٣ وسمعـاً لهـا مصقولـة اللّفظ حلوةً يُقصّـر عنهـا «جـرولٌ» و«لبيدُ»

٤٤ إذا أُنشدت حُلّت غراماً حُبَى النّهى، وكادت لهـا الشـم الجبـال تميد

٤٥ أبثـك شوقـاً لي إليك مضاعفا لِنيرانِـهِ بين الضلـوع وقودُ؛

---

٢٩ ـ الطارف: الجديد، والتليد: القـديم.

٣١ ـ «وفارس عبد » هكذا ؛ و« عبد » قبيلة » في طي ، ولعلها «عبس » وفارسها : «عنترة».

٣٦ ـ العميد : السيد الذي يعتمد عليه ؛ والعميد : الشديد الحزن . وأخمل : أخفى وأضعف ، وأخملْتَ ذكره : جَعَلْته خاملاً لا نباهة له .

٤٠ ـ في «ف » جعل صدر البيت رقم ٤٠ وعجز الذي يليه بيتاً واحدا .

٤٢ ـ الجوامع ـ هنا ـ : جمع جامعة وهي الغلّ الذي يجمع اليدين الى العنق .

٤٣ ـ جرول ـ وهو الحطيئة ـ ولبيد : شاعران مشهوران .

٤٤ ـ الحبى بضم الحاء وكسرها جـ حُبْوَة ، وحَبوة من : أَحبَى احتَباءاً : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة أو حبل ، والحبوة : ما يحتبى به . ويقال «حل حبوته » : أي قام .

٤٦ تحمّـل قلبـي من فراقـكَ لوعةً — يُقلَقِـلُ رُضـوى بعضهـا ويؤودُ،
٤٧ فمـا طرقَ القلـبَ الجـريحَ لِبعدُكم — هـدوٌّ، ولا الطَّـرف القـريح هجودُ؛
٤٨ وسَـلْ عَنْ وِدادِي سرّ قلبِـكَ إنّه — لعمـري عَلـى مَا أدّعيه شهيدُ؛
٤٩ عسى مَن قضـى بالبين ِ بينـي وبينكم — يردّ لنَـا ما قَدْ مَضَـى ويعيدُ،
٥٠ سَقَى الغيثُ ريّا سوحـكَ الرّحـب إنّه — لجنّـةُ عدنٍ لو يكون خلودُ. !
٥١ ولا زَالَ معمـورَ الْفِنـا بِكَ دائماً — يحـلّ بهِ بَعْـد الوفـود وفودُ،
٥٢ وما دمتَ؛ لا تُخْشـى الليالـي؛ فإنّما — طَوالِعُهـا مَهْمـا بقيتَ سعودُ؛
٥٣ فمـا لِمَخُـوفٍ مع وجودك صولةٌ، — ولا لِتصـاريف الزّمـان طريدُ؛
٥٤ وإنّـكم «آل المطهّـر» في الورى — جواهـرُ؛ والمجـد المؤثّـل جيدُ.



---

٤٦ ـ قلقل : حرّك . وأد يؤود : أثقل وأضنى .
٤٧ ـ طرق : زار ليلاً : والهجود : النوم .
٥١ ـ الفِناء ممدود : الساحة أمام البيت .

- ١٠٧ -

عاشق الشعر

وقال ووجّهها إلى السيد الأكمل «شرف الدين» الحسين بن المطهّر بن محمد الجرموزي[٢٠] يُهنّئهُ بنزول أهله من «صنعاء» إلى «عُتُمه»؛ وأرسلها إليه يوم الاثنين لثمان ليالٍ بقت من شهر ذي القعدة سنة ١٠٧٧هـ :

١ وفتْ لكَ ذاتُ المبْسم العذب بالوصْلِ، ووافتْ على طولِ التَّباعدِ والمطلْ،

٢ مِن الغيد تحكي إن بَدَتْ غُصُنَ النّقا، وشمسَ الضّحى فاسْتَجنِ ما شئتَ واسْتَجلِ

٣ أشدّ مضاءاً من ظُبَى الهِندِ لحَظُها، وأحلا مَذاقاً لَفظُها من جَنى النَّحْلِ،

٤ دعاني إلى وجْدي بها سحرُ طَرفها، ودلّ فؤادي نحوَها مَلَقُ الدلِّ،

٥ وليلةَ زارتني؛ وعندي هجرُها غرامٌ مضى بالجسم والروح والعقلِ،

٦ ضممتُ قوام القَدِّ ليلةَ وَصْلها؛ فحققْتُ ظنّي؛ إنهّا أَلِفُ الوصلِ؛

٧ وفزتُ وقد نامتْ عيونُ عواذلي من المرشف المعْسولِ بالعَلِّ والنَّهلِ،

٨ ويعْذلني خالي الفؤادِ من الجوى، ولكنّ في أُذنيَّ وقراً عَن العذلِ،

٩ وإني على أخذِ الغرام بمقْودي لأَصْبو إلى المجد المؤثّل والفضْلِ،

(٢٠) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

٢ - استَجْن: من جنى الثمر: تناوله من شجرته، واستجلْ: من استجلت العروس: ظهرت لزوجها مجلوّة.
٤ - الملَقُ: اللطف الشديد. والدلّ. الدلال؛ وهو التدلّل والتغنّج.
٧ - المرشف: الثغر. والعل والنهل انظر ص ٢٢٧.
٨ - العذل: اللوم. والوقر: ثقل أو ذهاب السمع.
٩ - المِقود: الزمام.

١٠ أروحُ وأغــدُو دائِمــاً ليس لي سوى ... طلابَ العُلى ـ والحمدلله ـ من شُغْلِ ،

١١ أهيمُ بأبــكارِ القــريض ، فلــم أزلْ ... لهـا أبـداً ما عشـتُ أملـي وأستَملي ؛

١٢ فمِــن ملَــحٍ سيّرتهــا أدبيّةٍ، ... ومــن غزلٍ ما قالــه أحــدٌ قبلي ؛

١٣ ومـن مِدَحٍ كالـرَّوض حُسنــاً بعثتُها ... إلى ذي العطاء الجمّ والنّائل الجزلِ،

١٤ إلى كعبـة الجـدوى ، إلى حَرم الغِنَى ، ... إلى المعْقِلِ الأسمى ،إلى الجانب السَّهلِ ،

١٥ إلى السيّد النّدب الذي ليس في العُلى ... لـه مثــلٌ ، والمثــلُ يُبْصَــرُ بالمثْلِ !

١٦ إلى «شرف الدين» «الحُسَين» الّذي لَهُ ... عزائــم أغنتْــهُ عن الخيل والرجْلِ ؛

١٧ إلى الماجـدِ الوهَّــاب أسمـح مَن حَبَا ... بكفٍّ ، وأسْمَا من يَسير علـى رِجْلِ ،

١٨ إلى أصْيدٍ رحْــب الفِنــا ، جودُ كفّهِ ... إذا ضَنّ هامي الوبل تُغني عن الوبْلِ ؛

١٩ إلى ملكٍ جارتْــهُ أمــلاكُ عصره ... ولكنّــه من دونهــم فازَ بالخَصْلِ ؛

٢٠ إلى فرع مجــدٍ أصلُــه سيّد الورى ... فبُورِكَ من فرعٍ كريم ومِــن أصلِ ؛

٢١ وذُو الجــود؛ لم يبْــرح بهِ ذَا صبابةٍ ... فليسَ يرى عاراً أشــدّ من البخْلِ ؛

٢٣ ومُنْجِــز ميعــاد الأمانــي لِوقتِهِ؛ ... فمــا قَال إلاّ أتبــعَ القــولَ بالفِعْلِ ؛

٢٤ إذا انهمـرتْ من كفّـهِ سحـبُ نائلٍ ، ... فأيُّ محلٍ يشتكي صولـة المحلِ ؛ ؟

٢٥ تهَــنّ عقيد المجــدِ بالمنّــةِ الّتي ... حبيتَ بها ، واشكرُ لذي المنّ والفَضْلِ ،

٢٦ أنِلتَ قُصَارى ما اقْترحتَ علـى المنَى ... ولَفَّ القـديرُ الحـقّ شملكَ بالأهلِ ؛

٢٧ وجــاءكَ هذَا الدّهــرُ مستغفِــراً لِمَا ... جَنـى سابقـاً فاغفــر له زلّــةَ النّعلِ ؛

---

١٦ ـ شرف الدين ، أو الاسلام أو «الشرفي» لقبٌ لكل من اسمه «حسين» أو «حسن» .
١٧ ـ من حبا بكفٍ : أي من أعطى .
١٨ ـ هامي الوبل : سايل المطر .
١٩ ـ الخصل : التفوّق والفضل .
٢١ ـ القطا ضرب من الطيور في حجم الحمام يضرب به المثل في الاهتداء . وأنفذ : أشدّ نفاذاً وحسماً .
٢٤ ـ المحل : القحط والجفاف .
٢٦ ـ القُصار والقُصارى . الغاية والجهد .
٢٧ ـ أراد بالنعل هنا القدم نفسها .

٢٨ وقابِلْـه بالصَّفْـح الجميلِ فَقَـدْ أَتى إليك أسيراً لِلضَّراعـةِ والذلّ؛
٢٩ ولا زلتَ موفـورَ الغِنـى حائـزَ المُنَى، مُبيد الأَعـادي مالك العَقْـدِ والحلِّ.



- ١٠٨ - سُبحَة . . !

وأهدى إليه «سُبْحَةَ يُسْرٍ»* لَيلة الجمعة سادس عشر شهر رمضان سنة ١٠٧٧هـ وكتب معها هذه الأبيات :

١ يا شِفَا نَفْسي ويَا بُرْءَ فؤادي مِنْ سقامِه ،
٢ وإمامي يوم يأتي كلُّ شخصٍ بإمامهْ؛
٣ وهمام الدّهر في هذا الورى ، وابن هُمامِه ؛
٤ والَّذي يمتعني الله تعالى بدوامة ؛
٥ هاكها ؛ من عبدك الباقي عَلى حفظِ ذمامِه ؛
٦ سُبحةً حازَتْ منَ الحسْنِ المعَلىَّ مِنْ سهامِهْ
٧ والدّعا يا خير أملاكِ الورى أقْصى مرامه
٨ وابقَ ما غنّتْ عَلَى العُودِ مرنّات حمامِه؛

* اليُسرْ : نوع من الخرز الأسود تنظم منه المسابح ، ويسمّى «المرجان الأسود » .
٨ ـ في «ف » : « وابق ما غنتْ على الورق » !

- ١٠٩ -

وما زلت مني في الضمير . .

وقال ووجّهها إلى السيّد الأديب جمال الدين الهادي بن أحمد بن زكيّ الدين الجرموزي [٢١] وأرسلها مِن صنعاء إلى « عتمة » في شهر محرم سنة ١٠٧٦هـ :

١ فراقكُمُ هَاجَ اشتياقي وأشجاني، ... وأغرى جفوني بالسّهادِ وأشجاني،

٢ وأبدَى سقامي فيكمُ ما كَتمتُهُ ... وعَبَّر شأني في الصَّبابةِ عَن شاني،

٣ وهَيْهات أَن يخفَى الّذي بي من الهوى ... وسرُّ غرامي بعْدكم مِثْل إعلاني؛

٤ أَأَحبابَنا حتّى متَى؟ وإلى متَى ... أُرَى ذاكراً بالغَيب مَن ظلّ ينساني،؟

٥ أَلا عطفةً بالوصْلِ منكم لِمُغْرمٍ، ... أسير الجوى صَادي الجوانح حرّانِ؟

٦ بما بينَنا مِن حُرمةِ الودِّ والهوى ... وعقد الإِخا، فكّوا أَسيركم العاني؛

٧ تخذْتكمُ دونَ الأنام أحبّةً ... وعاصيتُ فيكم كلّ من ظلَّ يلْحاني؛

٨ فكيفَ سمعتم ما روتهُ حواسدي، ... وقالوه من زُورٍ عليَّ وبُهتانِ؛؟

٩ ووالله ما رمتُ التبدّلَ عنكمُ ... ولا مرّ لي في القلب خاطر سلوان

---

(٢١) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

١ ـ هاج: هيجّ وأثار؛ والأشجان جـ شجن: الأحزان والهموم، وأشجاني الأخيرة بمعنى: أحزنني. وفي الأصل «ن» وأغرى فؤادى بالسهاد»، خطأ.

٢ ـ وعبّر شأني: الشأن: العرق الذي تجري منه الدموع ـ كما سبق؛ و« عن شأني » أي عن حالي.

٤ ـ في «ف»: «ذاكراً في الغيب».

٥ ـ في «ف»: « اسير جوى »، والجوانح، واحدتها « الجانحة »؛ الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر، والحرّان: الشديد العطش.

٧ ـ لحاه: لامه.

١٠ وإن التسليّ والتبدل عنكم لأمران في دين الغرام أمرّان

١١ وعاهدتموني بالعَقيقِ على الهوى، فأينَ مواثيقي ترون وإيماني؟

١٢ ولي فيكمُ يومَ الوداع مُهَفْهَفٌ جفاني فأغْرى بالمدامع أجفاني،

١٣ كَلفْتُ بهِ إذ صار في الحسن واحداً فلم يُثنني عَن حُبّه أبداً ثاني؛

١٤ وعنّفني مَنْ لم يذقْ كأسَ صبوتي ولا باتَ ذا قلبٍ كقَلبيَ ولْهانِ؛

١٥ عفا الله عمنْ لامني، لو رأى الذي كلفت به يوم العقيق لأعفاني!

١٦ غزال كأنّ الله صوّرَ خلْقَهُ من النيِّرات الزّهر في شكل إنسانِ؛

١٧ يميسُ بقدٍّ يحسدُ الغُصْنَ لينَهُ ويبسم عن درٍّ نضيدٍ ومرجانِ؛

١٨ وفي خدّه وردٌ جنيٌّ قطافهُ ولكنّ سيفَ اللحظ يجني على الجاني!

١٩ أروم لقاهُ ثم أخشى رقيبَهُ فآخذُ عنهُ جانباً حين يلقاني؛

٢٠ أتاني هواهُ بعد تركيَ لِلْهوى فأذكرني ما الدّهر من قبل أنساني؛

٢١ إلى الله أشكو ظالمين تَعَاهدا عليَّ وكانا أصل همّي وأحزاني؛

٢٢ هوىً؛ ضقتُ ذرعاً عن تحمّل بعضه ودهراً عن «الهادي بن أحمد» أقصاني؛

٢٣ فتى المجد والعلياء من صار مُجْمِعاً على فَضْلِه قاصي البريّةِ والداني،

٢٤ فتىً ألْقَتِ الآدابُ طوعاً لِفكرِهِ مقاليدَ تَسْليم إليه وإذْعانِ؛

٢٥ فتىً مدّ لِلاحسانِ باعَ مبرّزٍ فلم يَخْتَلِفْ في فَضْلِ سُؤددِهِ اثنانِ؛

٢٦ فتىً ورثَ العلياء عَنْ خيرِ سادةٍ مراجيح أَحْلامٍ، مساميح غُرّانِ؛

٢٧ فتىً سادَ قبل الحُلْم أبناءَ جنْسِهِ، وشاد لِرَبْع المجد أرفعَ بُنْيانِ؛

٢٨ أَخو نَجْدةٍ إن يُدعَ لِلْبأسِ والفِدى، فلا عاجزٌ تلقاهُ ثمَّ ولا وَاني،

---

١٠ ـ الأمر المرير : الشديد المحكم ، ويحتمل انه أراد بأمرّين . انهما كريهان الى النفس .
١٣ ـ كلِفْتُ به : أحببته حباً شديدا .
١٤ ـ الولهان : من ولِه يلهُ ولهاً : حزن حتى كاد يذهب عَقله ، أو تحير من شدة الوجد فهو واله وولهان .
١٩ ـ أخذ عنه جانباً : ابتعد .
٢٥ ـ برّز الرجل : فاق أقرانه .
٢٦ ـ الغُرّان : أصله غرّ غرراً وغُرّةً الوجه : صار حسناً ، والغرير والأغرّ : الحسَنُ والجمع غُرّان .

٢٩ حوى قَصَبات السَّبقْ طفْلا وناشِئاً — وبذّ الأعالي مِنْ شَبابٍ وشبّانِ،

٣٠ لقد جمعَ «الهادي بن أحمد» في الوَرى — مكارمَ شَتّى ما اجْتَمعنَ لإنسانِ،

٣١ خطَاباً كما افترت ثغورُ زواهرٍ، — وخلقاً كما اهتزت معاطف أغصانِ؛

٣٢ ونثراً كما رقّتْ كؤوس سلافةٍ، — ونَظْماً كما راقَت قلائدُ عقْيانِ؛

٣٣ أَموْلَى الْقَوافي السّائِرات الّتي غدتْ — يُقرّ لها فِكْرا «لبيدٍ» و«حَسّانِ»

٣٤ أَبثّكَ شوقاً لي، اليكَ أَقلّه.. — يهدُّ مِن ركنَي «ثَبير»، «وثَهْلَانِ»،

٣٥ أروحُ بقَلْبٍ فارغ مِنْ تصبّري — وأغدو بصَدْرٍ مِنْ شجونيَ ملآنِ؛

٣٦ فَهَلْ عطفةٌ بالقُرب منكم لشيّقٍ — إلى وِرْدِ هاتيكِ الشمائل ظمآنِ،

٣٧ وخُذها كما لاَحتْ نجومٌ زواهرٌ — دُجىً، أو كَما فَاحَتْ أزاهرُ بستانِ،

٣٨ ومُنّ سَريعاً بالجوابِ فإنّ لي — إليكَ اشتياق المغْرمِ الدَّنفِ العاني،

٣٩ وحيّ «الحُسَين» الملك نجلَ مُطهّرٍ، — أخاالمجدِسامي المرتقى عَالي الشّاني،

٤٠ وإخوتَه الغُرّ الأكارم مَن بنوا — بناء المعالي فوق هامة كيوانِ،

٤١ تحيّةُ صبٍّ شوقُه وغرامُه، — لِسَوحهم لا «لِلْعقيق» و«نعمانِ»،

٤٢ ولا تَعتبنْ في أنّ كُتُبي تأخّرتْ — فما عَنْ مَلالٍ كانَ منّي وشنْئَانِ،

٤٣ ولكنْ لأحوالٍ عرَتْ؛ لا عرفتها — وطول هموم لم تزَلْ قط تغشاني،

٤٤ رماحُ أذىً لِلْحاسِدين تنوشني، — وكفُّ زمانٍ لم تُمدّ بإحْسَانِ!

٤٥ تنمّر لي يابْنَ الكرامِ وطالما — قديماً على حسن العوائد أجراني؛

---

٢٩ ـ في «ف» : «حوى قصبات السبق في حَلْبة العلى» وفي كلّ من النسختين : «من شباب وشبّان» وهما بمعنى واحد . وربما كان الأصل : «من شباب وشيبانِ» أو : و«شيخان» جمع شيخ .

٣٢ ـ السّلافة : الخمر الجيّدة .

٣٣ ـ القوافي السائرات : القصائد الجارية بين الناس ؛ و«لبيد» و«حسان بن ثابت» : شاعران مشهوران .

٣٤ ـ في «ن» : أبثك لي شوقا «و«ثبير» و«ثهلانُ» : جبلان معروفان .

٤٠ ـ كيوان : نجم معروف .

٤٢ ـ الشنئان : الكراهية .

٤٤ ـ تناوشته الرماح : تناولته . وتناوشوا بالرماح : تطاعنوا .

٤٥ ـ أجراني : عاملني . و«حسن العوائد» العادات الجميلة الحسنة .

٤٦ فكم وقعةٍ بيني وبينَ صروفه ... تهونُ لها أيام «عبسٍ» و«ذبيان» . !

٤٧ وحَسْبي داءٌ حرفةٌ أدبيّةٌ ... غدتْ سبباً في وضع قدري ونقْصاني ؛

٤٨ ولو لم يكنْ من جورهِ غير أنّه ... رماني بسهم البعد عنكَ فأصْماني ،

٤٩ وما زلتَ منّي في الضمير ممثّلاً ... فألْقاكَ في طيّ الضّمير وتَلْقاني !

٥٠ دنوتَ إلى قلبي وإن كنتُ نازحاً ... عليكَ سلامُ الله من نازحٍ داني !



---

٤٦ ـ حرب «عبس وذبيان» من الحروب المشهورة في أيام العرب .

لحـــا الله دهراً*

وأجاب عليه السيد الهادي بن احمد الجرموزي بقوله :

سرَى طيفُهـا وهنـاً إلـيَّ فحيّاني … فيا حبّذا طيفٌ من السّقـم أحياني ،

بُعَيدَ السُّـرى يَجتـاب كلَّ تنوفةٍ … ولـم يثنـه عَنْ قصـدِ مغرمِـه ثاني ؛ !

أيا زائـراً من بعـد نأي وفرقةٍ ؛ … وعـاود لمـا عاود النـومُ أجفاني . !

بعيشِـك يا طيفَ الأحبّـةِ قلْ لهم ؛ … أما عطفةٌ تُرجَى على المدنفِ العاني؟

وهل ذاكري أحباب قلبي على النّوى؟ … أم الحُـبّ أغـرَى مَن أحبّ بنسياني؟

علـى أنّ هذا الهجْـر والصـدّ منهمُ … لحـالانِ في شرعِ الصبّابـةِ حلوانِ

وحرمة أيامِ الوصـال التـي قضتْ … وطيبِ لياليـنـا بذي الرمـلِ والبانِ ؛

لقـد تلفت روحـي اشتياقاً إليكُم ، … وهاجـتْ صَباباتـي إليكم وأحزاني ؛

وقد كدتُ أقضـي بعـدكم يا أحبّتي ، … ومن بَعْدِكم ما كان بالموت أحراني ؛ !

وأغيد كَالْغُصـن الـرّطيب إذا مشى … مـن التّـركِ فتّـاكِ اللّواحـظ فتّانِ ؛

يُرنّحـهُ سكرُ الصَّبابـةِ والصبِّا … كما رنّحَتْ ريحُ الصَّبا غُصُنَ البانِ ؛

كُلفـتُ به كالبـدرِ حلَّ بسعدِه … وعـاصيتُ فيه كلَّ من ظلَّ يَلْحاني ؛

ولم أَنْس في «نعمان» يوماً جنيتَ مِنْ … أزاهـرِ خدّيهِ شقائـق نعمانِ؟

---

* لم يثبت جامع الديوان أو ناسخُه في «ن» من قصيدة «الهادي الجرموزي» إلاّ البيتين «سرى طيفهـا» و« بُعيد السرى » أما في «ف » فقد أثبتها كاملة ، وقد آثرت ذلك أيضاً لأن الشاعر «الهبل» قد طالبَ بها كجواب .

يقولــونَ ما ألقــاكَ في نارِ حُبِّهِ   فقلتُ لَهـمْ: لا تعتبوا. . خدُّه الْقاني؛
دعونــي وذنبــي في هواهُ فخالُه. .   إلى الحُبِ من طُور المحاسنِ نَادَاني!
سأثنــي عنانــي نحــوَهُ غير سامعٍ   ملاماً؛ وكيف الكفـرُ من بعـدِ إيمان؟

ويا شرف الإســلام ؛ يا مَنْ صفاته   الحميدة حقًّـا، ما اجتمعـنَ لإنسانِ؛
أتَتْنــي علــى بُعــدٍ قصيدتـك الّتي   أقــرّ لهــا قاصــي البـريّة والدّاني،
بعثــتَ بهــا حسنــاءَ يا خيرَ مُحسنٍ   فأطلَقْتُ جُهدي بين حسْنٍ وإحسانِ؛
وأرسلتَهـا حوراء مَصْحوبــة الرضى؛   فَقُلتُ انظروها فَهْي من حُورِ رضوانِ؛
«كسرتَ» قنـاة «النّاصـبين» بهـا كما   «رفعتَ» بها يابـنَ الأكَارم من شاني،
فَمِــن أينَ لي في أنْ أجـاريك طاقةٌ   وبحـرك يَأْبـى أن يُقــاسَ بغدراني؟!
ولــكنّ من عجــزٍ أقابــلُ بالحَصَى   قلائِــدَ مِن درٍّ نظيم وعقيانِ؛
توصلــتَ في مدحــي إلى مدح ماجدٍ   بـه افتخـرتْ أَبنـا «معدٍّ» و«عدنانِ»؛
إمام الهدى، رب النّدى، واسع الجَدا   مُبيد العدى مُروي صَدى كلِّ عَطْشانِ؛
فتــىً حازَ شأو المكرُمَــات بهمةٍ   تريه البعيدَ الصَّعبَ مُسْتَسْهـلاً داني؛
فمنْ كالحُسين السيّدِ النَّدب في الورى   يشيدالعُلَى والمجدمن غيرما واني،؟
ولمّــا شكوتَ الدهــرَ يا خير ماجدٍ   غـدوتُ بقلْــبٍ من همومــي حرّانِ؛
وبــتُّ كأنّــي ساورتنــي ضَئيلةٌ   من الرقْش من أنْيابها السـمّ يغشاني؛
لَحا اللهُ دهــراً حاربتــكَ صروفُه،   ومالَــتْ بطغيانٍ عليكَ وعدوانِ؛
وأنــت الّــذي شرفتَــهُ ورفعتَهُ   علـى أعصـرٍ مرّتْ قديمـاً، وأزمانِ؛
فمــالَ، ولــو وفّــاك ما تَسْتحقّهُ؛   بنـى لك بيتـاً فوق هامـة كيوانِ؛!
فَلاَ تبتئِسْ، وابشـر؛ فسعـدك مقبلٌ   سيأتيك ما تَهوَى وإنْ رغُـمَ الشاني؛
وسـوف ترى السَّبـعَ الـدَّراري مطيعةً   لأمـرك فيمــا تَشْتهـي ذاتَ إذعان.!
عليك سلامٌ مثلُ أخلاقــك الّتي   هِيِ الروضُ؛لاَ بل زهرُها غِبَّ هتَّانِ.

- ١١٠ -

لحنٌ لم يُنْشَدْ . . !

وقال رحمه الله وكان يريد أن يرسلها إلى السيد الهادي بن أحمد الجرموزي أيضاً؛ ولكن الله توفّاه قبل أن يرسلها إليه :

١ حتّـام أكتـمُ ما الدّمـوعُ تُبيحُ؟ ... وإلامَ أغدو مُغرمـاً وأروحُ ؟

٢ وإلى متـى أصبـو إلى ريح الصَّبا ... ومُهيجُ نار جوايَ تِلك الريحُ؟!

٣ ومُعنّفٍ نَحـو الملامـةِ جانـحٍ . . ... لـو كانَ لي نحـو السلـوِّ جنوحُ!

٤ يُملي علَـى مَن ليس يسمـعُ قولَهُ ... في الحـبِّ؛ قولاً كلّـه مطروحُ!

٥ ومُعذّبـي من لا أبـوحُ بذكره ... ويكاد يعمينـي الهـوى فأبوحُ ؛

٦ مَن لو رآه البـدرُ قال مخاطباً ... أنـت المليحُ ؛ ومـا سواكَ مَليحُ !

٧ نشـوان من خمـر الرّضـابِ لِقدِّهِ ... منهـا غبـوقٌ دائماً وصَبُوحُ.

٨ أعطيتُـه رُوحـي ومالـي طَالباً ... لِلْوَصْلِ ، وهـو بمـا طلبتُ شحيحُ!

٩ ومتَى شكوتُ له الْهوى قَال اصْطَبِرْ؛ ... فالصَّبـرُ فيه لِذي الهـوى تَرويحُ ؛

١٠ أمُكلّفـي صَبـراً جَميلاً في الْهوى ؛ ... تَـكْليفُ ما لاَ يُستطَـاعُ قبيحُ ؛

١١ أرفـقْ بجسْـمٍ أنـتَ سالـبُ روحِهِ؛ ... أَيعيشُ جِسْـمٌ فَارقتْه الرّوحُ ؟

١٢ وانظُـرْ إلـى قلبـي عليك وناظري؛ ... هـذا قَريحُ هوىً ؛ وذاكَ جريحُ ؛

---

٤ - في «ف» : «في العذل قولاً» .

٩ - روّح ترويحاً : أنعش وأراحَ .

١٣ وَسل المدامعَ عَنْ غرامي ؛ فَهْو في «مَتْنِ» الخدودِ بمدمعي «مَشروحُ» !
١٤ إنْ لاَ تكُنْ لي زورةٌ تَحْيى بها روحي ؛ فمـوتٌ مِنْ هواكِ مُريحُ ؛
١٥ حيًّا الحَيَا زمَـن «الغُـوَيْرِ» وأنـتَ لي بالقُـربِ منـكَ وبالوصـالِ سَموحُ ،
١٦ إذْ لا أَخــافُ الكاشــحين وقولهم ؛ هَـذَا الفتـى المسْتَهتَـرُ المفْضوحُ ؛
١٧ يا عاذِلِينَ ؛ أنــا الّــذي قد قُلْتُمُ فاغْدوا ـ هُبِلْتُم ـ في الملام وروحوا!
١٨ ولَقَـدْ وقفْنـا لِلْـوداعِ «ببارقٍ» ، إذ بارقُ البَينِ المظِـلِّ يلوحُ ،
١٩ إذ ليس إلاّ مدمـعٌ مُتدَفّقٌ إثْـر الهـوادجِ ؛ أو دمٌ مسفوحُ ؛
٢٠ لم ندرِ هَلْ تلكَ النّفـوسُ ذَوائباً؟ أَم أدمـعٌ فوقَ الخـدودِ تَسيحُ ؟
٢١ و«ببابلٍ» ؛ سَقَتِ الغوادي «بابلاً» ؛ مُلقـىً بآثـارِ الخيام طريحُ؛
٢٢ سَمِعَ الصَّبابـةَ وهْـي ـ حقـاً ـ باطِلٌ ، وعصَـى النصيحَ وإنّـه لَنصيحُ!
٢٣ مُتيقّنـاً جورَ الغَـرامِ ؛ وأَنّ مَا يُرْوَى عَن المقَـلِ المراضِ ـ صَحيحُ ؛
٢٤ قد عَبَّـرتْ عَبراتُـه عمّـا بهِ ، إنّ الْهـوى تَلويحُـه تَصريحُ ،
٢٥ أَضْحـى يُحدِّثُـه أَحـاديثَ الهوى عَنْهُـمْ خُزامـى «بابـلٍ» والشّيحُ ؛
٢٦ قَلِـقَ الفُـؤادِ كأنّمـا هبَّـت لَهُ مِن حضرة «الهادي بن أحمـد» ريحُ؛
٢٧ سبّـاق غايات المعالـي مَن لَهُ طَـرفٌ إلى نَيل الفخـار طموحُ ،
٢٨ خلْـقٌ يحـاكي البَـدْرَ حين يلـوحُ مَعْ خُلُـقٍ يحـاكي الزهرَ حينَ يفوحُ! ؛
٢٩ مَن إنْ دجَـتْ ظُلَـمُ النّوائـبِ حلَّها رأيٌ له في المشـكلاتِ رجيحُ؛

---

١٣ ـ متن الكتاب : خلاف الشرح والحواشي .
١٦ ـ استُهْتر الرجل : كثُرَتْ أباطيله ، واستُهتِر بكذا : صار مُستهتَرا به مولَعاً لاَ يتحدّث بغيره ولا يفعل غيره ، والعامة تغلط حين تقول : مُستَهْتِر .
١٧ ـ هُبِلْتُم : ثَكلتكم أمهاتكم . من هَبِلَ ، هَبَلاً ، ويقال : «هبلته أمه» ؛ دعاء عليه .
١٨ ـ البَين المُظِلّ : من أظلّ الأمر : غَشَي ودنا ، وقد كتبها في الأصل بالطاء المهملة والصواب أنها بالظاء .
٢١ ـ بابل : مدينة مشهورة بالسحر ، والغوادي : الواحدة غادية : السحابة تنشأ غُدوةً .
٢٤ ـ العبرات : الدموع والتلويحُ : الإشارة من بعيد دونما كلام صريح .
٢٥ ـ الخزامى و«الشيح» ؛ الأوّل زهر من فصيلة الزنبقيات أزهاره متعدّدة الألوان ، والثاني ؛ والواحدة شيحه : نبات طيب الرائحة .
٢٩ ـ رجيح : بمعنى راجح .

٣٠ ندبٌ يجلّ عن المدائح كلّها | لو أنّ شعر العَالَمين مَديحُ،
٣١ وإذا أشار النّاسُ نَحوَ مُسوّدٍ | فهو المشارُ إليه والملْموحُ،
٣٢ شَهمٌ يلاقي النّائبات بعزْمَةٍ | تدعُ الشوامخ وهي بيدٌ فِيحُ،
٣٣ وفضائلٌ ما حازَها أحدٌ غَدتْ | ولها على شمسِ النّهار وضوحُ؛
٣٤ وندىً كما انهلّ الغمامُ، ورآءه | نسبٌ، كما انشقّ الصَّباح صريحُ،
٣٥ يتناقلُ الأُدباء دُرَّ قريضهِ، | فكأنّه التّهليل والتَّسبيحُ،

٣٦ يا أفصحَ الفصحاء غيرَ مُدافعٍ؛ | أقْلِلْ لِمثلكَ أن يُقالَ فصيحُ،
٣٧ إذ أنتَ للأُدباء درةُ تاجها، | بل أنتَ في جسدِ المعالي روحُ؛
٣٨ خُذْها كما ابتَسَمتْ أزاهرُ أيكةٍ | قد زانها التَّهذيبُ والتّنقيحُ؛
٣٩ غرّاء تَجتَلبُ القلوبَ غرابةً؛ | لِمَ لاَ.. وأنتَ بِدُرِّها الممدوحُ؟

٤٠ أشكو عظيم جَوىً إليكَ مُضَاعفاً، | لي من سَمومِ سُمُومِه تَلْويحُ،
٤١ وصروفَ دهرٍ «يابنَ أحمد» لم يَزَلْ | يبدو لهنَّ تَجهّمٌ وكلوحُ،
٤٢ فابعَثْ قريضك رقْيَةً يَحْيى بها | قلبي؛ فَقَد أودى بهِ التَّبريحُ.

---

٣١ ـ الملموح : المنظور اليه .
٣٢ ـ في «ف» : «يلاقي الحادثات» . والفيحُ : المفرد أفيح ومؤنثه : فيحاء : ذو الفيح والسعة .
٣٤ ـ النّسب الصريح : الخالص الشريف .
٣٦ ـ أقلِلْ لمثلكَ : أي قليل على مثلك .
٤٠ ـ السُّم : مثلّثة السين ج سِمام وسُمُوم : كل مادة إذا دخلت الجوف عطلت الأعمال الحيوية وسبّبت الموت أو السقم المميت والسَّموم بفتح السين : الريح الحارة ، وسمّت الريحُ : أحرقت ، والتلويحُ هنا من لوّحَ الشيء بالنار : أحماه ، ولوّح العطش فلاناً : لفحَهَ وغيرّ لَونه .
٤١ ـ التجهّم والكلوح : العبوس والتكشير .
٤٢ ـ الرقية : العُوذة (التعويذة) ؛ وذلك أن يُستعان للحصول على أمرٍ بقوىً خارقة . والتبريح : من برّح به الأمر : أتعبه وآذاه أذىً شديداً ؛ وهو البرحاء أيضاً ؛ أي الشر والأذى والمشقة والجهد. ويا ليت شعري هل بكى الشاعر الهادي بن أحمد الجرموزي حين اطّلع على هذه القصيدة؟ وأخلق بها وبوزنها وقوافيها النائحة الجائحة المبرّحة الفصيحة، ان توحي للشاعر الصديق بمرثاه حزينة. على شاعر صديق.



الباب الثالث

فيما قاله «رضوان الله تعالى عليه
من الغزل والتشبيب، وذكر المنزل والحبيب



- ١١١ -

نبيّ حُسن . !

قال رحمه الله

١ مَلكْتُمُوا فَاعْدلُوا في الصَبِّ أَوْ جُوروا ‏ ذنبُ الأحبّةِ في العُشّاقِ مغفورُ؛

٢ وقد تقرّرَ في قلبي مَقرُكُم ‏ دونَ الورى ؛ فأقيموا فيه أَو سيروا ،

٣ يا مُخْربي رَبْع صَبري بالجفا عَبَثاً ؛ ‏ الحمدُ للّه؛ رَبْعُ الودّ مَعْمورُ ؛

٤ ويا مطوّلَ هجراني بلا سَببٍ؛ ‏ أمَا بدا لكَ في التَّطْويلِ تقصيرُ؟

٥ ومُنكراً ما أُلاقي في مَحبّتِه؛ ‏ حُبّي كطَرفِكَ بين النّاسِ مَشْهورُ؛

٦ أَنَا الكئيبُ المعنَّى في هواك وإنْ ‏ أظهرتُ أني بما ألقاهُ مَسْرورُ؛

٧ ألاَ خلاصٌ لِقَلْبي مِن صَبابتِه ‏ فإنّه في تعاطي الحُبّ مَغْرورُ!؟

٨ كم ذا أُكابدُ ما لَوْ مَرَّ أَيْسَرُهُ ‏ بالطُّورِ دُكَّ لَهُ مِن ثقْلِه الطُّورُ، !

٩ وكم أُرَى طاوياً كَشْحي عَلى شجَنٍ ، ‏ ونارُ شوقٍ لَها في القَلبِ تَسعيرُ؟

١٠ وكم أُراقب ساري الطَّيفِ يطرقني؟ ‏ وإنّما الطّيفُ تَخْييلٌ وتَزْويرُ؛

١١ يا لَلْحِمى ؛ كم على واديهِ طلّ دمٌ، ‏ وكم فُؤاد محبٍّ ثَمَّ مأْسورُ،

١٢ وبي مَليك جمالٍ سيفُ مُقْلتِهِ ‏ «مُظفرٌ» بقلوب النّاسِ «منصورُ» ؛

١٣ نبيُّ حُسْنٍ له من روضِ وجنَتِه ‏ جنّات عَدْنٍ، ومن ألحاظِهِ حُورُ.

---

٧ ـ تعاطى الشيء : تناوله، والأمر: قام به، أو خاض فيه.

٩ ـ طوى كشْحه على الأمر: أخفاه واستمرّ عليه، والكشح من الجسم: ما بين السرة ووسط الظهر

١١ ـ طُلّ دم: هُدِر ولم يُثأر له.

١٣ ـ حُورٌ جمع حَوراء: والأصل؛ حَورت العين إذا اشتد بياض بياضها وسواد سوادها.

- ١١٢ -
قد كان لي جسدٌ . .

وقـال :

١	دَعـا فُؤادي يقاسـي الشّـوقَ والكمدا	في حُبِّ مَن لَم يدعْ لي حبّـهُ جلَدا ؛
٢	لا تَتْعبـا ، ففـؤادي غير مُمتَثِلٍ ،	إن رمتُمـا منـهُ إصـلاحَ الّـذي فسدَا ،
٣	أَوْسَعْتُمـاهُ ملامـاً في الغـرامِ ، وما	وجدتُما في الهوى بعضَ الّذي وَجَدَا ؛
٤	أستودعُ اللهَ رُوحاً في الهـوى تَلِفَتْ ،	وفيه أحتَسـب الدمـعَ الَّـذي نَفَدا ،
٥	أجريتُـهُ في مَيادين الهـوى غَرَراً	ولِلْغـرام مدى لا ينتهـي أبداً ؛
٦	وكان لي جسـدٌ أودَى السّقـامُ به	فها أنـا اليوم ؛ لا روحـاً ولا جسدا ؛
٧	نَفْسي الفِداء لمعسـول اللَّمـى غَنِجٌ ،	تعلّـم الغُصـنُ منـه اللّينَ والميَدَا ؛
٨	كالظّبي حين عطا ، والليثُ حين سطا ،	والغصن حين خطا ، والبدرُ حين بدا ؛
٩	حاشـا الـرّقيبَ ؛ فلا وصـل أسـرُّ به	منـه ؛ خلا أنّـه بالوصـل لي وَعَدا ؛
١٠	ما شِمتُ منذ أظلت سحب عارضه . .	بـوارقَ الثّغـر إلاّ أمطـرتْ بردا . .
١١	ولا أغـازلُ ريمـاً من مُقلّدِهِ	إلاّ أنـازلُ من الحاظِـهِ أَسَدا .

---

٣ ـ أوسعتماه ملاماً : أي أكثرتما عليه اللوم وأغنيتماه به
٤ ـ احتسب الأمر : نوى به وجه الله .
٥ ـ الغَرَرُ : من غرّر تغريراً وتغِرّةً بالشيء : عرّضه للهلاك . ويقال : أنا غررٌ منك ، أي مغرور .
٧ ـ اللّمى بتثليث اللام : سمرة في باطن الشفه .
٨ ـ عطا : تناول . والعَطْوُ : التناول ورفع الرأس واليدين ، وظبيٌ عُطوٌ مثلث العين : يتطاول الى الشجر ليتناول منه ، وسطا اللّيث : وثب

- ١١٣ -
ما ضرّ لو سمح المولى؟

وقال:

١	عينـايَ فيكَ بأسياف البُكى اجْترحا،	هـذا ومـا اقترَفـا ذنبـاً ، ولا اجْتَرحا!
٢	يا مَن رأيت الهـوى من أجلـه حَسَناً	فيه، ولـو أنّـه في غيره قَبُحا. !
٣	ومن حوى الحُسنَ دون الخلق عن كملٍ ،	حتى غدا كيف شاء الحسنُ، واقترحا ، !
٤	ما ضرّ لو سمـح المولـى بزورته	لمغرم في الهوى بالروح قد سمحا . .
٥	أضـلّ وجهـك حُسـادي عَدمتُهمُ	حتّى رأوه هلالاً وهـو شمس ضُحى ؛
٦	واللهِ لو أنّ حُسـادي إذنْ نظروا	أثيلَ فرعكَ بان الفـرقُ واتّضحا!
٧	زِدْ خاطري شرراً ، أو ناظري سَهرا ،	وزِد عظامـي نحـولاً ، والحَشـا برحا ؛
٨	أنا الّـذي ما شكَا ثِقْـل الهـوى أبدا ،	ولا أصـاخ لِلاَحٍ فيكَ حين لحَا . .

٦ ـ أثيل فرعك: الفرع من كل شيء أعلاه وأراد الشاعر: شعر الرأس

٧ ـ البَرْح، والبُرحاء: التبريح، أي الشدة والأذى كما سبق.

- ١١٤ -
يا بارد القلب:

وقال رحمه الله:

١	إليك عنّي فما السّلوان مِن شاني	يكفيكَ ما سال في خدّيَّ مِنْ شاني!
٢	يا عاذلي كيفَ أسلو عن هوى رشاٍ	به تَسلّيتُ عَنْ صَبري وسلواني؟
٣	لا تَشتغِلْ بي فقلبي عنكَ في شُغُلٍ	بما أُكابدُ من شجوٍ وأشجانِ؛
٤	رُحْ عَن هوايَ خَليّ القلبِ في دِعةٍ،	وخلّ ما بين أحشائي ونيراني؛
٥	نَصَحْتَ والنّصحُ ما لي فيه من أَربٍ،	ما كانَ أغناكَ عن هذا وأغناني؛
٦	يا باردَ القَلْبِ؛ قلبي مِنكَ في لهبٍ،	واراقدَ الجفنِ قد أسهرتَ أجفاني،!
٧	ويا حبيباً حفظنا عهْدَ صحبتِه..	في الحُبّ أينَ مواثيقي وأيْماني؟
٨	أحينَ ما غبتَ؛ والأيامُ ما بَرِحَتْ	تُبدي الكمينَينِ مِن حقدٍ وشَنْئَآنِ؛
٩	نَسيتَ مَحْضَ ودادي فيك؟ واعجَبًا،	ولم تزَلْ قيدَ فكري؛ كيف تَنْساني؟
١٠	أغيّرَ البعدُ قلباً منك أعرفُه؟	أم هلْ سمعتَ مقالَ الحاسِدِ الشّاني؟
١١	أنا الّذي لم يغيّرني جفاكَ، ولا	هَمّتْ بإخراج وجدي كفُّ سُلوانِ.

---

١ - وردت هذه الأبيات متأخرة في الترتيب في «ف» وكل قصائد هذا الباب تختلف ترتيباً عما في «ن» وفي «ف»: «يكْفيكَ ما انْسالَ في خدّي».

٢ - الرشاء: ولد الظبية.

٨ - الكمين: المتواري المخفيّ.

٩ - قيد فكري: دائم الحضور فيه.

- ١١٥ -
وبعتُ نومي. !

وقال:

١	بَلغْتَ ما شئْتَ من حُزني ومن كمدي،	وما بلغتُ مدىً لِلْهجر منكَ مَدِي!
٢	هلاّ ذكرتَ لِقلبي قبلَ محنتِهِ؛	أنّ المنيّةَ لِلعشّاقِ بالرَّصدِ؟
٣	تعاطَتِ الحُبَّ نفسي غير عالمةٍ؛	أنّ المحبّة لا تُبقي على أحدِ؛
٤	أشكو إلى الله ما ألقاه من كلَفٍ،	ولَوْعَةٍ أحرَقَتْ نيارانُها كبدي؛
٥	يا أهل «بابل»؛ رفقاً بعض صدّكم	ما لي على البين والهجرانِ من جلدِ،
٦	لقد وَهَبْتكُم روحي بلا ثمنٍ،	وبعتُ نومي بتَسْهيدي يداً بيدِ!
٧	وبالحِمَى - لا عَدَتْه كلُّ ساريةٍ -	ظَبْيٌ لواحِظُهُ يَفْتِكْنَ بالأَسَدِ،
٨	يَحلُّ عقدُ اصطباري في محبّتِهِ؛	بسحر ناظرِهِ النفّاث في العُقَدِ؛
٩	ما فوّقَ النّبلَ مِن أهداب مقلتِهِ؛	إلاّ وفرّق بين الروح والجسدِ؛
١٠	ولا تأوّدَ منه القدُّ معتدلاً	إلاّ أبانَ الّذي في البانِ من أودِ!

١ - المدى: الغاية والمنتهى، والمدى في لغة اليمنيين الطويل الدائم الذي لا نهاية له.
٢ - بالرَصَدِ: أي تترصدهم وترقبهم.
٦ - يداً بيد: مناولةً.
٧ - السارية: السحابة الممطرة تسري ليلاً.

- ١١٦ -

إليك أشكو تلافي . . !

وقال مضمّناً لعجز البيت الأخير:

١ كيف البقا؛ وجميلُ الصَّبرِ فيكَ فني؟ ... أمـا تَرى جسـدي للسّقـم في كفنِ ؟

٢ ومـا حياة كئيب قلبُـه أَسَفاً ... قد بانَ عن جسـدٍ للسّقـم لَمْ يبنِ ؟ !

٣ يا«ساكنَ»القلب«أجريتَ» الدموع دماً ... وما«عطفتَ» على «جارٍ» ولاسكنِ ؛

٤ و«مرســل» الـطّيف «تعليلاً» وتَسْلية ... لـكي أشاهـدَ مرآى وجهِـهِ الحَسَنِ ؛

٥ لم يطرقِ النومُ بابَ الجفنِ من أسفٍ ... فمـا ارتقـا بي لطيف منـك يطرقني؟

٦ ما ضرَّ لو جدتَ للصبّ المشوقِ بما ... سلبتَـه من منـام أنـتَ عنـه غني؟

٧ إليك أشـكو تلافي في هواك أسىً، ... وما أكابـدُ من شجـو، ومـن شجنِ ،

٨ نزَّهتُ سمعي وطرفـي والجوانـح عَن ... هوى سواكَ وعـن عذلٍ وعـن وَسَنِ ؛

٩ وكيفَ يُدركنـي طيفُ الخيال، ولو ... وافىَ إلـيّ لِفـرْطِ السّقـمِ لَمْ يرَني؛

١٠ يا مَنـزلاً كان بالجرعـاء يجمعُنا ... بـكَتْ عليكَ عيونُ العـارض الهتنِ ؛

١١ ويوم وصـلٍ قطعنـاهُ «بكاظمةٍ» ... كأنّـهُ عارضٌ في سالِف الزّمنِ ؛

١٢ أيَّامَ عينُ حَسُـودي فيكَ نائمةٌ ... عنّي وعنك ، وعَينُ الحـظِّ تَلْحظُني ؛

١٣ أيَّامَ كنـتَ عن الـواشين في صَممٍ، ... وكنتَ منّي مكانَ الـروحِ من بدني؛

---

١ - فَنيَ وفَنَى: عدم

٣ - لا يخفى ما في البيت من تلاعب بديعي بالألفاظ.وكذلك في الأبيات التي تليه .

٩ - لا يوجد هذا البيت رقم - ٩ - في «ن».

١٠ - ١١ - «الجرعاء» و«كاظمة» مكانان يكثر ورودهما في الاشعار العاطفية .

١٤ ما كنتُ أعرفُ ما شرع الغرامِ فمُذْ عرفتُ ناظركَ الفتّان عرَّفني؛

١٥ ومذ عَرفتك فارقتُ الحياة أسىً، «يا ليتَ مَعْرفتي إياكَ لم تكنِ».



- ١١٧ -

نزّه لحاظك

وقال رحمه الله مُصدّراً لأعجاز بعض قصيدة «الصفي الحليّ» وكان يريد أن يتخلّص إلى مدح المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فعاقه عن ذلك المرام عائق الحمام: *

١	وبـي مُعـذِّرُ خـدٍّ وردَ وجنتِهِ؛	قَد ظَلّ يشكر صوبَ العارضِ الغدقِ؛
٢	عاينـتُ مِن خدِّهِ الْقانـي وعارضه:	«فيروزجَ الصبّحِ مَعْ ياقوته الشفقِ».
٣	ولاح لي ثغـرُه الـدريّ في لَعَسٍ؛	كمـا تكلّل خدُّ الخُـودِ بالعَرَقِ،
٤	وروضـةَ الحسـنِ في خدّيه مؤنقةٌ؛	ولِلمياه دبيبٌ غير مُسْتَرِقِ؛
٥	نزّه لحاظَـكَ مِنـه في لواحظِهِ؛	«فالنَّرجَسُ الغَضّ فيها شاخص الحدقِ»
٦	واعجبْ لِلَوْني وعقـد الـدرّ في فمِهِ؛	«من أصفرٍ فاقـعٍ أو أبيَضٍ يَقَق»؛
٧	إذا تبسّـمَ يومـاً؛ قلـتُ قد طَلَعتْ	«شمسُ النهارِ ولاحتْ أنجم الغسقِ»
٨	عانقتـهُ؛ وهـو مُرخٍ مِن ذوائبهِ	ستراً يمدّ حواشيه على الأفقِ؛
٩	وإذ تنشّقْـتُ من ريحـان عارضِهِ،	نشـراً تعطّـر منـه كل مُنْتشِقِ؛
١٠	مسحتُ آثـار لثمـي خيفـةً بيدي	حتّى اكْتَسَـتْ أرجـاً من نشـرِهِ العَبَقِ
١١	يا تاركي فيهِ سكرانـاً أميدُ بهِ	سُكراً كما نبّه الوسْنان من أرَقٍ!
١٢	ورافعـي فوق أهـلِ الحُـب مرتبةً	ما كان قطّ إليها قبـل ذاك رُقي؛
١٣	هوّنْ قليلاً علـى أهـل الغـرام فقدْ؛	أركبتَهـم طَبَقـاً في الأَرضِ عَنْ طبقِ

---

* قال الجامع في «ف»: «وكان كثيراً ما يتحرّج من نقل مديح الأبيات الى الغزل ويستغفر الله كثيراً رعاية للمنصب البنوي».

١٣ ـ طبقاً عن طبق: حالاً بعد حال.

١٤ نفسي فداء سهامٍ مِنْك مُرْسَلَةٍ — لم تُغْن عنها صلابُ البَيض والدَّرقِ

١٥ ووجنةٍ أوقدتْ نار الغَرامِ فَمَنْ . . — مسَّتْهُ لم ينجُ منها غيرَ محترقِ ؛

١٦ تبدو لَنَا من دم العشّاقِ في حُلَلٍ — كما بدا السَّيفُ مُحمرّاً مِن العَلقِ ؛

١٧ وقامةٍ مثل غُصنِ البَانِ ناعمةٍ — بدتْ فَهيّجت الورقاءَ في الورقِ ،

١٨ هيفاء مهما جرى ماءُ الشَّبابِ بها . . — فالماء في هَرَبٍ ، والغُصْنُ في قلقٍ ؛

١٩ تَغدو الغصون لديها وهي مُطرقةٌ — والطيرُ تسجَعُ من تيهٍ ومن شبقٍ .



---

١٤ ـ الدرَق جـ دَرَقة ؛ وهي الترسُ .

١٧ ـ الورقاء : الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة ، وأراد بالوَرَق الشجر .

- ١١٨ -
لو نظروا ما عذلوا . !

وقال رحمه الله

١ أكثَرتَ عذلكَ لوْ وجدْتَ مُطيعًا ؛ ونصحْتَ جهدَكَ لَو وجدتَ سَميعا ؛
٢ هَيّجتَ في قلبي الجريحِ بَلاَ بِلاً . . وأَفَضْتَ من جفني القريح دموعا ؛
٣ وقرعتَ منّي بالملامة مسمعاً لا يسمع التأنيبَ والتقريعا . . !
٤ قُلْ لِلّذي هجر المنازل والرُّبى واختطّ أفئدةً لنا وضلوعا . ؛
٥ أدرَى العواذلُ أنّني بملامِهم أزداد فيكَ صبابةً وولُوعا . ؟
٦ . . دعهم ؛ فلو نظروك أوَّل نظرةٍ كُنا اشتركنا في هواك جميعا . !

٣ ـ قرع : دقّ، وضرب، والتأنيب : اللوم، والتقريع : التعنيف.
٤ ـ اختط الدّار أو الأرض : جعل لها حدوداً ليُعلَم أنها له .
٦ ـ في «ف» : «أول مرّة»

- ٩ -
و جزيت خيراً . .

وقال:

١ رُحْ خالياً عمّـا تكابـدُ أَضْلُعي ، واعـذرْ مُحّباً للملامـةِ لا يعي ،

٢ أو فاعتبر سقمـي ودمعـي في الهوى ، واعـذلْ هنـالك ما بدا لك ، أو دَعِ ؛

٣ وأراك لمـتَ ، ومـا رأيتَ مُعذِّبـي فانظرْ إليه وقُلْ ؛ هُنالكَ تُسْمعِ ،

٤ آهٍ لأنفـاسٍ يشـبّ لهيبُها ؛ لـولا سحائِـب أَدْمـعٍ لم تُقلعِ ؛

٥ لا كنـتِ من نارٍ توقّـدُ في الحشا ، وجُزيتِ خيراً يا سحائبَ أدمعي ؛

٦ ماذا علـى المتحمّلينَ عشيّةً . . لو تسمِعون شكايتـي وتضرّعي ؟

٧ رحلـوا ؛ فكم تركوا لِنـاسٍ مقلةً عَبْرى ، وقَلْـبٍ بالفـراق مروّعِ !

٨ إياكِ يا شمس الضّحـى ، من بعدما غابـتْ شمـوسُ خدورهم أن تَطْلعي؛

٩ يا دمـع غير مخيّبٍ ، يا صبـر غير مطـرّدٍ ، يا قلـب غير مُودّع . !

١٠ إن يُنـكروا وجـدي بهـم وصبابتي فالسّقـمُ بيّنـةٌ علـى ما أدّعي ؛

١١ وأنـا الوفـيّ علـى النّـوى بِعهودِهم وصَبابتـي طبـعٌ بغير تَطبّعِ ؛

١٢ لا ودّهُـم بعـدَ الفـراقِ بمهملٍ عنـدي ؛ ولا سرّ الهـوى بمضيّعِ .

---

٤ ـ لم تُقلع ؛ أصله من أقلع عن كذا: كف عنه وترك، وأقلعت الحمى: ذهبتْ

٦ ـ المتحمّلون: الراحلون. من تحمّل القوم: ارتحلوا.

١٠ ـ البيّنة: الشاهد والدليل.

١١ ـ التطبّع: التكلّف

- ١٢٠ -
فاعجبْ لمقتــو ل

وقال:

١ أمـا الشَّبـابُ؛ فقـد تحمَّــل راحِلاَ، والشَّيبُ حطّ علـى عذارك نازلا؛

٢ وارتــدّ وجــهُ العيش أسـودَ حَالكاً؛ بــادي المحــاق، وكان بدراً كاملاَ؛

٣ واهــاً لأيّامٍ قطعــتُ مُكابِداً حَــرَّ الغــرام وكنَّ ظلاًّ زائلا!

٤ ويَقــلّ أن أبكي لأيّام الحِمَى، أو أن أكونَ بهــا لِروحــي باذلا. !

٥ جرَّرتُ أذيالَ الصبّــا فيهــا، ولَوْ.. أنّـي عقلـتُ لكنــتُ فيهـا خاملا. !

٦ يا ليتَ موتــي قبــل أيّام الصبّا؛ أو لَيتنــي فيهــا أَطعــتُ العاذلا؛

٧ أيّامَ أَنْحلْــتُ القــوامَ المنثني ضمًّــا؛ وبــدَّدتُ الوُشــاحَ الجائلاَ؛

٨ ما نبّهــتْ منّــي فؤاداً راقِداً نُعْسُ العيون، ولا دعَــتْ متثاقلا،

٩ وأُحُبّهــنَّ؛ وهــنّ كُنّ قواتلي؛ فاعجــبْ لمقتــولٍ يُحــبُّ القاتِلا؟!

١٠ أتُــراهُ ما علــم العيونَ صوارماً قلبــي؟ ولا عَلِــم القــدودَ ذوابلا؟

١١ ومليحــة الــدلِّ الّتــي في حُبّها أنفقتُ مِنْ صبري عليها «الحاصلا»!

١٢ لم ترضَ من ألْبابِنــا وعيوننا حتّـى يَصِـرْن دمالجــاً وخلاخِلا؛

---

١ ـ حطّ: نزل وهبط

٧ ـ أنحلتُ القوامَ: صيّرته نحيلاً. والمنثني: المتمايل. والوُشاح بضم الواو: القلادة المرصّعة بالجوهر. والجائل؛ من جال يجول: دار وتحرك.

٨ ـ نعس العيون: فاترات الجفون.

١١ ـ الحاصل: ماخلص؛ومن كل شيء ما بقي وهو في لغة صنعاء ما حصّله الانسان من مال، وكلّ ما يملكه.

١٢ ـ الدمالج: واحدها دِملج ودُملج: حليٌ يلبس في المعصم، والخلاخل واحدها خُلْخُل وخَلْخَل: حلية تلبس في الرجل. والخلخال جمعه خلاخيل. كذلك.

١٣ إنّي اعتبرتُ الصَّبر عنها والهوى فوجد تُ ذا حقًّـا؛ وذٰلِكَ باطلاً؛

١٤ لولاكِ يا ذاتَ اللَّمَـى المعسـول لَمْ أهمـلْ علـى الأطـلال دمعـاً هاطِلاَ؛

١٥ ما السّحـرُ عنـدي ما ادّعتـهُ بابلُ فرُناكِ هذي السُّودُ تَسْحـر بَابلا. !



١٤ ـ لم أُهْمِلْ على الأطلال دمعاً هاطلاً؛ من انهملتْ عينه: إذا فاضت وسالت.

١٥ ـ أراد بالرُّنا السود العيون السود؛ وهي كذلك في لغة أبناء «صنعاء»؛ والأصل من رنا يرنو رُنوًّا ورَناً: أدام النظر الى ما ينظره.

- ١٢١ -

ومالِي من عذرِ!

وقال:

١	أيا وجدُ ما أبقيتَ حتّى على صبري،	ويا دمعُ أطلعتَ الوشاة على سرّي؛
٢	ويا قلبُ إن ساعدتَ مَن لامَ في الهوى	فلا زلتَ في نارِ الصَّبابةِ والهجرِ؛
٣	ويا عاذلي إن كنت تطلب سلوتي	فأطلق فؤادي؛ فهو في ربقةِ الأسرِ؛
٤	وإلاّ فدَعْني والغرام؛ فما سوى	فؤادي يَفْنَى، أو سوى عبرتي تجري؛
٥	وعذرك في ترك الملامةِ واضحٌ،	ومالِيَ في تركِ الصَّبابةِ مِن عُذرِ.!
٦	ولم يتلقّ العذل قلبي، وإنّما	تلقّاه منّي ما بأذنيَ من وقْرِ؛
٧	وبي فاتر الألحاظ تُزْري لحاظُه	ومعطفُه الميّاد بالبيض والسُّمرِ،
٨	إذا ما غزت ألحاظُه قلْبَ عاشقٍ	تعودُ سريعاً بالْغنيمةِ والنَّصرِ،
٩	غزالٌ إلى سُوق القلوبِ جفونُه:	«جَلَبْنَ الهوى من حيث أدري ولا أدري،
١٠	يعلّم علمَ السّحرِ هاروتَ إن رنا	بناظره النَّفاث في عُقَدِ الصَّبرِ،
١١	ويحكيه قدّ الغصْن عند اعتدالِه،	إذا ما تَثنّى في غلائلهِ الخُضْرِ؛
١٢	وهَيهات أَينَ الغُصن منهُ، وما لَه	رضابٌ سلافيٌّ، ولا شنبٌ دُرّيَ؛
١٣	عجبت لِخَمرٍ لم أذقها بثغرِه	على أنّني منها مدَى الدّهر في سكرِ!

---

٣ ـ ربقة الأسر: أي في قيده والرِّبقَة والرِّبقه: العروة في الحبل، ويقال حلّ فلان ربقة فلان؛ أي فرج عنه كربته.

٩ ـ عجز البيت للشاعر علي بن الجهم

١١ ـ الغلائل والواحدة غِلالَة: الثياب الشفافة.

١٢ ـ الشنب: ماء ورقة وبردٌ وعذوبة في الأسنان؛ أو نقط بيض فيها، أو حدّة الأنياب، والمشانبُ: الأفواه الطيبة.

١٤ ونـــون عذارٍ في صحيفـــةِ خدِّهِ ولـــم تقِ ماضـــي مقلتيه من الكَسْرِ!

١٥ أبـــثّ له شجـــوي فيزداد قسوةً؛ إذا قلتُ يوماً؛ راقـبِ الله في أمري؛

١٦ إلى الله أشـكو؛ إن في القلـب لوعةً يضيقُ بها إن أضرمتْ نارَهـا صَبْري؛

١٧ وحاجـات نَفسٍ عزَّ عنـــدي بلوغُها؛ وهُنّ اقتراحي واشتراطي على الدَّهرِ؛



١٤ ـ الماضي: الحسام القاطع؛ وفي البيت نكتة نحوية.

- ١٢٢ -
سقامي لماذا؟

وقال رحمه الله:

١ دَعــوتَ إلــى السُّلــوانِ غير سميعِ ... وألزَمْــتَ تركَ الحُــبّ غيرَ مُطيعِ . !
٢ أمِن بعد أَن قامَتْ شهودي عَلى الهوى ... يُجـوِّزُ عن دَعْـوى الغـرامِ رجوعي؟
٣ ولَـو مثْـل ما قد قُلـتَ ليَ انّـه الهوى ... لَمَـا هِمـتُ يومـاً في رُبـىً وربوعِ ؛
٤ ولــكنْ جفونُ يومَ نَعمــانَ فُتَّرٌ؛ ... صوارمُهــا لا تُتَّقــى بدروعِ . ؛
٥ وكنـتُ علـى الصّبْـر الجميل مُعوّلاً ... أُلاقــي به الأحــداثَ غير جزوعِ
٦ فقـد فرَّ عنّـي الصبر في مركزِ الهوى ... وفُضّـتْ بغـارات الغَـرامِ جُموعي؛
٧ أسـكّان «نعمـان الأراك»؛ إلــى متَى ... وحتّـى متَى وجـدي بكم وولوعي؛ ؟
٨ مَضَـى العُمـر فيكمْ وانْقَضىوَ صبَابتي ... تُؤجِّـجُ نيرانَ الجـوى بضلوعي؛
٩ وقلتـم: خَلِـيٌّ يدَّعـي الحُـبَّ باطلاً؛ ... سقامــي لِمــاذا فِيكُم ودُموعي؟
١٠ ألا رحمــةً سكان «نعمــان»؟ إنّني ... بحمْــلِ الّــذي أَلْقــاهُ غيرُ ضَليعِ !
١١ أَصدٌّ، وهجرانٌ، ولـم آتِ في الْهوى ... بذَنـبٍ؛ سوى ذلّـي لكُم وخضوعي؟
١٢ فإنْ كان فرط الحُــبّ ذَنبــي إليكُم ؛ ... فيا ليتَ شعــري ما يكونُ شفيعي؟
١٣ رعى الله عصراً قد مَضـى لي بقُربكم ... وشملــي بكمْ إذْ ذاكَ غير صديعِ
١٤ إذِ الْعَيش غضٌّ، والزّمــانُ مُساعِدٌ، ... وسِـرْبي بالهجْـرانِ غيرُ مروع

---

١٠ ـ غير ضليع: لا أستطيع تحمّله، والضليع: القوي.
١٢ ـ فرط الحُب: الاسراف ومجاوزة الحد فيه.
١٣ ـ صديع: المصدوع الممزّق.
١٤ ـ في «ن»: و«سربي بكم إذ ذاك» والسرب لغةً: القطيع من الظبا والطير.

١٥ وإذ أنـا آوي من عَزيزِ حِماكُم إلـى مَربـعٍ رحـبِ الفِنـاء مَريعِ ؛

١٦ ودِدْتُ لَو انَّ الحُـزنَ ساعـةَ بنتُم عصاني وأن الصّبر كان مُطيعي ؛ !

١٧ وبالرغـم منّـي أن أعيشَ لساعةٍ أُخاطبـكم فيهـا بخير وديع . ؛

١٨ أكفكِفُ أسراب المدامع ؛ والْهوى يقـول: أذيعـي سرَّه وأضيعي ؛

١٩ ليَ الله : كم أمْسي وأضْحـي متيّماً بحِـبٍّ مَنـوع لِلْوصـالِ منيعِ ؛

٢٠ بحبّ رشا ؛ لَو لاَحَ للشـمسِ وجهُه ، لمـا أذِنَـتْ من شرَقهـا بطلوع ؛

٢١ من الغيد يُحْمي بالصِّفـاحِ كناسُهُ ؛ فـكم من أسيرٍ حولَـه وصريعِ . !



---

١٥ ـ المريع : الخصيب كثير الخير .

١٦ ـ في «ن» : «وأنّ الدمع كان مطيعي» . وبنتمُ من بان يبين بيناً عنه : فارقه وانقطع عنه .

١٧ ـ «أخاطبكم فيها بخير وديع» : هكذا في النسختين ؛ ولعل المعنى ، وعلى كرهٍ مني أودّ العيش معكم ولو ساعة أُودّع فيها فيكم افضلَ مودّع .

١٩ ـ المنوع : البخيل ، والمنيع : الذي لا يقدر عليه لعزّته .

٢١ ـ الكِناس : بيت الظبي .

- ١٢٣ -
توهَّمني طيفاً . . .

وقال رحمه الله:

١	وأغْيد وَسْنــان اللّحــاظِ؛ قوامُه	قضيبُ نَقــاً يعلُــوهُ بدرُ تمام . !
٢	مرامــي سَواجيهِ أصابــتْ مقاتلي ،	ولــم أحــظَ منــهُ مَرةً «بمرامي»!
٣	فيا كبدي ؛ في الوصـل منـه تقطّــعي	غراماً ؛ ويا نفســي اذْهبــي بسلام ؛
٤	ويا دمعي الجـاري ، ونـار جوانحي ،	قِفـا حدّثـا عن صبوتــي وغرامي ؛
٥	ولــم أنس يومــاً زرتُــه وهــو نائمٌ	وشوقــي إليهِ جاذبٌ بزمامي ؛
٦	فأضرمــتُ بالتَّقْبيل نيران خدِّه	وأطفــأتُ بالتَّرشافِ حرَّ أوامي ؛
٧	ونزَّهنــي في روضــةٍ من خدودِه ،	وأسكَرنــي من ريقــهِ بمُدامِ ؛
٨	ومــا كان يرضــى بالوصــال ؛ وإنّما	توهّمنــي طيفــاً لفــرْطِ سقَامي . ؛

---

٢ ـ مرامي سواجيه: المرامي هنا جمع مرْمى: آلة الرمي. والسواجي واحدتهاساجية ، يقال عين ساجية ؛ أي ساكنة فاترة ؛ كأنه قال: «سهام عينيه». و«المرام» ما يرومه الانسان ويريده .

٦ ـ أضرمت: أشعلتُ ، والأوام: شدة العطش . وفي «ن»: «نار أوامي».

- ١٢٤ -
وعهديَ بالأغصان . .

وقال:

١ تخطّـر كالبـدرِ المنير عَلَـى غصنِ وأسفـرَ عن ليلِ الذّوائـب في دَجْنِ ؛

٢ ومَـنَّ وقَـدْ غاب الـرقيبُ برَشفةٍ من الشنب البرّاقِ أحلَـى مِنَ المَنّ ،

٣ وقـامَ يُرينـي لحظَـهُ وقوامَهُ؛ يقولُ استَقمْ إن شئتَ لِلضَّربِ والطَّعْنِ ؛

٤ غزالٌ غَدتْ تجنـي علـيّ لحاظُهُ وعهدي بالأغصانِ تُجنَى ولا تَجْني ؛

٥ إذا ظَنّ صِدقَ العـذلِ ضنَّ بوصلِه ؛ فَيقتـل مَنْ لا يَجْتَنِي الذنْـبِ بالظَنّ ؛

---

١ ـ تخطّر: مشى متبخترا. الدُّجن: الغيم المظلم.
٢ ـ مَنّ: أنعم. والمنّ: العسل.

- ١٢٥ -
رعى الله أيام الصِّبا. !

وقال رحمه الله:

١	وَفى لي، ولَم يسمَعْ كلامَ مفنّدِ	وجادَ بطيبِ الوصْلِ عن غير مَوْعدِ؛
٢	وقَدَّ أديمَ اللَّيلِ للوصلِ طاوياً	من الدُّجنِ نحوي فَدْفداً بعدَ فدفدِ؛
٣	من الغيد يحكي وجهَه البَدْرُ مُشرقاً	على غُصُنٍ لَدْن المعاطف أملدِ،
٤	ولم أنسَ خمراً من لماه شربتُها،	لها حببٌ من درّ ثغرٍ منضّدِ؛
٥	وخالٍ يرومُ الصَّبرَ منِّي عن هوى	يقلّ اصْطباري عنده وتجلّدي؛
٦	على حين ملّكتُ الهوى غير نادمٍ	زمامي، وأعطَيتُ الصَّبابة مقودي؛
٧	فهَلاً؛ وقَلْبي عن هوى الغيد فارغٌ	طليقٌ، وأحكام الصَّبابة في يدي؟
٨	رعى الله أيّامَ الصِبّا فلكَمْ بها	جنَيت ثمارَ اللّهوِ عن روضِها النّدي؛
٩	وحيًّا «بنَعمان الأراكِ» أَحبَّةً	هُمُ مَطْلبي مِن كلّ شيءٍ ومَقْصدي؛
١٠	وروض سقَتْهُ السُّحبُ أقداحَ وبْلها،	وغنّتْ عليه الورقُ ألحانَ «معبدٍ»؛
١١	وقد عبثتْ ريحُ الصَّبا بغصونِه؛	فمِنْ ساكنٍ منها، ومن متأوّدِ؛

---

١ ـ فنّده: خطّأ رأيه ولامه.
٢ ـ قدّ: قطع، والأديم: الجلد، وأديم النهار: بياضه، وأديم الليل: ظلمته.
٣ ـ الأملد: الناعم اللّين.
٤ ـ الحبَبُ: فقاقيع الماء والخمر.
٥ ـ وخال يروم الصبر الى آخره؛ أي وربّ خالي القلب من الهم والحب والجواب في البيت رقم ـ ٧ ـ فهلاً.. وقلبي إلى آخره: أي فهلاّ طلب مني الصبر وقلبي غير مملوء بحبه وطليق من أسر غرامه؟
١٠ ـ معبد: مغن مشهور.
١١ ـ المتأوّد: المتمايل المتثني.

١٢ وصــاغ الصّبــا فيه لمِعْصَــم نهرِهِ   مـن الزّهـر حلياً من لجين ٍ وعسجدِ؛

١٣ ظَلَلْنــا به والعُمْــرُ مُقتبَــلُ الصبّا،   وهاني الحَيا فيه يروحُ ويغتدي،

١٤ وقــد سلَّ أسياف الْبــروق لوامِعاً   وأقبـلَ يحــدو مُرعــداً بَعْــدَ مُرْعِدِ.



---

١٢ ـ اللّجين: الفضّة، والعسجد: الذهب.

- ١٢٦ -

ليلة وصال:

وقال رحمه الله:

١	ولم أنسَ إذ زارتْ وسادي وقد غدا	عليها من اللّيل البهيم لَبوسُ؛
٢	على حين أودَى بي أليمُ صدودها	وبي من تباريح الغرام رسيسُ؛
٣	فبتْنا بأَهْنَا العيشِ في ذمة الدُّجى	لنا من أحاديث الغرام دروسُ؛
٤	تغازلني منها عيون مريضةٌ	تُسَلّ قلوبٌ دونها ونفوسُ؛
٥	وليسَ لنا غير الرّضاب مدامةٌ،	ولا غير لمياء الشفاة كؤوسُ؛
٦	فمِنْ لَثْمِ ثغرٍ كاللآلي مُنَضَّدٍ،	إلى ضمِّ قَدٍّ كالقناةِ يميسُ؛
٧	و نحْسُو مداماً ما رأتْ كفَّ عَاصرٍ،	ولا كدّرتْها بالمزاجِ قسوسُ!
٨	ليالي؛ لا شيبُ المفارِقِ ضاحكٌ	علينا، ولا وجه الزّمان عبوسُ؛
٩	وحق على أهلِ الصَّبابة طاعتي،	فإنّي فيهم ما علمتُ رئيسُ.

---

١ ـ الوساد: المخدّة، والمتّكأ وهو يريد أن يشعرنا بأنّ ليلة الوصال هذه كانت أحد أحلامه.! وليلٌ بهيم: لا ضوء فيه الى الصباح. واللبوس: ما يُلْبَسُ

٢ ـ أودى: هلك؛ وأودى به: ذهب به. ورسيس الحمّى أوّلها، ورسيس الحب، أوّله،؛ وهو أيضاً بقيّته وأثره، وفي هامش الأصل «ن»: «الرسيسُ بقيّة الحب في القلب، والنسيس بقيّة النفس».

٦ ـ ماسَ: يميس: تمايل وتبختر في المشي.

٧ ـ في الأصل «ن» وفي «ف» «نحث مداما» ولم أجد لها معنى الا اذا قصد نحثّ أنفسنا على شرب المدام ولعل الصواب. ما أثبتناه «ونحسو»، والقُسُوس جمع قَسّ: وهو الكاهن؛ وعند المسيحيين: من كان بين الأسقف والشمّاس.

- ١٢٧ -
راحة الموت . . !

وقال:

١	خليليَّ كُفَّا عن ملام فتىً صبِّ	رويدكما؛ ماذا يفيدُكما عَتْبي؟
٢	تلومانِ قلبي أن يحبّ جَهالَةً	ولم تُورِدا قَلْبَيكُما موردَ الحُبِّ؟!
٣	إلى الله أشكو إن في القلب لوعةً؛	يضيق بها صدري، ويشقى بها قلبي؛
٤	بليتُ بمن لمْ أقضِ منه لُبانَتي؛	ومَنْ ليَ لَوْ أنّي قضيتُ به نَحْبي؟
٥	وقَى اللهُ من دلّ الحِمام على فتىً	له مقلةٌ لا تَستفيقُ من الصبِّ؛
٦	وما بيَ بغضٌ للحياة، وإنّما	رأيتُ لقاء الموتِ أَروحَ لِلكرب؛
٧	وحسبي ضَنىً في الحُب أني لم أجدْ	سوى الموت للدّاء المخامر من طبّ؛
٨	وبي جائرُ الأحكامِ لَمْ يرضَ في الهوى	بقتل الورى حتى تعدَّى إلى السَّلب؛
٩	تلعَّبَ ريَّانُ الشباب بقَدِّه	تلعُّبَ أيدي الريحِ بالغُصُن الرطب؛
١٠	ودونَ الشفاه اللّعس حصباء لُؤْلؤٍ	ومطّردٌ يجري من البارِدِ العذْب،
١١	دعاني إلى حُكمِ الصَّبابةِ بعدَ مَا	سَلاَ رُفْقَتي عن غيها، وارْعَوى صحْبي!
١٢	وقام يريني لَحظَه وقوامَه؛	يقول استَقِم إنْ شِئتَ للطَّعن والضرب؛
١٣	يقولونَ لي: لا ترم طرفَك نحوَه	فتكرارُ رجْعِ الطّرف داعيةُ الحُبّ؛
١٤	وهل نافعي أن لا أراه بناظري؛	وقد رُسِمَتْ تلك المحاسن في قلبي؟

٤ ـ اللّبانة: الحاجة من غير فاقة. والنحْبُ: الموت، والنذر. يقال: «قضى نحبَه» أي مات كأن الموت نذرٌ في عنقه.

٧ ـ المخامر: من خامر بمعنى خالط وداخل؛ وخامره الداء: دخل جوفه.

٨ ـ في «ن»: «لم أرض في الهوى» وهو غلط.

٩ ـ تلعَّبَ: لَعِبَ.

١٠ ـ اطَّرد النهر: جرى. وتتابع.

١١ ـ ارْعوى يرعوي عن الجهل: كفّ.

١٢ ـ سبقَ هذا البيت في القصيدة رقم ـ ١٢٤ .

- ١٢٨ -
قالوا: ســلا . . !

وقـال:

١	هاتِ عن أهــل الحِمـــى ما فَعَلُوا؟	هـــل أقامـــوا بعدَنـــا أَمْ رحلوا؟
٢	إن يكونـــوا رحلـــوا عن ناظري	فبأكْنَـــافِ فؤادي نَزَلوا؛
٣	عمــركَ الله إذا ما جئتَهمُ	وتــراءَتْ لك تِلكَ الكِلِلُ؛
٤	قُلْ لَهُــم باللّــهِ عنّــي إنّني	حافــظٌ ميثاقَهـــم إنْ سألوا؛
٥	أيُّ سرٍّ في فؤادي لَهمُ	غير مأمـــونٍ عليه الرسلُ. !
٦	صِفْ لهـمْ حالي ، وخذ في شرحِهِ	علَّهُـــمْ أن يعلَمـــوا ما جهلوا؛
٧	واطّــرحْ ذِكر دَمــي عِندهُم؛	ليسَ يُودَى عندهُــمْ مَنْ قَتلوا. !
٨	كم أثــاروا مِن جوىً في مهجتي	عِندمـا قَالـــوا سَلاَ؛ قُلــتُ: سلوا. !
٩	كلُّ شيءٍ مُتَلَقًّــى مِنهمُ	بقبـــولٍ؛ «قَطَعـــوا» أو «وصلوا»!
١٠	آه كم أُتْبِــعُ زَفْــرات الهوى	زَفَــراتٍ بعــدَهـــا تَتّصِلُ. !
١١	آه مالـــي ولأَسْبـــاب الهوى ؟	مـــا لَهـــا عنّــيَ لا تَنْفصِـــل؟

٢ ـ الكَنَفُ : الجانب ، والظل ، والصدر . ويقال : «أنت في كنف الله» أي في حوزة زحمته .

٣ ـ العَمْرُ: الدين، وفي القسم، يقال لعَمْري، أي لديني وقال في القاموس «وعمر الله ما فعلت كذا، وعمرَك الله ما فعلت كذا؛ أصله عمَّرتك الله تعميراً، وأعمّرك الله أن تفعل: تحلّفه بالله النهى وتسأله بطول عُمْرِه؛ أو لَعَمْر الله أي وبقاء الله ، أو عمرك الله أي أذكرك الله تذكيراً وجاء في الحديث عن قول لَعَمْر الله» .

٧ ـ ودى القاتلُ القتيلَ: أعطى ديته .

٨ـ سلا يسلو الشيء . نسيه .

١٢ بأبـــي مَنْ إنْ تثنّـــى أَوْ رَنا تخجـــلُ البيضُ، وتعنو الأَسَلُ،

١٣ وتغـــار الشّـــمسُ مِنـــه إن بدا، ويغـــورُ القمـــرُ المكْتَمِلُ. !

١٤ مُقلتـــاهُ سحـــرتْ لبّـــي، ولا يسحـــر الألبـــابَ إلاّ المقلُ؛

١٥ كيفَ كتْمـــانُ صباباتـــي بهِ وبهـــا يُضْـــرب فيهِ المثلُ؟!

١٦ أتُـــرى يَصْرِفنـــي عن حبّه عاذلـــي إن طالَ مِنـــه العذَلُ؟

١٧ لاَ.. ومَـــنْ أخرَسنـــي عن عَذْلِه؛ ذاك أصـــلٌ عنـــه لا أنتقلُ.



١٣ ـ في «ف»: «إن رنا». وفي «ن»: ويغار البدر منه إن بدا. ويغور القمر: ينخسف.

- ١٢٩ -
أستاذ في الغــرام!

وقال رحمه الله:

١	قرأتُ مِن الصَّبابـة كلّ فنٍّ	فَسَـلْ عمَّـا بدا لكَ، وامـتحنّي؛
٢	ولا تسـألْ من العشّـاقِ غيرِي	فقـد أُخـذَتْ فنـونَ العِشـق عنّي؛
٣	وقـل ما شئـتَ في لومـي فإن لَمْ	تجـد لي نحـوه ميلاً.. فدَعني.!
٤	بروحـي؛ لَيّنَ الأعطـافِ عَـذْب اللّـمى، مُرَّ الجَفا، حلـوَ التّثنّي؛	
٥	رشيقَ القـدِّ، وضـاحَ المحيّا؛	فقـل ما شئـت في بدرٍ وغُصنٍ؛
٦	أصـرّحُ باسْمـه طَوراً، وطوراً	أخـافُ حواسـدي فيه فأَكْني؛
٧	وأقطـعُ في تَرجّـي الوَصْـل عمري،	وما يجدي الترجّي والتمنّي.

---

٤ ـ بروحي: أي أفدي بروحي.!

٦ ـ كنَى يكني: تكلّم بالشيء وهو يريد غيره.

- ١٣٠ -

ما رضينا من بعدهنّ ربوعاً. !

وقال:

١ قد أجبنا هواك لمّا دعانا، وعَصينا العذولَ حين نَهانا.

٢ ووَردنا مِن بحر حبك وَرداً صافياً دونه الكماةُ تَفانَى؛

٣ وبذلْنا النّفوسَ ثَمَّ ولم نَنْكلْ ضراباً من دُونِه وطِعانا؛

٤ واستَطَبْنا طَعمَ المنون عَلى ذاك؛ كأنَّ المنونَ فيه مُنانا؛

٥ كم حَطَمنا على رُباك جهاراً تَارةً صارماً، وطوراً سِنانا؛

٦ وَوَصَلْنا إلى حماكِ وصُلْنا صَوْلةً تتركُ الشجاعَ جبانا؛

٧ ورأينا صَعْبَ الأُمورِ ذلولاً، ربّ صَعبٍ على المحبّين هانا؛

٨ يا زماني «بحاجرٍ» و«المصلّى»، وبوادي «النَّقا»؛ سُقيتَ زمانا؛

٩ كم عَمَرْنا تلكَ الرُّبَى بِالأماني إذ أخذْنا مِن اللّيالي أَمَانا. !

١٠ ونهضْنا بلا توانٍ وما فاز بإدراكِ سُؤْلِه مَنْ توانى،

١١ وجَرَرْنا من السّرورِ ذيولاً وسَحَبْنا من الهَنَا أردانا.،

١٢ في رياضٍ قَد حاكتِ السّحب فيها مِن مَناديلِ زَهْرها أَلْوانا.؛

---

١ - في «ف»: «قد أطعنا هواك».

٢ - في «ن»: «صافيا دونه الحُماة».. وتفانى: تتفانى.

٣ - نكلَ عن كذا: نكص، وجَبُنَ.

٤ - استطاب الشيء: وجده طيّبا.

٧ - الذلول. السهل.

٨ - حاجر، والمصلّى، والنّقا. أماكن يكثر ورودها في الشعر العاطفي.

١٣ ما رَضينَا مِن بَعْدهنّ ربوعاً   لا؛ ولا بعد أهلِها سُكّانا؛

١٤ يا حلولاً بالسَّفحِ من شعب «نَعمان»، سقى صَيبُ الحيا «نعمانا»؛

١٥ لم نَزَلْ ذاكري العُهودَ؛ فَهل تخطر بالبَالِ مِنكُم ذِكرانا..؟



١٤ ـ سفح الجبل: أصله وأسفله: ، وصيّب الحيا؛ الصيّب: السحاب ذو المطر، والحيا: المطر.

- ١٣١ -
كذا يكون الافتتان!

وقال:

١	صدقْتَ؛ الصَّبرُ أجملُ يا فلانُ؛	فهلْ لي من لواحظِه أَمانُ؟
٢	نَصحتَ؛ ولم تَزل خِلاً شفيقاً؛	فمنْ لي لَوْ وَعَتْ مِنّي الأذان؟
٣	عرفتك بالوفاءِ فكُنْ مُعيني،	على وجدي فمثلي مَنْ يُعانُ؛
٤	وفي كِلَلِ الاحبّةِ والحنايا..	فؤادٌ بانَ عنّي يوم بانوا؛
٥	تملّكَهُ كَحيلُ الطرفِ ألْمى	عَنتْ لجمالِه الغيدُ الحسانُ؛
٦	يُقاتِلُ باللحاظِ ولا سهامٌ،	ويَطْعنُ بالقوام؛ ولا سنانُ؛
٧	لِساحر طرفِه غَزَلٌ وفتكٌ	بنا؛ وكذا يكون الافتتانُ.!

---

٤ ـ الكِللُ، واحدتها كِلّة؛ وهي الستر الرقيق. وغشاء يخاط للتوقي من الحشرات. وبان عنه: فارقه، وانقطع عنه.

٧ ـ في الأصل: «ن» ضبط «غزل» بالغين المعجمة وتسكين الزّاي؛ فتكون من غَزْلَ غَزْلا بمعنى فتل. ويجوز أن تفتح الزاي فتكون من غَزَل غَزَلاً والمغازلة: اللّهو والمراودة، والفتكُ: الجرأة والشجاعة والبطش. والافتتان؛ من افتَتَن بمعنى فَتِنَ، ووقع في الفتنة، وهي هنا: المرض والجنون. وكنتُ قد قرأت البيتَ وكتبتُه في نسختي هكذا: «لساحر طرفه عَزَلٌ وفتك بنا وكذا يكون الافتتان» على أن «عَزَل» بالعين المهملة، والعَزَلُ: إسمٌ من الأَعزل لِمَن لا سلاح له فيكون المعنى أن طرفها أعزل ومع ذلك فلسحره فتكٌ وبطش، والافتتان من التفنّن؛ وهو مزاولة الأعمال الحسنة العجيبة. وعند التحقيق رجحت إبقاء البيت كما ضبط في الأصل، ولكنّي نوهت بما خطر لي إذ لو كنت منه لما عدوته.

- ١٣٢ -

صدقتَ . !

وقال:

١	طوِّلْ ؛ فشوقـي باعُـهُ أَطْولُ،	ولُـمْ فلا أسمـعُ؛ لا أعقلُ!!
٢	الحُـبّ لا يخـرجُ عَن مهجتي ،	والعـذلُ في أذنيَّ لا يدخلُ؛
٣	قد ملأَ القلـبَ الهوى قَبلَهُ	فدعْـهُ حتّـى يخـرج الأوّلُ؛
٤	وانظـر إلـى مَن في غرامـي به	شاركنـي من قبلك العذّلُ؛
٥	فَشُبْهـةُ العَـذْلِ إذا ما بدا	وجـهُ الّـذي همـتُ به تَبطلْ
٦	وقلـتَ بي من حبّـه جِنّةٌ	صدقْتَ؛ فانصح رجلاً يعقل.

---

١ ـ الباع : قدر مدّ اليدين .

٥ ـ الشبهة : الإلتباس.

٦ ـ الجِنّة: الجنون.

- ١٣٣ -

ماذا على العذّال؟

وقال:

١	كم ذا الجفـا؟ وإلـى متـى الهَجْرُ؟	شـبّ الهـوى، وتعـذّر الصَّبرُ؛
٢	ذَهَبَـتْ قوىً قد كنتُ أعرفها	وتجلّـدٌ أودى بهِ الـدَّهرُ؛
٣	حتّـامَ أحمـلُ فيكَ من كَلَفي	مـا لا يطيقُ لِحَمْلِـه الصَّخرُ؟
٤	ومعنِّفٍ أدّى نصيحتَه،	لـو لم يكُنْ في مَسمعـي وقرُ!
٥	ماذا علـى العـذّال لو عذروا؟	إذ في الهـوى العـذريّ لي عُذْرُ؛
٦	عينـيَّ هذا وقـتُ جودِكما:	« فتدفّقا فكلاكمـا بحرُ ».

---

١ ـ تعذّر: تعسّر.

٣ ـ الكلفُ: شدة الحب.

٥ ـ الهوى العذري: ما كان على عفاف.

٦ ـ العجز لأبي نواس، والصدر: « هذا الخصيب وهذه مصر » .

- ١٣٤ -
صفقة المغبون

وقال رحمه الله :

١ أَظِبا كِنـاسٍ، أم أُسـودُ عرينِ ؟ عرضـتْ لنـا بالسَّفـح مِن«يَبْرينِ »!

٢ كيفَ الحياةُ لِمَـنْ أضَـلَّ فؤادَهُ مـا بينَ بيضِ طُلـىً، وسـودِ عيونِ؟

٣ ما كنْتُ أحسَبُ أنّ آسادَ الشرى تُضحـي فرائِسَ لِلظبـاء العينِ!

٤ بأَبـي الّـذي ما قَلَّ فيه تصبّري إلاّ وزادتْ في هواه شجوني؛

٥ رَشـأٌ يصـولُ مِن القَـوام بذابـلٍ؛ ومـن الجفـونِ بصـارمٍ مسنونِ؛

٦ ترك الـورى مِنْ لحظِـه وقوامِه، مـا بين مضـروبٍ وبين طعينِ!

٧ بعـتُ الفـؤادَ بوقفَـةٍ يوم النّوى فمضَـى؛ وعـدتُ بصفقَـةِ المغبـون

---

٢ ـ الطُّلاه جـ طُلىً: العنق.

٣ ـ العين: بقر الوحش، والعيناء: الحسنة العين والجمع: عِين .

٧ ـ في الأصل «ن»: «فمضى ورحتُ» ورجحتُ ما في «ف»، وصفقة المغبون: بيعة الخاسر.

- ١٣٥ -
ولكن . . سَلْ . . !

وقــال:

١	من علَّمَ اللّفظَ سِحـرَ النَّاظِـرِ السَّاجي	وصاغَ تحتَ الطُّلَـى حُقَّين من عاجِ ؟
٢	ومــن أقــامَ قضيبَ البــانِ مُنتصباً	على كثيبٍ من الأردافِ رجراجِ؟
٣	وأطلــعَ البــدر من لألاءِ غُرّتِها	يضـيءُ في جنـح ليل الطـرّةِ الدّاجي؟
٤	لِلّــهِ ما حازَ ذاك القــدُّ من هَيَفٍ	وذلكِ الخــدُّ من حُسْـنٍ وإبهاجِ ؛
٥	شَمسٌ تَنقّـل من أَحْشـاء من فتنَتْ	مــن الأَنــامِ بأفـلاكٍ وأبراجِ . !
٦	فلا تَسَلْ كم سبَـتْ وجـداً وكم قتلَتْ	يَومَ الفـراق ، ولـكِنْ سَلْ عن الناجي!

---

١ ـ الحُقّ: وعاء الطيب، والعاج: عظم الفيل، ويقصد النهدين.
٢ ـ الرجراج: المضطرب، ويقال: ردف رجراج، أي يضطربُ عند المشي.
٣ ـ الطرّة: الجبهة، والناصية.
٥ ـ في: «ن»: «في أحشاء من فتنت».
٦ ـ سبتْ: أسرتْ.

- ١٣٦ -

غررتِ يا عين قلبي . !

وقال رحمه الله :

١ يا قاتـل الله عيني كم أضـنّ بها ... وليسَ ترضى سوى قتلي وإهلاكي . !

٢ يا عينُ ؛ ما كان ظنـي فيك أن تردي ... بمهجتي بينَ سفّـاحٍ وسَفّاكِ !

٣ غَررْتِ يا عين قلبـي بالغـرام وما ... قـد كان أغنـاهُ عن هذا ؛ وأغناك ؛

٤ كلّفتـِه حمـل أعبـاء الهـوى فغدا ... صبًّا ؛ وما كان يدْري الحُـب لولاكِ ؛

---

١ ـ قاتل الله : تقال في مقام الدعاء وفي مقام المدح والاستحسان .

- ١٣٧ -
تِهْ دلالاً . . !

وقــال:

١ أيّ سيفٍ نضتْــهُ لي جفناكَا؟ أي رُمــحٍ هزّتْــهُ لي عِطفاكَا؟

٢ كنــتُ لا أعــرفُ الغــرام إلــى أنْ عرّفتْنــي فنونــه عَينــاكا . !

٣ أنــتَ أخفيتني نحــولاً؛ فقــل لي كيف أقــوى علــى احْتمــال جفاكا؟

٤ لَوْ لِشَـمسِ الضّحــى بَرَزْتَ لَقَالَتْ: لَعَــنَ اللهُ مَنْ أحــبَّ سِواكا . !

٥ أو رأى البــدرُ نورَ وجْهــك نادى «تِــه دلالاً فأنــتَ أهــلٌ لذاكا»!

٥ ـ العجز تضمين صدر بيت قديم .

- ١٣٨ -

أحيّي الرّبوعَ . !

وقال رحمه الله:

١	هُمُ أوْدعُـوهُ الَّـذي أودعـوا؛	فَلومـوهُ إن شِئتُـم، أو دَعُوا ؛
٢	فعَـنْ ذلك الأَمـرِ لا يَنْتهـي،	وعَـن ذلِكَ الشَّـانِ لا يرجعُ؛
٣	وفي الـرّكبِ فتّانـةٌ؛ في الحَشا	لَهـا مُسْتَقرٌّ، ومستودعُ؛
٤	حَمَتْهَـا النِّصـالُ بأيْدي الـرِّجالِ،	وبيضُ الظُّبـى والقَنَـا الشُرَّعُ؛
٥	حداهُـمْ برغمِـي غرابُ النّوى	وهبّـتْ بهـمْ ريحُهـا الزّعزَعُ؛
٦	أقامَـتْ شجونـيَ من بعدِهِمْ،	وأزمَـعَ صبـريَ إذ أزْمَعوا!
٧	سقـى اللهُ من أجلهـم «لَعْلَعاً»	وأيـنَ وأينَ تُرَى لَعْلَـعُ؟
٨	أُحيّي الرّبـوعَ، وهـم مَقْصَـدي	وإنْ قلـت حيّيـتَ يا مَرْبَـعُ!
٩	وقـد كان قِدمـاً بهـم عَامراً؛	فهـا هُـوَ من بعـدهـم بَلْقَـعُ؛
١٠	وفي أثـرِ العيسِ لمَّـا سروا	فتـىً قلبُـه مُؤلَـمٌ موجَـعُ؛
١١	مُحِـبٌّ قضيّة أشجانِـه	إلـى دَولَـةِ الحُسْـنِ لا تُرْفَعُ؛

١ ـ أودعَه الشيء: دفعه اليه ليكون عنده وديعة . . . والسِرَّ: باح به له وسأله الكتمان.
٣ ـ المستقَرّ: المكان الذي يحصل فيه الاستقرار والاطمئنان. والمستودع: مكان الحفظ.
٥ ـ غراب النوى: غراب البين. والعرب يتشاءمون به. والريح الزَعْزَعُ: الشديدة التي تزعزع الأشياء وتقلقلها.
٦ ـ أقام بالمكان: دام فيه واتخذه وطنا، وأزمع: خفّ، وعدا ذاهبا.
٧ ـ «لعلع»: موضع يكثر ترديد ذكره في الشعر الوجداني.
٩ ـ بلقع: مقفر.
١٠ ـ العيس: الإبل البيض يخالط بياضها سواد خفيف.

١٢ وهَـوَّنَ قـومٌ عَليهِ الْهوى فأصبـحَ مِن وردِهِ يكـرعُ،

١٣ توَهّمَـهُ سلِسـاً صَعْبُهُ؛ وكم حاذقٍ في الهـوى يُخْدعُ؟

١٤ هو المـوتُ: لا جسَـدٌ ناحِلٌ، ولا طُول سُهـدٍ، ولا مَدْمَعُ؛

١٥ ولا الـرّيحُ تَسْـري، ولا بَارقٌ، يَظَـلّ على «بـارقٍ» يلمَـع؛

١٦ فهـاتيك علاّت أهـلِ الهوى ولِي دونَهـمْ «في» الهوى منزعُ،

١٧ وخالـي الحشـا سَامَنـي سلوةً؛ ولـم يَدْرِ ما حوتِ الأَضْلعُ،

١٨ يلـومُ شجيًّا عَـنِ الحُـبِّ مـا خـلا مِنـه عُضـوٌ ولا مَـوضعُ،

١٩ فيا عاذلـي أينَ مَنْ يَرعَوي؟ ويا ناصحـي؛ أينَ مَنْ يسـمع؟



---

١٢ ـ في: «ف»: «فأصبح في ورده».

١٣ ـ السلِس: السهل المنقاد.

١٦ ـ «فهاتيك علاّت أهل الهوى» يحتمل أن تكون جمع عِلّة أي المرض الشاغل فتكون بكسر العين؛ ويحتمل أنه قصد العَلّة؛ وجمعها عَلاّت أي ما يُتعلّل به، والمنزع: النزوع إلى الغاية.

١٩ ـ ارعوى: كفّ ورجع.

- ١٣٩ -
خلقت لِشقْوتي

وقالَ رحمه الله:

١	مقيمٌ في اقْترابـي وابْتعادي	علـى عَهْـدِ المحبّـةِ والودادِ؛
٢	خيالكَ ليسَ يَبْـرحُ قيدَ فِكري	وحُبّـك ليسَ ينـزحُ عن فؤادي؛
٣	خُلِقْتَ لِشقوتـي ولِطُـولِ حَيْني	علـى شَرْطِ اختْياري وانْتِقادي؛
٤	ولـولاَ سحـرُ عينِـكَ لم تجدْني،	وحقِّـك في الهـوى سَلْسَ القيادِ؛
٥	فَزِدْنـي ما استطعـتَ قِلـىً وصَدًّا:	فحاكمُنـا غداً ربُّ العِبادِ..!
٦	وقـد يُعمـي الهـوى بَصَـري فأَدْعو	عليكَ بغيرِ قصـدٍ واعتمادِ، !
٧	ولَـولاَ أَنْ تَنُـمَّ بِنـا اللّواحي،	وتَسْلقُنـا بأَلْسِنـةٍ حدادِ؛
٨	لكنـتُ أريك صَبـراً في انْتقاصٍ	بُليتُ بهِ، ووجـداً في ازْديادِ!
٩	وقَلبـاً لا ترقّ لَهُ وترثي،	وقـدْ رقّـتْ لَهُ فيكَ الأعادي؛ !
١٠	وخـالٍ عَن هواك أَطـالَ لَوْمي	ودُونَ سَماعِـهِ خرطُ القتادِ؛
١١	فقُلْـتُ له: رويدَك لا تَلُمني	فَلومُـكَ غيرُ مجـدٍ في اعتقادي..!
١٢	أمأسُـورٌ فؤادُكَ أَمْ فؤادي؟	ومَسْلُـوبٌ رُقـادُكَ أَمْ رُقادي؟

---

٢ ـ برح: زال. ونزح: بُعدَ.

٣ ـ الحَيْنُ: الهلاك، والمحنة.

٧ ـ نمَّ الحديث: أظهره واشياً بقصد الافساد. واللّواحي: اللّائمون، وسلق: آذى.

١٠ ـ خرط الورق: قشره عن الشجرة بكفّه. والقتاد: شجرٌ صلبٌ له شوك كالإبر ويقال في المثل: «دون ذلك خرط القتاد».

١١ ـ في العجز تضمين لفقرة من مطلع قصيدة أبي العلاء المعري:

غير مجـدٍ في ملّتي واعتقادي — نوح باكٍ، ولا ترنم شادِ

- ١٤٠ -

دين الحبّ

وقال:

١	بـرّح الشّـوقُ فواصِلْ،	أنْـتَ عمّـا بيَ غافـلْ؛
٢	زُرْ؛ فأيّام المحبّين	كمـا قيل: قَلائِلْ؛
٣	قـد تركْتَ القلـبَ مِنّي	ذاهبـاً، والعَقْـلَ ذَاهِلْ،
٤	بأبـي بـدراً بَدَا لي	في سمـاءِ الحسْـنِ كامِلْ؛
٥	كلّمـا فوّق سَهْمـاً..	لـم يُصِـبْ إلاّ المقَاتِلْ،
٦	رِدْفُـه لِلْخَصْـر منهُ	ظَالـمٌ؛ والقـدّ عادِلْ؛
٧	أَقـوامُ ذاكَ!؟ أم غُصْـنُ	نقـاً في الـدَّوحِ مائِلْ؟
٨	وعـيـونٌ فـاتـراتُ	تِلْك؟ أَمْ أَسحـارُ بابِلْ؟
٩	وخـدودٌ قـانيـاتٌ؟	أم ورودٌ في غلائِلْ؟
١٠	قـيّـدتْـنـي عـارضـاهُ	لِهَـواهُ بِسَـلاسِـلْ؛
١١	قـالَ لي لما رآني	مِـن هَواهُ في حبائلْ:
١٢	حاجبـي المقـرون «نُونٌ»	وعـذاري «سَـالَ سائلْ»!
١٣	قـد مَضَـى العمـرُ وولّى	لـم أفـز مِنـهُ بطَائِلْ؛

---

١ - برّح: أتعب وآذى أذى شديداً.

٥ - فوّق: سدّد. والمقاتل: مواضع القتل، وجمع مَقْتل؛ والمقتـل: العضـو الـذي إذا أصيب لم يسلـم صاحبه.

١٢ - يشير الى سورتي «ن» - «القلم» و«المعارج».

١٤ لَسْتُ أصغي في هواهُ لوشاةٍ، أو عواذِلْ؛

١٥ إن دينَ الحُب حَقٌ، وسلوّي عنه باطِلْ؛

١٦ فدعِ العاذلَ فيهِ فلْيقُلْ ما هو قائلْ. !

١٧ هُو لا شكّ لِما بي من جوىً في القلب جَاهِلْ؛

١٨ أنكرَ العَاذِلُ وجْدي وعلى الوجْدِ دلائِلْ؛

١٩ وكَفَى السّقمُ دَلِيلاً ودمٌ في الخدِّ هَامِلْ.



١٧ ـ الجوى: حرقة الحبّ والعشق.

- ١٤١ -
هَلْ من فكــاك؟

وقال رحمه الله:

١	يا طلعــةَ القمــر المنيرِ	يا قامــةَ الغُصــنِ النَّصيرِ؛
٢	يا جنّــةَ الخُلــدِ الّتي	تَــركتْ فُؤادي في السَّعيرِ،
٣	يا مَنْ يجــلُّ عَنِ المشا	بــهِ، والمماثــلِ والنّظيرِ؛
٤	يا آسرِي في حُبِّهِ	هَــلْ من فكاكٍ للأسيرِ؟
٥	أودَى بعــزم تجلّدي	مــا في لحاظِــكَ من فتورِ؛
٦	يومٌ تكونُ به لَدَيَّ	يتــمّ لي فيهِ سروري،
٧	وأقــول: يا يوم اللّقا:	عُمّــرتَ من يومٍ قصيرِ. !

- ١٤٢ -
لا رقة.. ولا...

وقال:

١	يا من أطَالَ التجنّي	مِنكَ الصّدودُ؛ومنّي.!
٢	مولاي؛ إن طَال هذا	عليّ؛ فاعلمْ بأنّي.!
٣	أفديكَ قلْ لي ماذا	الّذي بَدا لكَ مِنّي؟
٤	تركتَني مُسْتهاماً..	حيرانَ أقرعُ سنّي؛
٥	أشكو إليكَ الذي بي،	وأنتَ تُعرض عنّي!
٦	ولم ترقّ لِحالي،	ولا رثيتَ لِحُزْني؛

١ - «منك الصدود.. ومني»: فيه الاكتفاء؛ أي: ومنّي. الحبّ؛ أو نحوه.
٢ - «فاعلم بأنّي»؛ فيه الاكتفاء أيضاً؛ أي بأني هالك؛ أو نحوه
٤ - قرع سنّه ندماً؛ أي حرقه وسحقه حتى يُسمع له صريف من شدّة الألم والغيظ.

- ١٤٣ -
وفعلتَ فَعْلتك الّتي . !

وقـال:

١ يا طرفُ أنجدْ بالدّموعِ فأنـتَ جالـبُ محنتي؛

٢ واصبـرْ علـى فقـد المنامِ فأنـتَ أصـلُ بليّـتي؛

٣ ولقـد نصحتُك لـو سَمِعْتَ، ولـو قبلـتَ نصيحتي؛

٤ أنّ اللّواحظَ رُبّمـا قتلـتْ بأوّلِ نظْرةٍ!

٥ .. خالَفْتَنـي، وعَصَيْتني «وفَعلْت فَعْلَتَـكَ الّـتي»

---

٥ ـ لا يوجد هذا البيت في « ف » والعجز تضمين للآية الكريمة : « وفعَلْتَ فعْلتكَ التّي فعلتَ وأنتَ مِنَ الكافِرين ». الشعراء ـ ١٩ ـ

- ١٤٤ -
كيفَ السلوّ. ؟

وقال رحمه الله:

١	أَنَــا واللهِ مِنكَ في	مِحَــنٍ لا أطيقُها؛
٢	بَيْنَ قَلْــبٍ تُذيبُه	ودُمــوعٍ تريقُهــا،
٣	كيفَ تسلوكَ مُهجةٌ	لَيْسَ يطْغَــى حريقُها؟
٤	كيفَ تَنساك أضلعٌ؛	لَيْسَ يَهْدَا خفوقُها؟

- ١٤٥ -
لو أنّ لي بك قوّة . . !

وقـــال:

١	يا كعْبَــةَ الحُســـنِ الّتي	«حَجّي» إليْهـا «واعْتماري»؛
٢	يا جُنّــةً الخُلــدِ الّتي . .	لــم ألــقَ منهــا غير «نارِ»!
٣	يا «رَبْـرَبَ» الحسْـنِ الذي	خضَعَتْ له «الأسْدُ» الضواري!
٤	يَهنيكَ عزّك؛ إنّني	في قيدِ ذلٍّ؛ وانكسارِ؛
٥	لَــو أنَّ لي بكَ قوّةً	لأخــذتُ من عَينيك ثاري؛
٦	لــكِنْ ؛ هواك علــيّ جَـارَ	وهــدّ أركان اصطباري

٣ ـ الرّبرب : القطيع من بقر الوحشِ
٥ ـ في الصدر إشارة إلى الآية الكريمة: «قالَ لو أنّ لِي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد». هود ـ ٨٠ ـ

- ١٤٦ -
أعدوّي؟ أم حبيبي؟

وقـال:

١	يا جبينَ القَمــرِ التَمِّ	ويا قدَّ القَضيـبِ ؛
٢	والــذي أمــرض جسمي	في الهوى؛ وهْـوَ طبيبي!
٣	لا تُطلْ هجــران صَبٍّ	مغــرم القلــب كئيبِ؛
٤	فلَقَــدْ طالَ لطُـولِ الهجْرِ حُزنــي،	ونَحيـــبي؛
٥	واعــترانــي الشــكّ؛ هَلْ أنــتَ	عدوّي، أم حبيبي؟

- ١٤٧ -

أترى يسلو الهوى؟

وقـال:

١	أتُـرى يَسْلُـو الهـوَى ولَهُ	عِنـدَ سُكَّان الحِمَـى وَلَهُ؟
٢	مُغـرمٌ في قلبـهِ حَزَنٌ	فصَّـل الهجـرانُ مُجْمَلَهُ؛
٣	عَظُمـتْ أسقامُـه فغدا	لا يَراه مَنْ تأمَّلَهُ!
٤	لَو رأى مَن ظَلّ يعذلُه	وجْـهَ مَنْ في الحُـب أنحلَهُ؛
٥	قـال: أمَّـا فيك لا حَرَجٌ؛	إن قضـى وجـداً؛ يحـقّ له

---

١ ـ الوَلَهُ : يقال : ولهَ يَلِهُ ولهاً : حزن حزناً شديداً وتحيرّ من شدة الوجد وولهت الأم إلى ولدها : حنّت اليه، وكذلك الصبيّ الى أمّه: فزع اليها، وولّه المرأة: فرّق بينها وبين ولدها.

- ١٤٨ -
مَنْ أحلّ دمي؟

وقال:

١	أصــخْ لِشكيّتــي وارفقْ	بجسْــمٍ فيكَ قَد نحلا؛
٢	وقــلْ لي: من أحــلَّ دَمي؟	ومــن ذا حرّمَ القُبَلاَ؟
٣	وإنْ تنكرْ ضنى جسَدي	ولـم تعـطِفْ عليّ ؛ ولا . . .
٤	فـكفّ النّبـل مِنْ عينيكَ؛ يكفــي	بعضُ ما فَعَلاَ .!
٥	ولا تُطلِـعْ لَنَـا خَــدًّا ك وردَ	رِياضِهــا الخَضِلاَ .

---

١ ـ أصاخ اليه: أصغى.
٣ ـ «ولم تعطف عليّ. . ولا . .» فيه اكتفاء؛ أي: ولا رحمتَ توسّلي، أو نحو ذلك.
٥ ـ الخَضِلُ: الندي الناعم الطيّب .

- ١٤٩ -

كلّ مَن يعشقَ يُبْلىَ!

وقال رحمه الله :

١	كُنْ كمـا شئـتَ، إنّ حبَّـكَ فنّي	وجميعُ العُشـاقِ تأخـذُ عنّي؛
٢	لو أرادَ الفـؤادُ عَنـكَ سلوًّا،	قلْتُ، سِرْ عَنْ جوانحي لَسْتَ منّي!
٣	أتُرانـي أَسْلـو لِطـولِ صدودٍ؟	لا، وما فيكَ من بدائِع حُسْنِ،
٤	كلُّ مَنْ يعشـقُ المـلاحَ سَيُبْلَى	بِصدُودٍ وفُرقةٍ وتَجنّي.

- ١٥٠ -

يكفيك..!

وقال:

١	يكفيكِ يا ذَاتَ اللَّمــى يكفيكِ	مــا قد لَقِيتُ مِنَ الصَّبابــةِ فيكِ؛
٢	داوي ضنىً في القَلْبِ أنتِ جَلَبْتِهِ	فــدواءُ دائــي رشْفَــةٌ مِنْ فيكِ؛
٣	أفــديكِ؛ قد عَبِثَــتْ صبابــاتُ الهوى	بــي؛ فارفقــي يا مُنْيتــي - أفديكِ؛
٤	واللهِ ما تركَ الهــوى مِنّــي سوى	جســمٍ نَحيلٍ، أو دمٍ مَسْفوكِ

---

٤ - لا يوجد هذا البيت في «ف».

- ١٥١ -
أشمتّ أعدائي!

وقالَ:

١	يا طلْعَــةَ البَـدرِ وقَــدّ القَضيبْ	مَتَى بطيبِ الوَصْـلِ عَيْشِي يَطيب ؟
٢	ويا غريبَ الحُسْــنِ رفقــاً بمنْ	غرّبَــهُ هذا الجمــالُ الغرِيبْ!
٣	أشمـــتَّ أَعدائــي بِطــولِ الجفا؛	قُــلْ لي: عدوٌّ أنــتَ لي أَمْ حَبيبْ؟



١ ـ القضيب: الغصن.
٣ ـ أشمتَّ اعدائي: جعلتَهم يشمتون بي، وأصله؛ شَمِتَ بفلان: فرح بما أصابه من أذى ومكروه.
وانظر الأبيات رقم ـ ١٤٦ ـ

- ١٥٢ -
حتّام أكتم؟

وقـال:

١	حَتّـــامَ أكْتمُ فيك الشَّـــوق والكمدَا	وأنفقُ العمرَ في وجْدي عليك سُدى؟
٢	وكَمْ أردِّدُ زَفْراتــي، وأكتُمُها؛	إذا انْقَضَـــتْ نهـدٌ أتبعتُهــا نهدَا. ؟



٢ ـ النّهَدُ واحدتها نهدة: النّفس الطويل يخرجه المرؤ حزناً وألماً.

- ١٥٣ -
خفتُ على الخدّ،*

وقـال:

١	وساتـرٍ خـــدّه بمصْـــحَفِهِ	قلــتُ له والفــؤاد في قَلَــقٍ:
٢	خِفـتَ على الخدّ من لواحظِنا	يا غُصْــنُ حَتّى اسْتَتَرْتَ بالورق!؟



* لا توجد هذه الأبيات في «ف».

- ١٥٤ -
هل يغلط الدّهر؟ *

وقال:

١	قاتلــي في هواهُ من غير ذنبٍ	قُــلْ لعينيكَ: أيّ ذنــبٍ لِقَلبي؟
٢	وسَــل السَّمهــريّ قدّكَ لِمْ ذَا	خصّنــي بالغــرام مِن دونِ صحْبي؟
٣	مَرّ عُمْـري على الصّــدود فهــل يغلَطُ	دهــري بيومِ وصْــلٍ وقربِ؟



* لا توجد هذه الأبيات في «ف».

- ١٥٥ -
لم يبق غير بقيّة!

وقالَ:

١	ترفّـقْ بجسـم قد أضـرّ به الهوى	وقلـبٍ معنّـى فيكَ فارقَـه الصبرُ؛
٢	فلـم يُبـقِ منّـي الحـبُّ غيرَ بقيةٍ	وعمّـا قَريبٍ سَوفَ يُذْهِبُهـا الهجْرُ!



٢ - في «ف»: «إلاّ بقيةً».

- ١٥٦ -
هذا فؤاده . !

وقال رحمه الله:

١ قَالَ لَهُ الحاسدون - لا ظفروا   منـهُ بغَيرِ البعـادِ والصدِّ:

٢ ما بالُـه قد سَلاكَ؟ قال لهم: حاشـاه هذا فؤادُهُ عِندي!!



- ١٥٧ -
صنم

وقال:

١ ومعذّبـي مَنْ لا أبـوحُ بذكرِهِ ما دُمـتُ في أسـرِ الهـوى وقيادِهِ؛

٢ صَنَـمٌ غَدا يدعـو إلـى دِينِ الهوى لَـولا «التَقِيّة» كنـتُ مِن عُبّادِهِ!



٢ ـ التقيّة: من اتقيتُ الشيء وتقيتُه تَقىً وتقيّةً: حذرته. ومذهب «التقيّة»: أن تظهر غير ما تعتقده باطناً خوفاً وحذراً.

- ١٥٨ -
ينطق عن الهوى!

وقال:

١	أَنَـا مَنْ إذا سمـعَ الورى	غَـزَلـي الرقيـقَ وما حَوَى؛
٢	قالـوا: أجـادَ؛ ومـا دروا	أنّي «نطقتُ عنِ الهوى»!



٢ ـ في «ف»: «قالوا أصاب». وفي العجز اشارة الى الآية الكريمة: «وما ينطق عن الهوى». النجم آية (٣).

- ١٥٩ -
دَعْني ومن أهــوى

وقــال:

١	حَسْبْــي من التّعنيفِ حَسْبي؛	أنــا ما عشقْــتُ بغير قلبي؛
٢	دَعْنــي؛ ومَــنْ أهــوى فقد	ملَّكتُــه روحــي ولُــبّي،



- ١٦٠ -
أبكي . . فَيَبْتَسِمِ . !

وقال:

١	وبـــديع الحسْـــنِ أَلْمَى	أَحور العَيْنَين، أَحْـــومْ؛
٢	أنـــا أبـــكي من جفاهُ	وهـــو مِنّـــي يتبسَّـــمْ؛
٣	كِدتُ أن أهلكَ فيه:	غير أن الله سَلّمْ.



١ ـ الحور: تقدم أنّـه شدّة بياض البياض وسواد السـواد في العين. والأحْـوَم: من صفـات الحسن والجمال عند اليمنيين والأصل إما أن يكون مشتقاً من الحِمّة وهي بالكسر كما قال في القاموس «لون بين الدهمة والكمته» ودون «الحُوّة»، أو من الحومة بالضم وهي «البلّور». أي أنه صافي البشرة.

- ١٦١ -
أعوذ بربّ الفلق!

وقال:

١	ومُــرّ التجنّــب، حلُــو اللَّمَى	لأَلْبابِنــا باللّحــاظ اسْترقُ؛
٢	بدا فَلَــقُ الصّبــح من وجهِهِ	فقلــت «أعــوذُ بربّ الفلق»؛
٣	ولــم أدْرِ لمّــا رَنــا طرفُه؛	عــدوٌ رمَــى؛ أم حبيبٌ رمق؟



٢ - في «ف»: «فراح المعنّى به في قلقْ» وقال في هامش نسختنا «ن»: «وقد كان استحسن تعويض العجز الذي فيه الاقتباس بقوله «فراح المعنّى به في قلق» تأدباً في حق الكتاب العزيز».
٣ - رمق: نظر

- ١٦٢ -
إلى حمامة

وقـال:

١ حمامــةَ الأيكِ مهلاً فقـد أطلتُ نُواحي. !

٢ أَتشتكين بعــاداً وأنــتِ ذَاتُ جَنــاحِ ؟



١ ـ الأيك: الشجر الكثير الملتف. الواحدة أيكة.

- ١٦٣ -

دمعٌ.. وقلبٌ!

وقال:

١	أنـا والله مغرمٌ	بـكَ صَبٌّ مُعَذّبُ؛
٢	ليَ دَمـعٌ مرقْرقٌ،	وفـؤادٌ مذبذبُ؛



- ١٦٤ -
مُخادعَه!

وقال:

١ قالَ العذولُ: إلامَ تَعْشـــقُـهُ؟ وكم تَصْبُـو إليْهِ؟
٢ فأجبتُـه: دعْنـي أُخَـادِعُـه؛ فقلبـي في يديْهِ!



- ١٦٥ -
رياض وغدير

وقال:

١	وأحـور المقلتينِ أَحوى	كأنَّــه البـدرُ مُستديرا ؛
٢	لمّـــا رأى خَدَّهُ رِياضاً	أفاضَ مِن عَينِــه غَديرا ؛



- ١٦٦ -
دُرر الألفاظ

وقال:

١ نَفْســي الفــداء لِمَــنْ عاتبتُــه ولَهُ   في مُهجتي فتـكاتُ البيضِ والأسلِ ؛
٢ فظَــلَّ ينثــر مِنْ ألفاظِــهِ درراً   أرقّ مِن أدمعــي فيهِ ومِــنْ غَزلي . !



٢ ـ في «ن» : «يظلّ ينثر» .

- ١٦٧ -
سحابة الرقباء

وقــال:

١	عجـبَ النّــاسُ عندَمــا حجبــوا مــنــهُ هِــلالاً	ذَا بهجــةٍ وسناءٍ؛
٢	قلــتُ لا تعجبُــوا لِبــدرِ تمامٍ	حجبتْــهُ ســحــابــة الرُّقبــاءِ!



- ١٦٨ -
وأحرقت القمر. . . *

وقال في تعليل كسوف البدر وفيه لزوم ما لا يلزم:

١	لا بدع أَنْ يَخْسفَ بدرُ السَّما	ذاكَ لِمعْنــىً قد تحققّتهُ؛
٢	لمّــا بدا لي وَجْهُــهُ مُشْبِهــاً	وجــهَ حبيبــي حينَ فارقتُــهُ؛
٣	ذكرتُ مَحبوبــي فَمِــنْ أَجلِه	صَعَّدتُ أنفاســي فأحرقتُه!



* لا توجد هذه الأبيات رقم - ١٦٨ - في «ف».

- ١٦٩ -
جلّنار الخدود!

وقال: وفيهما الجناس الكامل

١	مَـــولاي رفقـــاً بصبٍّ	عذبتَـــه بصدودِكْ؛
٢	«فجُـــلُّ نارِ» فؤادي	من «جلّنار» خدودِكْ!



---

٢ - جُلّ نار فؤادي: أي معظمها. و«الجُلّنار»: زهر الرمّان.

ـ ١٧٠ ـ
قــوام

وقال: ـ في التَّورية ـ

١	بأبــي قوامٌ منــكَ لمْ	يحــكِ الرّدَيْنــيُّ اعتدالَهْ؛
٢	ولــواحــظ قد أُورِثتْ	فتكُ الصَّـوارمِ عَنْ كَلالَـهْ!



---

١ ـ الرُدَيْني: الرمح؛ ورُدَينة امرأة اشتهرت بتقويم الرماح.

٢ ـ الكلالة في المواريث كما قال جار الله الزمخشري في الكشاف: «ينطلقُ على ثلاثة: من لم يخلّف ولداً ولا والدا، وعلى من ليس بولدٍ ولا والد من المخلّفين، وعلى القرابة من جهة الولد والوالد ومنه قولهم: «ما ورث عن كلالة»، و«الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوّة من الاعياء»، «فاستعيرت للقرابة» انظر «الكشاف» تفسير الآية ـ ١٢ ـ النساء.

- ١٧١ -
لا زالوا . .

وقال في «التوشيع»:

١ دَعهُمْ يقولوا؛ فَبي فوقَ الـذي قالوا: سقــمٌ وسهــدٌ ودمــعٌ فيكَ همّالُ؛

٢ يا من أُفَنــدُ جهــلاً في محبّتِهِ ما لي عليك سوى الحســاد عُذّالُ؛

٣ ما حرّكوا بملامــي منهــمُ شفَةً؛ إلاّ وزادوا غرامــي فيكَ لا زَالوا . !



---

٣ ـ أي: لا زالوا يحرّكون شفاههم بملامي.

- ١٧٢ -
أرخصت الغوالي . .

وقال في «المطابقة»:

١	دِمَنــاً بأكنــاف العقيق خوالي	حييتِ من دِمَــنٍ، ومــن أطلالِ؛
٢	وسَقَتْ سمــاءُ الشـوقِ رَبعـكَ دائماً	بسحائــبٍ مِن مُقلتــيَّ ثقالِ!
٣	لِلّــه كم أرخصْــتُ فيكِ مدامعاً	قــد كنّ من قبــل الفِــراق غوالي؛



- ١٧٣ -
دلُّوني على الصبر..

وقالَ فيها:

١	أقــولُ لِعُــذّلٍ رامــوا اصْطباري	وصَبــري عنــكَ عينُ المستحيلِ؛
٢	هبــوا وجْــدي كمــا قلتــمْ قبيحاً	فدلّونــي على الصّبــر الجميلِ.!



- ١٧٤ -
فَهلْ لِصدودك من آخر ؟

وقال فيهـا:

١	أيا طلعةَ القمرِ الزّاهرِ،	ويا قامةَ الغُصنِ النّاضرِ:
٢	غرامـــيَ ليسَ لَه أوّلٌ	فهَلْ لِصدودِكَ من آخرِ؟



- ١٧٥ -

شيّبني الزّمان!

وقال:

١	قالــوا نراكَ طويت عن ذكرِ الصِّبا	كشحـــاً؛ ومثلكَ مَنْ يحـــنُّ إليهِ؛
٢	فأجبـــتُ شيَّبني الزّمـــانُ ولـــم أجدْ	طَعْـــمَ الصِّبـــا؛ حتّـــى أنـــوح عليهِ!



- ١٧٦ -

جزى الله بالحُسنَى!

وقال في «الاختراع»:

١ جزى الله بالحسنى عذولي، وإن يكنْ أثـار لهيبـاً في الفـؤادِ وسَعَّرا؛

٢ ومـا ذاكَ إلاَّ أنّـه حين لاَمني توهَّـمَ سهـواً من فؤادي فذَكّرا. !



- ١٧٧ -
يا شقيق النّفس؛

وقال في «التَّضمين» :

١	يا قليلَ الحفــظِ لِلذِّمَمِ	أيّ شَرْع فيهِ حُلَّ دمي؟
٢	هَلْ لِمَــنْ أتْلَفْــتَ مُهجَتَهُ	«يا شقيقَ النَّفس مِنْ حكَمِ »؟



٢ ـ حكم، في الشعر المضّمن : اسم مخلاف من مخاليف اليمن ، وأراد الهبل الحَكَم : الحاكم أي منفّذ الأحكام، أو من يحتكم إليه الخصوم.

- ١٧٨ -

مشروط الخدود

وقال فيه أيضاً

١ وأهيف «مشـــروط» الخـــدودِ، لِطَرفِه ... إذا ما رنَا فعــل السّيوفِ القَواضبِ؛

٢ لَه غُرّةٌ فتّانــةٌ تَنْتمــي إلى ... «هلالٍ» ، وطرفٌ ينتمي «لِمُحَارِب»!

٣ يعيبونَــه جهــلاً «بشَــرطِ» خدودِهِ ... ومــا فيه لا واللهِ عيبٌ لِعايبِ؛

٤ ولكنّمــا هاتيكَ أسْياف لَحْظِهِ ... «بهــنّ فلُــولٌ مِن قراع الكَتائبِ»!

---

١ - مشروط الخدود؛ أي فيه علامات بُضعَت بالمِشرط

٢ - «هلال» اسم قبيلة، وكذلك «محارب»، وهلال السماء : معروف .

٤ - العجز للنابغة، والصدر: «ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم».

- ١٧٩ -
مشروطة . !

وقال في «التورية»:

١	«مشروطـــةٌ» خطـرتْ ترنّــح قامة	يزري الذّوابلَ لينُهـــا وشِطَاطُها؛
٢	قامـــتْ قيامـــةُ عاشقيهـــا في الهوى	لمـا بدتْ؛ وبـدت لهَـمْ « أَشْراطُها»؛



٢ ـ الأشراط واحدها شرَط : العلامات . وفي البيت إشارة إلى الآية الكريمة : « فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنّى لهم إذا جاءتْهم ذكراهم » . محمد ـ ١٨ ـ وأشراط الساعة : مقدماتها والجارية المشروطة: التي على خدّيها علامات تشرط وينقشها «الحجّام» بمشرطة تزيينا. وكان ذلك محببا لدى بعض القدماء ولا يزال.

- ١٨٠ -
ولم أخف السقام

وقال في «الاختراع»:

١ ولم أَخَفِ السقامَ لأجل موتي سقاماً؛ أو لإشماتِ الأعادي؛

٢ ولكنّي خشيتُ إذا تمادَى يَبِينُ مَحَلُّ سِرّكَ في فؤادي!



- ١٨١ -
كيف أقوى؟

وقال في «التورية»: •

١	كيف أقوى على الْتِثامِيَ ثغراً	من حبيبي، أو ارْتشاف لَماهُ؟
٢	ولُحَاتــي تصدّنــي عَن مرامي	كلّما رمــتُ أن أقبـلّ فاهُ.!



٢ ـ اللّحاة جمع لاحي: اللّوم. واللُّحى جمع لحية؛ وهي شعر الخدين والذقن.

- ١٨٢ -
ثلاث . . كثلاث

وقال فيها مع «التضمين» و«النّقل»:

١ وثــلاث لمّــا بدتْ ليَ منها سلبتني بهنّ ثوبَ وقــاري؛
٢ حاجباها، ومُقلتاها، وما تَنــثرُ مِــن درّ لفظِهــا السحّــارِ؛
٣ «كالقسِــيّ المعطّفات ، وكالأســـهـــمِ مَبْــريّةً، وكالأوتارِ»!



- ١٨٣ -
نعم وقد . .

وقال في «التورية» أيضاً:

١ رأى عاذلــي مَنْ هِمــتُ فيه صَبابةً ولَمْ يَبقَ لي فيهِ اصطبارٌ ولا جَلَدْ؛

٢ فقال: أهـذا الشادن الأحـور الّذي رمـاكَ بطـرفٍ منـه؟ قلـت نَعَمْ، وقَدْ!



---

٢ ـ قلت: نعم وقَدْ. أي وقد رمى وقتل، والقدّ أيضاً: القامة وقدّ بمعنى: قطع.

- ١٨٤ -
جريح المقَل . .

وقال؛ في التورية أيضاً:

١	وتُنـكِرِ وجـدي ومـا سار مِنْ	نظامـي فيهـا مَسيرَ المثَلْ؛
٢	وهـا أنـا واللهِ في حُبِّها	«صريعُ الغواني» جريحُ المُقَلْ!



- ١٨٥ -
ردّوا عليها نومَها. . * !

وقال؛ وفيهما «الجناس الكامل»:

١ لي مقلــةٌ مَقْروحــةٌ لِبعْدِكمْ　　فيها لِسُحْبِ أدمعي «تَرَاكُمُ»؛

٢ ردّوا عليهــا نومَهــا تفضّلاً　　لعلّها في النــومِ أن «تراكُمُ»!



* ـ هذان البيتان رقم ـ ١٨٥ ـ هما نهاية صفحة ـ ١٩٢ ـ في النسخة «ن» وبعدها حصل الخطأ من قبل «الحبّاك» فقدّم وأخّر كما أشرت اليه في الأصل «المخطوطة»، «ن»: وتراكم في البيت الأوّل: التجمع. وتراكم في البيت الثاني: تنظركم.

- ١٨٦ -
عوِّذوها بالرقاد

وقال؛ وفيهما «التوريةُ والاكتفاء»:

١ لي مقلــةٌ مقروحــةٌ لِفِراقكمْ ما انفـكّ بحـرُ دموعِها متدَفّقَا؛

٢ جُنّتْ وزالَ رقادُها مِن بعدكم بيدِ الفــراقِ فعوّذُوهـا بِالرُّقا!



٢ - في «ف»: « بيدِ البعادِ» .

- ١٨٧ -

أمّا الرقيب . !

وقال؛ في «التّقسيم» :

١ أمـا الوشـاةُ فأنـتَ أعلـمُ مِنهمُ ... بجميعِ ما أبـديهِ أَوْ أخْفيهِ؛

٢ وكذا العـواذلُ؛ قد سَدَدْتُ مَسامعي ... عَـن عَذْلِهِـمْ ما عِشـتُ لَسْتُ أعيهِ ؛

٣ صِنْفـان؛ أمرُهمـا يسيرٌ هَيِّنٌ؛ ... أمّـا الـرقيبُ فحـار أمـري فيهِ . !

- ١٨٨ -
فلا تسل غير طرفي؛

وقال؛ في «التورية» مع «التَّضمين»

١	إن كنتَ تُنكر دمعي لِلْفراقِ وقَد	جَرَى فأظهرَ مَا قدْ كنتُ أُخْفيهِ؛
٢	«فلا تَسَلْ غير طرفي عن مدامعِهِ؛	لا تأخذِ الماءَ إلاّ مِن مَجاريه»!



- ١٨٩ -
أهيل المنحنى!

وقال؛ في «التورية»

١	أُهَيل «المنْحَنى» رفقاً بصبٍّ	أخذتـم قلبُـه وتركتموهُ؛
٢	فكلٌّ مِن غرامي واصطباري	غـداةَ البين قد «أضعفتموه»؛



٢ ـ أضعفَ : صيّره ضعيفاً : جعله ضعفين . و « المنحنى » من الأسماء التي يكثر دورانها في الشعر العاطفي .

- ١٩٠ -
وإيّاك الحريق!

وقال؛ في «الجناس» مع «التضمين»:

١	بأهــل «المُنْحنَـى» عرِّج وأبلغْ	مِنَ الصبِّ المشوق بهِـمْ سلامَهْ؛
٢	وإيّاك الحـريقَ بنــار قلبي	«إذا جئتَ الغضا»؛ ولك «السلامَه»



٢ ـ عجز البيت للشاعر القاسم بن علي بن هُتيمل وقد أثبته في الأصل هكذا: «إذا جئتَ الغضا» والمحفوظ: «إذا جزتَ الغضا ولك السلامة» والتتمة: «فطارحْ بالتحيّة ريم رامَهْ».

- ١٩١ -
فَخٌ، وشبكة. !

وقال؛ في «التشبيه»:

١	أفدِي غَزَالاً صَادَ القلوبَ مَعاً	فكلُّها في هواه مُشتَرِكَة؛
٢	أبـدَى لَهـا صُدغَـهُ وعارِضَهُ	هَـذاكَ فخٌ؛ وهـذِهِ شبكَة. !



---

٢ - الصُدغُ: ما بين العين والأذُن. ويطلق على الشعر المتدليّ من هذا الموضع. والعارض: صفحة الخَدّ.

- ١٩٢ -
أسيرُ حبّ!

وقال؛ في «التورية»:

١	يا ساكنـي السَّفْـح مُذ رَحَلْتُم	دَمعـيَ مِن بَعـدكم غزيرُ؛
٢	أسرتمونـي؛ فأطلـقوني	هـا أنـا في حُبـكُمْ «أسيرُ»!



- ١٩٣ -
كتب الله . . !

وقال: فيها:

١	قــد كتــبَ اللهُ على خدِّهِ	بالمسكِ سطــراً دَقّ معناهُ؛
٢	فقلْتُ لِلعُشاق لمّــا بدا:	صبــراً على ما كتبَ اللَّهُ!



٢ ـ كتبَ: قدّر وقضى.

- ١٩٤ -
الفرق ظاهـــر

وقال ؛ فيها معَ «التضمين» :

١ ظننـــتُ وقـــد نَظَـــرتُ إلـــى سناها بـــأنَّ النَيّرات لهـــا ضرائرْ؛

٢ فمـــذْ أبْصَـــرتُ لَيلَ الفَـــرْعِ مِنْها «رأيت الفَـرْقَ مثلَ الصبُّـحِ ظَاهِرْ» ؛



---

١ - الضرائر واحدتها ضرّة. وضرّة المرأة : امرأة زوجها.

- ١٩٥ -
شربه

وقال؛ فيها:

١	يا مَن بطــولِ التَّجافي	والهجــرِ أمــرض صبَّهْ ؛
٢	أنتَ الطبيبُ؛ فمَنْ لي	مــن ريقِ فيكَ بشرْبَهْ!؟



- ١٩٦ -
دعاء عاشق

وقال في الجناس الكامــل:

١	لا ذقــتَ حرَّ صَبَابتي	وكُفِيتَ ما أَلْقَــى بها؛
٢	فــالنَّــارُ من أَسْمَائِها	والمـوتُ مِنْ أَلْقَابهـا!



---

٢ - اللقبُ جـ ألقاب: اسم يسمّى به الانسان سوى اسمه الأول مدحاً أو ذمًّا.

- ١٩٧ -
رُدِّيهِ أولا!

وقال.. في «القول بالموجب»:

١	غالَطَتْنِي بقَوْلِها؛	لي وقد برّحَ القِلَى؛
٢	سوف آتيكَ في الكَرى	قلتُ ردّيه أوّلا!



١ - القِلَى: البغضُ والكره الذي يسبب الهجر.

- ١٩٨ -

سكرت من مُقلتيه . .

وقال . . في «التورية» :

١	وبابِلـــيّ لِحَاظٍ	ذي قامــةٍ سَمْهَرِيّهْ؛
٢	سَــكِرتُ من مُقلتيهِ	لأنّهـــا «بابليَّة»!



٢ ـ كأنها من أسرة «البابلي» المشهورة في صنعاء.

- ١٩٩ -

قلبٌ عصّي

وقال.. في «التورية»:

١ لي فيكَ قلــبٌ ما انتَهى　　عَــن غيّــهِ ولا ارْعَوى؛

٢ وأضــلــعٌ مِمّــا بهــا..　　كادتْ تطيــرُ في «الهــوا»!



- ٢٠٠ -
ما أراك . . تراني !

وقــال:

١ أيا شادِنــاً أغــرَى السّهــاد بناظري وأنحــلَ جســـمــي حُبُّــه وبــراني؛

٢ تعيشُ وتبقى أنتَ في نعمــةٍ فَما . . أراك إذَا طَالَ الصّــدود تَراني !



ـ ٢٠١ ـ

ها مهجتي لديك

وقال.. «دُوبيت»:

١ كم أكتُــمُ لَوعتــي، وكم أخْفيها؟ والدمــعُ إذا جرى دمــاً يُبْديها!

٢ يا مالكَ مُهجتــي رويداً بِشَجٍ؛ هَــا مُهجتُــه لَديكَ؛ فانظــر، فيها؛



- ٢٠٢ -
أينَ لهيبهُ وولوعهُ؟

وقال رحمه الله ما لفظـه:

« لما رأيتُ رقّةَ هذهِ الأَبيات ، وعذوبة هذه القِطعة التي ما أتى مثلُها ولا هو آت ، علمتُ أنّ من البيان سحراً ، وأن من الألفاظ دراً ، وعلقتُ على جيدها جواهر هذا التخميس ، وأنفقتُ فيها من أنفسِ ما عندي ، وإن لم يكن عندي نفيس ، ولعَلّ الواقف على هذه الأبيات يقول عند كل بيتٍ: ما لَه حجّ هذا البيت مع عدم الاستطاعة.* وما لها عَصَتهُ فكرتُه ولم تُقابِلْهُ في دخول هذه البيوت بالطاعَة.؟ فأقول: هذا جهد المقلّ، ومَن بذل طاقته لم يُقصرّْ ولم يُخلّ؛ وهـذِهِ الأبيات الأربعة المخمسة ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في كتابه الأغاني للشريف أبـي عبـدالله محمد بن صالح الحسني ولها خبر طريف ذكره الشيخ العلامة شهاب الدين محمود بن سليمان في كتابه منازل الأحباب،»

والأبيات هيَ معَ التخميس المذكور:

١ أتُرى صَحَا وأفـاقَ مِن سكر الجوى،

٢ ولَـوى عنـانَ عهــود سُكان اللّوى، ؟

٣ هَيْهَـــات؛ بَلْ أذكتْ جواه يدُ النّوى؛

٤ وغَدَتْ يد التّذكار تَنشـر ما انْطوى؛

---

* إشارة إلى قوله تعالى : « ولِلّهِ على النّاس حِجّ البيت من استطاع إليه سبيلا » آل عمران - ٩٧ - ويشير بعصيان فكرته وبيت الطاعة إلى ما يفرض على الناشزة من وجوب الطاعة . والعودة إلى بيت زوجها .

٤ - بهذا الشطر - رقم - ٤ - تنتهي آخر صفحة في النّسخة « ن » نظراً لخطأ « الحبّاك » ولذلك فقد رجعت القهقرى إلى ص ١٩٣ من الأصل «ن» حيث وجدت تتمة «التخميس» ثم ما بعده من القصائـد والمقاطيع إلى نهاية الديوان.

٥ وإلى العَقيق صبَا ، وقد كان ارعوى؛

* وبدا لهُ من بعدِ ما انْدَمل الهوى   بـــرقٌ تألّـق مَوهنــاً لمعـانـه

٦ فأبَــاحَ من سرّ الغــرام مَصونَهُ،

٧ وأسَــالَ من ماء العيون عيونَهُ،

٨ وأطَالَ لَوعتَــهُ ، وزادَ حنينَهُ،

٩ آهــاً لَه برقــاً أثــارَ شجونَهُ !

١٠ كالسَّيفِ أخلَصَــتِ القيونُ متونَه ،

يبــدو كحاشيـة الـرّداء ودونَــه   صعْـبُ الذُّرى مُتمنّـع أركانُـه

١١ مُذْ لاحَ جانَســهُ بلَفْــظٍ مُتّفِقْ؛

١٢ شربَ الدموعَ وقد شرى حتى شرِقْ؛

١٣ وأصابَــهُ سكرُ الغــرامِ فلــم يُفِقْ،

١٤ ونَفــى الـكرى فجفونُــه لم تَنْطبقْ؛

١٥ وأراد يشفــى قُرحَ ناظــرِه الأرِقْ؛

** فمضَى لينظرَ كيفَ لاحَ فلم يطقْ   نظــراً إليه وصــدّهُ سبحانُهُ

١٦ أتُــرى الفــؤاد إلى السلــوّ يطيعُهُ؛

١٧ ويصحّ عن دعـوى الغـرام رجوعُه ؟

١٨ والبــرق يفشــي سرَّه ويذيعُه؛

١٩ هَبْــهُ حكى ما قَدْ روتْــه دموعُهُ ؛

---

٥ ـ في «ف» : «وكان قد ارعوى»

* ـ وهن، وأوهن الرجل دخل في منتصف الليل الذي هو «الوَهْن». والمَوهِنُ: الوَهْن.

١٠ ـ القيون جـ قينٍ، وهو الحدّاد

١٢ ـ شرِق: غص.

** في «ن» : «فغدا لِيَنْظُر».

٢٠ في الحُـــبّ؛ أينَ لهيبُـــه وولوعُهُ؟

* فالنّار ما اشتَملتْ عليهِ ضلوعُهُ والماءُ ما سمَحَـتْ بهِ أجفــانه



* هكذا في النسختين «والماء ما سَمَحَتْ» والمتداول: «والماءُ ما سحَّت به أجفانه».

- ٢٠٣ -
أطلتَ سهاديَ يا راقِد!

واجتمع يوماً هو والسيّد الأكرم جعفر بن المطهّر الجرموزي[٢٢] فتساجلا وكان رحمه الله هو البادي وأخبرني السيد جعفر أنهما قالا هذه الأبيات وهما مُتَنَزّهان في بستان من بساتين «باب شعوب» ؛ ولم يجدا دواةً ولا بياضاً ولا قَلَماً ؛ فَبريا قلماً مِن قصب ، وعصرا شيئاً من «القَضْب» جعلاه مدادا ؛ وكتبا المساجلة في كسْرة « مَدَرٍ » :

١ قال الحسن : أثغـركَ ؟ أم بردٌ جامدُ أم الـدّر نضّـدهُ النّاضد ؟
فقال السيّد : وَوجهـكَ أم قمـر طالع ؟ وقـدّكَ ؟ أم غُصـنٌ مائدُ ؟
٢ فقال الحسن: أيا منكراً فرط حبّي له ومـا أنـا في حُبـه واحدٌ !
٣ أمـا لي مِن أدْمعـي حُجّةٌ عليكَ ، ومِن سَقَمي شاهدُ ؟
فقال السيّد : لي اللهُ صَبـري غدا ناقِصاً فَشَوقـي طُول المَـدى زَايدُ !
* فديتـك صِلْنـي فقَـدْ شفَّني السّقـامُ وملنـي العائد ؛
٤ فقال الحسن : أَطَلْـتَ سُهـادي فحتّـى متَى تُـطيلَ سُهـاديَ يا راقِدُ ؟
٥ سَمِعتَ الوشـاة ومـا زَخرفوا ، وصدّقـتَ ما قالَـهُ الحاسِدُ !
فقال السيّد : لقـد حلّ ما حَلّ بي منـكَ مِن غـرامٍ أقـرَّ لـه الجاحِدُ؛
** خُلِقْـتَ لِكلِّ الورى فتنةً فَضَلَّ بكَ النّاسِـكُ الزاهدُ ؛

---

(٢٢) - تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

١ - البَرَدُ: حب الغمام.
* في «ف» : «فديتك عدني» . وشفّه السقام: أضناه وأوهنه.
** في «ف» : «النّاسك العابد» .

- ٢٠٤ -
مُسَاجلـــه:

وتساجلا مرةً أخرى وكانَ السيّد «الجرموزي» هو البادي فقال:

إلــى غيرِكمْ قلبــي المتيّم لا يَصبُو ... ومِنْ أجلكم زندُ الهوى فيه لا يخبو،
وأنّـي وجَيشُ الحُـبِّ بالقَلْـب مُحْدِقٌ ... وكيفَ يكُفُّ النّـارَ مَن دُونَـه الحربُ؟

فقال الحسن «الهبـل»:

١ يَلومُنــي العُــذّالُ في ولَهــي بكم ... وإنّـي إلى قَولِ العــواذلِ لا أَصْبُو؛
٢ وماذا عَسَى تُجدي الملامةُ في الهوى ... لِمَنْ لاَ لَه في الحُبّ جسمٌ ولا قلبُ؟

فقال السيّـد:

* يميناً بِكم ما حُلْـتُ عَنْ صدقِ ودّكم ... وتُرْبـةِ صَبْـري إنَّــي لِلْهــوى تِربُ؛
ولــولاَ هواكُمْ ما طربــتُ لِمُنشدٍ، ... ولا شاقني من ذكره الجزعُ والشّعبُ!

فقال الحسن:

٣ أحبّـايَ أنتــمْ غبتــمُ أم دَنيتُم ... وَسِيّان عنـدي منكُم البعـد والقربُ؛
٤ وحاشـاكُم أن تهجرونــي بعدمَا ... علِمتــم بأنــي مُغْــرمٌ بكمُ صَبُّ!

* ـ التُرْبة جـ تُرَب: التراب: وتُربة الانسان: قبره؛ يقسم برمس صبره. والتِرب: من ولد ونشأ معك؛ والجمع أتراب، والجزع والشعب موضعان يكثر دورانهما في الشعر الوجداني.

- ٢٠٥ -
بين شاعــرين .

وتساجلا مرةً أخرى وكان السيد « الجرموزي » البادي فقال:

مُتيَّمٌ شـفّـه السِّقـامُ تشـجيهِ إن غنـتِ الحمـامُ؛
في حَبّ ساجي الرّنا غريرٍ، في ريقِـه الشهـدُ والمدامُ؛

فقال الحسن «الهبـل »:

١ كأنّـه في الأثيـل منهُ بـدر دجـىً حفّـه الظـلامُ،
٢ أنفقْـتُ صبـري علـى هواهُ، وحظـيَ السُّهـدُ والسّقامُ؛

فقال السـيّد:

عَذبُ اللّمـى؛ كم أهيمُ فيهِ وجـداً؛ ولا ينفـعُ الهيـامُ؛
وكَمْ قَطَعْـتُ الظـلام سُهْداً حتّـى جفـا جَفنـيَ المنامُ؛

فقال الحسـن:

٣ يَمنعنـي وصلَـه لِحَيْني كأنّمـا وصلَـه حرامُ؛
٤ ولا كِتـابٌ، ولا جوابٌ، ولا سَلامٌ، ولا كَـلامُ؛

فقال السيّد:

يا قمـراً حلّ عقـد صبري فَمَـا لِسـرّي بهِ انْكتامُ؛
اللّـهَ في مُغـرمٍ عميدٍ قـد شفّـه الشـوق والغرامُ!

فقال الحسن:

٥ وكم خلّـي يلـومُ جهلاً، وكلّ من حَبَّ لا يُلامُ؛
٦ قالــتْ له مقلتــاك مهلاً لا عذل؛ فالسَّابــق الحسامُ!

فقال السـيّد:

مَلــكْتَ يا مالــكي قيادي وصــحَّ في كفِّـكَ الزّمامُ؛
فافْعَــلْ كمــا تَشتهـي فإنّي لــم أرضَ إلاّكَ والسلامُ؛

فقال الحســن:

٧) وأبــدِ لِلْحاســدين وجْهاً لـو أبصَـروا حُسْنَـهُ لَهَاموا؛
٨ ولا تُصِــخْ لِلْوشــاة، وارْفِقْ بمغــرمٍ دَمْعُــهُ سِجامُ؛

فقال السيّــد:

أفــديكَ؛ قد برّحَ الجفــا بي وقَــدْ وَهَــتْ لِلْقِلــى العِظام؛
وجُــلّ مقصــودي التّلاقي ـ أستغفــر اللهَ ـ والكلامُ!

فقال الحسـن:

٩ حَمّلْتنِــي في هواك ما لا يَقْــوَى علــى حملِـه شَمَامُ،
١٠ وأمّــل العاذلــون صبري؛ يا بُعْــد ما أمّلــوا وراموا؛

فقال السيّد:

مــا بعْــدَ المــوتَ قِلٌّ وجْدٍ عنّــي، ولَـمْ يَنْقُصِ الغرامُ؛
* لكنّنــي قد خفيتُ سقْماً عنــه؛ فلـم يَلْقنــي الحمام!

---

* في كلّ من « ن » و « ف » : « عنّي فلم يلقني الحمامُ » والذي أحفظه ما أثبتّه .

فقال الحَسن:

١١ وفاتــر الطَّــرف ليس يُرْعَى لــديه عهــدٌ ولا ذِمامُ؛
١٢ بعًــدَهُ الحاســدونَ عنّي؛ فَوصْلُــهُ قَطّ لا يُرامُ. !

فقال السيّد:

أغــرّ حلْــو اللَّمــى رقيقٌ لِلْبــدرِ مِن حُسْنــه التمامُ؛
يحــقّ لي أنْ أهيمَ فيهِ؛ وحُــقّ في مثله الهيامُ

فقال الحسـن :

١٣ ألحاظُهُ كالسّهــامِ فِعلاً بَــلْ فوقَ ما تفعــلُ السّهامُ
١٤ وقــدُّه كالقَضيب ليناً؛ بــل دونَــهُ السّمــرُ والبشامُ؛

فقال السيّد « الجرموزي »:

مُهَفهفٌ حسنُــه بديعٌ يقصُــرُ عَن وصفِــه النظامُ،
في صفحــة الخــدّ منه راحُ، و«خالــه» مِسْــكُه ختام. ؛

- ٢٠٦ -

صباح الخير . .

وقـال :

١	وروضــةٍ باكرتُهـا زائراً	واللّيلُ قد أزمع للسَّيرِ؛
٢	قبّلــتُ من خيرّيها أنملاً	لطيفــة ما مسّهـا غيري؛
٣	فيا لها في الحسـنِ من روضةٍ	تصبّـحُ الزّائـر بالخير ـ ي!



٣ ـ في هامش « ف » : الخيري ، مجموع الأزاهير ، وفي هامش « ن » إنه من أسماء زهر المنشور ، وفي «المنجد» «الخِيرِيّ» : «المنثور» الأصفرَ و«المنثور» الواحدة «منثورة» : نبات ذو زهرٍ ذكيّ الرائحة من فصيلة الصليبيّات ألوان زهره متنوّعة حسب أصنافه .

- ٢٠٧ -
من أيّام حدّه

وقال يصف يوماً تنزّه فيهِ الى «حدّة» من منتزهات «صنعاء» غربي المدينة :

١ يا حبـذا يومـي «بحَدّه» وبُـرودُ عَيْشـي مُستجدّهْ؛
٢ والغيمُ قد نشـرتْ يدا هُ علـى رقيق الأفـقِ بُردَهْ،
٣ وعيون نَرجسـهـا الـمراضُ تنبّهـتْ مِن بعـدِ رَقْدهْ؛
٤ والأقحـوانُ غُصـونُـه نحـو الحدائـق مُستمدّه؛
٥ وزهـوره تحـكي الثغـورَ مقبـلات فيه ورده؛
٦ وتـرى البنفسـجَ والشـقيـق الغضّ والريحـان عنده؛
٧ فاغنـمْ بهـا صفـو المعيشـةِ؛ فالنوائـب مستعدّهْ!
٨ صفـو المعـاشِ كمـا علمتَ مـن العـواري المسـتردّهْ؛
٩ فَـالْعيشُ مُقْتبـلُ الصِّبَا والعُمـرُ لَمْ يَبْلُـغْ أَشُدَّهْ.

---

٦ ـ شقائق النعمان : زهور ذات لون أحمر .
٩ ـ مُقْتَبل الصِّبا : عنفوان الشباب. وبلغ فلان أشُدَّه : أي قوته ورشده ؛ وهو ما بين ثمانية عشرة إلى ثلاثين سنة .

- ٢٠٨ -
منتزه «حدّه»

وقال في مدح «حدّه» وتفضيلها :

١ ومشبّبٍ «بالرَّقْمتين ، و«حاجرٍ» ، و«برامةٍ» ؛ دَعْني وما لا أعرفُ ؛
٢ شبّب «بحدّه» ؛ أو فَدَعْ فهي التي أَضْحتْ بأنواع المحاسِنِ تُوصفُ .
٣ من أينَ تَلْقى مثل «حدة» أنْبِني هيهات ؛ مِثْلُ جَمالِها لا يُعرفُ !
٤ ما شِعْب «بوان» النضير نظيرُها ، في الحُسْنِ لو أنّ المخالِفَ يُنصفُ ؛
٥ و«الصُّغد» يوماً لو حكاها بَهجةً نادتْه حَسْبك أيها المتكلّف ،

ومنها

٦ وتَرى «حُمَيساً» في مجاريه لَهُ ما بينَ مُنْعَطِفِ الغُصون تَعطُّفُ ؛
٧ يَنْسابُ في الروضِ انْسيابَ أَراقمٍ أو مثل ما سُلّ الحُسَامُ المرهَفُ ،
٨ نَظَمَ الرَّبيعَ بها بديعَ زهورها ؛ فموشّعٌ ، ومُدَبَّجٌ ، ومُفَوّفُ .

---

١ ـ الرقمتين وحاجر ، ورامة ـ كما سبق ـ مواضع يكثر ورودها في الشعر العاطفي .
٤ ـ ٥ ـ شِعْب بوّان ، والصُّغد : موضعان في فارس ، وسمرقند ، مشهوران ، وقد قالوا : «منتزهات الدنيا ـ أو جنانها ـ أربعة مواضع : غوطة دمشق ، وصُغد سمرقند وشِعب بوان ، ونهر الأبلّه
٦ ـ «حُمَيْس» نهر حدّة المشهور .
٨ ـ موشّع : موشّى ذو رقوم ، مدبّج : مزيّن . مفوّف : ملوّن

- ٢٠٩ -
«حدّه» و«سناع»؛ *

ووجدتُ له رحمه الله بيتاً مفرداً وهو:

١ سِرْ بنا نَحْو «حـدةٍ» و«سناعٍ» والإكامِ الّتي بسفح «القاعِ».

فَذيّلتُه بقولي:

حيث روض الصّبا أريضٌ، وغُصْن اللّهو رطبٌ، وشملُنا في اجتماعٍ؛**
وكؤوس السرورِ بين النّدامى دائراتٍ من كفّ ذات قِناعٍ،
واغتنم لذّة التصابي فأيّا م التّداني سريعة الانْقطاعِ،

---

* «حَدّة» و«سَنَاع»: منتزهان مشهوران جنوب غربي «صنعاء».

** روضٍ أريض: كثير العشب حسن المنظر.

- ٢١٠ -
شعـوب *

وقال وقد خرج إلى «روضة» حاتم، وصادف نزول سَيلٍ في «بـاب شعـوب» فزع منـه مركوبه على حين غفلةٍ منه فكاد أن يقعَ عنه؛ والنّصف الأخير من البيت الثاني لأبـي الـطيب المتنـبي:

١	أرى الروضـةَ الغنــاء لولا «شعوبُها»	حوتْ مِن معاني الحُسنِ كلَّ غريبِ؛
٢	يهـون لعمـري ترك «صنعــا» لأجلها	«وصبـر الفتــى لولا لِقــاء شَعوب»!



* شعوب : الوادي الذي يصاقب « صنعاء » من الجهة الشمالية ، ومنه الطريق إلى « الروضة » التي هي أشهر منتزهات «صنعاء».

٢ ـ صدر البيت: « : ولا فضل فيها لِلشجاعة والندى»؛ وشَعوب من اسماء المنيّة.

- ٢١١ -
العفـــاف:

وقال في «العفاف» الذي لَبِسَ منه أيّ بردٍ ضاف ، وكرع في حوضه الصّافِ:

١	ما زلــتُ عن درن الدنــايا صائناً	عِرضـــاً غدا كالجوهــرِ الشفّافِ؛
٢	فإذا جرى مَرَحــاً بميدان الصِّبا	مُهْــرُ الهَــوى ألجمتــهُ بعَفافي؛
٣	وإذا همُــو وصفــوا محاسِــنَ شادنٍ	مُستكمــلٍ لِمَحاسِــنِ الأوصافِ؛
٤	أبــديتُ فيه من النَّسيب غرائباً،	ووصفــتُ منــه ما عدا الأردافِ.

---

١ ـ الدرن: الوسخ . الشفّاف: الرقيق الصافي الذي يظْهِر ما وراءه.
٢ ـ المُهْرُ: ولد الفرس.
٣ ـ الشادن: إذا أطلق فهو ولد الظبية ، وهو يكنى به عن الغانية الحسناء.
٤ ـ النسيب: شعر التشبيب والغزل الرقيق في النساء.

- ٢١٢ -
صناعـــة وفن

وقال وهما آخر ما قال في باب الغزل فيما أعلم:

١ تغزّلــتُ حتّــى قيلَ إني عاشقٌ وَشَبّبْــتُ حتــى قيل فاقــد أوطانِ !

٢ ومــا بي من عشــقٍ وفقــد؛ وإنّما أتيتِ منَ الشعــر البــديع بأفنانِ.



الباب الرابع

فيما دار بينه « رضوان الله تعالى عليه » وبين أدباء زمانه وجملة إخوانه، من المدح والمكاتبة



- ٢١٣ -
دارت على بابه الدّوائر

قال؛ وقد استدعاه القاضي العلاّمة الأديب عز الدين محمد بن ابراهيم السحولي[٢٣] خطيب صنعاء إلى منزله المعروف بالسَّعْدية «عدني» مدينة صنعاء؛ وكان حينئذٍ مشغولاً بإصلاح باب بيته إذ صار ينفتح بكلّ مفتاح! وهذان البيتان من أول ما ظهر من شعره:

١ لم أستطعْ نحوكم خروجاً فكن أخا المكرمات عاذِر؛
٢ لأنّني قد سكنتُ بيتاً دارتْ على بابه الدوائرْ!

فأجاب عليه القاضي محمد عافاه الله بأبيات أولها:

شعرك يا بن الكرام أضحى ما بيننا في الديار دائرْ
ولم أكن شاعراً بأن «النبية» كابن النبية «شاعِرْ»!

(٢٣) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

- ٢١٤ -

ناعط *

وقال وقد بات ليلةً في ناعط ـ من بلَد «الصَّيد» وفيه مآثر حمريّه وكان صحبة مولانا أميرِ المؤمنين: المتوكل على الله «اسماعيل»؛ واتفق أنّه وقع في تلك اللّيلة بردُ عظيم، ورياح شديدة يعجز البليغ عن وصف شدتها؛ وذلك في شهر جمادي الأخرى سنة أربع وسبعين وألف (١٠٧٤ هـ) وضمن فيها بيتي «أبي الطيب»: «في ليلةٍ من جمادي» والبيت الذي يليه: **

١	الحمد للّه؛ نلنا السؤلَ والأربا	وأذْهَبَ اللهُ عنّا الهمَّ والنّصبا؛
٢	بالْعَودِ من «ناعطٍ» لا كان من بلدٍ	نِلنا العناء به والهمَّ والكُربا؛
٣	متى أرى «ناعطاً» دونَ البلادِ وقد	أذكى سَنا البرق في أحشائِها لَهَبا
٤	لا ينظر المرؤ منهُ قَصْدَ ناحيةٍ	إلاّ رأى منه أو من أهلِه عَجَبا؛
٥	قومٌ لَهُمْ خلَقٌ تَشْقى العيونُ بها	سودُ المعارف؛ لا عُجْماً ولا عربا؛
٦	وقد وجدتَ مكانَ القول ذا سعةٍ	فقُلْ بما شِئتَ؛ لا زوراً ولا كَذبا؛
٧	وَقِفْ أبثكَ بَعضاً مِنْ عجائبه،	واسْمعْ فعندي منهُ لِلسَّميع نبا،
٨	جُزنا به والشِّتا مُلْقٍ كلاكِلَهُ،	والبردُ من فوقه قد شقّق الحُجُبا؛

* ـ أورد جامع الديوان في «ف» ديباجة طويلة لهذه القصيدة رقم ـ ٢١٤ ـ وجدها بخط الشاعر صاحب الديوان يصف الرحلة وما جرى فيها وأورد قصيدة الشاعر أحمد بن صالح بن أبي الرجال كاملةً وأثنى عليها ورضيَ بحكمها وسنوردها ضمن ما عثرنا عليه من رسائل «الهبل» في آخر الديوان انشاء الله.

** ـ لا يوجد هذان البيتان في ديوان المتنبّي المطبوع «شرح البرقوقي» والموجود فيه على هذا الروي قصيدة مطلعها: «دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا» ص ـ ٢٣٧ ـ . وثلاثة أبيات في ص ـ ٢٧٣ ـ جـ ـ ١ ـ ولدي نسخة من ديوان المتنبي خطية كتبت سنة ١١٤١ هـ ليس فيها هذان البيتان أيضاً ولكن فيها قصائد لا توجد في الديوان المطبوع وهذا يدل على أن هناك شعر للمتنبي لم يطبع بعد . وقد أخفته الأهواء.

٥ ـ الخِلقة: الهيئة والشكل والجمع خِلق . المعارف: الوجوه، والواحد؛ مَعْرَف.

٩ «في ليلةٍ من جمادى ذات أنديةٍ ... لا ينظر المرؤ من ظلمائها الطُّنبا»؛

١٠ «لا يَنْبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتّى يلفّ على خيشومِهِ الذّنَبا»!

١١ قد نشّر الجوُّ رايات الرّياح بهِ، ... وأرسَل القُرّ فيهِ عَسْكراً لجبا؛

١٢ وشنَّ غاراته حتّى أثار به ... حرباً ضروساً تثير الويلَ والحَرَبا؛

١٣ وغيّم النّقعُ مِن ركضِ الرياح بهِ، ... حتّى تقنّع منه الجوّ وانتقبا؛

١٤ واسْتقبَلَتْ خيَم الأَجناد جاهدة ... في كَسْرِ كل عمودٍ كان مُنتصبا

١٥ وأطفأتْ كلّ نارٍ في الخيام فلَو ... أن الجحيمَ يلاقي بردَها لَخَبا؛

١٦ والخيلُ خاشعةُ الأَبصارِ خاضعةٌ ... لا تستطيع لما قد نالَها هَرَبا؛

١٧ ما يَطْرحُونَ لها في الأرض من عَلَفٍ ... إلاّ وراحَ بأيدي الريح مُنْتَهَبَا؛

١٨ وكلُّ شخص صريعٌ لا يطيقُ قوى، ... قد لَفّت الريحُ منه الرأسَ والرّكبَا؛

١٩ أمّا الطّعامَ فمثل الماءِ في عَدمٍ ... لا نَستطيعُ له في حالةٍ طلبا؛

٢٠ ظللتُ أبكي «ربيعاً» في جوانبهِ، ... حزناً وأنشدُ في أرجائِه «رجَبَا»

٢١ وقلتُ للرّكْب هبّوا لاَ أبا لكُم ... قد جاء ما وعَد الرحمن، واقتربا . . !

٢٢ فاسمعْ لِشيءٍ يسيرٍ من عجائب لا ... تُحْصَى، ومن يدّعي حصراً فقد كذبا .

* وأجاب عنها القاضي شمس الدين أحمد بن صالح[٢٤] بن محمد بن أبي الرجال بقصيدة أوّلها:

يا مَن صَبا حين هبّت في السَّحيرِ صَبا ... ما أنتَ أولُ قلْبٍ للنَّسيم صَبا؛

ومنها:

فقل لنَجل علي أنت يا ولدي ... وافقتَ يوماً بموج الريح مضطربا.

---

(٢٤) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

٩ ـ ذات أندية: ذات أمطار؛ والمفرد: ندى. والطنب: حبل طويل يشدّ به سرادق البيت.

١٠ ـ الخيشوم: الأنف.

١١ ـ القرّ: البرد. واللّجبُ: ذو الجلبة والكثرة.

١٢ ـ الحرب الضروس: الحاطمة المهلكة . والحَرَبُ: الهلاك.

١٥ ـ خبَا: خمد.

* أورد جامع الديوان في «ف» قصيدة ابن أبي الرجال كاملة وعدد أبياتها ـ ٥٢ ـ بيتاً فاخر فيها بحمير وملوكها، وأمجاد اليمن قديماً ومواقفهم في «صفّين» الخ.

- ٢١٥ -
اعتذار بالرَّمد

وكتب إلى القاضي العلامة صفيّ الدين أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال وقد وصل من «ضوران» يعتذر عن الوصول إليه للسلام برمدٍ كان في عينيه:

١ مجيئــكَ يا صدر الأفاضــل نعمةٌ … لِخَالِقنــا في مثلهــا نُكْثِــر الحمدا؛
٢ ولــو أنني أســطيع سعياً إليكُم … سـعيتُ على عينـي ولكنّهـا رَمْدا!
٣ لقد أنكرتْ طعـمَ الهـدوِ فَصِرت مُذْ … ثـلاث ليالٍ لا أقــرّ ولا أهدا؛
٤ جَعَلْنَ علـى إنســان عينـي غشاوةً … وصيّرن ما بينـي وبين الــورى سُدا؛
٥ وأهــدِ إلــى العبــدِ الدعــاء فإنّه … إلى صاحب الآلام أحســن ما يُهدَى!
٦ عليك من الله العَلــي تحيّــة … تفوحُ فيحكي نشرها المسك والنَّدا.

- ٢١٦ -

أكرومةٌ بِكــر

وكتب إليه كتابا يستشفع به في حاجة له وجاء في أثنائه:

١	يا أيّهــا القاضــي الّذي	نعمــاؤه لا تُجْحَدُ؛
٢	حاشــا لمثلك أنَّه	عــن نَصْــرِ مثلــي يرقدُ،
٣	ولقــد قصدتــك والفتى	مــن لِلمــكارم يُقْصَدُ!
٤	وغدوتُ لاسْمِــك رافعاً	عنــد النِّــدا؛ يا أحمدُ؛
٥	لمّــا علمــتُ بأنــكَ العَــلَــمُ	المنــادَى المفردُ؛
٦	فــانهضْ لَهــا أكْرومةً	بــكراً عليهــا يُحسَدُ؛
٧	كم مِن يدٍ لكَ في الورى	غــرّاء تتبَعُهــا يدُ؛

٦- الأُكرومة: فعل الكرم

- ٢١٧ -
لزوميّة

وجاء في أثناء الكتاب أيضاً: [وفيها لزوم ما لا يلزم]

١ أبا حَسَنٍ أنتَ المُرَجّى لَها فهلْ ... لِمَوعِدِ آمالي لَديكَ نَجازُ . ؟

٢ فأنتَ المجلّي في الكرامِ حقيقَةً ... وغيركَ يابن الأكرمين مَجَازُ ؛

٣ لَطَالَ ورُودي ذلكَ البحر ظامياً ... فَأُمنَعُ مِنْ دُونِ الورى وأجَاز !

٤ وغَيْرِيْ عَلَى رَغْمي يَروحُ ويغتدي ... بِما دُون أشعاري هُناك يُجاز ! .

---

٢ ـ المجاز في علم المعاني والبيان : ما يقابل الحقيقة ؛ أي اللفظ المنقول من معناه الى معنى يلابسه .
٣ ـ أجازُ: يغضى عنّي.
٤ ـ يجُازُ: يُعطى الجائزة.

- ٢١٨ -
بعض ما أجـد

وقال في صدر كتاب

١ الآنَ؛ حين انتَهى السّلْوانُ والجلدُ؟ فَقَصّروا أَقْصروا في الهجرِ،واقْتَصِدُوا؛

٢ قلتُم: حملْنا غراماً لا تطيق لَهُ جبالُ «رضوى» ولا يقوى له «أُحدُ»؛

٣ هذا وما وجدتْ يوماً جوانحكم مِن الصَّبابةِ إلاً بعض ما أجدُ!

٤ ولا أَثار الجوى ناراً بأضْلعكم؛ وفي ضلوعي لظى الأَشواق تتّقِدُ؛

٥ ولا جَفَا النّومُ مِنْ بَعْدي نواظرَكم؛ وناظري بعدكم أودَى به السَّهَدُ،

٦ ولا جرَتْ لِلنّوى يوماً مَدامعكم؛ ومِدمعي أبداً في الخَدِّ يَطّردُ !

٧ فكيفَ حالي؛ ووجْدي كلّ آونةٍ يمدّ شوقي؛ وصبري ما لَه مَدَدُ؟

---

١ - قصّرْ، وأقصر: ضدّ طوّل وأطال.
٢ - «رضوى» و«أحد» جبلان معروفان.
٦ - في «ن»: «في الخد مطّرد».

- ٢١٩ -

نأيتمُ فنأى السّلوان ؛

وقال في صدر كتاب:

١ فِيمَ الجفا؟ وعَلامَ الصدُّ والمَلَلُ؟ … ما بَالُهَا انْقَطَعتْ ما بيْنَنا الرسلُ؟

٢ شتان ما بيننا في الحُب؛ حَظّكُم … مني الوفاء؛ وحظّي منكُم المللُ!

٣ قال الحواسدُ إنّي قد سَلوتُكمُ … يا كذْب ما ذكروا عنّي وما نقلوا؛

٤ لا فُزْتُ يا سادتي مِنكُم بِعَطْفِ رضًى … إن كان لي عنكُم من بعدكم بَدَلُ. !

٥ ولا أرى الله طرفي غُرَّ أوجهكُم؛ … إن كانَ بعدكم بالنوم يكتَحِلُ؛

٦ ولا بلغتُ مرادي من وصالِكُم؛ … إن كانَ يلوي فؤادي عنكُم عَذَلُ؛

٧ نأيتُمُ فنأى السّلوان، واتّسعَتْ … أبوابُ صبري حتّى ضاقتِ الحِيَلُ؛

٨ وكان ظنّي بكم قبل النّوى حسناً؛ … حتّى نأيتم فخابَ الظنّ والأملُ؛

٩ حملتُ فوق الذي أقوى وكنت فتىً؛ … لا ناقةٌ ليَ في هذا ولا جملُ،

١٠ والْهَجْر يفعلُ في الأحشاء لاعجُه … ما ليسَ تفعلُه العسّالةُ الذّبلُ؛

١١ وقد أتيتُ بوصفِ الشوق مختصراً، … وعند مالكي التَّفصيل والجملُ،

١٢ وموجبُ العَتْب أنّي صرتُ مُذْ زَمنٍ … ما جاءني منكُم كتبٌ ولا رُسلُ.

---

٣ ـ في «ف»: «قال العواذل».

٦ ـ العَذَل: الملامة.

١٠ ـ اللاعج: المحرق.

- ٢٢٠ -

يا ناقِضاً عقد عهدي

وقال في صدر كتاب:

١ نقضتَ بعد النّوى عهدي وميثاقي ونمتُ عن نارِ أشجاني وأشواقي،
٢ وكنتَ لي خيرَ مصحوبٍ؛ فعدْت مَعَ الأيّام تجهدُ في ضيمي وإرهاقي!
٣ فَمَنْ لِنارِ اشتياقٍ أنتَ مُضرمُها وجداً، وداء فراقٍ ما له راقِ؟
٤ أظنّ إن بعادي عنك غيرً ما.. عهدتُ من شيمٍ غُرٍّ وأخلاقِ؛
٥ يا ناقضاً عقد عهدي إنّني أبداً مَهْما بقيتُ على عهد الهوى باقي؛
٦ الله في كبدٍ حنّتْ إليك فلَوْ قدرتُ أودعتُها كتبي وأوراقي؛
٧ وفي فؤادٍ بسيف البين منصدعٍ قامتْ حروبُ الهوى فيه على ساقِ
٨ لا شِمْتُ بارقَ قُربٍ منكَ إن طَعِمْتَ إلى رجوعك؛ طعمَ النَّوم أحداقي؛
٩ ولا حَظِيتُ بوصْلٍ إن صحبتُ سوى شوقٍ ودمعٍ على الخدّين مهْراقِ!
١٠ أمّا وقد غبت عنّي لا أراع إذاً مِن الزّمان لإرعادٍ وإبراقِ؛
١١ فلْيصْنَعِ الدّهر ما شاءتْ نوائبُهُ فما عساني مِن بعد النوى لاقي؟

---

٢ - في «ن»: «وإزهاقي».
٧ - قامت الحرب على ساق: اشتدت.

- ٢٢١ -

ميّزتم الحالا !

وقال في صدر كتــاب:

١	يقبّــل الأرضَ إعظامــاً، وإجْلالَا	صبٌّ تَحمَّلَ مِن هجرانِكمْ؛ مَالا . . .
٢	أنكرتُــمُ حالَــهُ مِن بعــد مَعْرفةٍ	بــهِ، وكيفَ وقَــدْ «مَيّزتُــم» الحَالاَ . .
٣	يُخْفِي الأَسَى ولسـان السّقـم يُظْهرُه،	والدَّمـعُ يضربــه في النّــاسِ أمثالاَ؛
٤	اللهَ في مغــرمٍ أنْحَلْتمــوهُ أسىً،	مــا حَافَ عن ودكم يومــاً ولا حالا؛
٥	ما زالَ ينــدبُ مُذْ زُمّــتْ ركائبُكم	مَنَــازِلاً أقفــرتْ منــكم وأطْلالا؛

---

١ ـ «من هجرانكم مالا . .»، أي ما لا يستطيع حمله

٢ « التّمييز» ـ كما عرفه ابن عقيل: «كل إسم نكرة متضمّن معنى «مِن» لبيان ما قبله من اجمال نحو طاب زيدٌ نفساً. والحال: الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة نحو: فرداً أذهب» وميّز الشيء : فرزه عن غيره.

٥ ـ زمّت ركائبكم : خطِمَتْ بقصد السفر

- ٢٢٢ -

أَفراط الهَجْر

وقال في صدر كتـــاب:

١	يا هاجـرين؛ ولا ذَنــبٌ ولا سببٌ	ترفّقــوا بفُــؤادٍ ليسَ يَحْتَمِلُ؛
٢	حَمَّلْتمونِــي من أَفْــراطِ هَجْرِكُم	مــا لَيسَ يحملُــه سهــلٌ ولا جَبلُ؛
٣	لأن جَفوتــمْ فَبــابُ العــذر مُتّسِعٌ،	وإن قَطَعتُــم فحبــلُ الــودِّ مُتّصِلُ!
٤	أليسَ من عَجَـبٍ أنّــي أبثّكُم	شوقـي وعنــدكم التّفصيلُ والجُمَلُ؟

٢ ـ الأفراط: جمع فَرْطٍ. والفرط: اسمٌ من الأَفراط: أي مجاوزة الحسد

٤ ـ في: «ن» «اني ابثَ لكم».

- ٢٢٣ -
وألجأتني تصاريف الزّمان

وقال في أثناءِ كتاب إلى بعض الأمراء:

١ وألجأتنـي تصـاريفُ الزّمـان إلى ... جميلِ رأيِكَ والمعروف من شيمِكْ؛

٢ ولا وسيلـة لي أُدْلـي إليك بها ... إلا رَجائـي وتعويلـي على كرمِكْ؛

٣ حاشـاك يا كعبـةَ المعـروفِ أن فتىً ... يخشى الزّمان وقد وافى إلى حرمِكْ؛

٤ لا غرو؛ أنّـا وجدنـا كلّ مكرمةٍ ... تُـروَى لِسيفـك أو تُعـزَا إلى قَلَمِكْ.

---

١ ـ لا توجد هذه الأبيات رقم ـ ٢٢٣ ـ في « ف »
٤ ـ لا غرو: لا عجب، وتعزا: تُنْسَبُ.

- ٢٢٤ -

وليس الدّموع دليل الفجوع

وقال في صدر كتاب:

١ أيا من تجرّعتُ من فُقده كؤوساً من الصبر مرّ المذاقِ ؛
٢ لإنْ غابَ شخصُك عن ناظري فإنْ ودادك في القلب باقي ؛
٣ وسوف قريباً يعود التمامُ لبدرِ التواصل بعدَ المحاقِ ؛!
٤ لَعلّ الذي قدّر الافتراق يمنّ قريباً لنا بالتلاقي ،
٥ وما جفّ دمعي يومَ الوداع سلوّاً ، ولا قلّ فيك اشتياقي ؛
٦ ولكِنْ بكيتُ لِخَوفِ الفراق فأفْنيته قبل يوم الفِراقِ ،
٧ وليس الدموعُ دليل الفجوع . . . . ولو أنهنّ جرحْنَ المآقي ؛
٨ فربّ امْرِىءٍ دمعُه فايضٌ ، ولكنّه فائضٌ عن نِفاقِ !
٩ وذي حزنٍ قد عَصَتْهُ الدّموعُ وأحشاؤه لِلنَوى في احتراقِ .

---

٥ ـ في «ف»: «يوم الفراق».

- ٢٢٥ -
عقودٌ لا تحلُّ!

وقال في أثناء كتاب:

١ أبثّـك فرْطَ اشـتياقٍ إليْك   بـهِ ظلَّ يعذرنـي مَنْ عذلْ؛
٢ وإنّـي، وإن غبـتَ عن ناظري   علـى العَهْـدِ طول المـدى لم أزَلْ؛
٣ عقـودُ ودادكَ في خاطري   منظّمـةٌ؛ عقـدُهـا لا يُحَلّ. !



---

١ ـ في «ن»: «بها ظلّ يعذرني».
٣ ـ في «ف»: «منظمةٌ نظمها لا يُحَلّ».

- ٢٢٦ -
القلوب شواهد؛

وقالَ في أثناء كتـاب:

١ وإن تُرِدْ أن تَرَى فؤادي ومـا الَّذي فيهِ من ودادِكْ؛

٢ فانظُرْ إلى قلبِك اختْباراً، وَقِسْ فؤادي على فؤادِكْ.



- ٢٢٧ -
قَتيل التفاؤل !

وقال في أثناء كتاب:

١	ولقدْ وصفتُ البينَ قبل حصولِه	وسَلكْتُ فيهِ مَسْلكَ الشّعراءِ؛
٢	حتّى رُميتُ بدائِه لِتَفاؤلي	بوقوعِه فأَنا القتيلُ بدائي.



- ٢٢٨ -

ومن يبيع النعيم؟

وقال في أثناء كتاب:

١	واللهِ ما اخترتُ عنكَ من بدلٍ؛	ومــن يبيعُ النّعيمَ بالبُوسِ؟
٢	لكِنْ زَمــانٌ؛ وقِيتَ جفوتَه	أبدلنـــي البُــومَ بالطّواويسِ!



- ٢٢٩ -
لا خير في العيش بعدك

وقال في صدر كتاب *

١	مـــولايَ كنــتُ أودُّ الـــحـــيـــاةَ	إذ كـــنــتُ عندَكْ؛
٢	أمّــا وقـــد غبـــتَ عنّي؛	لا خيرَ في العيشِ بعدك.



* في «ف»: «وقال في «أثناء كتاب».

- ٢٣٠ -
أتيتكَ عن بعدٍ . .

وكتبَ لِصديقٍ له كتابَ شفاعة إلى القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال إلى «شهارة» جاء فيه هذان البيتان على لسان الصديق:

١ أتيتــكَ عن بُعــدٍ، وفقْــرٍ، وحاجةٍ ولــي فيك ظنٌّ أنــتَ لا شك فوقَهُ؛

٢ وإن امــرءاً وافــاكَ من بُعــدِ أرضِهِ حقيقٌ بأن يَقضــي نداك حقوقَهُ!

١ - في «ف»: «بأن يقضي لَديكَ حقوقَهُ».

- ٢٣١ -
شفاعة . !

وكتبَ لصديق له كتابَ شفاعة إلى السيّد ضياء الدين إسماعيل بن محمد بن الحسن ابن الامام المنصور بالله القاسم جاء فيهِ قولُه :

١	إليكَ ضياء الـدين واصـلَ سيرَه	لتفـريج همّ منـه ضاق به صدرا ؛
٢	تجشّم أثقالَ السُّرى يرتجي الغِنى ،	ولكنّه عنـد «الضّيا» يحمـد المسرَى !



٢ ـ « الضيا » أو « ضياء الدين » يلّقب به كل من اسمه اسماعيل . وفي المثل : « عند الصباح يحمد القوم السرى» . وتجشّم : تكلّف .

- ٢٣٢ -
مجامَله

وقال في أثناء كتاب:

١	مدحُك يابنَ الكرامِ فرضٌ	وفي سواك «المديح» «ندبُ»!
٢	قياسُ كفّيك في العطايا	بالبحر عند العقولِ كذبُ؛
٣	البحرُ يُخشى، وأنتَ تُرجَى،	والبحر مَلحٌ، وأنتَ عَذْبُ.



- ٢٣٣ -
دعــوة . . .

وكتب رحمه الله إلى السيد ضياء الدين جعفر بن المطهر الجرموزي يستدعيه إلى مجلسٍ له:

١ أمــولاي قد ضمّنــا مجلسٌ قطــوفُ السّــرور به دانيَهْ؛

٢ وليسَ يتــمّ نِظَــامُ السّرور إلاّ بحضرتــك العاليـه؛



---

١ - القطوف: الثمار المقطوفة. الواحد: قِطْف.

- ٢٣٤ -
مجلس . . .

وكتب إلى القاضي الأوحد محمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال يستدعي وصولَه إليه :

١ أنا وحدي في المكانِ لم يكنْ لي فيه ثاني؛
٢ لا كحيل الطّرفِ يسْبيكَ بقَدٍّ خيزراني ،
٣ وبطرفٍ بابِليٍّ مثلما سُلَّ اليَماني؛
٤ حاذقٌ بالسّقي للشّرْبِ ، بصيرٌ بالأغاني ،
٥ لا؛ ولا ذَاتُ دَلالٍ بنتُ ستٍّ وثمان!
٦ تتبدَّى بدر تمٍّ، وتثنّى غصن بانٍ؛
٧ لاَ؛ ولاَ حَمْراء تَنْقي الهمَّ عن كلِّ جنانٍ،
٨ بنتُ كرمٍ طالَ ما قدْ عُتِّقَتْ وسطَ الدنانِ؛
٩ قبلَ أن يبتدىءَ الخَالقُ في خلق الزّمانِ؛
١٠ خلِّ عن هذا وهذا للأعادي والشواني،
١١ ليسَ مِن شانك يا مولاي حاشاكَ وشَاني؛
١٢ كلّ هذا سوف نَلْقاهُ جميعاً في الجنانِ،
١٣ إنّما عندي ما شِئتَ من الكُتبِ الحِسانِ،
١٤ وجليسٌ حَسَنُ العِشْرةِ يُزري «بابنِ هاني؛»
١٥ فأْتِنا فرداً؛ ودَعْنا مِنْ فلانٍ، وفلانٍ؛
١٦ واغتنِمْ يومك فالدّهرُ، كثيرُ الدَّورانِ.

---

٤ ـ في «ن» : «بصيرٌ بالغواني»
١٤ ـ العِشرة : المخالطة.

- ٢٣٥ -

ولِلّه الحمــد.

وكتب كتاباً إلى «صنعاء» وصدره من «نقيل» «ابن غيلان» أدنى بلاد «نهم» عند منصرفه من الجوف من حضرة سيف الإسلام أحمد بن الحسن، وقال فيه * :

١	ولمّـا تَناسَـى سيّدي كتـبَ عبدِهِ	ولـم يأتِنَـا منـه كِتـابٌ ولا رسلُ؛
٢	أتينـاهُ نطـوي الأرضَ شوقـاً وإنّما	لنا الحـظّ في إتيانِنـا ولَـه الفضلُ؛
٣	ولِلّه أسنى الحمدَ والشـكر إذ قضَى	بـأن ضمّنا من بعـد فرقتنـا الشملُ؛

* كأن الكتاب كان موجّهاً إلى السيد الحسين بن المطهّر الجرموزي.

- ٢٣٦ -

شوقٌ أم جمر؟

وكتب إلى السيد شرف الدين الحسين بن المطهر الجرموزي كتاباً جاء فيه بعد ذكره لأخيه محمد بن المطهر:

١ وما زال مِنكم حيث حلّ ركابُنا ... فتىً ماجدٌ يجري على حكمِه الدّهرُ؛

٢ فلا زلتم آل المطهر؛ إنّما... ... بكم تُدفَعُ البلوى؛ ويُستدفع الضرُّ،

٣ ملكتُم رقابَ العالمين بجودكم، ... وإحْسَانكم؛ حتى استَوى العبد والحُرُّ!

٤ ألا في عُلاكم فلْيقُلْ كلّ قائلٍ ... ففيكم لعمري يحسنُ النظمُ والنثرُ.

وقال في أثناء هذا الكتاب:

٥ وأشكو إلى المولى جوىً عن أقلّهِ ... يضيق لعمري البرّ أجمعُ والبحرُ،

٦ أعلّل مقروحَ الفؤادِ بذكركُم ... فهل مرّ لي يوماً ببالكُم ذكرُ؟

٧ ولم أدرِ إذ زمّتْ ركائب بينِكُمْ ... وقد خانني في ذلك الموقف الصّبرُ؛

٨ أهل ما أراه الموتُ أو حادث النوى؟ ... وهل هو شوقٌ بين جنبيّ أم جمرُ؟

- ٢٣٧ -

على لسان شيعي

وقال يَسْتَشفِعُ ببعْضِ الشّيعة لِبعْضِهم:

١ جمالُ الهدى والمكرمات ومن لَهُ ... عُلىً لا يداني حصرهنّ لسانُ؛

٢ وسابقُ أربابِ المكارمِ عن يَدٍ ... إذا ضمّها يوم الفخارِ رهانُ،

٣ وشيعي آل المصطفى سادة الورى ... جميعاً؛ ومن هُم للأنام أمانُ؛

٤ وليث الوغى إن قهقرتْ أسد الشرى ... وقيل غداة الرّوع أين فلان؟

٥ يرومُ بنو العلياء شأوَكَ في العُلَى ... فأتعَبْتَهم مُذ كنتَ قَطّ وكانوا؛

٦ وما زلتَ مِقداماً لكلّ كريهةٍ ... قَرِينَاكَ فيها مُرهفٌ وسنانُ؛

٧ تجاهدُ أهلَ البغي حتّى تُخرّموا، ... فأعطوا على الرّغم القياد ودانوا؛

٨ وما زانكَ المجدُ الأثيل؛ وإنّما ... لعمري بكَ المجد الأثيلُ يُزانُ؛

٩ رجوتُكَ بعد الله فيما أهمّني، ... وأيُّ عزيزٍ قد رَجاكَ يُهانُ؟

١٠ ووجّهتُ آمالي خِماصاً لَعلّها ... تعودُ من الإحسان وهي بِطانُ؛

١١ «وفي النّفسِ حاجاتٌ وفيك فطانةٌ ... سكوتي» خطابٌ عندها وبيانُ،

١٢ ومثلكَ من يُرجَى لكلِّ عظيمةٍ، ... ومثلي عَلى ما أرتجيه يُعانُ؛

١٣ ولا زلتَ مَحْروسَ الجناب بحفْظِ مَنْ ... لهُ كلُّ حينٍ في البريّة شانُ.

---

١ ـ جمال الهدى: يطلق على كل من اسمه «علي».

٢ ـ الرهان: المخاطرة على الخيل في السباق، والمسابقة على الخيل.

١٠ ـ خمَصَه الجوع : جعله خميص البطن ، والخماص جمع خميصة : الضامرة الحشا ويقابل الخماص البطان .

١١ ـ البيت للمتنبي؛ والعجز هكذا: «سكوتي بيانٌ عندها وخطاب»

- ٢٣٨ -

بين شاعرين *

وكتب إليه أديب الزّمان وفصيح الأوان ابراهيم بن صالح المهتدي[٢٥] هذه الأبيات يطلب أوراقاً فيها شيءٌ من شعره:

أيا شرف الإسلام دُمْتَ مُشرَّفاً ... ولا زال ذا فخرٍ برتبتك الفخرُ،

ألَمْ تَرَ أنّ المجد أتلَعَ جيدَه ... لمجدِك إذ أضْحَى وأنت له صدرُ ؛ **

وأصبحَ منك الجود حَاليَ نَحْرِهِ؛ ... فَلا «مَرّ» عصر أنتَ فيه ولا دَهْرُ؛

حليتَ «أزالاً» إذ حَلَلْتَ بسوحها؛ ... ففي أنفها شِنفٌ، وفي أذنِها شذرُ؛ ***

وصُغْتَ عقود النّظمِ والنثر يافِعاً ... فعادَ إلى رَيعانه مِنهما العُمرُ،

وقلّدتَ أجياد القريض لآلِئاً؛ ... ولا عجبٌ فالدرُّ معدِنُه البَحرُ؛

وقد عَمَّ منك الجود نجداً وغورَه ... وأصبَحَ سَهْلاً مِنْ هواطِلِه الوعرُ؛

فجُد لي بهاتيك الوريقات عَاجلاً ... لأفْعَلَ فيها مثلما يفعَل الهِرُّ

ولا غرو يا مولاي إن قُرِئتْ بأن ... «تداولَ سمعَ المرء أنملُه العشرُ» ****

---

(٢٥) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

* أهمل النّاسخ أبيات الشاعر «الهندي» في نسختنا «ن» واكتفى بإيراد جواب «الهبل» وفي كل من النسختين ورد الإسم هكذا إبراهيم بن صالح المهتدي مع أن المشهور «الهندي» كما في ترجمته بالبدر الطالع للشوكاني ونشر العرف لزبارة وسأشرح السبب في ترجمته انشاء الله وفي أبيات «الهندي» ما يؤكد أن الهبل كان كريماً يجود بكل ما في حوزته، ويسعى لقضاء حاجات المحرومين ويستدين من أجل ذلك.

** أتلع : مد عنقه متطاولاً.

*** الشنف: ما علق في الأذن ، والشذر : قطعٌ من الذهب واللؤلؤ الصغير.

**** عجز بيتٍ للمتنبي وصدره : «وتركك في الدنيا دويًّا كأنّما»

فأجاب عليه بقوله:

١ أَشهدٌ أتاني من نظامك أم خمرٌ؟ «بفيّ برودٌ وهو في كبدي جمرُ»
٢ زواهرُ أفقٍ أم أزاهرُ روضةٍ؟ أم الدرّ هاتيك العقود أمِ السحرُ؟
٣ «طوتْ» خبرَ «الطّائيّ» حين «نشرتَها» برقّتها؛ يا حبّذا الطيُّ والنشرُ؛
٤ فيا ما أحيلاها؛ عروس بلاغةٍ تجلّت؛ فحبّاتُ القلوب لها مهرُ؛
٥ وغيداء لا ترضى النجوم قلائداً؛ وتأنفُ أن الشمس في أذنها شذرُ
٦ تحاكي الصّبا لطفاً، وزهر الرُّبَى شذى «وتفعلُ بالألباب ما يفعل الخمرُ»
٧ أجاد معانيها، ووشّى برودَهَا؛ فتىً ماجدٌ أضحى به يفخر الدهرُ؛
٨ رقيق حواشي النظم، والبارع الذي غدتْ غرّةً لِلدّهرِ أيامُه الغُرُّ؛
٩ تحكّم في فنِّ البلاغة فاغتدى؛ لَه في المعاني الصّعبةِ النهيُ والأمرُ؛
١٠ وكم من «عروض» قال يشهد أنّه «الخليل»، و«بحرٍ» شاهدٌ أنه «البحرُ»

---

١ ـ العجز للمتنبي وصدره: «أريقك؟ أم ماء الغمامةِ؟ أم خمْرُ»
٣ ـ الطائي: أبو تمام.
٥ ـ في «ف»: «في انفها شذر»
٦ ـ العجز تضمين

- ٢٣٩ -

لنــا أمــل

وقال في صدر كتاب إلى القاضي ضياء الدين زيد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال: *

١	أمــا لِلّيالــي المــاضيات مَعَادُ؟	فيهــدؤ قلــبٌ، أو يعــودُ رُقادُ!
٢	أمــا أدركتُ قلــبَ النوى لي رحمةٌ	فقــد طال شوقٌ مقلــقٌ وسُهادُ؟
٣	إذا رمــتُ بثَّ الشــوق يومــاً إليكُم	فما لي سوى دمعــي الهتــون مدادُ!
٤	لنــا أمــلٌ في الله جلّ جلالُه،	وللدّهــرِ فينــا مقصــدٌ ومُرادُ.

* في «ف» لم يذكر إلى من وجّه الكتاب.

- ٢٤٠ -

فبالله ألا ما مررتم على قبري . !

وقال في أثنائه :

١	وكنتُ أرى أنّي الصَّبور عَلَى النَّوَى	فَقَدْ نَقَضَتْ أيدي النوى مِرَرَ ألصَّبرِ؛
٢	فإن يَجْمَعِ اللهُ المهيمن شَمْلَنا	فذاك الَّذي أرجوه في مقبلِ العُمْرِ؛
٣	وإن حالَتِ الأَيَّامُ بَيْني وبينكم	فباللّهِ؛ ألاَ مَا مَرَرْتُم على قَبْري! .



١ - المِرُّ: الحبل. ج: مرر.

- ٢٤١ -
خمسة أبحر

وقال في أثناء كتاب إلى السيد جعفر بن المطهّر الجرموزي:

١ وأقســـمُ لو جاراكَ يحيى بن خالدٍ لأقْسَمَ ليس «الفَضْـل» إلاّ «لِجَعْفَرِ»؛

٢ فمـا البحـرُ إلاّ واحــدٌ؛ ليسَ غيره؛ وفي كلّ كفٍّ منـك خمسـةُ أبْحُرِ. . !



---

١ ـ الفضل، وجعفر من أبناء يحيى بن خالد البرمكي وكلهم مشهورون بالجود.

- ٢٤٢ -
وجدٌ وأشواق..!

وقال في أثناء كتاب:

١ غَدَاةَ نأى الصَّبـرُ الجميلُ مودِّعاً ولِلْبين إرعـادٌ علينـا وإبراقُ،

٢ يؤجّـجُ لي ناراً يُرينـي أنّها.. ومَـا هيَ إلاّ النّـارُ، وجـدٌ وأشواقُ؛



٢ ـ هكذا في الأصل والمعنى غير واضح

- ٢٤٣ -
المحاسن

وطَلَبَ منه القاضي محمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال كتاب «المحاسن» عاريةً فأرسلَه إليه مع هذين البيتين:

١ أراك خليلي لِلْمحاسنِ طَالباً وما هنّ إلاّ في ذراك قواطِنُ؛

٢ ومن أعجبِ الأشياءَ أن تَسْتَعيرها ؛ ومنك لعمري تُستعارُ المحاسِنُ!



- ٢٤٤ -

سمط اللّألَ . .

وقال في تَقْرِيض كتاب «سمط اللّآل» للسيّد الشاعر إسماعيل بن محمّد بن الحسن ابن الامام القاسم في «شعر الآل» :

١ جواهِـر أبـكارٍ يَغـارُ لِحُسنِها إذا برزَتْ عقـد الّـلآل المنظّمُ؛

٢ يشيبُ لها فود «الـوليد» لعجزهِ، ويضحى «زياد» عندها وهو «أعجَم»!

- ٢٤٥ -

[وشيُ الحريري]

وقال في أثناء التقريض:

٣ فدونـك منـهُ سفـرٌ لا يُسَامى يجـلّ عن المشابـهِ والنظيرِ؛

٤ يجـرّ علـى «البَـديع» ذيول فخرٍ، ويحفـرُ عنـده « وشي الحريري »!

- ٢٤٦ -

[ما أحسن الخِتام]

وختم التقَريض مادحاً لمؤلف الكتاب:

٥ واللّـهِ ما أخّـرهُ ربّنـا . . وهـو لأرباب المعالي إمامُ؛

٦ إلاّ لأَنْ كان ختامـاً لهم؛ لِلّـه ما أحسن هذا الختام.

---

٢ ـ الفود : الشعر الذي على جانب الرأس مما يلي الأذنين ؛ والوليد هو البحتري ، وزياد الأعجم شاعر مشهور .

٤ ـ البديع : بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات ؛ ومقامات الحريري معروفة .

- ٢٤٧ -

الغدرُ شيمة الأيـــام

وكتب إلى القاضي الأديب زيد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال وقد رأى منه تجرّماً من الدهر في يوم عيد الفطر سنة ١٠٧٥هـ :

١	أمولاي؛ لا تجـزع إذا عضـك الدَّهر	وصبـراً؛ فإن الحُـرّ شيمتُـه الصبرُ؛
٢	مَتى أبصرت عينـاك في الأرض ماجداً	أديبـاً له نهيٌ على الدَّهـر أو أمرُ ؟
٣	وكم قبلك الأيامُ قد غدرت بنا؛	ولـم تزل الأيام شيمتُها الغدرُ؛
٤	وأغـرى بنـا الدَّهـرُ الخؤونُ صروفَه،	ومـا نحــنُ إلاّ قطـرةٌ منـك يا بحرُ!
٥	وإذ فُتنَّا سبقـاً إلـى غاية العُلَى؛	فأجـدرُ مِنّـا أن يحاربـك الدَّهرُ

- ٢٤٨ -

رجل الدّنيا . . !*

وقال القاضي زيد بن صالح بن أبي الرجال قصيدة يتجرم بها من الزمان وأرسل بها إليه وهي:

أمــلٌ بهــذا الدهــرِ خائبْ ما إن قضيتُ به المآربْ؛
وحســامُ عزمٍ باتِرٌ مــا إن بلَغــتُ به المطالِبْ؛
سَيْفــي يكلُّ عن الضرا ب به، وسَهْمِــي غير صائبْ!
كم ذَا أشاهــدُ في الزّمانِ من النّــوادرِ والعجائب؛
كلــبٌ يســودُ على الأُسودِ؛ ويرتقــي أعلــى المراتبْ!
ويَظــلّ يُخْــدَم تائِهاً؛ واللّيْثُ مضطهــدُ الجوانبْ؛
يا دهــرُ ويحــك كم تجورُ ،وكم تُهــدّدُ بالنّوائبْ. !؟
وإلامَ ترشقنــي سِهامــكَ بالمكائــدِ والمصائب؟
لا غَروَ إنْ فقــد الوفاءُ مــن الأباعــدِ والأقاربْ؛
فلــكَمْ رجــوتُ بذي إخاً صِدقَ العهودِ فكانَ كاذبْ!
**ولــكمْ وكمْ أمــلِ غدا منّــي به قد عاد خائبْ؛
كم ذا الإِســاءَةَ يا زمانُ ؛ أمــا تخــاف؟ أمــا تراقِبْ؟

فلمّا وقف الحسن عليها قال مجيباً :

١ مــولاي؛ صبــراً لِلْقضا؛ فَالصّبــرُ محمــودُ العواقبْ؛

* لم يورد الناسخ في «ن» من قصيدة زيد بن أبي الرجال إلاّ المطلع أما في «ف» فقد قدّم لها بديباجة ثناءٍ على صاحبها وأوردها كما نقلناها؛ وقد ورد صدر البيت في «ن» أملُ بهذا الدهر غائب تصحيفاً.

** في الأصل «ف»: «قد عاد غائبْ». تصحيفاً.

٢ إنّ الزّمانَ - وأنت أدْرى بالزّمانِ - أبو العَجائبْ؛

٣ يضعُ العَزيزَ، ويرفعُ النّذلَ الخسيسَ على الكواكِبْ؛

٤ ونوائبُ الأيّامِ عَنْ بيض الظُّبَى أبداً «نَوائِبْ»!

٥ وإذا أعانَ كمالُكَ الدَّهرَ الخؤونَ؛ فمَنْ تُحَارِبْ؟

٦ إنّ الكمالَ لَقَلّ ما... تَصْفو لِصاحبِه المشَارِبْ؛

٧ تاللّهِ؛ لا يَلقى المُنَى، وينالُ غايات الرَّغائبْ؛

٨ ويسودُ أربابَ المكارمِ؛ حاضِراً مِنهمْ وغائبْ؛

٩ ويفوتُ طالبَه ويُدْرِكُ حينَ يطلبُ كلَّ هاربْ؛

١٠ إلاّ فتىً ماضِي العزيمةِ، لا يفكّر في العواقبْ!

١١ كالسَّيفِ قد صقلَتْ صَفيحةَ عزمِه أيدي التجاربْ؛

١٢ يُبدي من الآراء نجْماً في بهيم الخطبِ ثاقب؛

١٣ ويمدّ للرّاجين كفّاً؛ لا تُدانيه السحائبُ؛

١٤ ويقدّ هاماتِ اللّيوث بصارمٍ عَضْبِ المضارب،

١٥ أبدا يجوبُ الأَرض في طَلب العُلى مَعَ كلّ جائب. !

١٦ يَعلو أَموناً جَسْرَةً يَفْري بها مُهجَ السّباسبْ؛

١٧ تسمو به نَفسٌ عِصَا مِيَةٌ؛ إلى أعلَى المراتب؛

١٨ ظَامي الفؤادِ إلى الطِّراد، على المطهّمَةِ السَّلاهِبْ،

١٩ ما انفكّ في صَهَواتِها كاللَّيثِ؛ مَطلوباً، وطالِبْ،

٢٠ يَلقَى العدَى بعزيمةٍ تَعنو لها البيض القواضبْ؛

٢١ في كفّه مُتلهّب الصّفحات، مشحوذُ الجوانبْ،

---

٤ - في « ن » : « ونوائب الأزمان » . ونوائب الأيّام : مصائبها ونوازلها والظُّبى الواحدة ظُبَه؛ وهي حدّ السيف أو السنان والنوائب واحدتها نائبة مؤنث نائب؛ وهو من يقوم مقام غيره.

١١ - في «ن» : «صحيفة عزمه» وهو تصحيف.

١٤ - العضب: القاطع

١٦ - الأمون: الناقة المأمونة العثار، والجسرة من الابل: العظيمة.

١٨ - المطهّم: التام الحسن، والسّلهب: الطويل

٢٢ كالبـرقِ يُعْجِـبُ صورةً. . لكنَّـه لِلْحتْفِ جالبْ. !

٢٣ ومثقّفٌ ماضـي السِّنانِ لأَنفُسِ الأَبطـال سالِبْ؛

٢٤ ويراعَـةٌ تأتيكَ مِنْ طُـرفِ البراعـةِ بالغرائبْ.



---

٢٢ ـ في «ف»: «لِلحتفِ طالبْ». والحتف: الموت.

٢٤ ـ اليراعة: القلم. وطُرف البراعة: مُلَح التفوّق بلاغة وفصاحة.

- ٢٤٩ -
هدية مداد

وكتبَ إليه أيضاً مع مِدادٍ أهداه له :

١	يا أخـا السـؤددِ والمجــدِ،	ويا زاكي النِّجــارِ؛
٢	هــاكَهُ «أسـود» لا يَبْرحُ	في الخدمـةِ جــاري؛
٣	«كاتــبٌ» بالفِعْـلِ لكن . .	لونُـه الأسـودُ «قاري»
٤	يكتفــي بالمــاءِ مَهْمَـا	مَسَّـهُ حَرُّ الأُوارِ،
٥	قــد حكى أوجُـهَ حُسَّا	دِكَ في يومِ فخــارِ؛
٦	أبصــرَتْ منــكَ «ارتفاعاً»	فانْثَنَــتْ ذاتَ «انكِسَارِ»!
٧	طَالَمـا من غير ذَنْبٍ	حَبَسـوهُ في القواري. . .ر!
٨	فلَـكمْ يومٍ تمنَّى	وهــو في قيد الإسارِ؛
٩	وَصْـلَ خمسٍ منــكَ قد أزرت	- نوالاً - بالبحارِ،
١٠	لــم يزلْ لِلْقــرب منها	في ارتقــابٍ، وانتظارِ،
١١	فإذاً ؛ قد نَالَ مِنْها . .	باقــتــراحٍ واختيــارِ،
١٢	فابــق سامــي المرتَقَــى دَاني المنــى،	عالــي المنــار.

---

١ ـ زاكي النجار : طيّب الأصل .
٣ ـ القار والقير: شيء أسود يُطْلَى به السّفن والأبل؛ أو هما : الزّفت.
٤ ـ الأوار: حرّ النّار والشمس.
٩ ـ أراد بالخمس: الأصابع.

- ٢٥٠ -
استخـدام

وقال في أثناء كتاب إلى أحد الكتّاب وفيه « الاستخدام »:

١	صرفتَ لِسبكِ النّظم والنثر همّةً	تُرينا بها ما يَسْحَرُ الفِكرَ حُسْنُهُ؛
٢	وأضحَتْ سماء الملكِ منك منيرةً؛	فأنتَ «سنَاءالملكِ» قُلْ لي؟ أم «ابنُهُ»؟



٢ ـ ابن سناء الملك: هو القاضي هبة الله الشاعر المصري المشهور.

- ٢٥١ -
كاتب

وقال: في كِتاب إلى بعض الكتّاب:

١ لكَ القَلَم الأَعلَى الّذي إن سلَلْتَهُ تخافُ سيوف الهندِ سطوة باسِهِ؛

٢ يُجلّك أنْ يمشي لديكَ برجلِهِ.. ولكنَّه يمشي علَىَ أمِّ رأسِهِ!



---

٢ - أم كلّ شيء أصله؛ وأم الرأس: الدماغ أو الجلدة الرقيقة التي عليها.

- ٢٥٢ -
هل أتى؟

وأسمعني يوماً قوله في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

١ يا مُنكراً فَضْلَ بني «أحمدٍ» كُنْ لِلّذي تَسْمعُهُ مُنْصِتا؛
٢ هَلْ خاتمُ الرّسْلِ سِوى جدِّهم؟ أَمْ هَلْ أتى في غيرِهمْ «هَلْ أَتى»؟

فأسمعتُه بعد أيام قصيدة في أمير المؤمنين «علي» الوصيّ كرم الله وجهه ومنها:

هات باللّهِ هَلْ أتى في سواه «هَلْ أتى» من لدى العزيز العلِيّ؟

فتوهّم أني أخذت عليه هذه اللطيفة وانّه لم يسبقه اليها أحد فكتب إلي مداعباً:*

---

* قد سبقهما إلى ذلك السيد الحميري اذ قال:

من أنزل الرحمن فقهم «هل أتى» لما تحدّوا للنذور وفاءَ

ومن ألطف ما قرأت في ذلك قول عبد الباقي العمري؛

وسائل هل أتى نص بحق علي أجبته: هل أتى نص بحق علي
فظنني إذ غدا مني الجواب له عين السؤال صدى من صفحة الجبل؛
وما درى، لا درى جداً ولا هزلاً أني خلطتّ بذاك الجد بالهزل.

٢ - اشارة الى السورة الكريمة «هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» وتُسمى سورة الدهر، وسورة الانسان. وقد سبق البيتان برقم - ٤٨ -

- ٢٥٣ -
حوار وسرعة بديهـة

١ أتسرقُنـي وأنـتَ أجـلُّ خِلٍّ يعـزُّ علـيّ من حيٍّ وميْتِ؟
٢ أظـنُّ «القَطـعَ» هانَ عليك حتّى سرقـتَ لطيفتـي من حِرْز بيتي!

فأجبت عليه بقولي:

* أتزعمنـي لديـك أجـل خلٍّ يعـزّ عليكَ من حيّ وميت؛
وتَبْهتنـي بقـولِك لي جهاراً: «سرقـتَ لطيفتـي مِنْ حرِز بيتي»؟
** لعمـرك انـه نهـجٌ مبينٌ مَضَـاهُ السابقـون بكُلّ وقت؛
وهبنـي قد سرقـتُ فمحكماتي سَرَقْـتَ؛ فلا تطـل أفـديك مَقْتي؛

وأشرتُ بالبيت الأخير إلى أني كنت قد أسمعتُه مقطوعاً لي وهو:

إن آيات غرامي مُحكمـاتٌ؛ لَيْسَ تُنسَخْ!
وهـواكم في فؤادي مع طول البين أَرْسَخْ.

فوجد البيت الأول إلى « محكمات » نصف بيت من «الرمَلِ» فنظم في الحال بيتين؛ وقال لي: أمّا قولك: إن آيات غرامي محكمات « فأخذته من قول الشاعر:

---

* وردت الأبيات الأربعة لجامع الديوان بشكلٍ آخر هكذا:

أتبخـلِ باليسـير علَيَ محبٍّ يعـزُّ عليكَ مِن حيٍّ ومَيْتِ؟
وقلـتَ له ولـم تَسْتحْـي منه: «سرقـتَ لطيفتـي من حوزِ بيتي»!
وأنـت أخـو النـدى وأبَـو المعالي وزينـة دهرنـا مِن غـيرِ بهت.
وهبنـي قد سرقـتُ فمحكماتي سرقـتَ فلا تُطـل أفـديكَ مَقتي.

** في «ن»: «نهجٌ متينٌ» بالتاء ولعلّ الصواب «مبين» بالباء الموحدة.

- ٢٥٤ -

١	رامَ عُذّالــي فيه سلوةً؛	دونَ ما راموهُ واللّـهِ المماتُ؛
٢	وَيْح عُذّالــي فيهِ؛ ما دَروا:	أنّ آيات غَرامي مُحكماتُ. !



٢ - في « ف » قال بعد أن أوردَ البيتين رقم - ٢٥٤ - « فتوهمتُ ذلك صدقاً ، واعتقدته حقّاً » ثم أخبرني رضوان الله عليه بعدُ أنهما من نظمه، وأنّه قالهما في الحال. فهذا الذي أشرت اليه بقولي: «فمُحكماتي سرقتَ» الخ.

- ٢٥٥ -

وصف طِرس

وكتب إليّ جواباً عن أبيات في كتاب منّي إليه:

١	أهــديتَ لِلأبْصَــارِ والأسمــاعِ	طِرســاً يُقَصِّــر عَنْ مداهُ باعي؛
٢	هو لا أشــك الجوهــر الفَــرد الّذي	قُطــعَ التراجــعَ فيهِ بالإِجماعِ؛
٣	لو أَبْصَــر الأدبــاءُ فيمــا قد مَضى	شبهــاً لَه ماتــوا بغير نِزاع؛
٤	ما هذهِ أُوْلَــى محاسنِــك الّتي	ذهبــتْ بكلّ محاســنٍ ومساعي؛
٥	لِلّــه كم قلّدتْنــي مِنْ قبلها	بِلطــائف الأشعــارِ والأسْجاعِ؛
٦	ولــكم بعثــتَ «مُشَرَّفــاً» وشّحتَهُ	بغرائــبِ الإِبــداعِ، والأيداعِ.

---

٦ ـ المشرّف عند أبناء صنعاء الخطاب أو الرسالة

- ٢٥٦ -

دفين قبل الموت

ودخلتُ يوماً إلى منزلِه فرأيتُ في زاويةٍ منه شيئاً من نسج العنكبوت فأزلتُه فبَصُرَ بي فقال مرتجلاً:

١	أخـــي عُذراً فديتــك إن بيتي	لأشبَـــه بالقبـــورِ من البيوتِ؛
٢	يظـــلُّ التّـــربُ مِنْ فوقـــي وتحتي	فتحسبنـــي دفينـــاً قَبـــل موتي!
٣	فقبـــري مـــا حواهُ من تـــرابٍ	وكُفْنـــي فيهِ نَسْـــجُ العَنْكَبوت.

٣ - هكذا ورد البيت رقم - ٣ - : « وكَفني فيه » والمشهور أنّ « الكفن » يجُمع على « أكفان » فهل كان العجز هكذا «وأكفاني نسيج العنكبوت»؟

- ٢٥٧ -
سفسطـــة . . .

وتذاكرنا يوماً قول ابن هشام في السّيرة ؛ أنّ قاتل«مَرْحب»محمدَ بن مسْلمة ؛ فأطَلْنا التعجّب من ذلك فقال :

١ قتـــلُ علـيٍّ في الوَغـــى « مَرْحباً » ضَـــرورةٌ إنكارُهـــا سفسطة !

فقلتُ مجيزاً

فإن يكُنْ أنكرهـــا نَاصبٌ فـــكَم لأهـــلِ النَّصـــبِ منْ مَغْلَطَهْ .

- ٢٥٨ -

غريب في وطنه . !

وكتبتُ إليه كتاباً وأنا إذْ ذاك بمعمور «شهاره» في حضرة السيد العلاّمة عماد الدين يحيى ابن الحسين ابن أمير المؤمنين المؤيد بالله في شهر شوّال سنة ثمان وسبعين وألف «١٠٧٨» هـ وفي صدره هذه الأبيات: *

سلامٌ على مَنْ لم يَحِلّ بمهجتي ... سواهُ، ولم يملكْ سواه قِيادي؛

ومَن حبُّهُ راسٍ بقلبي، ومن به ... غرامي مهما عشتُ؛ لا بِسُعادِ!

ومَن لم أزلُ مُذْ غِبتَ عَنهُ مُدَلَّهاً ... قرينَ صبابات، حليفَ سُهادِ. !

أبيتُ سميراً لِلنّجومِ كأنّما ... فراشي مَحشيٌّ بشوكِ قتادِ؛**

عسى الله بعد البين يجمعُ شملنا ... على رَغم حُسّادٍ، وغَيْظِ أعادي؛

وأشفي فؤادي يا حبيبي بنظرةٍ ... إليك فقد أضناه طول بعادي؛

فأجاب عليّ بكتاب بسيط وفي طيّه هذه القصيدة:

١ ألَمّتْ؛ فهاجتْ لوعةً بفؤادي ... وزادتْ غراماً أدمعي وسهادي؛

٢ بيوتٌ بها أقوتْ بيوتُ تجلّدي، ... وقامَ اصْطباري بالرحيل يُنادي.

٣ هي السِّحرُ أو كالسّحرِ فعلاً؛ فَمذْ أتَتْ ... أقضَّ لِشوقي مضجعي ووسادي؛

٤ تُذكرني عهداً لنا ومنازلاً ... سقاها مِن الوسميّ صوبَ عهادِ.

* لم يثبت النّاسخ من أبيات جامع الديوان إلاّ البيتين الأولين في النسخة «ن» والبقيّة في «ف».

** القتاد: شجرٌ صُلْبٌ شوكه كالأبر.

٣ ـ أقَضّ المضجع: خَشُن.

٥ فأحلَلتُهـا من ناظِـريَّ ومهجتي سـويداء قلبـي، أو سوادَ سوادي.
٦ فيا باعثـاً لي الوجـد في طَيِّ مُهْرَقٍ رويدك ما قلبـي الشجـي بجَمادِ. !
٧ ويا مَالِـكاً رِقـيَّ بِنُعْمـاه دائماً فـكم نعـمٍ عنـدي لَهُ وأيادي!
٨ أيادٍ لعمْـري أهملـتْ ذكرَ «حاتمٍ» و«كَعْـب» النّـدى في طيءٍ و«إيادِ»!
٩ ويَا مَاجداً أعطيتُـه عهـد صُحْبتي، وأَصْفَيتُـه في الغَيْبِ مَحْضَ ودادي.
١٠ أتحسَبُ أنّـي بَعْـدَ بُعـدِك سالياً، يطيبُ مَعَاشـي، أو يَلَـذّ رقادي؟
١١ أَبَـى البينُ إلاّ أن أرى فيك لابسـاً لياليـي أَحزانـي ثيابَ حِدادِ؛
١٢ فغـادٍ من الدَّمـع الهتـونِ ورائحٌ، وخافٍ من الشّـوقِ الشـديد وبادي؛
١٣ ولـو أنّنـي سافـرتُ شرقـاً ومغرباً؛ لمـا كانَ إلاّ طيب ذكركَ زادي؛
١٤ فِراقُـكَ أشجانـي وهـدّ قوايَ؛ لا تغنّـي هزارٍ، أو ترنّـمُ حادي؛
١٥ ولا الْغـادةُ الهيفـا لهـا بينَ شبهِها مِـن المائسـات النّاعمـات تهادي؛
١٦ ولاَ الأَهيفُ الفتّـانُ يعبـث قدّه، وناظـره السَّاجـي بكلّ فؤادِ؛
١٧ ولا القَـرقفُ الصَّهباء حَثّـتْ كؤوسُها أكفُّ مهـىً هيفِ الخصـورِ خِرادِ،
١٨ أخـي، ونصيري في النّوائـب والّذي أنـاديه للأَحـداث حينَ أنادي،
١٩ فِدىً لكَ أهلـي الأقربـون ومَعْشري، ومـا بيدي مِنْ طارفٍ وتلادِ،
٢٠ أتَتْنـي مِنْ تِلقـاء سوحـك قطعةٌ؛ بنَفْسـي سوحٌ قدْ حلَلْـتَ ونادي؛
٢١ هيَ الروضُ بَلْ أبْهى منَ الروضِ بهجةً؛ إذا جادَهُ ريًّا أكفّ غوادي،
٢٢ بعثتَ بهـا مِن سوحِ نعمـةِ خالقي.. على حَاضرٍ في العالمين وبادي.
٢٣ عماد الهدى، ربّ العُلَى، هادي الوَرى إلى خير منهـاج، وقـولِ سَداد.!

---

٥ ـ سويداء القلب وسواده: حبّته، وأراد بسواد السواد: سواد العين.
٦ ـ المُهْرَق: الصحيفة [معرّب].
٨ ـ في «ن»: «في طيّ ءٍ وزياد».
١٧ ـ القَرقَفُ: الخمر يُرعَدُ عنها صاحبها. والصهباء: الخمر المعصورة من عنب أبيض.
٢٣ ـ ورد هذا البيت رقم ـ ٢٣ ـ في «ف» هكذا.
عماد الهـدى ، بحـر النـدى، واسـع الجدا سمام العدى خير امرىءٍ في الـورى هادي
ولا يخفى أن العجز من بحرٍ آخر والعماد كما سبق: لقب من اسمه يحيى.

٢٤ أدام إلَـهُ العـرش فينـا ظلالَهُ　وأبقـاهُ للإِسـلام خيرَ «عمادِ»،

٢٥ وقـد بعـثَ العبـد الجـواب تَجارياً؛　وإن كانَ يكبـو عَنْ مداك جوادي؛!

٢٦ فخذْ من جوابي النّزر ما كان حاضِراً،　وأنـتَ إذاً أنْـدَى؛ لأنـك بادي؛

٢٧ وعُـذراً؛ فقـد قابلـتُ دركَكَ بالحصَى　وساجلـتُ بحـراً زاخـراً بثمادِ؛

٢٨ فأغضِ وسامِـحْ مُنعمـاً عن قبيح ما　بَـدَا لكَ من عيبٍ به وفسادِ،

٢٩ فأنـتَ الـذي قدْتَ القوافـي طوائعاً،　وغيرك لم تَنقَـدْ لَهُ بمقـادِ؛

٣٠ وأنـتَ الّـذي جلّيتَ في حَلبـةِ العُلَى　على كلّ جحْجـاحٍ طويل نِجادِ؛

٣١ على أنّنـي قد صرتُ بعـدك «أعجماً»　وإن كنـت أزرى لهجـةً «بزياد»!

٣٢ لِدهـرٍ رمانـي بالمصائـب صرفُه　وأضنَـى فؤادي خطبُـه المتمـادي

٣٣ أطـالَ حروبـي بالمضـرّات والأذَى،　ولا طول حَربِ «الحـارث بن عباد»!

٣٤ يحـاولُ إهمالـي وإسقـاطَ رتبتي　ويَسْعَـى حثيثـاً في خمـود زنادي.

٣٥ وثقـل ديونٍ للْـورى «يا بنَ ناصرٍ»،　يراوحنـي همي بها، ويُغادي،

٣٦ مَلأْنَ فؤادي بالأسَـى، وسلَبْنني　رقـادي، ومَلّـكْنَ الرّجـال قيادي،

٣٧ فأصبحـتُ رهنـاً في «أزال» لأجلِها،　وغير «أزال» بُغيتـي ومُرادي؛

٣٨ وإن كان فيهـا مَنْشـأي وولادتي،　ومَسقط رأسي؛ فهـي غير بلادي..!

٣٩ ومَـا بلَـدي إلاّ الـذي فيه أغتدي　وعرضي مصـونٌ عن مقـال أعادي؛

٤٠ بلادٌ بهـا لا أختشـي الـذلّ إن غدت　علـيَّ لأحـداثِ الزّمـان عوادي؛

٤١ أأقعـدُ في قومٍ أرى الشعـر بينَهُمْ　يُبـاعُ ببخْسٍ ظاهـرٍ وكَسادِ!؟

٤٢ لَنبَّهْتُهُـمْ بالمـدحِ لِلْجـودِ والنّدى،　وقـد مُلِئَـتْ أجفانِهُـم برُقادِ.!

---

٢٧ ـ الثمَدُ والثّماد: الماء القليل.

٣١ ـ زياد الأعجم: شاعر مشهور.

٣٢ ـ ورد البيت رقم ـ ٣٢ ـ في الأصل «ن» هكذا:

لدهـرٍ رمانـي بالمضرات والأذى　ولا طول حرب الحـارث بن عباد

فجمع بين صدر البيت وعجز البيت الذي يليه رقم ـ ٣٣ ـ.

٣٤ ـ خمود زنادي: أي اطفاء ناري.

٣٧ ـ «أزال» من أسماء «صنعاء».

٤٣ وحركتُهم بالشعرِ في كلِّ ساعةٍ ... فَتَحْسبني حرّكتُ صخرةَ وادي؛

٤٤ فلَم أَلْقَ من نظم القريض سوى عناً، ... وشُغْلة أوقاتٍ، وطول سهادِ!

٤٥ فلا كانتِ الأمداحُ مِن شافعٍ؛ ولا ... جَرى قلمٌ في كتبها بمدادِ..!

٤٦ أرومُ بها نيل السَّعادةِ والغِنَى، ... وقد أشبهتْ نحساً ليالي «عادِ»؛

٤٧ وأوردُ فكري كلَّ بحرٍ غَطَمْطمٍ ... فيصدر حرّانَ الجوانحِ صادي. !

٤٨ لَعلَّ اللّيالي أن تَمُنَّ برحْلةٍ ... إلى أَصيدٍ رحب الفناء جوادِ؛

٤٩ من البَدْوِ تُذْكَى لِلْملمّين نارُه ... تَرى حَولَه مِنها جبالَ رمادِ!

٥٠ يفيضُ على العافينَ نائل كفِّهِ؛ ... فَمِنْ إبلٍ مَزْمومةٍ وجيادِ؛

٥١ وما المرؤ إلاّ مَنْ يؤمّله الوَرى ... لِقتل عداةٍ، أو لبذلِ عتادِ؛

٥٢ وعِش ما دَعَى لِلّهِ داعٍ من الورى، ... ونَاداهُ لِلكرب العظيم منادي؛

٥٣ وأسألُه من فضلِه جمعَ شَملِنا.. ... وأنْ لا قَضَى ما بينَنا بِبِعادِ.

---

٤٦ ـ ليالي عاد: إشارة إلى قوله تعالى: «وأما عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرْصرٍ عاتية؛ سخّرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسُوماً فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية». «الحاقة» ٦ ـ و ـ ٧ ـ

٤٧ ـ في كل من الأصل «ن» و«ف»: «بحر غمطمط» وهو تحريف. والغطمطم البحر العظيم، وحرّان: عطشان وكذلك الصادي.

٤٩ ـ في «ن»: «يُذكي لِلْملمّين نارَه».

٥١ ـ العتاد: كل ما هُيِّء من سلاح ومال.

- ٢٥٩ -
قد أصبح الدّين نهبا . . !

وقالَ في أثناء كتابِه هذا وقد ذكر قصّةً وَقَعَتْ في «صنعاء» من بعض «النّواصب» خالَف بها الشريعة المنيرة؛ ومشى على رجل البَاطِلِ الكسيرة:

١ قد أصبحَ الدين نهباً بين زعنفةٍ ... لا يرقبونَ إلَهَ النَّاسِ في النّاسِ؛
٢ قَد كادَ يبكي لو أنّ الدَّمع أسْعَدَه ... ويَرتمي شرراً مِن حَرّ أنفاسِ؛
٣ وكادَ يَصْرخُ؛ يا للهِ مِنْ فِرَقٍ ... نَيْفٍ وسَبْعين ظَلّتْ ذات الباسِ،
٤ قد خالفَتْ نفسَ خيرِ الخلقِ «حيدرة» ... مَيْلاً إلى قولِ أرجاسٍ وأنجاسٍ.

---

٢ - في «ن»: «وكاد يبكي» وفي «ف»: «لو أن الدّمع أمكنه».
٣ - إشارة إلى الحديث الشريف بانقسام الأمة الاسلامية إلى نيف وسبعين فرقة كلهم هلكى إلاّ فرقة.
٤ - إشارة إلى آية المباهلة.

- ٢٦٠ -

وعلى ضوء القمرْ . .

وقال في آخر هذا الكتاب بعد أن ذكر فصولاً مُتَّسِعة :

١	وقَـدْ أطلـتُ ما ترى	مِـن هَذَيانٍ، وهَذرْ،
٢	وقـد ذكرتُ قصَصاً	تحـارُ فيهـنّ الفِكَرْ؛
٣	فاصبِـرْ لَه؛ ولا تَقُلْ؛	يا ليتَـهُ كانَ اختصَرْ؛
٤	وإن تجـدْ عيبـاً بهِ. .	فأنـتَ أولَـى مَنْ سَتَرْ،
٥	واعـذرْ أخـي؛ فإنّني	كتبتُـهُ علَى القَمَرْ!

- ٢٦١ -

طلب . . . !

وكتب إليّ يستدعي عارية مجموعَ مولانا الامام الأعظم زيد بن علي بن الحسين صلوات الله عليهم وسلامه :

١ تَفَضّلْ؛ لا برحــتَ قرير عين «بمجموعِ »الإمام أبي الحُسينِ ؛

٢ فأشواقــي إليه كل حينٍ تُمثّل شَخصَــهُ تِلقــاءَ عيني

- ٢٦٢ -

على فراش الموت . .

وكتبَ إليّ هذه الأبيات وهي آخر ما قال من الشعر على الإطلاق فيما أعلم فإنه كتبها إليّ وهو أرمد يوم الاثنين لِلَيْلَتين - إن بقتا - من شهر محرم الحرام سنة تِسعٍ وسبعين وألف ولم يلبث بعدها إلاّ تسعة أيام ، وانتقلَ إلى رضوان الله تعالى ودار كرامته في سُحْرَة اللّيلة المسفرة عن صبح يوم الثلاثا لِسَبْع ليالٍ خلت من شهر صفر سنة ١٠٧٩هـ

١ يا «أَحم» لا تنسَ الدُّعا ـــي بالعشيّ وبالغُدُوّ ؛

٢ فلقــد غدوتُ بحالــةٍ مِنهــا يرقّ لهــا العدوْ ؛

٣ مَــرّتْ ليالٍ أربعٌ لم أدرِ مَا طَعم الهدوْ !*

---

* في « ف » أورد الأبيات الثلاثة رقم - ٢٦٢ - متأخرة في الترتيب وأضاف قوله : « وأجبت عليه بأبيات منها» :

أأخــي ؛ أعاذك مَن أنا لَـكَ مـا يسرّ من السُموّ،
مِنْ كلّ ما يخشى ، ومِن فقــدان لذّات الهدوْ ،
بالمصطــفــى، والمــرتضــى وابنيهمــا أهــل العُــلُـوْ،
مــن لــم تزل أبــداً تــكافــحُ عنهــمُ أهــلَ العُتُوْ
وتسلّ سيفاً من لِسانِك مرهفــاً، يغــري العدوّ.

- ٢٦٣ -

قال جامع ديوانه

ودخلتُ ليلةً إلى مجلسٍ قد غُصَّ بمن فيه فقعدتُ حيث انتهى بي المجلس وكان قد تقدّمني إليه فرآني فتعذّرَ عليه القيام إليّ ، ولم يبق عنده سِعَة لي فكتبَ في الحال معتذراً :

١ مولاي قد فقتَ الورى فيمن تقدّم أو تأخرْ؛

أنت المقدّمُ رتبةً وأحقّ فينا أن تُصَدّرْ.

٣ لكنّني يا سيّدِي في مثل هذي الحالِ أُعْذَرْ؛

٤ ولأنتَ مِنّا بالتصدّرِ في مقَامِ الفَضْلِ أجدرْ؛

٥ لكنّهُ حكْمُ الزّمانِ وحُكْمُهُ شيءٌ مُقَدّرْ؛

لك اسوة فيما معنى ....

٧ فلَقَدْ.............. ....

---

١ ـ في « ف » : « قد فُقتَ الملا » .

- ٢٦٤ -

قسم . .

وقال في صدر كتاب ؛ ولمّا أنشدني هذه الأبيات أخبرته أن البيت الأَول جميعه من أبياتٍ «لابنِ المعتز» ؛ فأقسمَ لي بالله أنَّه لم يقف عليه لاَ لابنِ المعتَزّ ولا لِغيره وإنما ذلك من باب «التّوارد» :

١ «لا ؛ وَرمّــانِ النّهودِ   فَوقَ أغْصان القُدودِ» !
٢ وأقــاحٍ ، وورودٍ ،   مِــن ثغــورٍ ، وخُدودُ ،
٣ وغصــونٍ مِنْ قدودٍ ،   تَتَثَنّــى في البُرودِ ،
٤ وَوِصــالٍ مِن حبيبٍ ،   بعــدَ هَجْــرٍ ، وصدودِ ،
٥ لَمْ أحلْ عنكم ، ولا حُلَّــتْ عُقُــودٌ مِنْ عُهودي ؛
٦ وَلَئِــنْ قَلّ اصْطِباري   فَغَــرامي في مَــزيدِ ؛
٧ وَلَئِــنْ غبتــمْ ؛ فَلَسْتُمْ   عَــنْ فؤادي ببعيــدِ .

- ٢٦٥ -

لا جواب . . ولا ثواب . !

وقالَ في صدر كتاب :

١ نُعَاهِـدُ مَنْ نحـبّ ؛ فلا نُجابُ ... ونَمتَـدحُ الملـوكَ ؛ فَلاَ نُثابُ !

٢ فبُعـداً لِلْقَـريضِ إذا غدونا . . ... عَلَيْهِ لا نُجـازُ ولا نُجابُ !



- ٢٦٦ -

هزيمة البعاد . .

وقال في كتاب إلى بعض أصدقائه :

١ ومِن فضْلِ المهيْمن عن قريبٍ نعودُ لِمثلِ ما كنّا عليهِ ؛
٢ وأشكُو ما ألاقي مِن شجوني له ؛ وأبثّ أشواقي إليهِ ؛
٣ ونعقدُ رايةً لِلْوصل بَيْضا إذا انْهزمَ البعادُ على يديه !

٣ - في « ف » : « ويَعقدُ رايةً » .

- ٢٦٧ -

سلام . . .

وقال في أثناء كتاب :

١ سلاماً أَلَذّ مِن السَّلسبيل .. وأَحْلاَ مِنَ الوصْلِ بعد الصدودِ،

٢ كَعَوْدِ الشّبابِ ، ورشْفِ الرّضابِ ، وكَسْرِ الجفونِ ، وضمّ القدودِ !

١ - السلسبيل : اللين الذي لا خشونة فيه ، والخمر ،وعَينٌ في الجنّة .

- ٢٦٨ -

مقدمة التَلاقي

وقالَ في أثناء هذا الكتاب يصفُ ورود كتابٍ إليه :

١ أَتانــي ؛ والفــؤادُ رهينُ شوقٍ فسَــرَّى بَعْضَ وجــدي واشتياقي؛

٢ وقلــتُ لَعلّــه مِنْ فضــل ربّي ؛ يكون لنــا مقدّمــةُ التّلاقي . !



١ ـ سرّى : كشف ؛ يقال انسرى الهمّ عني وسرّي : انكشف .

- ٢٦٩ -

نضرة النعيم . .

وقال في آخره :

١	يا حُسْنَ وقتٍ لنا تقضَّى	بقُربكم مَرَّ كالنّسيم ؛
٢	وطيب عَيشٍ بكمْ عرفنا	في وجهِهِ نَضْرةَ النّعيمِ !



- ٢٧٠ -

فتى المكارم

وقال في صَدْرِ كِتابِ تهنئةٍ بعيد :

١	عادتْ عليكَ بمـا ترجـو وتأملـه	عوائـد البـرّ والإحسـانِ والكرمِ ؛
٢	ولا برحـتَ سعيد الجـدّ مغتبطاً	تختـالُ في حُللِ الإقبـال والنِّعَم ؛
٣	يَرْوونَ عَنكَ مِن المجد المؤثّـل يا	فَتَـى المكَارِمِ ما يَروونَ عَن «هَرِمِ»!

---

٣ ـ هَرِم بن سنان أحد أجواد العرب .

- ٢٧١ -

أبكار المعاني

وقال في جواب يصفُ بلاغة معاني شعر المكتوب اليه :

١ حكتْ أخــلاقَ مُرسِلِهــا ، وأهدَتْ   شــذاً أذْكَى مِنَ المســكِ الفتيتِ ؛

٢ تكادُ بِهــنَّ أبــكارُ المعاني   مــن الإعجــابِ تَرقُص في البيوت!

١ ـ الفتيت : المفتوت .

- ٢٧٢ -

كفّ . .

وقال في وصف قصيدةٍ كَتَبها له بخطّه السيّد ضياء الدين القاسم بن أحمد[٢٦] ابـن أمير المؤمنين المنصور :

١	لِمَ لاَ ؛ وقَـد وَشَّـتْ مطارفَها	كفُّ المليكِ النَّـدبِ ذي الكرمِ؟
٢	كفٌّ إذا بَرَزَتْ لِمكرُمَةٍ . .	يهْـدي سَنَاهَـا في دُجَـى الظُّلَمِ
٣	غرّاء ما خُلِقَـتْ أَنامِلُها	إلاّ لِحَمْـلْ السَّيفِ ، والقَلَمِ ؛
٤	تَرجُـو لَهَـا طولَ البَقـا أُمَمٌ	بوجودِهَـا أمِنـتْ مِن العَدَمِ

(٢٦) تراجع ترجمته في : أعلام الديوان

- ٢٧٣ -

قاضي القضاة

وقال في أثناء كتابٍ كتبه إلى القاضي العلاّمة أحمد بن صالح بن أبي الرجال عن السيّد القاسم بن أحمد ابن الامام المنصور يَسْتَدعي منه إجازة لَه في مقروآته ومَسْموعاته :

١ قاضي القضاةِ وعالم العُلَما الَّذي أحيى من المجدِ الأَثيلِ رُفاتا ؛

٢ مَنْ إنْ جَرَتْ مَعَهُ الفحولُ إلى مدى قصرتْ خطاهمْ عَن خُطاه وَفَاتا ؛ !

٣ مَنْ لا يدانيهِ علىً ، ونَبَاهَةً مَنْ ظَلّ في كَسْب الفخارِ وبَاتا . .

٤ مَن شَرّفَتْ ؛ وَهُمُ الكرامُ صِفاتُه مِنْ أَهْلِه الأَحياءَ والأَمْواتا .

---

١ ـ الرفات : الحطام .

٣ ـ في «ن» : «في كتب الفخار» .

- ٢٧٤ -

يُشيبُ الوليدا . .

وقال في أثنائه :

١	فلْيَهــنَ هَذَا الزّمــان أَنْ قدْ	أَصبــح في أهلِــه فريدا؛
٢	أدركَ غايات كلّ مجدٍ،	ورامَ لو أمــكنَ المزيدا ؛
٣	للهِ كم قلّــد اللّيالي	مــن دُرّ عليائِــه عقودا؛
٤	فليسَ ترضَــى حُلــىً عُلاهُ	غير عمــود الصَّبــاح جيدا؛
٥	وكم لَهُ من شذورِ نظمٍ	تُلينُ مِن لُطفهــا الحديدا.
٦	مِــن كلّ مَصْقولــةِ المباني	يشيبُ إِنشادُهَــا « الوليدا».

---

٦ ـ يقصد بالوليد : البحتري .

- ٢٧٥ -

تلميذ وأستاذ

وقال في آخر هذا الكتاب يصفُ حال المكتوب عنه مع المكتوب إليه :

١ سالِكاً مِن فنونِه كُلّ شعبٍ جانباً من غصونِهِ أثمارَهْ؛
٢ راتِعاً مِنْ علومه في رياضٍ، خائضاً في بحاره الزَخّارَه ،
٣ كلّ حينٍ أجيل فكري وطرفي ، في فنون مثل الرياض نضارَهْ ؛
٤ تارةً أشتفي بأدابهِ الغُرّ، وطوراً أجني العلومَ؛ وتارَهْ. !

- ٢٧٦ -

ما كانَ ظني . .

وقال في أثناء كتاب عتاب:

١	ما كانَ ظنّــي فيك مولايَ أنْ	تبلــغَ في الهجــرِ إلــى ما أرى. !
٢	فهــل تُرى يرجــع غصــن اللّقا	بَعــدَ التنائــي نَضِــراً أخضرا. ؟
٣	ويشتــكي القَلــبُ صباباتِهِ	ويخبــرُ الطّــرف بمــا قد جرَى!

- ٢٧٧ -

نار الشوق

وقال في أثناء كتاب :

١ وكيف ؛ ونـــارُ أَشواقــي دَليلٌ   علـــى ما صِرتُ أكتُمـــه وأخفي ؛
٢ وحَسْبــي أنّ شوقي منـــذُ بِنتمْ   يقصّـــر عَنْ مداهُ كلّ وَصْفِ



٢ ـ في «ف» : «وحسبك أن شوقي» .

- ٢٧٨ -

ندم

وقالَ يتجرّمُ من الزّمان؛ ومِن النّاس من يزعمُ أنّه قَصد بهذه القَصيدة شخصاً معيّناً ، ولمّا ذاكرته في ذلك أقسم بالله العظيم ما قالها في مُعَيّن أبدا ، وأن النَّاسب إليه ذلك متعّمدٌ للزّور والبهتان ؛ وإنما قالها تنفّسا كما هو شأن الأديب :

١ لا نالَ منــكَ فؤادي ما يُرجّيهِ ... إن كَانَ طُولُ التَّنائـي عنـكَ يُسْلِيهِ؛

٢ سَلِ الصَّبابـةَ عَنْ جسمي السَّقيم، ولا ... تَسَلْ سَقامـي فإنّ السُّقـم يخفيهِ؛

٣ ولا تَسَـلْ غير طرفي عَنْ مَدامِعِهِ ... لا تأخـذِ المـاءَ إلاّ من مجاريهِ؛

٤ أشـكو إلـى اللهِ وجـداً ظَلْـتُ أَكتُمُهُ ... عَـنْ عاذِلـي ودمـوع العين تبديه !

٥ وخاطـراً قد تمـادَى في غوايتِه ، ... وزادَ حَتّـى تمـادَى في تماديهِ!

٦ وصَـرفَ دَهْـرٍ أَصَابتنـي نوائبُهُ ... بـكلّ سَهْـمٍ مِنَ الأَحـداثِ تَبْريهِ؛

٧ سُقْياً لِدَهْـرٍ مضَـى لو كَانَ سَاعدني ... حَظِـي لَكُنـتُ بِهَـذَا الدَّهـرِ أَفْديْهِ ؛

٨ هذَا الزّمـانُ الّـذي لاَ كانَ مِنْ زمَنٍ ... ولا سَقَـاهُ مِنَ الوسْمـيّ سارِيْهِ ،

٩ ماتَ الْوفـاءُ وأَبنـاء الوفـاءِ بهِ ... فالْمجْـدُ مِنْ بَعْدِهـم أَقـوتْ مغانيه؛

١٠ فأينَ مَنْ يَسْتَحـقُّ المـدحَ مُبْتَذِلاً ... لِلْمـالِ فيهِ فيوفينَـا ونُوفيه ؟

١١ لَهْفِـي عَلَـى غُرِّ أَبْيات مَدَحْـتُ بها ... مَنْ لَوْ هَجوتُ لأرخَصْتُ الْهجـا فِيهِ!

---

٤ ـ في «ف» : « بين الورى ودموع العين » .

٨ ـ الوسمي : مطر الربيع الأول .

ـ في «ف» : « فالدهر من بعدهم أقْوتْ » .

١٢ لَهْفِي عَلَى ثَوبِ عزٍّ نَشْرهُ عَطِرٌ؛ أَلْبَستُهُ لِشَقَائي غَيرَ أَهْلِيهِ!
١٣ وأُفق نَظْمٍ تذيبُ الصّخر رقّتُهُ أَطْلَعتُ فيه نجوماً مِنْ معانيهِ ؛
١٤ حَبّرتُه في بخيلٍ نقشُ دِرْهمِهِ؛ اللهُ مِن أَعْين السّؤّال يَحْميهِ!
١٥ تكادُ تسجدُ للدينار جَبْهَتُهُ بخلاً ، ويعبدُه مِن دون بارِيهِ ،
١٦ يودّ لو أنّ في آذانهِ صَمَماً إذا دَعاهُ إلى المعروفِ دَاعيهِ!
١٧ لو جَاءَه «المُصطفى» مُسْتَشْفِعاً « بأمينِ الله» في دِرهمٍ ما كانَ يُعطيهِ؛
١٨ لا المدحُ يُغْريه بالإِعطا لِسائِلِهِ، ولا الهِجاء عَن الحرمان يُثْنيهِ ؛
١٩ أزهَى مِنَ الديكِ ؛إذْ يمشي عَلَى صَلَفٍ لَهُ جناحان مِنْ كِبرٍ، ومن تيهِ؛
٢٠ لا حِلم فيه ، ولا عَقلٌ ولا أدبٌ، ولا وفاء إلى المعروف يهديه . !
٢١ يرومُ شأوَ العُلَى ؛ والبخْلُ يُقْعدهُ كأنَّه طائرٌ قُصَّتْ خوافيْهِ
٢٢ يَرى التكبّرِ من أسْنَى مَنَاقبهِ ويحسَب الْبُخْلَ مِنْ أَعلَى مَعاليه ؛
٢٣ فليتَ شِعري علَى ما فيه مِن صَلَفٍ أكانَ مُنْتَظِرًا لِلْوحْيِ يأتيه؟
٢٤ قَلّدتْهُ لِشقائي في سعادتِه عقْداً مِنَ المدحِ قد راقَت لآليهِ،
٢٥ تودّ شمسُ الضّحى لو أنها حليَتْ بهِ ، وبَدرُ الدّجى لَو كان يَحكِيهِ !
٢٦ مَنْ لِلزّهورِ بأن تحكي شمائِلَهُ؟ ومَنْ لِزُهْرِ الدَّياجي لَو تُضاهيهِ؟
٢٧ وقائل لي أتهجوهُ؟ فقُلتُ لَهُ مَهلاً؛ فإنَّ هِجائي ليسَ يؤذيهِ؛
٢٨ إنّي لأتلُو مَساويه فَيَحْسِبُني . . لفرطِ تَغْفيلِه أتلُو مَسَاعيهِ !
٢٩ قد كانَ مَدحِي لَه ذَنباً شَقيتُ بهِ فَصَار تكفيرُهُ عَنّي هَجائِيهِ !

---

١٧ ـ المصطفى : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأمين الله :جبريل عليه السلام .
٢١ ـ الشأو : السبق . والخوافي : ريشاتٌ إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
٢٦ ـ ضاهى . شاكل وأشبهَ .
٢٨ ـ المساعي : المكارم . الواحدة ، مسعاه .
٢٩ ـ كفّر عن يمينه أعطى الكفّارة؛ والكفّارة : ما كُفِر به من صدقه وصوم ، والتّكفير في المعاصي ؛ كالإحباط في الذنوب .

٣٠ يا هادماً بمَساويه بناء عُلىً أبُوهُ دونَ ملوكِ الأرض بانيهِ؛

٣١ حذار من نارِ فكرٍ أضرِمَتْ لَهباً؛ ولا تَقِفْ لِعُبابٍ سَالَ واديه؛

٣٢ فَما نَبَا سيفُ عَزمي حينَ أُعْمِلُهُ، ولا خَبَا زَندُ فِكري حين أُورِيهِ؛

٣٣ وما امْتَدحتك أَرْجو منك نيلَ غِنىً؛ لكِنْ قضاءٌ جرى في الكون ماضيهِ،

٣٤ ولو أردْتُ غناءً لامْتَدحْتُ فتىً ينالُ مَادِحُه أَقْصى أمانيه



---

٣١ ـ العُباب : معظم السيل وكثرته .

٣٢ ـ في «ن» : «حين أفديه» ! وهو غلط واضح . وأعمَل سيفه أو رأيه : عمل به .

٣٤ ـ في «ن» : «أقصى أماليه» وهو غلط ؛ ولا أدري من يعني .

- ٢٧٩ -

سخريّة

وقال وقد أنشده رجلٌ شعراً ردّياً وهو يحسبهُ جيّدا :

١	وصاحبٌ أنْشَدني مَرّةً	مِن شِعْرِهِ مَا يُشبهُ الشِّعرا ؛
٢	وقَالَ : هَل أبصرت مِثلاً لَهُ	ما بينَ أَشعارِ الورى طُرًّا؟
٣	قلتُ له : لا عَدِمتكَ العُلَى	هَذَا لعمْري يعْجزُ الفكرا؛
٤	هذا هو الشّعر لعمري؛ فَما	أولاَهُ «بالتَّقريض» ، ما أَحْرى!!
٥	بمثله تُستَخرج الفِضّةُ البَيْضاء ، بل تُستَخرجُ الصفرا؛	
٦	فاقْعُدْ على هامِ الثريّا فَقَدْ	فقتَ بهِ كلَّ الورَى فَخْرا.

٤ ـ التقريض : المدح ؛ والذم «ضد» .

- ٢٨٠ -

في سارق شعر

وقال في بعض الشّعراء وقد سرق علَيه مَعْنى لطيفاً نظمه في شعره :

١	وسـارقٍ لِمعَانـي الشّعـر مَنْ لي َلَوْ	رأيتُ أشـلاه في أظفـار ذي لُبَدِ؛
٢	لوِ أنَّ مَن نَظَـم المعنَـى تصوَّرَهُ	شيـلاً لأَخرجَـهُ مِن غابـةِ الأسدِ؛
٣	أهيّنٌ أنّ معنـىً بتّ أَنْظمُهُ	مـا دارَ قبلـيَ في فِكْرٍ ولاَ خَلَدِ. .
٤	أَحـدو إليهِ القَوافي العُـونَ وهـيَ إذاً	مـا بَيْنَ مُقْتـربٍ منّـي، ومُبْتعدِ. .
٥	وبعـتُ من أَجْلِـه نَومـي؛ ويأخذُه	مَـنْ نامَ عَنْ تعبـي فيهِ وعَـن سَهَدي؟

---

١ ـ ذو لُبد : الأسد .

٢ ـ الشِبل : ولد الأسد إذا أدرك الصيد .

٤ ـ العُوْنُ واحدتهن عوان ؛ وهي من النساء من كان لها زوج .

- ٢٨١ -

في ثقيل مات . .

وقال يهجو ثقيلاً ماتَ والبيتُ الثالِث «لأَبي الطيّبِ » وقد نقله مِنَ المدح إلى الهجاء :

١ ومثقّــل وافــاهُ يومُ حمامِه في غفلــةٍ وكذا الحياةُ غرورُ؛

٢ قد قُلْــتُ إذ مروا علــيٌّ بنَعشِهِ يعلُــوه منــهُ علــى الأكفٍّ «ثبيرُ» ؛

٣ «ما كنتُ أحسب قبل موتـك أن أَرى «رضوى» علـى أيدي الرجـال يسيرُ» !

---

٢ ـ ثبير : جبل مشهور .

- ٢٨٢ -

مثقّل . .

وقال في ثقيل أيضا :

١ ومُثقّــل يكفيكَ منــه أنّه أضحَــى يخف لديه كلّ مثقّل ؛
٢ تشقــى برؤيتــه العيون كأنّــه عيدٌ أطَــلَّ علــى فقيرٍ مِعْوِلِ !

٢ ـ المِعْوِلُ : كثير العيال ، وهو أيضاً من يرفع صوته بالبكاء والعويل .

- ٢٨٣ -

هادم اللذّات . .

وقال في ثقيل أيضاً :

١ ومُثقّـل وافي مقـامَ جماعةٍ فيه السّقَـاة تطـوفُ بالكَاسَاتِ ؛
٢ فَسمعتُ بعضَ القوم يدعـو بَعضهم : توبـوا ؛ فهـذا هَادمُ اللّذاتِ!

٢ ـ هادم اللذّات ، ومفرّق الجماعات: هو الموت .

- ٢٨٤ -

ثقيل بارد . . .

وقال في مثل ذلك وعجزُ البيتِ الأَخير لأبي الطيّب المتنبي :

١ مَن راحمــي من ثقيل باردٍ نَظَري إليه برّح بي سُقْمــاً ، وأَمرضني ؛

٢ إذا بدا شخصُــه لي قمــتُ أنشده: «تباركَ الله مجري الروح في حَضَنِ»!

[٢٨٤] - ٢ - صدر البيت : فَمُرْ ، وأومِ تُطَعْ قُدِّسْتَ من جبل » . وحضن : جبل بنجد .

- ٢٨٥ -

بخيل

وقال يهجو بَخيلاً وعجزُ البيت الثَّاني لأَبي العلاء المعرّي :

١ وأسود لَيسَ ينـدَى مِنـهُ كفٌّ لِطالبِـه ؛ إذا سِيمَ النّوالاَ !
٢ أقـولُ لطالـبِ الجـدْوى ترفقْ: « فمـن عِنـد الظَّـلام طلبـتَ مَالاً »

٢ ـ صدر البيت : « أعِن وَخْد القِلاص كشفتِ حالاً » .

- ٢٨٦ -

عليها نموت . !*

وقال في ثقيل :

١	أشفَقــتُ إذ أوجَعــوهُ ضَرباً	عليهِ من جوره خَشيتُ،
٢	فقـــال ؛ لا تخشَ نحــنُ قَومٌ	لَيسَ علــى غيرِهَــا نموتُ. !

* يقولون في اليمن : « على غيرها لا نموت » أو « عليها نحي وعليها نموت » وهم يقصدون « الشهادتين » .

- ٢٨٧ -

قبيلي . . !*

وقال في ثقيل من جُفاة «البادية» وقد دخلَ إلى مجلس كان فيه مع السيد جعفر بن المطهّر الجرموزي ؛ فقعد في صدر المكان غير متحاشٍ ولا مبالٍ بهما ؛ وقد استعمل اللّغة العرفية في تَسْمية جفاة البادية «قبايل» ؛ وكان أعمش العين أيضاً وفي البيتين «تورية»:

١ ودائي مِن «قبيليٍّ» بَراني بطَلعتِه ، وبالطَّــرفِ العليلِ ؛
٢ وقالوا: من قبيلِ الوجدِ دائي؛ صَدقتم ذاكَ مِنْ هذا «القَبِيل» ي!

* هذان البيتان رقم ـ ٢٨٧ ـ مما سقط في النسخة « ف » .

- ٢٨٨ -

أهلِ البوار

وقالَ فيمن بُليَ وفتن «بشرب» التّتنِ النَّتِن ؛ وأنشدنيهما يوم الأربعاء لثمان ـ إن بقتْ ـ من شهر جمادى الأخرة سنة ١٠٧٨هـ :

١ أهــلُ «المــدايع» كلّكمْ عَــن حُلّــةِ الأيمــان عاري

٢ إنّ «المــدايع» هَذه ستُحلّــكمْ دارَ «البوارِ»ي !

١ ـ المدايع جمع مداعة . وهي النارجيلة بلغة اليمنيين ويسمّى الحجر الذي يوضع فيه «التتن» أي التنباك تحت النار «بوري» والجمع «بواري» ؛ والبَوارُ الهلاك . ودار البوار : جهنم .

- ٢٨٩ -

عد إلى تقديم صنو المصطفى . .

(٢) وقال يهجو «النَّواصب» ويشير الى الحديث المأثور :

١ قُلْ لِمَنْ . . . .

٢ عُد إلى تقديمِ صنو «المصطفى» ولكَ الويلات إن لم تَعُدِ



- ٢٩٠ -

مرهم آل النبي؟

وأعار رحمه الله رجلاً كتاباً - وكان شافعي المذهب - فأعاده وقد كتبَ فيه ما لفظـهُ : « هذان البيتان للإمام الشافعي » :

آل النبــي هُمُ أتبــاعُ ملتِه مــن الأعاجــم والسودانِ والعَربِ ؛*
لو لَم يكُن آلــه إلاّ أقاربه صَلّى المصلّي على الطّاغي «أبي لهبِ» !

فلما وقفَ على ذلك كتب تحتها قوله ؛ تبييناً لمذهب الامام الشافعي رضي الله عنه وقول أهل الحق :

١ آل النبــيّ هُمُ أتبــاعُ مِلّتِهِ من مُؤْمني رهْطِهِ الأَدْنونَ في النّسَبِ ؛
٢ هذا مقالُ « ابن إدريس » الّذي روَتِ الأَعــلام عنـه ؛ فمِل عنْ منهج الكذِبِ ؛
٣ وعِندَنــا ؛ أنهــمْ أبنــاء «فاطمةٍ» وهــو الصَّــحيح بلا شكٍ ولا رِيَبِ .

---

* البيتان للشاعر العالـم نشـوان الحمـيري قالهما أيام الملاحـاة بينـه وبـين بعض خصومـه المتطرّفـين من الشيعة ثم رجع عن ذلك وانظر كتابنا : « جناية الأكوع على ذخائر الهمداني » .

- ٢٩١ -

النّاصبيّ *

وقال وقد بلغه ان رجلاً من النواصب . . . . ، . . قال شعراً يذم فيه الشّيعة في تفضيلهم لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وزعم إنّه لا مزيّة له على غيره

١	«الناصبـيّ» جاحـدٌ	أَعمَى الشّقَاءُ بَصَرَهْ؛
٢	فـرق ما بينَ النبيّ. .	وأخيهِ «حيـدرَه» !
٣	لا تعجبوا مِن بغْضِهِ	لِلْعُتْـرة المطهّـرة،
٤	فـإنّـهُ مَعْرفـةٌ	لـكِنْ أبـوهُ نكِرة !

* كانت الأبيات في الامام صالح بن مهدي المقبلي رحمه الله قد شطبت في «ن» ثم أعادها قارىء آخر بخطٍ ضعيف في الهامش وكتب قارىء ثالث على الأصل مستنكراً السب ولكن آخر شطبه بتعليق رابع وهكذا عبثوا بالديوان. ولعل ما قاله الهبل هو ما أثبتناه. والبيت الرابع ليس كما يرويه البعض. «فأمّهُ» بل فإنَّه؛ وانظر زبارة في نشر العرف ؛ ترجمة المقبلي ، وعلى كل فهي شطحة منكرة وشيخ الإسلام المقبلي من أعلام «الزيدية وفطاحل علماء الإسلام، ولعل الأبيات مدسوسة على الهبل. وأنظر القصيدة رقم - ٢٩٢ -

- ٢٩٢ -

إعطف إلى الذكر الجميل

وقال معاتباً لرجل بلغه أنّه هَجاه :

١	يا مَن هَجاني عَامداً	ومحلّه عندي مكينُ ،
٢	وأباحَ عرضي بالْهِجاءِ . .	وعرضُهُ عندي مَصُونُ ؛
٣	لَمْ ينهَهُ عَقلٌ لدَيهِ ،	كنتُ أعرفُه ودِينُ ؛
٤	كُنْ كيفَ شئتَ فلِي	فؤادٌ بِالْوَفا أبداً يدِينُ ؛
٥	إنْ تحفظِ الودَّ الأكيدَ ،	فإنَّكَ الثقة الأَمينُ ،
٦	أو حُلْتَ عن ودّي وخُنتَ . .	فلا أَحولُ ولا أَخونُ ؛
٧	حاشا لِمثلِكَ ؛ إنَّ	مثلي عنده أبداً يهونُ ،
٨	ولقد علمتَ مودّتي	والشكُّ يُذْهِبُهُ اليقينُ ،
٩	فاعطفْ إلى الذِّكر الجميلِ	فإنَّه حلْيٌ . . يزينُ ،
١٠	واحذرْ مَصاحَبةَ الهِجاءِ . .	فإنَّه بئْسَ القَرينُ
١١	كُمْ مُفْلِقٍ بِهجَائِه . .	تَقْذَى برؤْيتِهِ العيونُ ،
١٢	خُذْها على محضِ الودادِ ؛	كأنّها الدرُّ الثّمينُ .

---

١ ـ المكين : ذو المكانة ؛ وهي المنزلة ورفعة الشأن .

٥ ـ الثقة : المؤتمن .

١٠ ـ القرين : المصاحب والعشير .

١١ ـ أفلَقَ الشاعر: أتى بالعجيب فهو مفلق .

- ٢٩٣ -

آكل لحم أخيه . .

وقال في مثل ذلك ؛

١	هجوتنـــي ظالِمـــاً ؛ فرفقاً	بمؤمـــنٍ قد أَكَلْـــتَ لحمَهْ،
٢	ولَـــمْ يكن ضائـــري؛ ولكن	أخـــاف من أَن تَمـــوتَ تُخْمَهُ!



١ - إشارة إلى الآية الكريمة : « يا أيها الـذين آمنـوا اجتنبـوا كثـيراً من الظـن ، إنّ بعضَ الظـنّ إثم ، ولا تجسّسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ؛ أيحُب أحدكم أن يأكل لحم أخيه مَيتاً فكرهتموه ؛ واتقوا الله ، إن الله توّابٌ رحيم » . الحجرات - ١٢ .

- ٢٩٤ -

كنّا وصرنا . .

وقالَ معاتبا :

١	يا مُبْتـدِي ظلْمـي سَتلْقى غِبّ	صنعـك في ابتدائكْ،
٢	كُن كَيفَ شئـت ؛ قَد اتّكلتُ	علـى النَّوائـب في جزائكْ،
٣	قد كنتُ أَهْـوى القـربَ منكَ،	قليلَ صبـرٍ عَن لِقائك؛
٤	إذ كنـتَ تَسْعـى في رِضايَ،	وكنـتُ أسْعَـى في رِضائِك
٥	حتّـى تغيَّرَ منـكَ ما	قـد كنـتُ أعهـدُ مِن وفائكْ؛
٦	وثنـاكَ صرفُ الدهـرِ عَنْ	ودّي، وكدّرَ مِن صفائكْ،
٧	فـالآن قد أصبحـتُ أَطلبُ	مَـن يُخلِّصُ مِنْ إخائك،
٨	ولَسَـوف تَطلـبُ صُحبتي	فأقـول : مُتْ بوخيمِ دائكْ.

١ ـ الغبّ : عاقبة الشيء . وله معاني كثيرة راجع القاموس المحيط .
٨ ـ بوخيم دائك : بوبيئه ورديئه ومُضرّه .

- ٢٩٥ -

أيها المغضب

وقال في ذلك :

١	أَيهــا المغضَــبُ جَهلاً	ليسَ رزقي في رضاكا؛
٢	لســتُ أرضاكَ إذا لم	تَرتضينــي لإِخــاكــا ؛
٣	فاتّخِــذ غيري خليلاً ،	فَقَــد اختــرتُ سِواكا!

- ٢٩٦ -

فامنعْ خيالك!

وقال مُعَاتباً :

١	يا من تبــدّل بي بديلاً في الهوى	خَفّفْــتَ عنــي حُب ثقــلٍ جائر ،
٢	ناديتُ حبّــك خلٍّ عن قلبــي فقد	مُحيَتْ سطوركَ من صَحيفةِ خَاطِرِي؛
٣	وكمــا رددتَ لي المنــام تَفضّلاً ،	فامنــعْ خيالكَ أَن يمــرّ بناظري.

- ٢٩٧ -

صرخة يأس . .

وقال في مثل ذلك :

١	نَقَضْتَ عهودي فاسترحتُ من الهوى	وقد كان قلبي في عناءٍ من الحُبِّ؛
٢	جزى اللهُ نقضَ العهد خيراً؛ فإنّهُ	أعانَ على إخراج حُبكَ من قلبي؛
٣	فها أنا لا تجري عليك مدامعي،	لِبُعدٍ؛ ولا يشتاق قلبي الى القربِ؛
٤	ولا في وصالٍ منكَ أطلبُ شافعاً	ولا رُسُلي تأتي إليكَ ولا كتبي؛
٥	فَسِرْ حَيثما شاءَتْ ركابُكَ؛ إنّني	لَفي سعةٍ أنْ لاَ أقِلُّ مِنَ الصّحْبِ!

---

٥ ـ القُلُّ والقِلّة : ضد الكثرة ، وقلَّ يقِلّ فهو قليل . وقُلال وقِلال ، وأقلّه : جعله قليلاً .

- ٢٩٨ -

فلا أنا يعقوبُ ولا أنتَ يوسف !

وقال رحمه الله :

١	وقد كنتُ ذا صَبر على الهجر والنّوى	على حَمل أثقال الهوى أَتكلّفُ،
٢	صَبرتُ على أشياء منكَ أقلّها . .	يقلُّ لَه صَبرُ الجليدِ ويضْعفُ؛
٣	فأمَّا إذَا استَبدلْتَ عَني صاحباً،	وأظهرتَ لي غير الّذي كنتُ أعرف،
٤	وأوسَعْتَني مِن غير جُرمٍ مَلالَةً،	وصدّقتَ ما قالَ الوشاةُ وزَخرْفوا؛
٥	فزدْني هجْراناً ؛ أزدْك تَسلّياً؛	فلا أَنا «يَعْقوبٌ» ولا أَنْتَ «يوسفُ»
٦	وخُذْ في التّجافي ما أردْتَ؛ فلم أقلْ؛	لَعلك ترضى؛ أو لَعَلكَ تَعْطفُ، !

٦ - البيت الأخير رقم -٦- في القطعة رقم - ٢٩٨ - لا يوجد في «ن» .

- ٢٩٩ -

تجهلون ونحلم !

وقال في ذلك :

١	إلىكم تغضّون مِن قَدرنا ؟	وكم تَجهلُونَ ،وكَم نَحْلَمُ ؟
٢	وكم ذَا تهينونَ أعراضنا؟	ونحنُ لأَعْراضِكم نكْرِمُ !



- ٣٠٠ -

الفاعل التّارك !

وقال :

١	لِفِعـــلِ الخير تَشتُمني	وَتركي بَثّ أَسرارِكْ؟
٢	فقلْ ما شئتَ في شتمي:	فإنـي «الفاعِـلُ التَّارِكْ»!

- ٣٠١ -

وقال :

١	مـا لي وقَـد أتيتُكمْ	في عَرَضٍ قَدْ عَرضا !
٢	سـدّدتُ سَهمَ أَملي ،	ومَا أصَبْـتُ الغَرَضَا !؟



- ٣٠٢ -

لمــاذا؟

وقال إلى بعض أصحابه معاتباً :

١ ركبنا مطايا الشّوق سعياً إليكُم ... لِنشفـي فؤاداً بالفـراقِ معذّبا ؛

٢ فلم نلقَ منكمْ مَا عَهِدناه أوّلا . ؛ ... ولا قلتم : أَهلاً وسَهلاً ومَرحبا !

قال في الأصل مقدّماً للبيتين رقم - ٣٠٢ - « وقال بعض أصحابه له معاتباً » وهما لا يوجدان في « ف »

- ٣٠٣ -

لا عدمناكم !

وكتب إلى صديق يطلبُ منه عارية كتاب « الغيث الذي انْسجم » :

١ شوقي إلى الغَيث قَد تمادى فابعَثْ به سيّدي سريعا؛

٢ لا زالَ يحكيك في نوالٍ ولاَ عدمناكُمُ جَميعًا. !



- ٣٠٤ -

سوق . .

وقال يعتذر لمؤلف « الغيث الذي انْسَجم[٢٧] » من جمعه لأَشياء فيها قذاعة ومجون تكره الآذان سماعه :

١	يلـــومُ في «الغيث» أقـــوامٌ مؤلّفهُ	واللّومُ عنـه لعمــر اللهِ مردودُ ؛
٢	فإنّـــه سُوق آدابٍ جُلِبْـــن بهِ ؛	والسّوق هذا وهذا فيه موجودُ !

(٢٧) راجع : أعلام الديوان

. . . .

٢ ـ في «ن» : « جُمِعْنَ بهِ » .

- ٣٠٥ -

لا إقذاع . . بل إحماض !

وقال في ذلك مراعياً لِلطيفة :

١	مُذ تَراءى الإِحماض في «الغيث» قومٌ	أوسعُوه لذاك لَعناً وسبّا ؛
٢	قُلتُ هذا مِصداق ما ذكروه:	إنّ «لِلْغيث» باغِضاً ، ومحبّا!



---

١ ـ الاحماض : الإِفاضة فيما يؤنس من الحديث .

- ٣٠٦ -

لُغز . !

وقال مُلغِزا :

١	يا أديبـاً لا يُدانـي شأوَهُ	في المعالـي مَنْ دَنـا أو مَن شَحطْ؛
٢	قُلْ لنـا ما اسـمٌ تَرى جملتَهُ	ضِـدّه في الـوصْفِ إنْ حرفٌ سقَطْ !
٣	حَسَـنُ العُقْبَـى ، وإن قُوبـل في	أوّلِ الأَمْـرِ بكُرْهٍ وسَخَطْ !
٤	وهـو في العـدّ ثلاثـيّ ، ومَا	في الـذي أوردتُـه قطّ غَلَطْ ؛
٥	وإذا الثلثـان منـه سَقَطَا	صـار ما أبْقـيَ مُعْتَـل الوسَطْ؛
٦	ولَـهُ التّصـحيح حقٌّ لازمٌ،	وتَـرى أوسَطَـهُ مَا صَحَّ قَطْ !

١ ـ شحط : تباعد . ولم يشرح اللغز جامع الديوان وفضّلت أن أدعه بلا حلّ ليروض فكره من يرغب في ذلك .

- ٣٠٧ -

المكرمات

وقال مُحَاجياً : في « المكرُمَات »

١	يا فاضِـلاً قدِ جاءَنا	بـكـلّ مَعنـى حَسَنِ ؛
٢	مـاذا الـذي تراهُ مثـل قـولـك : الخـدع فَني ؟	



٢ - يعني : « المكْرَ . . مَاتَ » .

- ٣٠٨ -

أحجيّة . .

وقال محاجياً : «في سَلْسَبيل»

١ يا مَنْ غَدا بينَ الأَنا . . مِ بكلّ مكْرمــةٍ خَليقَا ؛

٢ مــا مِثــل قَولِكَ لِلّذي حَاجَيْتَــهُ : أطْلُــبْ طَريقَا؟

---

٢ - يعني : « سَلْ - سَبيلاً » ؛
ويقال حاجيته محاجاةً : فاطنته ، وكلمةٌ مُحْجِيَةٌ : مخالفــة المعنى للّفظ والاسم الأحجيّة .



البَاب الخامِس

فيمَا قَاله " رضوَان الله تعَالى عَليَـهِ "
مِن المـَرَاثي وَالتـأبين ،
في آل محمّد المطهّرين ، وَشيعتهم الميَامِين



- ٣٠٩ -

إن صبري عن جميلٍ لقبيحُ

قال يرثي الفقيه الفاضل العابد جمال الدين شيعيّ آل محمد جميل بن علي الكَلبي(٢٨)؛ وكانَ هَذا الزّاهد قد بلغ مِن الخشية أن يُغْشى عليه إذا ذُكِرتْ عندَه النّار :*

١ كيفَ لا أُبْــدي شجونــي وأنوحُ ؟ كيفَ لا أغْــدو كَئيبــاً وأروحُ ؟

٢ كيفَ لا تهْجـرُ عينــايَ الكرَى؟ كيفَ لا تجـري دموعــي وتسيحُ ؟

٣ بَعْدَ مَــا ضمـّتــك أطبــاقُ الثّرى، وتغشّــاكَ علــى رغْمــي الضّريحُ ؛

٤ يا نَصيحـي ؛ لا تَلمنــي فِي البُكَى، بــانَ لي غَشّــكَ فيه يا نَصيحُ !

٥ لا تَرمْ مِنّــي صَبــراً بَعْدَه ؛ إنّ صَبْــري عَنْ «جميل » لَقبيحُ ؛

٦ يا حبيبــاً؛ حُزْنُــه أمْــرضني ، ولَــه في قلبــي الــودُّ الصَّحيحُ ؛

٧ هَلْ لِطرفي منــكَ يومــاً نظرةٌ ، رَيْثمــا ينْدَمِــلُ القَلــبُ الجَريحُ ؟

---

(٢٨) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان.

. . . .

* في « ف » : « وكثيراً ما يغشى عليه عند ذكر الجنّة والنّار ».

٧ ـ اندمل الجرح : تماثل وبرىء .

- ٣١٠ -

عقيلة المجدِ

واقترحَ عليه مَن يجلّ قدره لديه أن يقول مرثاةً في الشريفة الطّاهـرة ، ذات الحسنات الباطنة والظّاهرة ، « زكيّة بنت عبد الربّ[٢٩] » والدة السيّد الأكمل الحسين بن الحَسن ابن أمير المؤمنين المنصور بالله فقال :

١	يا عينُ؛ أمّـا لِهـذا الحـادثِ الجَلَلِ	شقّي غَمامَـكِ عن مُسْترسِـل هَطِلِ ؛
٢	وفجّـري مِنْ يَنـابيع الدّمـوع إذاً	بحـراً ، ولا تَقْنعـي مِنْهـنّ بالوشلِ ،
٣	والنّـوم لا تصـليه واهْجـريه أسىً	فَالسُّهْدُ في مِثلِه فرضٌ علـى المقَل ؛
٤	وأنـتَ يا قَلْـبُ إن لم تَنْصـدعْ أسفاً	بينَ الضّلـوع فَسِـرْ عَنْهـنَّ وانتقِلَ ؛
٥	وأنـتَ يا صبـرُ ولّي الظّهـرَ مُنْهزِماً	فَقَدْ أتتكَ جيوشُ الحُـزْنِ عَنْ كَملِ ؛
٦	فقـد رُزينـا بمَـنْ هُدَّتْ لِمَصْرَعها	شُـمّ الشوامخ ، وانْهدّت ذُرى القُلَلِ ؛
٧	شمسُ الـظهيرة ؛ إلا أنّهـا أبَداً	مـا استوطنَـتْ قطّ إلا دارة الحَملِ !
٨	غابَـت فأصبَـح ظلّ الجـود مُنتقلاً ؛	« وهـل سمعـتَ بظـلٍّ غيرِ مُنتقل »؟
٩	وأسْعَـرتْ إذ تولّـت في جوانحنا	«حَرْبا» تُحدِّث عن «صفين والجمل»!

(٢٩) تراجع ترجمتها في: أعلام الديوان

١ ـ هطل المطر : نزل متتابعاً عظيم القطر . والمسترسل . المتّسع الدائم .
٢ ـ الوشل : القليل من الدمع .
٦ ـ في «ف» : «فقد رُزينا التي هدّت» ! والقُلل : الجبال .
٧ ـ الدّارة : الهالة . والحَمَل : برج معروف ، وهو من أبراج الربيع .
٨ ـ العجز من «لامية العجم» للطغرائي وصدره : « ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات لها» .

١٠ وقامَ كلّ نبيهِ القدْرِ يندبُها ... بكلّ مُبْتَكَر الألفاظ مُرتَجلِ :

١١ مَنْ لِلأراملِ والأيتام يوسعُهُم ... بذْلاً إذا ضنّ كفُّ الغيث بالْبَلَلِ ؟

١٢ ومن يجير طريد الحادثات ؟ ومَنْ ... يُرجَى لِتصديقِ حُسنِ الظنّ والأملِ ؟

١٣ ومن يجود على العافين إن وقفوا ... مِن رسم إحسانهَا العافي على طَلَلِ ؟

١٤ كَم لوعةٍ أودعَتْ إذ ودّعَتْ وأسىً ... يزولُ منها «ثبيرٌ»، وهيَ لم تَزلِ ؛ !

١٥ بكتْ عيونُ المعاني بعدَها حزناً ... وكشّر الدهر عن أنيابه العُظُلِ ،

١٦ فانْفِ المنامَ، وقل للدّهر نَمْ؛ فَلَقدْ ... «رميتَ يا دهر كفَّ المجد بالشّلل»؛

١٧ وقد فتكتَ بشمسٍ لو تُقاسُ بها ... شمسُ الظهيرة لم تنحط عن زُحَلِ ؛

١٨ وروضة لم تحاذرْ بطشَ حارسها، ... وطالما مُنعتْ بالْبيض والأسَلِ ؛

١٩ وقد تعمدتَ إرغامَ الأنوفِ بما ... أبديتَ من خطأٍ محضٍ ومن خطَلِ ،

٢٠ جليلة القَدرِ فازتْ عند خالِقِها ... بِحُسْنِ ما ادّخرَتْ مِن صالحِ العمل ؛

٢١ وأُسكِنَتْ جنّة الفردوسِ خَالدةً ... تميسُ في حبرِ الرّضوان والحُلَلَ ؛

٢٢ عقيلة المجد؛ ما بين «النبيّ» زكتْ ... أصلاً؛ وبين أمير المؤمنين «عَلي»!

٢٣ «أم الحسين» الذي سارتْ مكارمُه ... في الخافقين مسيرَ الشمس والمثلِ ؛

٢٤ مَلكٌ لديه عهودُ الجودِ مُحكمةٌ ... يحولُ صبغ اللّيالي وهي لم تَحُلِ ؛

٢٥ تُقصّر الصّيدُ عن إدراكِ غايتهِ ... سَعياً ويُدركُها مَشْياً بلا عَجلِ ،

٢٦ إن تَلْقَهُ تُحْظَ منه في نَدىً وردىً ... بالزّاخرِ العذب أو بالفارسِ البطَلِ ؛

٢٧ مِن معشرٍ ثاقبي الأحساب هِمّتُهمْ ... بلوغُ غاية مَجد السّادة الأولِ؛

٢٨ مِن سائري الذِكْر في شامٍ وفي يَمَنٍ؛ ... من باذلي الجودِ في حافٍ ومُنْتَعِلِ ؛

٢٩ مِن حافِظي الدين مِن رأي الغُلاةِ، وما ... عَسَاهُ ينجُمُ مِن زيغٍ ومِنْ زلَلِ ،

---

١٥ ـ في كلّ من النسختين : « العُظُل » بالظاء المعجمة ؛ من عظل يعظل : تراكب بعضه فوق بعض ، وفي «ن » : « عن أنيابها » ،وأرجّح أنها« بالضاد » المعجمة على وزن «صرد» والعُضَلة هي الداهية ، وجمعها عُضل .

٢٢ ـ العقيلة : من النساء : الكريمة المخدّرة ، وعقيلة البحر: درته .

٢٩ ـ الغلاة : من غالىَ مغالاة في الأمرِ أو المذهب تشدّد وجاوز الحد ؛ والواحد : غالٍ . ونجم : ظهر .

٣٠ مِنْ كاشفـي ظُلَـم الجُلَّـى برأيهمُ، إذا تجهَّـم وجـهُ الحـادثِ الجلَلِ ؛
٣١ مِنْ قائدي الجيش مِثل البَحْـرِ مُلْتَطِماً مسيرُهُ من غمـام النَّصْـر في ظُلَلِ ،
٣٢ مِن واهبي البيضِ والسّمر الذّوابلِ قد ضمّـتْ إليهـا كرام الخيلِ والإبِلِ ؛
٣٣ مِن مَالكي الملكِ في الدّنيا بأجمعها، فمـا لَهـم فيه بعـدَ الله من مَثَلِ ؛
٣٤ مِنْ مُوردي بيضهـمْ هام الكمـاةِ فما تنفـكّ في عَلَلٍ مِنْهـا وَفي نَهَلِ ؛
٣٥ مِنْ مُصْدري سُمرهمْ عوجَ الكعوبِ بما تَفُضُّ من حلَق الأَدراع في الوهَلِ ،
٣٦ لَكِنّهـم كَفِلُـوا تَثْقِيفهـا أبَداً إذَا انْثَنَـتْ بلظـىً لِلْحـرب مُشتعلِ
٣٧ قومٌ أقَامُـوا حُدودَ الله ، وابتَدَروا بالمشْـرفيّةِ والعسَّالـةِ الذُّبَّلِ ،
٣٨ يَسْتَوطنـونَ ظِلالَ النّقـعِ يومَ وَغىً، ويصحبـون القَنـا فيهِ بلاَ مَلَلِ ؛
٣٩ رُجْـحٌ؛ كأنّهـمُ لَم يَعْرِفـوا أَبَداً مِن الكلام سِوى: خُذْ مَا تَشَا وسَلِ ؛
٤٠ تُضـيءُ في دُوَلِ الإسـلامِ دولتُهُم كأنّهـا غُرّةٌ في جَبْهَـةِ الدّولِ؛
٤١ وكم بدَوْلَتِهـم مِنْ دَولـةٍ نُسِخَتْ؛ كأنَّها مِلّـة الإسْـلام في المِلَلِ ، !
٤٢ وجـدْتُ فيهـم مكانَ القَـولِ ذا سِعَةٍ « فـإن وجـدتَ لِسانَـا قائِـلا فَقُلِ »
٤٣ لِمْ لاَ نُشارِكهم في الحادِثـات وقد صِرنـا نُشاركُهم في المـالِ والخَولِ؛
٤٤ صَلَّـى الإلَـهُ عليهـم ما سَرى قَمَرٌ في الأفُق بَعْدَ أبيهـم خاتـمِ الرُّسُلِ .

٣٥ ـ الكعب جـ كعوب : العقدة من عُقَد الرمح ، والوهل : الفزع .

٤٣ ـ الخول جمع خَوْليّ : العبيد والاماء وغيرهم من الحاشية .

- ٣١١ -

مَنْ لِلْمساكين . ؟

وقال يرثي الشريفة الطّاهرة المطهّرة، المكرَّمة المنورة، نفيسة[٣٠] بنت علي ابن أمير المؤمنين المؤيّد بالله ويعزّي بعلَها المولى العلاّمة عماد الدين أبا عليّ يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين المؤيد ، ويُهنّيه بالعافية من ألمٍ ألمَّ به بعد وفاتها ، وكانت وفاتها يوم الخميس عاشر شهر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وألف «١٠٧٨هـ» وقبرها جنب أبيها من الجهة «العدنيّة» بالقرب من قُبّةِ « الوشلى » وعليهما قبّة :

١ أفِضْ عليكَ لبوسَ الصبْر والجلَدِ ... فإنّه الموتُ لا يُبقي على أحدِ؛

٢ وبالتجلّدِ قابِلْ كلَّ حادثةٍ ؛ ... إن لم يكنْ لكَ عند الخطبِ مِن جَلَدِ؛ !

٣ إنَّ الّذي يظهرُ الإنسان من جزع ... أمرٌ ؛ إذا جاءَ أمر الله لم يُفدِ،

٤ فالموتُ أكؤُسُه لا بدّ دائرةٌ ... لكلّ مُقتربٍ منّا ومُبتعِدِ ؛

٥ كلٌّ لَهُ عُمرٌ مُفْضٍ إلى أَجلٍ ؛ ... متى أتى المرءَ؛ لم ينقصْ ولم يزدِ؛

٦ عُمرُ الفتى حَلْبةٌ، والموتُ غايتُها ... والمرؤ مِن موتِه يَسعى إلى أمدِ؛

٧ - وقد يهوِّن ما في القلب من جزع ، ... أن لا بقاء لغير الواحد الصمد ؛

٨ يا درّةَ العقد في آلِ «المؤيّد» لَم ... يتركْ مُصابكِ من قَلبٍ ولا كُبدِ،

٩ لو كانَ يَدفعُ مِنْ مَاضي القضا عَدَدٌ ... حُطناكِ بالعَددِ الموفورِ والعُدَدِ،

---

(٣٠) تراجع ترجمتها في: أعلام الديوان

١ - أفاضَ الماء على نفسه : أفرغه .

٥ - أفضَى الى الشيء : وصل .

٦ - في «ف» : « والكلّ من موته يسعى » .

٧ - الصّمْدُ : القَصْدُ والصّمَدُ : السيّد لأنه يُقصَد .

١٠	أو أنه كانَ يُرضـي المَوت فيكِ فدىً	إذاً فدَينـاكِ بالأهلين ، والوَلَدِ!
١١	لكنّـه المـوتُ؛ لا يُرضيهِ بذلُ فدى	ولاَ يصيخُ إلـى عَذلٍ ولا فَنَدِ؛
١٢	ولا يرقّ لِذي ضعفٍ وذي خورٍ،	ولا يُحـاذرُ بطشَ الفـارسِ النّجدِ!
١٣	يأتي الملوكَ؛ ملوكَ الأرضِ مُقْتحماً،	ويُخـرجُ الشبـلَ من عرّيسـةِ الأسدِ!
١٤	مَنْ لِلْمساكين ؛ قد أصـليتِ أكبدِهمْ	بـلاعجٍ من ضرام الحُـزنِ مُتّقِدِ؛؟
١٥	مَنْ لِلأرامـلِ ؛ تبـكيكَ الدّمـاءَ لِمَا	حَمَلْنَ بعدَكِ من كربٍ ومـن كمد؛ ؟
١٦	كَمْ مِن فؤادٍ غدا حَيرانَ مُلْتهباً،	حُزناً؛ ومن مَدْمعٍ في الخـدّ مُطرّدِ ؛
١٧	لا غرو إنْ مُتْـنَ مِنْ حُزنٍ عليكَ فقد	فَقَـدْنَ مِنـكَ لعمـري خيرَ مفتَقدِ !
١٨	أمّـا كَرُزْئِـك؛ لاَ واللهِ مَا سَمِعَتْ	أذنٌ، ولا دَارَ في فكْرٍ، ولا خَلَدِ!
١٩	رُزوٌ غدا مِنهُ شمـلُ المجـدِ مُنْصَدِعاً	وفـتّ في ساعِـد العلياء والعَضُدِ ؛
٢٠	جلَّ المصابُ؛ فما خَلْـقٌ يقـولُ إذنْ	يا صَبْرَ أسْعِدْ؛ ولا يا حزنُ قَدْكَ قَدِ؛
٢١	وحسبنـا أسْـوةٌ طه و« حيدرةٌ»	والآلُ أجمـعُ مِنْ داعٍ ومُقتصِدِ ؛
٢٢	فاصبرْ «عمادَ الهُدى» لِلْحكمِ مُحْتَسِباً	أَجراً ، وسلّـمْ لأمـرِ الواحـدِ الصّمَدِ؛
٢٣	فالصَّبـرُ عقـدٌ نفيسٌ ما لَهُ ثَمنٌ	ولا يكونُ لغير السيِّد السَّنَدِ ؛
٢٤	ومـا الـرَّزيّةُ يا مولايَ هيِّنةٌ؛	وإن أُمرتَ بحسْـنِ الصبّـرِ والجَلَدِ ،
٢٥	لكِن نَسُومُـكَ عَادَاتٍ عُرِفْـتَ بها؛	أنْ لَسْـتَ تُلْقِـي إلـى حُزْنٍ غزَا بِيَدِ؛
٢٦	وليسَ مثلكَ مَنْ بالصَّبـر نأمرُه؛	فأنتَ أنتَ الّذي يَهْـدِي إلـى الرشدِ؛
٢٧	كم حادثٍ لا تطيقُ الشـمُّ وطأتَه؛	لاقيتَـهُ مِن جَميل الصَّبـرِ في عُدَدِ !
٢٨	ألسـتَ مِن سَادةٍ شمٍّ غطارفةٍ	أَحْيوا بوَبْلِ النَدى الـوكّافِ كلَّ نَدِي؛

١١ـ الفَنَدُ : من فنّده : إذا كذّبه وعجّزه وكذّب رأيه .

١٢ ـ النَّجدُ ، والنّجْدُ والنَّجَدُ : الشجاع الماضي في ما يعجز غيره.

١٣ ـ العِرّيس ، والعِرّيسَة : مأوى الأسد .

١٨ ـ الخَلَدُ : البال والقلب والنفس .

١٩ ـ انصدع : انشقّ كتصدّع .

٢٠ ـ قَدْكَ : يكفيك ، وقدِ : أي يكفي .

٢٥ ـ سامَ فلاناً الأمر : كلّفهُ إياه ، أو أولاه إياه ؛ وأكثر ما يستعمل في العذاب والشر .

٢٨ ـ النَّدي : مجلس القوم ؛ كالنّادي ، والندوة .

٢٩ القــومُ تَضْــربُ أمثَــالَ العُلَــى بِهمُ — بينَ البــريّة طُرًّا آخــرَ الأَبدِ؛

٣٠ المقْدمـونَ وأسْــدُ الغــابِ خَاضعةٌ، — والباذلــو الجــود والأَنــواء لم تَجُدِ؛

٣١ غُرٌّ رقَـوا مِن مَراقــي المجــدِ أَرفَعَها — وقوَّمُــوا كلَّ ذي زَيْغٍ وذي أَوَدِ؛

٣٢ واشــكُرْ لمــولاك إذ أَولاكَ عافيةً؛ — لا زِلْــتَ ترفــلُ في أثوابهــا الجُدُدِ

٣٣ ومــا بقيتَ لنــا فالصَّــدعُ ملتَئمٌ؛ — فأنــتَ للــدّين مثــلُ الــرّوحِ لِلْجسدِ



٢٩ ـ هكذا في الأصل والذي أحفظه : «بين البريّة حتى آخر الأبد» .
٣١ ـ الأود : الأعوجاج .

- ٣١٢ -

علي بن سعيد الهبل[٣١]. .

وقال يرثي العلامة المجاهد جمال الدين علي بن سعيد الهَبَل وأخبرني «الصنو» جمال الدين علي بن أحمد بن سعيد الهبل[٣٢] أن «الصنو» شرف الدين الحسن بن علي وقفَ بعد دفن القاضي علي بن سعيد على قبره بعد انصراف النّاس منفرداً وأنشأ هذه المرثاة في الحال على القبر ؛ ولم يكن ثمة دواة ولا قرطاس فكان يكتُب الأَبيات على التّراب وما كتبه تحفّظَهُ وأملاها عليهم بقيّة يومه :

١ أتـدْري مَنْ تخرَّمـتِ المنونُ ؟ ومـن أرِقَـتْ لمصْرعـهِ العيون؟

٢ ومَـنْ ذا أثقـل الأعنـاقَ حملاً وخفَّ لِحُزنِـه العقـلُ الرَّصين ؟

٣ ومَـنْ مَلأَ القلـوبَ أسـىً وحُزْناً فـكلُّ فتـىً لِمَصْرعِـهِ حزينُ ؟ !

٤ وَمَـنْ في جنّـةِ الفِـردوسِ أضحَى لـديهِ الظـلُّ ، والمـاء المعينُ ؟

٥ وأيُّ هلالِ أفـقٍ غَاب عَنهُ وكان لأُفقـهِ أبـداً يزينُ ؟

٦ أتـدري يا زمـانُ بِمَـنْ دَهتْنا صروفُـكَ ؛ أنـك الزّمـنُ الخؤونُ ؟

٧ وأنـكَ بالّـذي أحدثـتَ فينا . . جديرٌ أن تُساءَ بِـكَ الظّنونُ ؛ !

٨ لَئِـنْ كدّرتَ من عيش البرايا فمبْـدأ خلْقِهـم مَاءٌ وطينُ ؛ !

٩ هوَى البـدرُ الّـذي قد كان حقًّا بـه نورُ الهـدايةِ مُستبينُ ؛

---

(٣١) و(٣٢) تراجع ترجمتها في: أعلام الديوان

١ـ تخرَّمته المنيّة ، واخترمَتْه : أخذته واقتطعته .
٢ ـ خفّ : طاش .
٤ ـ الماء المعين : أي الماء الجاري .

١٠ هوىَ الجبلُ الّـذي قد كان يأوي   إليه الملتجي والمسْتكينُ ،

١١ مضى القرم الـذي قد كان ذخْراً   تُناطُ بهِ الحوائجُ والشؤونُ ؛

١٢ فأيّ سحاب دَمعٍ ليسَ يهمي ؟   وأيّ حصاة قلبٍ لا تلينُ ؟

١٣ وليسَ يردّ سهمَ الموتِ درعٌ   مُزَرّدَةٌ ، ولا حصنٌ حصينُ ،

١٤ سُقيتَ الغيث قبراً حلَّ فيه   تُقىً وعُلىً ، وإيمانٌ ، ودينُ ؛

١٥ ثَوى فيكَ الّذي ما كان يُلْفَى   لَه في كلّ مكْرمةٍ قرينُ ؛

١٦ رجعْنا عَن ثراهُ بجيشِ حزنٍ   لَه في كلِّ جارحةٍ كمينُ ،

١٧ وأجرينا جيادَ الصَّبر عنْه ؛   ولكن شَوط مرزئِه بَطِينُ .

١٨ فيا لكَ ميّتاً قد بانَ عَنَّا   تكادُ لِبَيْنِه الأَحشا تَبينُ ؛

١٩ وآهِ لِطولِ بُعدكَ من حبيبٍ   وهلْ يجدي التأَوّهُ والحنينُ ؟

٢٠ وَوَالَهفي عليكَ وقد تدانى   خروجُ الروح ، وانقطع الأنينُ ،

٢١ وأُسكنتَ التراب برغْم قومٍ   مَحلكَ في قلوبهُم مكينُ . !

٢٢ يكادُ النَّوم أَنْ يغشى الأَماقي،   فتَلْفظه لذكراك الجفونُ ؛

٢٣ أَهَنّا إِذْ دُفِنْتَ عقودَ دمعٍ   مخبّأةً لِغيركَ لا تَهونُ ؛ !

٢٤ وكلّفنا الجوانحَ عنكَ صبراً،   فقالَتْ لا قرار ولا سكونُ ؛

٢٥ وخانتنا بكَ الأيّام لكِنْ   بِحُسْنِ الصَّبر بعدَكَ نَسْتعينُ !

٢٦ وكيفَ الصَّبر عنكَ أَو التَسلّي؟   جميلُ الصبرِ بعدَكَ لا يكونُ ؛

٢٧ فَهلْ يدري سَريرُك مَنْ عَلاهُ؟   علاهُ العِلْمُ أَجمعُ واليقينُ؛

٢٨ وهل يدْري ضريحُكَ مَن تغشّى،   ومن وهو تَحْتَ تُربته دَفينُ ؟

٢٩ قُرنتَ بصالح الأعمال فيه،   وحسْبك أنّه نعم القرينُ ؛

---

١١ ـ القرم : السيد العظيم . وتُناط : تُعَلّق .

١٧ ـ البطين هنا : البعيدُ يقال : « شأوٌ بطينٌ» أي بعيد . ومرزئه : مصابه العظيم .

٢٠ ـ وانقطع الأنين : هكذا في الأصل والمعنى مستقيم وربما كانت «الوتين » والوتين : عرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه .

٢٧ ـ السريرُ : النعش قبل أن يحمل عليه الميت .

٣٠ يعــزٌّ علــى العلــوم نواكَ عنها،	وأنــتَ لبحرهــا الطَّامــي سفين ،
٣١ هلالاً كنــتَ غالَتْــهُ اللّيالي،	وليثــاً كنــت أَسْلَمــهُ العرينُ؛
٣٢ جَعَلْــتَ ودادَ أهــلِ البَيتِ ديناً	لِعلمــك أنَّــه الحبــلُ المتينُ؛
٣٣ ودِنــتَ بدينهِــم ُفي كلٍّ حالٍ،	وذاكَ لعمــرك الحــقّ اليقين،
٣٤ وكنــتَ من «التشيّع» في محلٍ	تُسافــر دونَ غايتِــه العيون !
٣٥ فيهْنيكَ القــدوم علــى كريم	خزائــنُ مُلــكِهِ كافٌ ونونُ ؛
٣٦ ويهنيكَ الدعــاء : نَجــوتَ عبدي،	فعَفْــوي لا تُكَدِّره الظنونُ ؛
٣٧ ويهنيكَ ادّخــاركَ خير كسْبٍ	إذا الجانــي بمكسَبهِ رهينُ ؛
٧٨ وأخــذك لِلصَّحيفــةِ يوم حشرٍ	إذا انتدبــتْ لتَأخذَهــا اليَمينُ ؛
٣٩ سأنظــمُ فيكَ ما يعلــو ويغلُو،	ويرخُص عنــدَه الــدرُّ الثمينُ ؛
٤٠ وأسقــي تُربَ قبــركَ غيثَ دمعٍ	يقصّــر دونَــه الغيث الهتونُ،
٤١ فمثلكَ ما سمعنــا في البرايا،	ولا قَد كان قَطٍّ ، ولا يكونُ ؛
٤٢ عليكَ صلاةُ ربّــك بعد «طه»	وعترتِــه فأنــتَ بهــا قمينُ.

٣١ ـ غالَهُ : أهلكه كاغتاله ؛ وأخذه غيلةً .
٣٥ ـ «كاف ونون» أي «كنْ» إشارة الى الآيات الكريمة والتي منها : «سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له : كن فيكون» . مريم ـ ٣٥ .
٤٢ ـ قمين : جدير .

- ٣١٣ -

قصيدة على ضريح !

وأمره والده القاضي العلاّمة جمال الإسلام علي بن جابر الهبل[٣٣] أن يَقول أبياتاً تُرسَمُ في حجرٍ على قبر القاضي علي بن سعيد المذكور فقال هذه القصيدة واختصر منها أبياتاً تكْتبُ على الضريح :

١ يا قبر جادكَ وابلُ الرّضوانِ ، واستَوطَنتكَ عَواطفُ الغُفرانِ ؛
٢ وعلى ثراكَ تخطّرت ريحُ المنى تَسري بنَشْر البرِّ والإحسانِ ،
٣ فلقد ثوى بثراكَ حَبْر ماجدٌ حزنتْ لموقع صوته الثقلانِ ،
٤ يا ضاحكا في جنة الفردوس قد أبكيتَ مَن كانَتْ له عينان !
٥ ما كان أبرك منك عمراً ماضياً قضّيتَهُ في طاعة الرحمانِ ؛
٦ وغدوتَ معتصماً به مستعصماً بمعاقِلِ التقوى من الشيطانِ .
٧ وسعيتَ في كسْبِ الثناء فأنتَ من كفل الثناءُ لَهُ بعمرٍ ثاني ؛
٨ والعلم أجمع قد غدوتَ مُبرّزاً في شوط حلبتِه على الأقرانِ ؛
٩ وبذلتَ نفسك لِلأئمّةِ راعياً لِعهودِهم في السرِّ والإعلانِ ؛
١٠ وقضيتَ دهراً في القِراع لعُصْبَةٍ شُغلوا بقرْع مثالثٍ ومثاني !
١١ جاهَدتَ في مولاك حَقّ جهادِهِ تبغي رضا المتَفضّلِ المنّانِ !

(٣٣) تَراجع ترجمته في: أعلام الديوان

٣ ـ الحبر : العالم الصالح . والثقلان : الأنس والجنّ .
١٠ ـ القِراع : الضرب والمطاحنة ؛ من تقارع القوم بالرماح : تطاحنوا بها . وقرع : دق ونقر والمثالث والمثاني من أوتار العود .

١٢ كم منْ مُحبٍ قد تركتَ مُكابداً أهوال دارٍ مذلّةٍ وهوانِ!
١٣ دارِ المصائبِ والنّوائبِ والعنا، وقرارةِ الأكدارِ والأحزانِ ؛
١٤ أعرضتَ عَن دارِ الغرورِ فأنتَ مِن دار المُقامةِ في أعزّ مكانٍ . !
١٥ كم ليلةٍ أَحْيَيْتَها متُهجّداً بالفكْرِ ، والصَّلوات ، والقرآنِ !
١٦ تدعو إلَهكَ في دُجاها قائلاً : جُدْ بالفكاكِ على الأَسير العاني ،
١٧ لو كُنْتَ تملكُ إنْ سُئِلْتَ إجابةً ما قلتَ ! إلاّ سرَّني وحباني ؛
١٨ وأباحَ لي وِرد الرِّضى كرماً وما برحتْ عواطفُ بره تغشاني ،
١٩ وأحلّني دارَ المقامةِ خالداً ، في ظلّ ملك دائمٍ ، وأمانٍ ،
٢٠ ونداؤهُ إيّاي ؛ فُزتَ بما تَشا مِن جنّتي ، ونجوتَ من نيراني ؛
٢١ آهٍ لو انكَ عِشتَ في أعمارنا دَهراً ؛ وكنّا نحنُ في الأكفانِ ؛
٢٢ هيهات ، لا يَبْقى على ملكوته إلاّ الإلّه وكلٌّ حيٍّ فاني !
٢٣ فاذكرْ أهاليكَ الذين تركتَهم يتَجرَّعون مرارةَ الأحزان ؛
٢٤ واسأَلْ لنا مولاك غُفْراناً إذا حضرَ الحِساب ، وزلّت القدمان ؛
٢٥ أحسِنْ ضيافتنا غداة قدومنا ؛ فلقد عهدتكَ مكرمَ الضّيفان !
٢٦ وصلاة ربّكَ لا تَزال مدى المدى تُهدى إلى المختار من عَدنانِ
٢٧ والآل مَن عَذُبتْ مواردُ ذِكرِهمْ مِن كُلّ مخلوقٍ بكلٍّ لِسانِ

---

١٤ ـ « دار المُقَامَة » : الجنة ؛ قال الله تعالى : « الذي أحلّنا دار المُقامَة من فضله ، لا يمسنا فيها نصبٌ ، ولا يمسّنا فيها لغوب » . فاطر ـ ٣٦ .

- ٣١٤ -

أَتُعزَّى أم تهنَّى؟

وكتبَ إليّ رحمه الله وقد حصل لي ولد ولم يلبث أن جعله الله سلفاً وفرطاً وأجرا ؛ معزّياً ومسلّيا :

١ أتُعَزّى في المُصاب ؟ أم تُهَنّى بالثّواب ؟
٢ وأرى ثانيهما أدنى إلى نهج الصّواب ؛
٣ فاحتسِبْ بالقادم الرّاحل ذخراً في الحسابِ ؛
٤ وتلقّ الخطب إن جلّ بصبرٍ ، واحتسابِ ؛
٥ واغنمِ الزّلفَة ممّنْ عندهُ حسنُ المآبَ ؛
٦ ليس غير الله يخلُو من نَفادٍ ، وذهابِ!
٧ واللّيالي لم تزل فاعلَم بِنا ذَات انقلاب؛
٨ ويحها كم خَدَعَتنا بسرابٍ كالشراب
٩ لَم تزل في الخلق تأتي كلّ خلقٍ بعجاب ؛
١٠ لَمْ تَدعْ ذَا ، لِمَشِيبٍ، لاَ ولا ذا ؛ لِشباب !
١١ لا ؛ ولا تردعها سَطوة ذي البأس المهابِ؛
١٢ هل ترى فيها نعيماً صفوهُ غير مُشاب؟
١٣ أم سُروراً لم تَكَدِّره بحزنٍ ، واكتِئابِ ؟

٨ ـ من البيت رقم ـ ٨ ـ ويحها كم خدعتنا والى آخر القصيدة مما سقط من النسخة « ف » .
٩ ـ هكذا في الأصل « كل خلق بعجاب » ولعل الصواب «كل يومٍ » .

١٤	كم غَدتْ تضـربُ في النـاسِ بسيفٍ غـير نابي !
١٥	ليس ترضـى غيرَ أرواحِ البـرايـا من قِـرابِ !
١٦	كَمْ أذالَـتْ من مصونٍ وأزالَـت من حجاب !
١٧	ولَـكَمْ فلَّـتْ حساماً، وأذلّـتْ لـيث غـابِ ! ؛
١٨	يقتـل الأبطـالَ من غـيـرِ طـعـانٍ ، وضـراب ؛
١٩	كم همـامٍ قاهـرِ السَّـطـوةِ . . عضَّتْـه بناب !
٢٠	أزعجتْـهُ لِفـراقٍ غيرَ مرجّـوِ الإيـابِ ؛
٢١	ومليـك تـركتـهُ رهـنَ أطبـاق التـراب ؛
٢٢	يتشـكّى الضيقَ من بـعـدِ المقـاصيـر الـرّحاب؛
٢٣	قَدْ غدَا . . أَبكمَ لا يُمكنُـهُ رَجْـع الجـوابِ !
٢٤	سـامِعـاً غيرَ مجيبٍ ؛ داعياً غيـرَ مُجابِ ؛ !
٢٥	وقصـورٍ - تَركتهـا بينَ أهليهـا - يبابِ
٢٦	وسـواءٌ في النّهـى، - والـموت طَوْقٌ في الرقاب - :
٢٧	ميّتٌ يُدرج في الكفـنِ ، وحـيٌّ في الثيابِ !
٢٨	ولنـا بالمصْطَفـى المختـار في كلٍّ مُصَابِ ؛
٢٩	وبنيهـم من بهـم أَرجـو أمانـي من عذابي ؛
٣٠	شُفعائـي يوم حشري حين أدْعَـى لِكتابي ،
٣١	أسـوةٌ تُفضـي إلـى خـيـرِ نعيـمٍ وثوابِ

---

١٤ - نبا السيف : كلَّ ولم يقطع .
١٥ - القِراب : الغمد .
١٦ - أذال : أهان ، ويقال : أذال مالَه ؛ أي : ابتذلَه بالأنفاق .
٢٥ - «يباب » صفة للبيوت ، والجملة : « تركتها بين أهليها » معترضة.

- ٣١٥ -

على ضريح طفلة*

وطلب منه السيّد الأَفضل القاسم بن أحمد ابن أمير المؤمنين المنصور بالله أن يقول أبياتاً على لِسانه تكتب على ضريح ابنةٍ له توفّت ولها سَنتان في شهر شوال سنة ثمان وسبعون وألف «١٠٧٨هـ» فقال :

١	قبرٌ حوى قِطْعةً من الكبدِ	أودَتْ فأَوْدَى لِفقْدها جلَدي ؛
٢	ترحَّلَ الصَّبرُ عندَما رحلَتْ	إلى جوار المهجنِ الصَّمدِ :
٣	يا ليتَ أن الممات أخّرها؛	من أمدٍ عاجلٍ إلى أمدِ ؛ !
٤	لم يبق منّي الأسى سوى حُرَقٍ	ومدمع في الخدودِ مُطّرِدِ ؛
٥	يا راحلاً لم تؤُبْ ركائبُه ،	ويا حبيباً نأى . . فلم يَعُدِ ؛
٦	ودرةٍ لِلفخار أسلَمها	العقدُ وكانت كالروحِ للجسدِ ؛
٧	ما أنصفَ العاذلون إذ عذلوا	أن بحتُ بالحُزنِ فيك والكمدِ ؛
٨	كيفَ يلومونني على جزعي	وأنتِ قلبي دفنتُه بيدي . . !؟
٩	كلٌّ حبيبٍ تذيبُ فرقته الأحشا ؛	ولا مثل فرقة الولدِ . !
١٠	فالحمد للهِ كلّ آونةٍ؛	حقّ لهُ الحمدُ دائم الأبدِ.

* ديباجة هذه الأبيات رقم ـ ٣١٥ ـ مع الأبيات الأربعة بعدها مما سقط في « ف » .

- ٣١٦ -

لكل امرئٍ ما تعوّد . .

وقال رحمه الله في أثناء كتاب كتبه إلى أولاد السيد المجاهد العلاّمة فخر الدين المطهّر بن محمد الجرموزي[٣٤] يعزيّهم فيه :

١	عزاؤكم آل المطهّـر في فتىً	قضى فقضى المجد المؤثّلُ والنّدى ؛
٢	أقـامَ بدار الخُلْـدِ جاراً لِربّه،	وأورثنـا حزنـاً أقـام وأقعدا ،
٣	ومـا كان إلاّ طود مجـدٍ تهدّمَتْ	جوانبـه ؛ أو عقـد جودٍ تبدّدا ؛
٤	ولـو كان يُفـدى هالك جلّ رزؤه	لـكان بأرواح البـريّةِ يُفتَدى !
٥	ومـا دمتـمُ لِلْمجـد والجـود بعدَهُ	فـركنُ المعالـي لا يزالُ مُشيّدا ؛
٦	وإنّ جميل الصبـر فيكم لَعادةُ	إذا جار حُكم الحادثـات أوِ اعْتدى ؛
٧	تعوّدتـمُ الصَّبـر الجميلَ وإنّما:	« لـكلّ امـرءٍ من دَهـرِهِ مَا تعوّدا» !
٨	عليكم سَلامِ اللهِ آل «مُطهرٍ»	ورحمتُـه ما غَابَ بدرٌ ومـا بدا؛

---

(٣٤) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

٧ـ العجز : صدر بيت للمتنبي وعجزه : « وعادات سيف الدولة الضربُ في العِدا » .

- ٣١٧ -

المدح والرثاء

وقال مرثياً وموريا :

١ يبكي عليكم محبٌّ ذابَ من أسفٍ مـا خانَ عهـدكمُ يومـاً ولا نكثا ؛

٢ علّمتمـوهُ رثـاكم ، وامتْداحكمُ فمنـكمُ كلُّ مدحٍ فيكمُ «وَرِثا»!

- ٣١٨ -

شهادة خزيمة ؟

وقال وقد وقف على قبر السيد الأديب العلاّمة أحمد[٣٥] بن الحسن بن حميد الدين في مقبرة « خزيمة » جنوب « صنعاء » وفي البيتين تلميح الى الصَّحابي الجليل « خزيمة بن ثابت » رضي الله عنه والحديث الشريف : « من شهد له خزيمة فهو حَسْبُه » :

١ يا قبر أحمد كم حَوَيْتَ مَكارماً ومحامدا ؛

٢ شهدتْ بِذاكَ «خُزيمةٌ» وكَفَى «خزيمةُ » شاهدا !

---

(٣٥) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

- ٣١٩ -

« الــــوارم »

وقال وقد قتل رجل يُسمى «حسين الوَارِم» المحتسب في «صنعاء» وكان مَن يحرُس أسواق «صنعاء» ويتنبّه على السَّرق في المدينة يُسمّى «مُحتسباً» وقد قُتِلَ المذكور في «سوق الملح» غدراً في وضح النهار :

١ قَتَلــوا « الوَارِمَ » ظلْمــاً وأتَوا   بمقَــالٍ منــه نقْضــي عَجَبــا!

٢ حين قالــوا يدخــل النــارَ وقد   قتلُــوه صَابراً «مُحتسِيــا»



الباب السادس

في التحدث بما أنعم الله عليه
من الاتصال بنسب نبيه الكريم، وموالاة أهل بيته
عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم
والتجرم من الزمان الذي مازال مولعاً بتسديد
سهام صروفه الى كل نبيه فاضل كريم ؛
محافظاً على كل غر منقوص لئيم



- ٣٢٠ -

مَنْ ذا يفاخر اليمن ؟

قال رحمه الله :

١	رُمْنـا الفخـارَ فَنِلْنـا مِنْـه مَا شِينَا	لمَّا مَشَى في طريقِ المجـدِ ماشِينَا!
٢	نحـنُ الـكرامُ وأبنـاء الـكرام فإنْ	تجهـل مكارمنـا ؛ فَاسْأل أعادينا ؛
٣	واسألْ لسانَ المعالي؛ ما تَـلاَ فِينا؟	وقُـل لِلاَحِقنـا : ما أنـتَ لاَفينا !
٤	فَرُبَّ مجـدٍ تَلاَفَينـا بِنَـاهُ وقَدْ	وَهَـى؛ فَمَـنْ ذا تَلاَفَـاهُ تَلاَفِينا؟!
٥	الشّـمسُ والبـدرُ أدْنَـى مِن مَراتبنا ،	والأَنجمُ الشّهـب غَارتْ مِنْ مَساعينا؛
٦	سَعَـى إلـى غايةِ الْعَلْيَا فأدركها،	ونـالَ مِن شأوِهـا مَا رَام سَاعينا؛
٧	لَنـا طريقٌ إلـى العلياء واضحةٌ	يَسيرُ رائحُنـا فيهـا وغادينا؛
٨	يسيرُ في طرق العلياء سائِرنا،	فيهتـدي بنجـومٍ من أيادينا ؛
٩	وكم بخيل تراه في الأنـام؛ ولا	والله لا كان لا مِنّـا ، ولا فينا!
١٠	هَلْ يُعْـرفُ المجـدُ إلاّ في منازِلنا؛	وَهَـل يحـلّ النـدى إلاّ بنادينا؟
١١	ما إن سُئِلْنـا مَدَى الأيّامِ بَذْلَ قِرًى	إلاّ وَجُدْنـا بمـا تحـويه أيدينا!
١٢	لا نسـأم الضّيفَ إن طالَـتْ إقَامتُه،	ولا نخيّب فينـا ظنّ راجينا؛

١ ـ ما شينا، في الصدر : ما أردنا ، وفي العجز من المشي .

٣ ـ « ما تلا فينا » : ما قرأ من أخبار المجد والرفعة في تاريخنا و«لافينا» في ما أنتَ «لافينا » من لَفيَ يلفَى : لغةَ صنعانية بمعنى أدرك ؛ أي لن تدركنا .

٤ ـ تلافى الأمر: تداركه ؛ والتلافي : الإدراك وقد تلاعب في البيتين بالألفاظ .

١٣ نمشي إلى الموت في يوم الوغى قدماً، وهاتفُ النّصر بالبشْرى يُنادينا
١٤ لَنا عَزائمُ تُدْني ما نرومُ؛ فما أدْنى «خُراسان» إنْ رُمناهُ و«الصِّينا»!
١٥ لا يَستميل الهوى مِنّا النّفوسَ، ولاَ حُبُّ البَقا عن سَبيلِ المجدِ يُثْنِينا!
١٦ ماذا يعيب العِدا مِنّا سوى حَسَبٍ ضخمٍ؛ به سَادَ قاصِينا ودَانينا؟
١٧ وإننا لَوْ دَعونا الدّهْرَ نأمرهُ لَقامَ طوعاً يلبّي صوتَ داعينا؛
١٨ ما نابَ جاراً لَنا في الدهر نائبةٌ إلاّ وكنّا إذن عَنْهُ الْمحامِينا!
١٩ يا مَنْ يُسَائِلُ عن قومي؛ رويدكَ ما جَهِلت إلاّ العُلى والمجدَ والدّينا. !
٢٠ قَوْمي الأُلى ما انتضوا أسيافَهم لِوَغىً، إلاّ وعادُوا لآِي النَّصرِ تالينا؛
٢١ قومٌ إذا لَبِسوا ثَوبَ القتام غَدَتْ أعداؤُهم، في ثياب النّصر عارينا!
٢٢ إن تَلْقَهمْ تَلْقَ أحْباراً جَهَابذةً؛ أو طاعنين العدا شَزراً، ورامينا!
٢٣ قاموا مع «القاسم المنصور» واجتهدوا، وجَرَّعوا «التركَ» زقّوماً وغِسْلِينا؛
٢٤ و«لِلمؤيّد»[٣٦] قد أذكتْ صوارمُنا وقائعاً أذكرتْ «بدراً» و«صفّينا»؛
٢٥ وقائم العصر «اسماعيل» قد نصرتْ سيوفنا، وأجابتْهُ عوالينا؛
٢٦ لَمْ نألُ جهداً إذنْ في بثّ دعوتِه إذ قام فينا بأمرِ اللهِ يدعونا؛
٢٧ وحُبّ آل رسول الله شيمتنا، وفخر حاضرنا دوماً وبادينا؛
٢٨ سَلِ «الأئِمَّةَ» عَنّا أيّ مَلْحمةٍ لَسْنا بأرواحنا فيها مواسينا؟
٢٩ مَضَتْ على حُبّ «أهْل البيت» أسْرَتُنا؛ ونحنُ نمشي على آثارِ ماضينا؛
٣٠ فمَنْ يُفاخرنا؟ أمْ مَنْ يُساجلُنا؟ أمْ من يُطاولنا؟ أمْ مَنْ يدانينا؟
٣١ يكفيك أنّ لَنا الفخر الطويل على كل الورى ما عدى «الآل» الميامينا!
٣٢ عليهِمُ بعد خيرِ الرّسلِ جدّهم أزكى وأفْضل ما صَلّى المصلّونا. .

(٣٦) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

٢٠ ـ آي القرآن: آياته والآية من القرآن: كلام متصل الى انقطاعه. والنصر سورة من سور القرآن الكريم.
٢٢ ـ الجهبذ: الناقد العارف، وطعنه شزراً: عن يمينه وشماله.
٢٣ ـ الزقوم والغسلين: طعام أهل النار وشرابهم.

- ٣٢١ -

غزلٌ وفخر

وقالَ أيضا :

١ أأطيعُ العـذولَ في السّلوانِ؟ لا ؛ ومَـن قَد أضلَّـهُ وهدَاني !

٢ يا عذولـي في الحُـبّ دعنـي ؛ فإنّي فيه راضٍ بذلّتـي ، وهواني ؛

٣ وبروحـي الّـذي تركت منامي فيه وَقْفـاً لِطرْفِـهِ الوسنانِ . !

٤ غير نكرٍ؛ إن فاضَ شانـي بـالدَّمـع على حُبِّـهِ؛ فَدَعْني وشاني . !

٥ كلّمـا زاد عنْ وصالـي بُعداً . . زِدْتُ فيهِ بُعـداً عنِ السّلوانِ؛

٦ ورداحٍ خودٍ إلـى الله أشكو جَـوْرَ ألحاظِهـا ، وجـور زماني؛

٧ كلّمـا قلـتُ سوف يجنـحُ لِلسـلـم ؛ أتـى صرفُـه بحـرب عَوانِ!

٨ كم أرومُ اكتسـابَ مجـدٍ رفيعٍ؛ وصـروفُ الزّمـان تُثنـي عناني؟!

٩ وأُرجّـي ابْتنـاء بَيت فخارٍ؛ وهـو مُغْـرى بهـدم ما أنـا باني؟!

١٠ كيفَ صبري على هوانٍ؛ ومِـن دون مرامـي وهِمّتـي الفرقدان ؟

١١ مُتْ كريمـاً ؛ فالموتُ أجدرُ بالأحـرارِ من عيشِ ذِلّـةٍ وهوانِ ؛

١٢ ودَعِ الحِرص ويْك ، واستَغْـنِ باللـهِ تعالـى عن كلّ قاصٍ وداني ؛

---

٣ ـ الوسن : شدّة النوم .
٤ ـ فاض شاني : جرى مَدْمعي والنكْر : المنكر .
٦ ـ الرداح : الثقيلة الأوراك .

١٣ وتغــرّبْ ففــي التغــرّب ما شِئـتَ من العــزّ مَعْ بلــوغ الأماني ؛
١٤ فأرى البيض ليس تقطــع حتّى تتَناءى يومــاً عن الأجفانِ !
١٥ وحســودٍ يروم نيل مكاني في المعالــي ؛ وأينَ أينَ مكاني ؟
١٦ لا يرانــي إلاّ بمقلتِــه الحَوْصــا؛ ومَــنْ لي بأنّــه لا يراني؟
١٧ أيّ عارٍ علــى الشمــوس إذا ما خَفِيتْ عن نواظــرِ العميان ؟



١٤ ـ البيض : السيوف ، وتتناءى : تفارق .
١٦ ـ المقلة الحوصا : الضيقة .

- ٣٢٢ -

مالي وللدهر الخؤون . . ؟

وقال أيضا :

١	سقى «العقيقَ» ؛ فالديّارَ ، فاللّوى	سحائبٌ تضحكُ مِنهنّ الرُّبى ،
٢	وجادَها هامي الغمام رائحاً ،	على رُباها ، غادياً كما تشَا ؛
٣	ولا خلَتْ عن أهْلها طول المدى ،	ولا تَخطّى نحوها صرفُ القضا ؛
٤	فكم بها مِن أغيدٍ مُهفْهَفٍ	تَخْجَل من أَلْحاظِه بيضُ الظُّبَى ؛
٥	له على رغمي كما شاء الهوى	مِني صَفا الودِّ ؛ ولي مِنه القِلَى ،
٦	ساجي الرَّنا؛ يَمشي بقَدٍّ أَهيَفٍ	يهزؤُ بالغُصْنِ الرطيب إنْ مَشا ،
٧	يكاد غصنُ البانِ يحكي لينه	وقدّه يقولُ مَهْلاً لا سَوَا . .
٨	أظَلّ مِن غرّتِه وفرعِهِ	مولَّهاً بين الصَّباح والمسَا ؛
٩	يسومني العاذل فيه سلوةً ،	ولي فؤادٌ عن هواه ما سلا ؛
١٠	يا عاذلي واللهِ لو رأيتَهُ ،	لقيتَ مِنه ما لقيتُ من عنَا ؛
١١	كم ذا أقضّي زمني في حُبّهِ ؛	مُعَلَّلاً ما بينَ يأسٍ ، ورَجَا ؟
١٢	وكم بوعْدِ وصله أَطْمَعَني	حتّى إذا استَنْجَزْتهُ الوعْد لَوى ؟
١٣	وحالتِ الأيّامُ دونَ وصلهِ	كأنما تحسدني على اللّقا !

---

١٢ - في « ف » : « حتى إذا استنجزْتُه منهُ لوى » ، ولوى : بمعنى ألوي : أي جحد ، وخالف .

١٤ ما لي وللدّهر الخؤون لم يزلْ		علـيّ لِلأعداء سيفاً مُنْتَضَى ؟
١٥ كَمْ ذا أغضّ مُقلتي على الأذى		منه ؟ وكم أَحْمِلُ ما يُوهي القوى ؟
١٦ وهكذا كلّ جوادٍ سابقٍ		مِن الورى تعيده إلى الورا . !
١٧ يا طالما علّلتُ نفسي بالمنى ؛		وما عسى تُجدي لَعَلّ وعَسى ؟
١٨ لأَجْعَلَنّ الصبر لي خُلْقاً، ومَنْ		يَصبرْ ينَلْ بصبرهِ أقصى المنَى ؛
١٩ فربّ هَمٍّ قد عَرا ثم انْجلَى،		وربّ يُسرٍ بعد عُسْرٍ قد أتى ؛ !
٢٠ كم فرجٍ قد جاء بعدَ شدّةٍ		وحالَةٍ حوّلها الله إلى . ؛

٢١ أمَا ومَنْ حجّ ولبّى ، ودعا ،		وجاء بالدّين الحنيف المرتضى ؛
٢٢ لَو لَمْ يكن عليَّ دينٌ جائرٌ ،		ولم تكنْ عندي حقوقٌ للورى !
٢٣ لأرفضنَّ هذه الدنْيا إلى الأخرى ، وحَسْبي بدلاً ، وحبّذا ؛
٢٤ وألْزم النّفسَ العفَافَ قائلاً		لِلْعُمُرِ المقبل كنْ كما مَضَى ؛
٢٥ ولم أُعاتبْ سيفَ حظّي إنْ نَبَا ؛		ولم أَقلْ لِزَمني حتّى متى ؟
٢٦ لكن حقوق قد ثناني الفقر عَنْ		قَضَائها ؛ والحقّ دينٌ يُقتَضَى ؛
٢٧ وثقل دينٍ قد أذابَ جسدي		وترك الطَّرفَ سميراً لِلسُّهَى ؛
٢٨ عَسَى وعلّ فرجٌ مُعَجّلٌ		مِن خالقي يكشف همًّا قد عرَى ؛
٢٩ ثم الصَّلاةُ والسلام ما بدا		نورٌ ، وما غاب الظلام واختفى ؛
٣٠ على النبيّ المصطفى أكرم مَنْ		أرسلَه ربُّ السمواتِ العُلى ؛
٣١ وصنوه «حيدرة» الكرّار مَنْ		باهَى به الرحمنُ أملاكَ السَّما ؛
٣٢ والآل أَرباب التّقى ، أمانُ أَهْلِ الأرض، أعلام الهدى سُفُن النّجا .

---

١٥ ـ في «ف» : «على القَذَى» .
٢٢ ـ لا يوجد هذا البيت رقم ـ ٢٢ ـ في «ف» .
٢٧ ـ السُّهى، والسُّها : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى .

- ٣٢٣ -

حبٌ ؛ وفخر

وقال أيضاً :

١	ألاَ خَبَـراً عَن رامـةٍ أيُّهـا الركبُ؟	فأنّي بمـن قد حلَّهـا مُغْـرمٌ صبٌّ ؛
٢	إلـى الله أشـكو فرط سُقْـمٍ ولوعةٍ،	ونـارَ غرامٍ في ضلُوعـيَ لا تخبو ؛
٣	وأبيضَ طرفٍ لا يَزالُ مُسَهّداً،	وأحمـر دَمـع لا يكفّ لهُ صَبٌّ ؛
٤	وقلبـاً أنـاديه وقـد لجّ في الهوى؛	رويدَكَ ، ما هذي الصَّبابـةُ يا قلبُ ؟
٥	تذكّرتُ عيشـاً مرَّ في «شعـب عامرٍ»	وسفح «النّقا» يا حبذا السَّفح والشّعبُ!
٦	وأفـديه سربـاً بالعتيق ألفتُهُ	فـأي غزال ضمهـا ذلك السربُ
٧	وأفدي الّتي أجرتْ دمـاً مِن مَحاجري	بـأسياف لحـظٍ لا تكِلّ ولا تَنْبو ؛
٨	ويُطمعني بالوصـل لِينُ قوامِها ،	وألحاظُهـا في كلّ قلـبٍ لهـا حربُ ؛
٩	وتفعـلُ وهـي الفاتـرات جُفونها	بقَلْبي ما لا يفعـل الصارم العَضْبُ !
١٠	إذا ما تَقَـاضيتُ الوصـالَ تمنّعتْ؛	وقالتْ مرامٌ دونـه الطّعـنُ والضّربُ ،
١١	فقلـت لهـا أحرقـتِ بالصدِّ مُهجتي ،	واسْقمتِني ؛ قالتْ نَعَمْ هكذا الحُبُّ ،
١٢	وَعَاوَدتُهـا ذكْرَ الوصـالِ فأعرضتْ	ومالَـت بقـدٍّ دونـه الغُصُـنُ الرَطْبُ ؛

---

٣ ـ الصب : السكب .
٤ ـ لج : تمادى في العناد .
٧ ـ في «ف» : «دماً من مدامعي» .
١٢ ـ عاوَدَ : رجع الى الأمر الأول .

١٣ وما عَلمتْ أنّي بغيرِ عيونها، وغير المعالي لا أهيمُ ولا أَصْبو؛
١٤ وأنّي من قومٍ كرامٍ أعزّةٍ، ذخائرُهم في صونِ أعراضِهم نهبُ !
١٥ أرى الجودَ فرضاً، والتواضع رفعةً، وكَسْبَ العُلى فخراً؛ وياحبذا الكسْبُ؛
١٦ واخفضُ عن فضلٍ جناحي لصحْبتي، وأصفحُ عن ذنبٍ كأن لم يكن ذنبُ ؛
١٧ فودّي لَهُمْ صافٍ، وخُلْقي لهم رِضىً، وكفّي لهم بحرٌ ، وصدري لهم رَحْبُ؛
١٨ وإنّي ذو مجدٍ أثيلٍ، ومحتد أصيلٍ ، وفخرٍ دونه الأنجم الشّهْبُ ،
١٩ إذا الحرب يوماً ضرَّسَتْ كلَّ ضَيْغَم بَرزتُ لها حتّى تهابني الحَرْبُ ؛
٢٠ وإنْ رُتَبُ العليا فخرنَ بماجدٍ فَحَسْبُ العُلَى فخراً بأنّي لها ربٌّ؛
٢١ وإن قال فيّ الحاسدون مقالةً؛ فما ضرَّ بدرَ التمّ أن ينبحَ الكلبُ !
٢٢ صبرتُ على صرف الزّمان وقد نضا لِحَربي سَيْفاً لا يُفَلّ له غربُ !



١٩ ـ ضرّسته الحرب : جرّبتهُ وحنكته .
٢٢ ـ نضا السيف : سله ، وفُلَّ : ثُلِمَ ، والغرب: الحدُ .

- ٣٢٤ -

إلى الله . !

ووقف رحمه الله على قصيدةٍ لِلقاضي الأديب زيد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال يتجرم بها من الدهر ؛ أوّلها :*

سرى طيفها والنجم في الأفق كالعقدِ ● فكاد سناهُ لِلْعواذلِ أن يهدي !
سَرَى فسرَى مِنهُ العبيرُ بعَنْبَرٍ ، وفاحَ شذاه بالفتيقِ ، وبالندِّ ؛
سرَى في ظلام اللّيل ، والطرف ناعِسٌ ، وعادَ فلم يشفِ الفؤادَ ، ولم يُجْدِ ؛
فسلّ الكَرى عَنْ جفن عيني ، ولم أفُزْ بتقبيل كفٍّ مِن سراهُ ولا خدِّ ؛
وبتُّ نَديماً لِلسُّهى ذَا ندامةٍ كئيب فؤادٍ ، لا أُعيدُ ولا أُبْدي ؛

ومنها :

أَبَيْتُ ويأبَى لي الخَنا طيبُ محتدٍ كريمٍ ؛ وجَدٌّ في العُلَى أيّما جَدِّ ؛
وإنّي مِن القوم الكرام فعالُهم ؛ وانهّم يومَ الكريهة كالأُسدِ ،
كفاهُم فخاراً في الأنام بأنّهمْ لآل رسول الله كالصّارم الهندي ،
وأنهمُ أهل الولاء لحيدَرٍ ؛ وشيعتُه ؛ أهلُ المحبةِ والودّ .

فقال يعارضها :

١ نسيم الصّبا كيفَ المنازِل من « نجد » ؛ كَمَا كُنّ عَهْدي ؛ أم تَغيّرنَ مِن بَعْدي ؟

* لم يورد في الأصل « ن » من قصيدة زيد بن أبي الرجال إلاّ البيت الأول والبقية من « ف » .

٢ ويا عَذَبات «البَانِ» مِن سفْحِ «حَاجرٍ» هَل السَّفحُ معمورالربوع على عَهْدي؟

٣ ويا أثْلات «الجزْع» من شعب «عامرٍ» «لقد زادني ذكراكِ وجداً على وجدِي»!

٤ منازل روّى تُربَها مثلُ أدمعي من الغيث مُنْهلّ الحيا صادق الرّعدِ ؛

٥ قَضَيتُ بها حَقّ الصِّبا والزّمان لَمْ يُقابلْ إراداتي بعكسٍ ولا طَردِ ؛

٦ وقومٍ بنعمانِ الأراك عهدتُهمْ سقوني بها كأساً دِهَاقاً مِن الودِّ؛

٧ وكم هِمتُ فيهمْ والزّمان مُساعدٌ وصرفُ القضايُجْري الأُمورعلى قصْدي ؛

٨ بمعسول أطراف الحديثِ كأنّما يدير على أَهْلِ الغرام جَنَى الشّهدِ ؛

٩ مِن الغيدِ سحّار اللّحاظِ، مُعَطّر اللّمى ، جائر الأَحكام ، معتدل القدِّ ،

١٠ وقد كان طوعي والحوادثُ نوّمٌ؛ فها أنا إن سلّمتُ يبخَلُ بالردِّ !

١١ وكَم ليلةٍ قد زارني في ظلامِها وددتُ بها أنّي فَرشتُ له خدّي ؛

١٢ إلى أن سَعَتْ فينا اللّيالي بفُرقةٍ وغرَّبنَني عَنهُ ، وغَيّرنَهُ بَعْدي ؛

١٣ وما زالَ دهري منذ كان يَريشُ لي سِهاماً مِن الأَحداث تصمي على عَمْدِ،

١٤ ليَ اللهُ كم أَلقى الزّمانَ بعزمةٍ تُقصرٌ عنها عزمة الصّارمِ الهندي ؛

١٥ وكم حشدتْ يوماً عليّ جنودَه ، فما كَلّ عَنْ حربٍ لَهُ أبداً حدّي ؛

١٦ وكم يَلْتَقِيني منْ بنيهِ ـ محارباً؛ بأخبثَ مِن صلٍّ ، وألأم مِن قردِ !

١٧ إلى اللهِ مِن أبناء دهري أشتكي مرامي تُصمي كلَّ مُحكمةِ السّردِ؛

١٨ وما جَهلوا قدري لديهم ورفعتي وأنّ زماني فيهمُ زمن الوردِ

---

٤ ـ في «ن» : «من السحب منهلّ الحيا» والأسماء الواردة في هذه القصيدة مثل «نجد» و«البان» و «حاجر» و«الجزع» و«نعمان الأراك» من الأسماء التي يكثر دورانها في الشعر العاطفي .

٦ ـ الكأس الدهاق : الممتلئة .

١٣ ـ راشِ السهمَ : الزق عليه الريش وفي : «ف» : «وما زال دهري منذ كنتُ» .

١٧ ـ السرْد: نسج الدرع .

١٨ ـ في «ف» علق أحدهم على البيت رقم ـ١٨ ـ بقوله: «رحم الله الصنوالحسن وغفر له ، كأنه نظر الى الغيب من ستر رقيق ، وصدق الله سبحانه قوله ؛ بقي في هذا الزّمان الجافي زمناً كزمن الورد مطلوبا ، وقبضه الله إلى جنة الخلد محبوبا ، وعاش عيشة السّعدا ، ومات ميتة الشهدا، وخلّف من الذكر الحسن ، ما يبقى على مرّ الزّمن» . ويضرب بقصرِ عمرِ الوردِ المثل .

١٩ وما ضرّني أن لا يرون فضائلي — فما خَفِيتْ إلاّ على أَعْينٍ رُمْدِ ؛

٢٠ ومالي ذنبٌ غير أنّي في العُلَى — تقدَّمتُ مَن قَبْلي وأتعبتُ مَن بعدي ؛

٢١ سَلِي الدهرَ عنّي إن شككْتِ وعَنهمُ — لِمَنْ قصبات السَّبق في حلبة المجدِ؟

٢٢ وقائلةٍ لا عزّ إلاّ مع الغِنَى — فَبِالمال يَسْتكْسِي الفتى حُلَلَ الْحَمْدِ ؛

٢٣ فأعمِل إلى نيل الغِنى كلَّ حيلةٍ، — وشق أديمَ الأرضِ في طلب الرِّفدِ؛

٢٤ فقلتُ لها مهلاً فليس بنافعي — دها ثُعَلٍ والمالُ في غُرَر الأُسْدِ ؛



- ٣٢٥ -

تعالوا بنا نبكي . !

وكتبتُ إليه من «شهارة»* إلى «صنعاء» أطلب منه إجازة بيتين أنشدنيهما مرتجلاً لِنفسِهِ السيّد الإمام العلامة عماد الإسلام يحيى بن الحسين ابن أمير المؤمنين المؤيد بعد صلاة الجمعة لِثمان ليالٍ إن بقتْ من شهر ذي القعدة سنة ١٠٧٨ هـ :

لَحَى اللهُ شخصاً يَرْتضي بمعيشةٍ ... ذليلاً مهاناً عاجزَ النَّفسِ حائرا ؛

مُرجٍّ لِشَخْصٍ كلَّ يومٍ وليلَةٍ ؛ ... وربّك ربّ العرش يكفيك ناصرا .

فقال :

١ عدمتُ اللّقا إنْ لم أوافكَ زائرًا ... ولو كانَ ليث الغاب دونك زائِرا ؛

٢ سأكشف أستار اصطباري، ولم يَفُزْ ... بنَيل المنى من لا يكون مجاهِرا ؛

٣ وأترك أقوالَ العواذلِ جانباً ... ولَو أنّها هَبّتْ عليَّ أعاصِرا ؛

٤ رُوَيْدكِ يا ذاتَ اللّمَى بمتيّم ... غدا مَثَلاً بينَ المحبّينَ سائِرا

٥ فلم يُبق منّي الحُب إلاّ جوانحاً ... تذوبُ اشْتياقاً أو دُموعاً بوادرا ؛

٦ وجسماً ضعيفاً مثل خَصْركِ ناحلاً ، ... وعزمَ اصْطبارٍ مثل جفنكِ فاترا ؛

٧ يُريبكِ من طرفي ازْوِرارٌ ، وإنّما ... أُسارقكِ اللّحظَ الخفيَّ محاذرا ؛

---

* في «ف» : انه أرسل بالكتاب من «السّودة» .

الزئير : صوت الأسد ؛ وقد زأر فهو زائر : ردّد صوته .

٥ - بوادر : أي متتالية متسابقة .

٨ فَلسي فيكِ أعــداءٌ أحــاذرُ كيدَهم وفيكِ لعمري حُقَّ لي أَنْ أحاذِرا ؛ !

٩ حَواسِـدُ لا تنفـكّ في كلّ حالةٍ تسـلّ لِعرضـي مُرْهَفـاتٍ بَواترا ؛

١٠ وصرفُ زمـانٍ جائـر الحُكم لَم يزلْ يقـودُ لياليهِ لِحَربـي عَسَاكِرا ؛

١١ وَقِلّـة مالٍ جشَّمَـتْ عِيْسـيَ السَّرى إلـى حيث لا أَلْقَـى لِعَظْمـيَ جابرا ؛

١٢ وتـأميل أَقْـوامٍ يريدون أنّني مدى الدَّهـر لا يَنفَـكُّ حالـي قاصِرا !

١٣ أأمِّـلُ مِنْهُـمْ بالغِنَـى كَشْفَ كُرْبةٍ وقـد أَنْشَـبَ الحرمـانُ فيهـم أظافرا ؛

١٤ فواأسفـا ؛ كَم لاَ أَزالُ مُمَاسياً لأَبْوابِهِـم أرجـو الغِنَـى ، ومُباكِرا !

١٥ أأَقْصِـدُ مرزوقـاً ضَنِينـاً بِرزْقِهِ؛ أَلَـم يك خلاّقي علـى ذاك قادرا؟

١٦ فيا طَالبـاً للـرزق من عنـد مِثْلِه يبيتُ كئيبـاً لِلهمـوم مُسامِرا !

١٧ نصحتـكَ لا تَطلـبْ سوى الله رازقاً؛ كَما لم تكنْ ترجـو سوى الله غافرا ؛

١٨ ولا تدع إلاّ اللهَ في كلّ حاجةٍ تجـده قريبـاً حينَ تدعـوه حاضِرا ؛

١٩ أتبـذل ماءَ الوجـهِ بَيعـاً بتافه وترجـع صفـراً خاسـرَ البيعِ صاغرا؟

٢٠ «لحـى الله شخصـاً يرتضـي بمعيشةٍ ذَليلاً مُهانـاً عاجـزَ النَّفس حائرا» ؛

٢١ «مُـرجٍ لِشـخْصٍ كلّ يومٍ وليلةٍ وربّـكَ ربّ العـرش يكفيك ناصِرا»

٢٢ فيا سوأتا حتّـامَ أصبـحُ حامداً لِغير إلَه العـالمين وشاكرا ؛ !

٢٣ فَقُل لِلأُلَى يَسْعـون في طلـب العُلَى تعالـوا بنـا نَبْـكي العُلَـى والمآثرا ،

٢٤ فقدْ قوّضَـتْ أيدي المعالـي خيامَها ، وعَـادتْ ربـوعُ المكرمـاتِ دَواثِرا!

٢٥ فكمْ من نفـوسٍ قد أُهينَـت عزيزةٍ وكـم من قلـوبٍ قد بلغْـنَ الحناجرا !

---

١١ ـ في : « ن » : « حشمت عيشي » وهو تصحيف والعيس : الابل البيض يخالط بياضها شقرة .

- ٣٢٦ -

مغرمٌ بالمجد

وقال :

١	وغيداء لا تنفـكّ تملـي عيونها	على النّاسِ من أسحار بابل ما تُملي ؛
٢	تناءَيت عنها وهـي تَدعـو إلـى اللّقا ،	وأعرضتُ عنها وهي تدعو إلى الوصلِ ،
٣	وكلّفـتُ نفسـي عن هواهـا تَسَلّياً ؛	وكم قد سلا بالمجد عن مثلها مثلي !
٤	فمـا خدعتنـي رقّـةٌ من كلامها ،	ولا دلّ قلبـي نحوهـا مَلَـقُ الدلِّ ؛
٥	ومن بالعُلـى والمجـد أصبح مغرماً ،	يصدّ لعمري عن «سُعادٍ» وعن «جُملِ» !
٦	أبـى الله أن أمسـي وأصبـح هادمًا	لمـا شادَ أبائـي الأكارمُ من قبلي ؛
٧	ومـا زلـتُ أبـدي للزّمـان تجلّداً	كأنّي عمّـا نابني عنـه ؛ في شُغلِ !
٨	أُقضّـي زمانـي بالأمانـي تَعلّةً ؛	فمـا سَمَري إلا عَسَانـيَ ، أو عَلّي ؛
٩	قرين همـوم ليس أرجـو لحلّها	سوى الله ربّـي مالكِ العقـدِ والحلِّ .

---

٨ - علّ «لعَلّ» ، والتعِلّة : ما يتعلّل به ؛ مثل العِلّة ، والعُلالة .

- ٣٢٧ -

غريبٌ وحولي أسرتي . !

وقال :

١	زمانٌ على الأحرار قد جار في الحكْمِ	وعامــلَ أَربــاب الفضائِــل بالظّلم !
٢	يقــول أنــاسٌ في التغــرّب غربةٌ	وليس لعمري ما يقولـونَ عن عِلْمِ ؛
٣	وهــا آنــاذا بينَ البــريّة مفردٌ ،	غـريبٌ وحولي أسْرتـي وبنـو عمّي ؛
٤	لقيتُ صروفَ الدهــر منــي بهمةٍ،	وعـزمٍ فمـا فلّـت صوارمُــه عزمي ؛
٥	وأظهــرتُ للأيام صَبــر ابــنِ حُرةٍ	وقـد نثلـتْ ما في الكنانـةِ مِن سهمِ !
٦	ومــا طَلَبَــتْ وتــراً لديّ صروفُها؛	وما كانَ لي غير الفضائـل من جُرْمِ ؛
٧	وكم نُوبٍ جلّيتُ بالصَّبــر دُهْمَهَا؛	ومَا المجدُ إلا الصَّبر للنّوب الدُّهْم ؛
٨	لَحَى اللهُ هذا الدَّهـر؛ إنْ أَنا لم أكن	أنَا الفَارسُ الحامي الذمارَ؛فَمن يحمي؟
٩	أتطمــعُ جهْــلاً أن تُجَاريِنـي العِدا	وقد نَزَل الدهرُ الحَزُونُ عَلَى حكمي؟!
١٠	فخاري بفِعْلـي لا بقومـي ومعشري؛	على أنّني نَجلُ الجحاجحة الشمِّ ؛
١١	ولــي من بديع النظــم كلّ غريبةٍ	كَمِثْل رِيَاضِ الحَزنِ باكرها الوسمي؛
١٢	فلــو كانَــتِ الشــمسُ المنيرةِ قينَةً	لَمـا قُلِّـدَتْ إلاّ قلائــد مِن نَظْمي ؛
١٣	ومـا دَنّســتْ عرضــي مقالَــةُ حاسدٍ؛	وإن نَال من عرضي ، وبالَغَ في ذمّي؛

---

٥ ـ نثل الكِنانة : استخرج نبلها فنثرها .
٨ ـ الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .
٩ ـ الحزون : الشاة السيئة الخلق والحزن : ما غلظ من الأرض ؛ وقد تكون الكلمة «الخؤون» .

- ٣٢٨ -

إلى كم . . ؟

وقال :

١ إلــى كَم ينــالُ الأَرذلــون مُناهُمُ ويُعطـونَ أَضْعــاف العطــاءِ وأحْرَمُ؟
٢ قضاءُ زَمـانٍ دأبـه الجـور في القَضا، وشيمــةُ دهــرٍ في الــورى يتحكّمُ ؛
٣ يودُّ الفَصيحُ القَــولِ فيه لوِ آنَّهُ . . لِمَـا قد يُرَى مِن قلّـةِ الحــظّ ـ أبكَمُ!

١ ـ الأبيات رقم ـ ٣٢٨ ـ لا توجد في « ف » .

- ٣٢٩ -

خطّة خَسْفٍ !

وقال :

١ يا لَهـا خِطّـةُ خسفٍ عِنْدَهـا عَزَّ عزائي ؛

٢ كُسيَ النّاسُ جميعاً ، ونُبذْنـا بالعَراءِ !

١ ـ الأبيات رقم ـ ٣٢٩ ـ لا توجد في «ف» .

- ٣٣٠ -

بلوتُ أبناء دهري*

وقال :

١	أَفنيتُ عمـري في تطلّب صاحبٍ	وافٍ؛ فلَـم أظْفَـرْ بغير خؤونِ !
٢	ألقـاهُ مُبتهجـاً بوجـهِ مَسَرَةٍ	أبـداً؛ ويلقانـي بوجـه حزين ؛
٣	وبلـوتُ مِن أبنـاء دهـري مَعشراً	حقَّقـتُ فيهـم سيّئـات ظنوني ؛
٤	أخلاقُهـم في غِلْظـةٍ كَقلوبهم ،	وعقولهـم في رقّـةٍ؛ كالدّينِ ؛
٥	لوَددْتُ أنـي عندمـا شاهدتهم	مـن قبـل ذاك عَدِمْـتُ ضَوءَ عيوني !
٦	لَوْ أَنهـا امتـدتْ لِنَيلِ أكفِّهم	يومـاً يمينـي ؛ ما صحبتُ يميني ؛
٧	يا دَهـر أقصـر عنْ محارَبتـي بما	تُبـديه لي من غَدرهـم وتريني.

* الأبيات رقم ـ ٣٣ ـ لا توجد في « ف » .

٥ ـ أليس من الغريب أن يموت بعدَ ذلك أَرْمَدا ؟

- ٣٣١ -

أيها العيد !

وقال :

١	لا تقف بَعْدَ عزمِ شهرِ الصّيامِ	أيها العيد ، وارتحِلْ بسلام ؛
٢	يفرحُ العالَمون بالعيد غَيري ،	فهو عندي كسائر الأيّام ؛ !
٣	طالَ عندي لِطُول فقري حتّى	صار عَاماً ، وربّ يومٍ كعام ؛
٤	أحمدُ الله ؛ كم سوانح آمالٍ	تَقَنَّصْتُ في شباك المنام ؛
٥	من يكن في الورى فقيراً ؛ فإنّي	في غِنىً من ذخائر الأحلامِ ؛
٦	غير اني حملت نفساً أرتني	لقنوعي أن الزمان غلامي
٨	الفتْ نفسي القناعة حتى	ليس يُدرى عِنايَ مِن إعدامي ؛
٩	لستُ أرضى ببذلِ ماء محيّاي	مَدَى الدّهر في يسيرِ حُطامِ

٤ ـ السوانح جمع سانح : ما يأتي من الصيد من جانب اليمين وضده البارح .

٦ ـ هذا البيت رقم ـ ٦ ـ والذي يليه رقم ـ ٧ ـ مما سقط في نسختنا «ن» وقد سبق أن وردت الأبيات الثلاثة رقم ـ٦ ـ و ـ٧ ـ و ـ٨ ـ في القصيدة رقم ـ ٤٠ ـ وكذلك البيت رقم ـ ٩ ـ بتصرف .

- ٣٣٢ -

فقرٌ وديون

وقال :

١ ما لي ولِلافْتقـار في بَلَدي أُفٍّ لِدهـرِي ، وعيشـيَ النَّكِدِ ؛
٢ قَدْ ركبتني الـديونُ واشْتملَتْ عَلَـى فؤادي بالهَـمِّ والكمدِ ؛
٣ وكان صَدْري من قبـل ذَا سِعةٍ فضَـاقَ صَدري لِضيقِ ذَاتِ يدي ؛
٤ قَالوا تَلَطَّفْ واحتَلْ؛ فقلتُ لهمْ: قَـلَّ اصْطِبـاري وخـانني جَلَدي؛
٥ وليس يُغْنـي شَيْئـاً دَهَـا نُعَلٍ والمـالُ مِنِّـي في جَبْهـةِ الأسدِ ؛
٦ وبعـد ذَا كلِّـه فَلـي ثقَةٌ وحُسـنُ ظنٍّ بالواحـدِ الصَّمد ؛
٧ فَهـو الَّـذي بالأنـامِ قاطِبةً أَشْفَـقُ مِن والـدٍ علـى ولَدِ

---

٥ ـ هذا البيت بمعنى البيت رقم ـ٢٤ ـ في القصيدة رقم ـ٣٢٤ـ

- ٣٣٣ -

شكْوى الأسير . .

وقال في أثناء كتاب إلى صَديق له :

١ وأشــكُو بَعْــدَ ذلِكَ ما أُلاقـي مِــن الأيَّام مِنْ هَمّ وضيقِ ؛
٢ إذا ما رُمْــتُ سَيراً لِلْمعالي وجَــدْتُ الافْتقــار علــى طريقي !
٣ وملَّني الصَّــديقُ لِسوءِ حالي فلــم أَعــرِفْ عدوّي مِن صديقي ؛
٤ وكم أَشْــكُو إلــى مَنْ لَيْسَ يرثى كمــا يشــكو الأَسيرُ إلــى الطُّليقِ !
٥ ولاَ واللهِ ما بي خوفُ فَقْرٍ؛ ولــكِن كَيفَ أَصْنَــعُ بالحقوقِ؟
٦ فإنْ أنهضْ لَهَــا فَبِــلاَ جَنَاحٍ ؛ وإنْ أَهْمِـلْ؛ نُسيْـتُ إلــى العقوقِ .

١ ـ لا يوجد هذا البيت في النسخة «ف» ولا الأبيات التي تليه .

- ٣٣٤ -

حظ *

وقال :

١	غيرحَظِّـي لا ألومُ ؛	وهــو واللهِ المشوُمُ ؛
٢	كلّمـا رمْـتُ مرامـاً	صدّنـي عمّـا أرومُ ؛
٣	لـم يزلْ يقعد في ما	لسـتُ أرضـى ويقومُ!
٤	إن أنَبِّهـهُ لأمرٍ	فَهْـو مِكْسَـالٌ نؤومُ.

* الأبيات رقم ـ ٣٣٤ ـ لا توجد في « ف » والمشوم ؛ هو المشؤوم

٤ ـ النؤوم : كثير النوم .

- ٣٣٥ -

تضمين *

وقال مُلَمِّحاً إلى قاعدة أَهل الكيمياء؛ فإنَّهم يُلَقِّبون الفِضّة «بالبدر»، والذَّهب «بالشمس» مُضمِّناً لِبيت «أَبي الطيب»:

١	صرفتُ عن «الكيميا» هِمّتي	وصرَّفتُها في اكتساب الأدبْ؛
٢	«فما قُلتُ للبدرِ أنت اللّجين،	ولا قلتُ للشمس أنت الذهبْ»

* البيتان رقم ٣٣٥ ـ لا يوجدان في «ف»

- ٣٣٦ -

طلابُ المجد *

وقال وفيهما الجناسُ الكامل :

١	لا تعتبرْ ضعفَ حالـي واعتبـر أَدبي	وَغُضَّ عَن رثٍّ أطماري وأَسْمالي ؛
٢	فمـا طِلابـيَ لِلّـدنيا بممتنعٍ	لكنْ رأيتُ طِلابَ المجد أَسْمَالي . !



* البيتان رقم ٣٣٦ ـ لا يوجدان في « ف » .

- ٣٣٧ -

على شفـا . . .

وقال وقد عُوفي مِن أَلَمٍ أَلَمَّ به :*

١	الحمـدُ للهِ الّذي	أَصَحَّ جِسْمي وشَفَى،
٢	قَـد كُنـتُ لَولاَ فَضْلُه	مِن أَلَمي علـى شَفا؛

* هذان البيتان رقم ـ ٣٣٧ ـ مما سقط في « ف » .

- ٣٣٨ -

خفض الجناح

وقال :

١	أخفِضُ للخلّ من جناحي	إن كان عند الخطوب خلا
٢	وذاك مَعْ مَنْ أحبّ دأبي:	أن يرع لي ذمّـةً ؛ وإلاّ . .



١ ـ هذا البيت : « اخفضِ للخـل من جناحـي » هو أخـر سطـر في نسختنـا المعتمـدة « ن » ص -٢٧٤- مخطوطة والورقة التي فيها تتمة المقطوعة منزوعة وكأنها آخر الديوان . وقد غلط الحبّاك فأثبتَ بعد هذه الصفحة بدلاً عن الورقة المنزوعة ورقتين ترقيمهما الأصلي هو- ١٩٣ - و١٩٤ - و-١٩٥ - و- ١٩٦ - وتتضمن القطع الشعرية الّتي أرقامها بعد التصحيح من - ١٨٧ - حتى -٢٠٣ -

- ٣٣٩ -

فلا أزالَ . . ولا زالَ

وقال*:

١	قل للحواسد : إن الله أكرمنا	بما ترون، ومنه الفضل والمدَدُ
٢	الحمد لله؛ كم فينا لخَالقنا	مواهب ليس يحصي شكرها أحدُ
٣	فإن قدرتم على تحويل أنعمه	عنّا؛ فدونكمُ يا قوم؛ فاجتهدوا!
٤	فلا أزالَ إلاه الخلق أنعمه	عنّا؛ ولا زال عنكم ذلك الحسدُ.

* هذه الأبيات رقم - ٣٣٩ - ضمن الورقة الأخيرة المنزوعة من « ن » وكذلك القطعة التي تليها رقم - ٣٤١ - وهما في «ف » ؛ وبالقطعة - ٣٤١ - ينتهي ديوان الهبل كما أشار جامع الديوان إلى ذلك في الديباجة ، وإنها مسك «الختام » .

- ٣٤٠ -

إلى ذي الفقار . . وحيدر

وقال ، وكتبهما على سيف له وأنشدنيهما في شعبان سنة ١٠٧٨هـ .

١	أنا السيفُ لا تُختشى نبوتي	إذ أُحشيتْ نبــوة القاضبِ ؛
٢	إلى «ذي القفار» اعتزائي؛ كما	إلى حيدر يعتزي صاحبي.



- ٣٤١ -

أحسود . . قــل ما شئت !

وقال رحمه الله وسبب إنشاء هذه الأبيات أن بعض أعدائه قال حين سمع قولَه :

ومـا ضرّنــي أَنْ لاَ تَرونَ فَضَائِلي؛ فمـا خَفِيتْ إلاَّ عَلَـى أَعْينٍ رُمدِ!؟

«وما لِحسَن بن علي «الهَبَل» من فَضَائِل ؟ وبماذا يفخر؟؟. وفي ختم الكتاب بهـذه الأبيات مناسبة لذكر الختام:

١ أحســودُ قُلْ ما شِئـت فيَّ لـكَ البقـاءُ من الملامَهْ.

٢ فخـري كشـمسٍ أشرقَتْ لـم تُخفِهـا أبـداً غمامَهْ ؛

٣ أحسـودُ يا تِربَ السَّفالَــةِ والجهَالــةِ واللّآمَهْ ؛

٤ لِمَ لا يطـول علـى الورى مـن كان «حيدرةٌ» إمامه

٥ مـن بالكِتـاب وعتُـرة الـمخْتــارِ قد أضحَـى اعتِصَامَهْ ؛

٦ واختــارَ دينَ « أبي الــحُسَـين » لِحــبّ «حَيدرةٍ» عَلامَهْ،

٧ مَــن بالــولاءِ «لِحَيدَرٍ» يُنجـوُ ويأمــنُ في القِيامَهْ،

٨ ويَروحُ مســروراً غداً يوم التّغابــنِ والنّدامَة

٩ ويحــوز في جنّـات « عَــدْنٍ » ما يحــبُّ من الكرامَهْ

٦ـ ورد في هامش « ف » ما يلي : « يشـير إلى ما روي عن الامـام عبـد الله بن الحســن « الكامل » قال : العَلاَمَةُ بيننا وبين النّاس علي بن أبي طالب عليه السلام ، والعلامة بينَنا وبين الشيعَة زيد بن علي » يريد أن من اتبع علياً واحبّه فهو الشيعي ، ولمّا كان من محبّيه «غلاة» قال : والعلامةُ بيننا وبين الشيعة زيد بن علي فمن اتبعه فهو الشيعي ومن خالفه فليس بشيعي وإن ادّعى حُبّ أمير المؤمنين عليه السلام. اهـ باختصار .

١٠ وتـديرُ ولـدانُ الجنانِ عليه كاسـات المدامَهْ؛

١١ ولَـرُبَّ كأسٍ فضّ عن مسكٍ بلا حرجٍ ختامَهْ

إنـتهى الدّيوان

وكان الفراغ مِن نقلهِ

في ١١ صفر سنة ١٤٠٠هـ

الموافق ٣٠ ديسمبر ١٩٧٩م

بمدينة «بروملي» جوار لندن

ولله الحمدُ والمنّة

بقلم

راجي عفو الله

أحمد محمّد الشامي

المُلحَقات

١ - من رسَائل الهبَل
٢ - أعْلام الدّيوان
٣ - الفهْرست



من رسائل الهبل

في النّسخة الفوتوغرافية «ف» أَلْحَقَ كاتب الدّيوان ، بضع رسائل لِلْهبل . وكان كاتبُ النّسخة «ن» الّتي اعتمدتُها «أَصْلاً» قد اكتفى بنَقْل ما فيها مِن مقطوعات شعرية ؛ وقد رأيتُ إثباتها لأَنّها من آثار الشاعر ؛ وتُعطي صورة واضحة عن أُسلوبه النثري ؛ كما أنّي سأثبت مقدّمة «الهبل» لِقصيدتِهِ «البائية» عن رحلته الى «ناعِط» وقد تجاوزها النّاسخ في الأصل «ن» وسأسجّل أيضاً جواب القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال على الهبل كاملةً ؛ آملا أن أعثر على المزيد من آثار «الهبل» النثرية والشعرية كما أني لا أشكّ أنّ لَه قصائد «حُمَينِيّة» كما كان لشعراء عصره الأَفذاذ «كالهندي» و«الزَّنمَة» و«المِرهبي» وغيرهم وآمل الحصول عليها إن شاء الله .



- ١ -

ناعط بين الهبل وأبي الرجال

قال جامع الديوان في النسخة «الفوتوغرافية» :

« ووجدت بخطّه رضوان الله عليه ؛ وإنما نقلتُ القصّة بطولها وإن كان الغرض إنما هو نقل شعره لما بين القصيدة والقصة من التلازم » قال :

لما عزم المولى أمير المؤمنين المتوكّل على الله ربّ العالمين شيّد الله به أركان الدّين ، وقمع بسيف بأسه رؤوس المعتدين ، وشرح بدوام دولته ، وبقاء عزته صدور المهتدين ، من « الخارد » من الحضرةَ «السيفية »،[١] والعقْوة الّتي فضائلها غير خفيّة ، والسوح الذي عزّت بوجودِه الملّة الحنيفيّة ، حضرة ولدِهِ الملك الهمام ، وسيفه المجرّد على أعداءِ الله الطغّام ، صفي الإسلام ، ومُحْيِي ما اندرسَ من مآثر آبائِهِ عليهم السَّلام ، أحمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين ، أيده الله تعالى في شهر جمادى سنة أربع وسبعين بعد الألف ، كانَ «مَسَاه»[٢] ليلةَ ثاني عزمه في «الرَّجَوْ» ، بلد أهلُه من «عيال عبد الله » ، أكرم بأهلِهِ من قوم ، هُمْ وجوهُ العرب ، وأُولو الفتوة والحَسَب ، لمَّا وفد إليهم المولى أمير المؤمنين عليه السلام في بعض أولاده ، وأناس من مُتابعيه وأَجناده ، أكرموا الصَّغيرَ والكبير ، وقاموا بالمأمور والأَمير ، طعامُهم الكثير الطيّب ، ووبْلُ إكرامهم على أضيافهم هامِلٌ صيّب ، أوسعوا الامام أيّده الله تعالى ومن معه إكراما ، وأنصفوهم إجلالاً وإعظاما ، وأقاموا فرائض المروّات ، وأوفوا

---

١ ـ نسبة إلى سيف الإسلام أحمد بن الحسن بن الامام القاسم
٢ ـ «مساه » باللهجة اليمنية يعني مبيته .

بعقود الفتوّات ، فكلٌ أثْنى عليهم خيرا ، وأوسعهم شكْرا ، وفي بلدهم بردٌ شديد خلا إنّه دون برد «ناعط» فإنّه لا يحُدّ ولا يوصَف ، ولا يُرسَمُ ولا يُعَرَّف ، ولقد لقي النّاسُ فيه من المتاعب ، والأَهوال الّتي تذهل الأخ عن الأخ كيف الصّاحب عن الصَّاحب ، ما لم يلقَه أحدٌ من العالمين ، ولم يُعلم بمثله في ماضي السّنين ، حتّى أن أهله ذكروا إن ذلك شيءٌ لم يعهدوه ، وأمر لم يجدوه ، وسأذكر بعض صفات «ناعط» ولستُ لأَجل العجز عن وصفه بباسط ، ثم ارتحل المولى أمير المؤمنين عليه السلام من «الرَّجَو» وأمسى على «ناعط» المذكور وهو من بلاد «الصَّيَد» محلٌّ مرتفعٌ من مآثر «حمير» ، فيه عمائر قديمة ، ومباني قد أنحلتْها كلّ ديمةْ ، وفيه قَصْرٌ قد كَرَبَتْ[1] آثاره تندرس ، وجامعٌ كادَتْ صحائفُهُ تَنْطمِس ، وأساطين تحيِّرُ العقول ، وتقول بلسان حالها ؛ سبحان من لا يزول ولا يحول ، فهيَ عبرةٌ للنّاظرين ، وتبصرةٌ لِلْمُستَبْصرين ، وموعظةٌ باهرة ، وموقظةٌ زاجرة ، قد ظلّت تنشد بلسان حالهِا ، وتعِظ تذكر زَمَانَي إدبارِها وإقبالهِا :

كأن لم يكنْ بين الحجونِ إلى الصَّفا أنيسٌ ولَمْ يسْمرْ بمكّة سامِرُ،
بلَى؛ نحنُ كنّا أهلَها، فأبادَنا صروفُ اللّيالي والحظوظُ العواثرُ!

وفيها من البردِ والرياح ، ما يهلك الأَجسادَ والأرواح ، ريحها سموم ، وماؤها معدوم ، ومشاهدة أهلِهَا تجلبُ الهُمومْ ، ومجهول سيئَاتها أكثر من المعلوم ، سكّانهُا من أَهل «الشمال» والمجرمين ، وأجْفَا من رأيتُ من العالمين ، لا يعرفون غير «الشقا»[2] والعَمَلْ ، فهمْ كالأنعامِ بل هُم أضل ؛ يَتنكّبونَ طرقَ المروّةْ ، ويجعلون أصابعَهم في آذانهم إذا دعاهُم داعي الكَرمِ والفتوّة ، يعدّون إكرامَ الضيفِ مَغْرما ، وإيواء المُسلّم بهم محرّما ، ولقد لقينا في بلدهم من البرد العظيم ، والرّيح الّتي ما تذر من شيءٍ أتَتْ عليه ، إلاّ جعَلَتْه كالرّميم ، ما لا يُدركُ غايةَ وصفه واصفٌ وإن أطنبْ ، ولا يبلغ منتهاهُ بليغٌ وإن أسهبْ ، خَلاَ إنّي قد وصفتُ شيئاً من حالها ،

---

١ ـ كرب كروباً : دنا ، وكربت الشمس : دنت للمغيب ، وحياة النار : قُرب انطفاؤها .
٢ ـ يريد بالشقا أيضا العمل ، واليمنيون يسمّون العامل «شاقيا» ويقولون فلان «يشقى» أي يعمل .

وكيفيّة رجالها في قصيدة قصيرهْ ، وأبيات يسيرهْ ، قلَّلتُ أبياتها واختصرتُ ، علماً بأنّي لو طوّلتُ لما انتصفتُ ولا انتصرتُ ؛ فسيّان التطويلُ والتقصير ، والتَّقْليل والتكثير ، وكان «مَسَا » الامام أيده الله تعالى فيها في ليلةٍ من جمادى وقد ذكرتُ ذلك في تضمين بيتي « المتنبّي » وَهُما : « في ليلةٍ من جمُادى » ، والّذي بعده ، ووقع بحمد الله وفضلِه في التضمين تناسبٌ عجيب ، واتفاقٌ غريب ؛ للاتّفاق في البرد والظلمة ، وكونها ليلة من جمادى « ثم أورد القصيدة التي مطلعها : « الحمد لله نلنا السُّؤلَ والأربا » والّتي أثبتْناها في الديوان رقم ـ ٢١٤ ـ ثم قال » :

« ولما اطّلع عليها القاضي العَلاّمة حليف المجد وقرينُه ، وأليفُ الأَدب وخدينُه ، شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال طوّل الله تعالى مدّته ، وأبقى على مرّ الزّمان جدّته ، أجابَ بهذه القصيدة العجيبة ، والدرّة الغريبة ، وأَرسلها إليّ بخط يده الكريمة ، فشكرت هذه « اليد » الّتي لا أقدرُ أكافيها ، وحمدتُ مَذْمومَ «ناعط » إذ كانَ هو السببُ فيها ، وفتحتُها عنْ مسكٍ فائح الشَّميم ، وروضٍ أُنْسيتُ بصبَاه تلك الرّيح العقيم ، وقلتُ ما عسى أن تكونَ سيّئات «ناعط » في جنب هذه الحسنة ، وعلمت أنّه لا يسعني إلاّ الرِّضى بحُكم « القاضي » الّذي حكم بالبيّنة ، والقصيدَة هي هذه وفيها براعة الاستِهلال :

يا مَن صبَاحينَ هبَّتْ في السُّحيرصَبَا ... ما أنتَ أوّلُ قَلْبٍ للنَّسيم صبَا !
كم قد صَبَبْنا لِعَهْدِ الدّمْنتين دماً ... وكم شكونا لَه بعد النّوى وصَبا ؛
أنا الأَليفُ؛ فلو كانَ الأليفُ معي ... هو العذابُ رأينا مُرَّهُ عَذْبا ،
يا ذاكِراً لِرُبانا جادَها هَطِلٌ ... طبقٌ مُلِثٌ على ساحاتها سكبا ،
محراب «حِميَر» و«الأذواءِ» من «يمنٍ» ... القائمون لِعَلياهُمْ بما وجبا ،
الجالبو الْخَرج مِن أطرافِ «أنْقرةٍ» ، ... من ذاسواهم لخرج «الروم» قد جلبا؟
الرّادمو «السَّدَّ» أهل السدِّ من «سبأٍ» ... بخ بخ لبني «كهلان» آل «سَبا»
مَن لم يكنْ عارفاً تاريخ مُلكهم ، ... فما رأى أَبداً في دهْرِه عَجَبا!
وكان في ملكهم «صنعا» وساحتها ، ... وكان يأتي إليهم من «عُمان» حِبَا ،

وكانتِ «الهنـد» تعطيهـم محاسنَها ... و«الروم» كان لديهم لازباً أدبا ،
وهُم بنوا لجناب «الصُغْـدِ» مفخرةً ... في ما وراالنَّهر، واسأل عنهمُ الكتبا ،
ذاك البِنـاء «سمرقنـد» المنيف بَنَى ... مَشِيدَها «شمَّرُ» الملكِ الذي حجبا؛
فالأرضُ في طوعهم شرقاً ومغربها؛ ... هُم أهلُهـا وسواهـم عنـدنا غُرَبا ؛
وما رأوا غير قَصرْ الملكِ في بلدٍ. . ... كانتْ تفيض على كلّ البلاد حُبَى؛
كأنّهـا مَلكٌ والأرض تخدمه ... طوعـاً فمـا بلـدٌ عَمّـا يروم أَبى؛
حتّى من«الرّوم»يأتي«البَقْل»مختلطاً ... «بالطـلّ» للهِ ما أعطـى ومـا وَهَبا!
ما بالُهـمْ وجميع الأرض تحتهمُ ... لم يتركوا«ناعطَ» العِزِّ الـذي رَحُبا؟
فيه عمارةُ قلبِ المستقّر به . . ... في خَيْرَةٍ ونعيمٍ شكرهُ وجَبَا . !
وفيه صحـةُ أَجسـام فمـا عرفوا ... حَمْلَ القوارير بالبولِ الّذي اضطربا .
تغـدو مَشيخَتُهـم للْحـرب ساعيةً ... مِثل اللّيوثِ ولكن في انطلاق ظِبا !
وفيهـمُ اليوم أطـوارٌ جَحاجحَةٌ ... من آل همدان من فاقوا الورى حَسَبا؛
شمّ المعاطس ، بسّامون يوم وغىً ... يلقى بهم مَن يُلاقي حربَهم حَرَبا . .
سل عنهـمُ يومَ «صفّين» تَرى عجبا ... كم حَطّموا بمواضيهـم به العَرَبا ،
قام «ابن حَرْبٍ» مقامَ المشتكي بهمُ ... والنّـاس تسمعُـه إذ قام مختطبا ؛
كأنّـه حين يشـكو من صوارمهم ؛ ... عجوزَ بيتٍ عليها البَعْلُ قد غضبَا !
حتّـى رثـى لِشَـكَاهُ من ربيعتِهم ، ... وغيرهـم من أنافـوا عنـده رُتبا ؛
قالوا له نحـنُ نكفـي شرَّهـم فغداً ... تَرَى العَجائب فانظرنا ترى العَجَبَا؛
فقـامَ في «ماقـط» منهـم خيارهم ، ... وهُـم بلا ريبـةٍ يوم اللّقـا نُجَبَا ؛
لكن تَلّقتهـمُ صيدٌ عباهلَةٌ ... إن صاولوا تركوا الصمَّ الصّلاب هَبا
فيهـم «سـعيدٌ» جزاهُ الله جنته ... ليث العـرين إذا في حربـه وثبا ؛
فحطّموهمْ ولم تسمع هنـاك سوى ... صوت الحسام إذا في الهام قدضربا .!

وجدّلوهُـــم فهمْ نخـــلٌ مقعَّرةٌ ؛ كم سيدٍ منهـمُ في يومـه نُدِبا . !

هم «حاشدٌ» و«بكيلٌ» مَن يُناظرهُم ، مَـنْ ذا يَشبّـه باليـاقـوتِ مُختلبا ؟

نَصرُ «الأئمةِ» ماضيهـم وحاضرهم من يدعهُم يَحضروا في نصره عُصبا ؛

«لِلْقاسم » القرم مولانا الإمام بهم وقائع ، لم تدع للظـالمين نَبا . ؛

للهِ كم قد غزا بالجيشِ معتزماً؛ للهِ كم لِنفـوس «التـرك» قد سَلَبا !

عليه منّـي سلام الله مترعَةٌ حياضُـهُ برحيقٍ كلّمـا شُرِبا ؛

فَقُلْ لِنجْـل «علـيٍّ» أنـتَ يا ولدي وافقْتَ يومـاً بمـوج الريح مُضْطربا ؛

كِنـاية لِذوي الأفهام يعرفها من يعرف اللّحنَ من أهل النُّهى الأُدبا!

بأنّهـم معشـرٌ عنـد اللِّقـا خُشُنٌ ، وأنّهـم جنـدُ مولانـا إذا طَلَبا . .

واستبشـروا بإمـام العصـر فانْتَشئُوا وعَربدوا مثل من لِلخمرِ قد شرِبا ؛

وعـادة الشـمّ إمّـا مرةً سكروا يرى نديمَهـمُ من سكرِهِـم غَضَبا

« كحَمْزةٍ» أسد الله الهصـور سقى تِلكَ الشّوارفَ مِنْ مَسْنونه الْعَطَبا !

فذاك عَمْـرُ أبيك القـرم شأنهُم ، وشأن أرضِهـم إن رنّحَـتْ طربا ؛

ولستُ أرضى لنفسـي غيرهـا وطنا لـو كانَ يُنبـتُ للثّـاوي بهـا ذهبا !

أثنـى عليهـم « نبيُّ الله » إذ وفدوا جهـراً وحاديهـمُ يحدوبهـم نُجُبا !

ومن «عليٍّ» إمامِ النـاس مدحُهم ؛ في الشعرحين حكى ،والنثرإذخطبا؛

عليه أسْنـى صلاةَ الله دائمةً . . ما حركتْ عذبات البان ريح صَبَا؛

من بعـد «طه» نبـيّ الله مفخرنا ماحرّك الرّيح في وادي الحِمَى عذبا

وآلـه خير آل حين نذكرهم من شُرِّفوا حسبًا ، من شرِّفـوا نَسَبا

- ٢ -

تقريظ سِمط اللآل في شعراء الآل

وجاء في النسخة «ف» ما معناه :

ونقلت من خطّه - أي الهبل - صورة ما كتبه تقريظاً لكتاب «سمط اللآل في شعراء الآل» الذي جمعه السيد العلامة الشاعر اسماعيل بن محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل في زماننا هذا من انتصر للأدب من بعد ظُلمِهْ ، وملكه زمامه فجدّد منه ما دثر من رسمِهْ ، وحكّمه في النّظم والنثر فانقادا طائعين لِنافِذ أمره وماضي حُكمِهْ ، وأرضعَهُ ثدي المعالي فهو أخو المجد وابـن أبيه وأمّـهْ ، الذي جعل كلام الملوك ملوكَ الكلام ، وحكّمهمْ في رقاب القوافي فهم الملوك ومنهم الحكّام . ! وصلواتُه على سيدنا محمد وآلِـه ، ما جَنـى أديبٌ ثمـرات غُصـن وتفيَّأ بظلاله ؛ . . فإنّي سرّحتُ نظري القـاصرِ ، وأدرتُ فكري الحائـر ، فيما نظمـه في سلك هذا السِّمط مولانا ودوحَةُ الفضل الّتي أصلها ثابت وفرعُها في السَّما ، وسحابُ المكارم الّتي ودقُ الإِفضال من خلالها هَمَى ، من أدار على الأذواقِ من نثره ونظمه كؤوساً أحلا من الشُّهْدْ ، وكَسَا القريضَ حُلّةً لم ينسج على منوالها «بن بُرْدْ» ، وأبرز بدقيق فكرته كلّ معنى جليل ، وسحر بما أظهر من بلاغتـه فكبـا خلفَـه كل جوادٍ أصيلْ ، ربّ القلم الذي لا يقوم له قائمُهْ ، والسيف الذي لا يشك أحدٌ أنّ في يد جبار السموات قائمُه ، «ضياء» عين الملك الناظرة ، وحديقة الأدب النّاضرة ، من حاز المكارم أدناها وأقصاها ، وعلا من مراتب البلاغة أعلاها وأسناها . اسماعيل بن

محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين :

أســامياً لم تزدْه معرفةً　　وإنّمــا لذةً ذكرناها

لا برح في ظلال الملك العزيز منعماً ، ولا علا قدر ضدّه في أرض ٍ ولا سما ، ولا فَتِىءَ لأعباء المجد حاملاً ، ولا انفكّ في سماء الملك بدراً كاملا . فقلتُ . . وما عسى أن أقول وهو الذي لا يخطر على خاطر ، ولا تقدر عليه قوّة ساحر ، كم كرّتْ عليه جيوش الفكرِ فعادتْ تاليةً : « تلك إذاً كرةٌ خاسرةْ » ، وكم حدّقَتْ إليه عيونُ أهل الأدب لتَقْتَبِسَ من نوره « فإذا هُمْ بالسَّاهِرةْ » أما أبياته فآهاً لهـا من أبياتٍ بل قصور ، حكمت لناظمها بالكمال ولغيره بالقصور :

جواهــر أبــكارٍ يغــارُ لحسنها　　إذا برزتْ عقـد اللّآلـى المنظّمُ ،
يشيب لهــا فود «الــوليد» لعجزهِ　　ويضحي «زياد» عندها وهو «أعجم»

يودّ «رقيق» النظم لو دخل في «ملكِها» ، ومنثور الزّهر لو انتظم في سلكها ، لو سمعها «البديع» لقال : دونك هذا الأدب الذي يُشترى بحبات القلوب ، وهـذا النظم الذي يُغْني عن الصَّهباء وينوبْ ، وهذا السّحـر الـذي ترك خدودَ الذَّهـبْ « الأَحْمَر» صُفْر ، وقال « لِلْهلالِ » لست منّي ولا قُلامة ظُفْر ، وهذه الفرائد الّتي عَلاَ صَاحبها على قمّة النَّسرْ ، وهذه القلائد الّتي مَنْ مدّ إلى بيت منها يدَ غاصبٍ رمتْهُ بشررٍ كالقَصرْ ، ولو وعاها « أبو الحسين الجزّار » لَسَلَخَ جلدَ ديوانِـه ، « والسراجُ الورّاق » لقطع أوصالَهُ مِنْ هَوانِه ، ولو حواها «ابْنُ المعتزّ» لما رُدّت عليه بيعتُه ، أو وعاها «الصفي الحليّ» ؛ وهو حاكم هذا الفنّ لتكدّرتْ عليه شريعته ، أو «ابن نُباته» لما استحلىَ «قطره» النباتي ، أو « الحكيم بن دَانيال » لقال هذا الدّواء الذي به محياي لا ما ركّبه « الأسعد بنُ مماتي » ؛ !! أو « الراجـح الحليّ » لرجحـتْ ما وزنَ من شعره ؛ أو صاحب «حلبة الكُميْت» لأقسم أن هذا هو «البابلي» في عصره . وأَمَّـا كَلِما ته فإذا رأيتها حسبتها لؤلؤاً منثورا ، أو روضاً مدبّجاً ببديع الزّهر ممطورا ، تفعَل في الألبابِ فعل الشّمول ، وتجرّ على «ابن النّبيه» ذيول الخمول ، وتترك «القاضي الفاضل» مستثقلاً منقوصـا ، وتحـكم لِصَاحبهـا بالـرقّ على أهـل الأرض عمومـاً

وخصوصا ، ولو سمعها « العماد » الكاتب لخرَّ عليه السقفُ من فوقه ، أو «ابن حَجَلَهْ» لعلم إن ذلك شيء لا يدخل تحت طوقِه ، أو «ابن المسْتَوفي » لقال هذا لم يكن في الحساب ، أو «ابن البوّاب » لقال لا طاقة لي على الدخول في هذا الباب . أو «ابن حِجَّة» لأفنى في معارضتها عُمْرَهْ ، أو « الصَّفَدي » لما برح في صَفَدٍ من الحسْرَهْ ، ! فيا حسنه من مجموع غَدا لِفرائد الآداب جامعا ، وأصبح لأئمةِ الأَدب قِبلَهْ ، وجمع من المحاسن ما تفرّد به ، ولم يحُزْه مجموعٌ بعدَهُ ولا قَبلَهْ ، تودّ الأقمار لو أنهّا في طاعتِه سواري ، والكواكبُ لو أنهّا له عبيدٌ ، والأفلاك لو أنها في خدمتِه جواري ؛ :

فَدُونَكِ منه سَفْرٌ لا يُسامى ... يجلّ عن المشابهِ والنظير ؛
يجرُّ على « البديع » ذيول فخرٍ ... ويحقرُ عنده وشْي «الحريرِ»ي

ولَقد أربَى مؤلّفه حفظه الله وأيّدهْ ، وبسط بالعدل والمعروف يَدَهْ ، على «سحبان وائل» وأتى وهو الأخير زمانه بما لم يَستطعه الأوائِل ، وفاق الأكابر حلماً على صغر سنّه وليس بعجيب . « قد يُوجد الحِلْم في الشبّان والشيب » فالله يبقيه لِعَين الملك إنسانا ، ولهذا الدَّهر في جنب إساءته إحسانا ، فهو الذي ما نشرَ الدَّهر لأوليائه لِواءَ عداوةٍ إلاّ طواهْ ، ولا جرح سيفُ الفقرِ قلباً إلاّ وفي قَلمِه دواهْ ، والله يحرس أيامه الّتي صارتْ غُرّةً في جبهة الدَّهْر ، ويديم أياديه الّتي سارت مسير الشّمس في كل بلدة وهبّتْ هبوب الريح في البرّ والبحر ، ويُبقيه في سماء الملك بدر تمام ، ويحفظ غرته الّتي غدتْ لمن تقدَّمه من الأكارم واسطة النِّظام ؛

واللهِ ما أخّره ربّنا ... وهو لأَرباب المعالي إمامْ
إلاّ لأَنّ كانَ ختاماً لهم ... للهِ ما أحسنَ هذا الختام!

- ٣ -

الشّعرُ ؛ في رسالة عتاب !

قال جامع الديوان :

ووجدتُ بخطّه رضوان الله عليه ما صورته :

« كتبتُ إلى السيد الأديب «بدر الدين» محمد بن المطهّر الجرموزي حماه الله أعاتبه ، وقد كتبتُ إليه شعراً بعد شعر ، وكنت قد مدحتُ المولى أمير المؤمنين حفظه الله بالقصيدة الّتي أوّلها : « لكَسْب العُلَى فاجعَلْ همومكَ تُحْمَدِ » ولـم يأت فيها جوابٌ ولا جائزة ، والسيّد أيضاً لم يجبني على أشعارٍ أرسلتها إليه فكتبتُ إليه هذا الكتاب » :

بسم الله الرحمن الرحيم . . وصلى الله وسلم على محمد وآله الأكرمين :

نعاهد مَن نحبُّ فلا نُجابُ ونمتدحُ الملوكَ فلا نُثابُ !
فبُعداً للقريض إذا غدونا عليه لا نجازُ ، ولا نجابُ ،

يا مولايَ الأعظمْ ، وعقدي المنظّمْ ، وركني المعظّمْ ، وحَرَمي الّذي من لاذ به لا يُضامُ ولا يهُضَمْ ، أبقى الله لي ودّك صافياً كما أعرفْ ، ولا أبقى لحاسديك عيناً تَطْرِفْ ، قد علمت واللّبيبُ خبير ، ومثلك بالأمور بصير ، أنّ الشّعرَ ينقسِم في أصل الاختراع ؛ إلى أنواع :

غزلٍ يُسْتمَالُ به قلب المحبوب ، ويُنالُ به مِن وصله المطلوب ، وحماسةٍ . . . تُنبي عن جدٍّ ورياسَة ، وحكمةٍ ، تميلُ النفوس الشريفة إلى الأَخذِ بها ، والتمسّك بِسببَها ، وهجاءٍ أعزّ الله تعالى «مقامك» يرى صاحبه انه قد ادرك به من مهجوّة ثارا ، وأخمد من غيظه نارا ، وشفى نفسَه منهُ انْتقاماً وانتصاراً ، وامتداحٍ لِلْملوك طَمعاً في أن يُثيبوا ، ومعاهدة لِلإخوان رجاءاً أن يجيبوا . هذه أدام الله تعالى عظيم

سعادتك، وأطلع في سماء الإحسان نجوم إجادتك، وأجرى أوامر الزّمان ونـواهيه على إرادتِك، أنواعه التي لا يخرج عنها، وأقسامُه الّتي لا يخلو منها، وكلٌّ من هذه الأنواع لا يَخْلو من حصول تلك الفائدة، ولا بدّ لَهُ من عودِ تلكَ العائدةْ؛ والشعر طرازٌ تزدان به المكارم، وتمتـازُ به الأَرذال عن الأكارم. وهـو لِمحاسـن المرء غُرَر، ولسلكِ فضائله دُرَر، وما المكارمُ لولاَ قلائده إلا جيدٌ عاطـل، ولا المعـروف لولا خرائده إلاّ رسمٌ ماحلْ، وغير خاف على مولاي عظيم فضله، ورفعة شأن أَهْلِـه، وأحسنَ «أبو تمام» في قولِه:

ولم أرَ كالمعروف تُدْعى حقوقُهُ ... مغـارمَ في الأقـوام وهي مغانمُ؛[1]

ولا كَالْعُلَى ما لم يُرَ الشِّعر بيْنَها؛ ... فكالأرض غُفْلاً ليس فيها مَعالمُ![2]

وما هو إلاّ القول يَسْري فتغتدي ... لَـه غررٌ في أوجهٍ، ومواسمُ[3]

يُرى حكمةً ما فيه وهـو فُكاهةٌ، ... ويُقضَى بما يَقْضي بهِ، وهو ظالمُ!

نعم هو كذلك، وأنت الخبير بتلك المسالك، فما باله في هذا الزّمان عفَـا رسمُه، وهوى نجمُـه، ونُسِـخَ حكمُـه، فلا يدار لَه كاسٍ، ولا يُرفَـعُ بقائلِـه راسْ، ؟ يا لَلأَدباء لِضَيعة الأدب! أتُصْبحُ بيوتُهُ أطلالاً باليَهْ، وتضحى معاهده رسوماً خالية، لا تُصغي الآذانُ لصارخِه، ولا تنتصِف «لِمَنْسوخِه» من «ناسِخه»! هذا وأنت أعلى الله شانَك، وحرسكَ من غِيرِ اللّيالي وصَانكْ، منتهـى أعيانـه، وواسطةُ قلائدِ عقيانِه، وفارسُ ميدانِه، وبارىءُ سَهمِهِ ورائشُـهْ، ومُنَهِنِـه قَدْره وناعشُهْ، والأَعرف بما لأهله من الحقوق، والجدير باجتناب طرق العقوق، وعندكَ مفصلُه الَّذي يفري المفاصِل، و:

لَكَ القَلَمُ الأَعلا الَّذي بسنانِه ... يُصَابُ من الأمر الكُلىَ والمفاصلُ

وقد عقَد لكَ أهلُه لواء الإمامَهْ، وسلمتْ إليك قيادَهُ وزمامَهْ، وجعلتْ اليك حلّهُ وإبرامَه، عِلماً بأنّك جواده المجليّ، واعترافاً بأنك الامـام وكُلاً من الجماعـة

١ - في الأصل: «تَرعى حقوقه» وهو تصحيف.
٢ - في الأصل: «ما لم تر الشعر».
٣ - في الأصل: «في وَجْهِهِ».

خلفك مصليّ ! فكيف رضيتَ بأن يباع الشِعْر ، بأَبخس السِّعْر ، ولم تلحظْه بعين مقَهْ ، ولم تحطْه ببرٍ وشفقَهْ ، فغدا وراحَ وقدره موضوع ، وأصبحَ ضائعاً من ضاع يضيعُ لاَ مِن ضَاعَ يَضُوعْ ، وأضحى ينادي عن قلبٍ مكلومْ ، يا لَلْمسلمين مَظْلومٌ مظلومْ ، ؟ أتراه بغيرك يستنصر ، أم يشكو إلى سامع سواك مبصرْ ، ؟ وها هو الآن ميت مُلْقَى . تعيشُ أنتَ وتَبقى ! وإن لم تَعُد له عائدةٌ من تلك العوائدِ ، ولم تُستَفد منه فائدةٌ من تلك الفوائد ، فبعداً له وقُبحا ، وجدعاً له وترْحَا ، وسحقاً لَه من وسيلهْ ، ومن حيلةٍ فائدتها قليلة ، تنبّه لهَا أكرومةً قبل فوتِها ، وأصِخْ لِشكوى القوافي فقد استْعْدَتْ برفيع صوتِها ، ولقد كان الشِّعر طلْق المحيّا ، عَطرَ الريَّا ، فاليومَ حين تجهَّم وجهُه الوضّي ، وتكدّر ورده الصفيّ . وأجاد «أبو تمام » وهو المجيد بقوله من تلك القصيد:

فما بال وجهُ الشعر أغبر قاتماً ... ووجهُ العُلى من عطلة الشّعر واجمُ!
إذا أنت لم تحفَظْهُ لم يَك بدعةً ... ولا عجباً ؛ إن ضيَعته الأعاجم !
تداركْهُ إن المكرمات أصابعٌ ... وإنّ حُلَى الأشعار فيها خواتمُ ،
فقد هزّ عطفيه القريضُ توقّعاً ... لعدلك مُذ صارتْ إليك المظالم
ولولا خلالٌ سنّها الشعر ما درى ... بغاة العُلى من أين تُؤتى المكارمُ

أنت المعنيّ بذلكَ لا «ابن أبي دُوَاد» ؛ وأين من « هاشِم » « إيادْ » ؟ ، وأينَ من الرُّبى الوهادْ ؟ إليك يلقى مقاليد الإنشا والإنشادْ ؛

إلى كم ينالُ الأذلونَ مناهُمُ ... ويُعطون أَضعاف العطاءِ وأُحْرَمُ ؟
قضاء زمانٍ دأبه الجور في القَضا، ... وشيمةُ دهرٍ في الورى يتحكّمُ
يودّ الفصيح القول فيه لو انّه ... لما قد يرى من قلّة الحظّ أبكمُ !

وخذها مِن العَبْد ، على مَحْض الود وأكيد العَهْد ، تقوم لِلْخدمةِ بناديك ، وتقبّل غُرَّ أياديكْ ، وتُهدي إليك أسنا السّلام ، وتفوحُ كالمسك فُضّ عنه الختامْ .

- ٤ -

حول نُزهة إلى «حَدّه» !

ووجدتُ بخطّه ما لفظه :

خرجتُ يوماً للتنزه إلى «حدّة» أنا والصّنو القاضي عز الدين محمد بن صالح بن أبي الرجال حفظه الله تعالى ؛ فلماّ عدنا أرسل إليَّ الصنو ضياء الدين زيد بن صالح ابن أبي الرجال هذه الرسالة عنه وعن أخيه القاضي جمال الدين علي بن صالح[٣٧] يلومانني على عدم التنبيه عليهما «بالخروج » :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وصلواته وسلامه على محمّد وآله المطهّرين .

يا مولانا ؛ بلغ ركوبكم إلى « حَدَّة » في هذا اليوم الّذي أنار بالمحاسن ، وانهَلَّتْ سحائبُه بماءٍ غير آسن ، فأشرقت بكم سَاحَاتُها ، وعبقتْ نفحاتُها ، وتلقتكم ألويَةُ الزّهر الأنيق ، وصفقتِ الأنهار فرحاً بقدومِكم فرقَصت الأغصان على ذلك التّصفيق؟ ، وفتح «الأُقْحوان » ثغره لِلَثم أكفكم ، وعفّر «الورد » خدوده ابتهاجاً بورودِكمْ ، وقرّتْ عيون « النَرْجِس » ، وأثنتْ عليكم ألسنة « الجُلَّنار » حتى أسمعت الأخرس ، ولمّا حللتم بذلك النادي ، واستَتَمَّ بحضوركم حاضر تلك الزّهور والبادي ، قال « النَّرجِسُ » أهلاً بكم على الرأس و « العين » ، وعلم « الياسمين » بعدما خامرهُ اليأسُ مِنكم أنَّ اليأسَ مين ، وادّعى أنّه السَّبب في قدومكم طمعاً في أنْ يُشكر ، وادّعى « الأقحوان » ذلك رجاءً أن يثني عليه ويذكر ، وقال « الرّيحان » ، لولا أعلامي المنشورة ، وفضائلي المأثورة ، لما سعدتم بقدومِه ، ولا رأيتُم يوماً كيومِه ، ولولا نميمة نشري ، ونفحات عطري ، لما اهتدى إلى هذه

(٣٧) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

البساتين ، ولا ضرُبتْ لِسروره فيها أساطينْ ، وقال «الوردُ» وقدْ بدت حمرةُ الغيظ في خدوده ، والله لولا أنا لما شرَّفكمْ بوروده ، ولو كان الفَضْل لكم في وصوله أيها الجماعة ، لَوَصَلَكُم في غير هذه السَّاعَهْ ، لوجودِكم في كلّ أوانْ ، وحلولِكم في كلّ بستان ، لكنّه أراد بوصولِهِ اغتنام محاضرتي ، والتملّيَ بمشاهدتي ، لِقصر أيّامي ، وقِلّة لبثي فيكم ومقامي ، فقطعَ الجدال بمفخرته المعجزة ، وكلماته الموجزة ، ولعمري أنّ تلك الأخلاق من تلك الأنهار أعذبْ ، وتلك الشمائل مِن تلك الخمائل أَعْطر وأطيبْ ، وأن الحظّ لِتلكَ الرّياض في قدومكمْ . . بلا إشكالْ ، وأن الفضل لكمْ على ذلك المحل . . على كلّ حالْ ، وفي آخر هذه الرسالة بيتان من نظمه عافاه الله وأسعده ، وهُما :

يا مَنْ قَلاَنــي وأضحى ... لاهٍ بساحات « حَدَّهْ » ؛

ألا رثيتَ لِشَوقي ... فقــد تجــاوزَ حَدَّهْ . ؟

فأجبتُ عليه بهذه الكلمات القاصِرَة :

بسم الله الرحمن الرحيم . «الحمدلله ، وسلامٌ على عباده الّذين اصطفى ، يا مولاي الّذي أخلصتُ له ودّي ، وأحكمتُ له عقد عَهْدِي ، والله تعالى على ما أقولُ وكيلْ ، ولي من قلبك شاهدٌ وكفيلْ ، إن تشديدَ العقابْ ، أهونُ من تسديد سهام العِتاب ، وانكَ و«عليًّا » أعزّ الله تعالى قدركما ، ورفَع ـ وقد فعل ـ شأنكما وأمركما ،فَرْقدا أفق السرّورِ ، بل شمسُهُ وقَمَرُهْ ، وغُصْنَا روضِ الأدبِ المَطْورِ ، بل زهرُهُ وثمرُهُ ، فكيفَ يرقّ عيشٌ بدونكما ، أو يروقُ اجتماعٌ يَومَ بينكما ، ؟ هيهات . . . لا واللهِ يكونُ ذلك . ؟ وقد غاب السيّدُ والمالك ؛ وما حسنُ يوم لم تشهداه ، ؟ أمْ ؛ مَا صَفْوُ وِرْدٍ لَمْ ترداهْ ؟ وهَلْ هو إلاّ اليوم العبوسُ القمطرير ، والمشهد الّذي يتمنّى المرؤُ فيهِ لِغيبتكما أنّه ضرير ، فأفٍّ له من مقيل غير متغيّبٍ نحْسُه ، ويوم ٍ ليت لا طَلَعتْ شمسُه ، ولقد قابلتْنا « حَدَةُ» «بالنَهْر » ، ومرّ يومنا لبعدكما كشَهْر ، وأظهر « حُمَيْسُ » أشدَّ الحماسَهْ ، وجَرَتْ على مرادِهِ سائر الأَنهار لما لَهُ عليها من الرّياسَة ؛ وقَرَعَ « الأُقحوانُ » لِلأَسِف سِنّا ، و« مالَتِ » الأغصان . . لكِنْ عَنّا ! ، فلم نَسْتَجِن غُصْناً إلاّ أظهرَ الخلافْ ، وأبدى الميلَ والانحرافْ ،

و« المنْثُورُ » مَا مَدّ لتحيّتِنا بَنَانَهُ ، و« النِّرجس » ما فتح إلينا أجفانَه ، وقال «الْيَاسَمينُ » كيفَ لا أصفر لكثرة همومي ، وقال « الوردُ » ما أخلقني في هذا اليوم بتشْبيهِ «ابن الرُّومي »[1] ؟ ! وقامَ « الزّنبق » على ساقه ، واحمرّ لِسانُه لتلهّبه واحتراقِه ، وهجرَ حضرتنا وما وصل ، وقال دعوني فما أنا إلاّ بصَلْ ، ودعا «الرّيحان » على نفسِه بالتَّصْويحْ ، وقال ما لِدولتي اليومَ رِيحْ ، وقال «الروض » لِزَهرِ «المِسْكْ» ، ما أنتَ منّي ولا أنا مِنكْ ، ومرضَ «الآس »، مرضاً أعْيى كلَّ آسْ ، والشمسُ تارة ترتدي من الغيم برقعا ، وآونةً تَستَتِر بالورق من الضّيم فلم نَرَمِنها إلاّ قطعًا» ! ومنها[2] :

« ولو ظَنَنْتُ أن « الرمان » يسعفني إلى اقتراحي ، ويَسعى فيما فيه ابتهاجي وانشراحي ، لسألتُه أن يسمحَ لي بصحبتكما لأَجتلي بها وجوه أفراحي ، في مرحي ومراحي ، وأخوكُما قد اعترفْ ، بما اقْتَرَفْ ، وجنَى ؛ مِنْ مُرِّ العتاب غِبَّ ما جنى ، فان عفوتمُا فأنتماُ أهلُ لِلْعفو ، والحِلم الذي موردُه صفو ، وإن أبيتماُ إلا تجنّيا ، وكرهتما أن تصفحا وتُغْضيا ، فالقاضي هو الحَكَمُ «فيما شَجَر » في «حدّه » وهلْ يوجد « الفَصْلُ » في « الأزهار » إلا عندَهْ ، وحاشاكما أن تخيّبا من العفو ما منّتني الأماني ، وأن تَنْسيا قول الشاعر «إذا ما جنى الجاني»[3] أسأل الله لي ولكما عفواً يُفضي بنا إلى دارِ حَسُنتْ مُستقرّا ومقاما ، وتوفيقاً نزداد بهِ للحقّ التزاما ، وبحبلِه اعتْصاما، بحقّ النّور الذي جعل «نصفَهُ» «لِلّنبيّين » « خِتاما » ، و« نصفَه » الأخر « لِلْمؤمنين » « إمامًا » ،

صلىّ وسلَّم ذو الجَلال عَليهما والآل ما شقّ البروقُ غماما

---

١ ـ يشير إلى قول «ابن الرومي » في تشبيه الورد :

كأنه صرم بغلٍ حين يخرجه عند البراز وباقي الروث في وسَطِهْ

٢ ـ لا ندري من الذي اختصر الرسالة ـ على لطفها ـ هل «الهبل » أم النّاسخ ؟

٣ ـ تتمة البيت : « محَا الذنبَ عذرهُ وصار الذي لا يقبل العذر جانيا.

«مِن رسالةٍ بلا جواب»

ووجد الجامعُ للدّيوان بخط «الهبل» صورة كتاب من القاضي الأديب زيد بن صالح بن أبي الرجال لم يثبت منه غير مطلعه أَبيات شعر وهي :

أحبَّتَنا في سفح «رامة»، هَلْ أرى لذي حُرقٍ؛ مِن ربْع أنسِكم قُربَا ؟

يعنِّفه مَنْ ليسَ يعرفُ مَا الهوى إذا صَبّ مِنْ وجْدٍ مدامعَهُ صبّا؛

له كبدٌ قد مَزّقتها يدُ النوى وسلوة قلب عندكم أُسِرتْ غَصبا

يهيم اشتياقاً لِلِّقا، وصبابةً ويُذكي الجوى في قلبه الريحُ إن هبّا

ولم ينقل بقية الرسالة لا شعرا ولا نثراً وربما أنها سقطت مثل جواب الهبل. . !؟

- ٥ -

تهنئة بعيدٍ وزفاف !

ووجدت بخطّه ما لفظهُ :

صورة كتاب كتبتُه إلى سيّدي الوالد العلامة شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال عافاه الله مهنّئاً له بالتأهيل وبعيد النّحر ، وكان في محروس «ضوران» ؛

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآل محمد ؛ . . بعد أن تؤدّيَ هذه النِّطاقة[1] واجب السجودْ ، وتقوم لِلخدمة حيث يمنعُها الأدبُ من القعودْ ، بين يدي إمام الفضل المجليّ إذا صلّت الأئمة ، ومالك أزمّة المجد إذا قصرّت أهل الهمم عن ملكِ الأزمّة ، علاّمة زمانِه ، وحَبْر أوانِهْ ، نبراس العلماء العاملين ، والخيرة من القُضاة الفُضلاء النّبلاء الماجدين ، شهاب الدين علم شيعة الآلْ ، أحمد بن صالح بن أبي الرجالْ ، لا برحتْ حمائم التحيّات على أفنان ساحته ساجعَهْ ، ونجوم السعادة بما يكبت أعداءَهُ من عزّه وشرفه طالِعَهْ ، وعليه سلامٌ يحاكي خلقَه اللّطيف ، وإكرامٌ يُضَاهي فضلَه المنيفْ ، ورحمة الله تعالى وبركاته ، وتحيّاته ومرضاتُه المزلفة له بالتَّشريف ، وتنهي بعض أشواق عبدِه ، وما لاقاه من الفراقِ من بعده ، فإنّه لمّا قضى التّوديعِ فينا قضاءَهْ ، واستجابَ البينُ للدّهر ابتهاله علينا ودعاءَهْ ، وزمّت ركائب الفراق ، وأصبح يوم الوداع مثل يومِ « التّلاق » ، ! عُدْتُ أكفكف أدمعي ، ورجعتُ ولكن لا تَسلْ كيف مرجعي ؟

---

١ ـ هكذا ضبطت في الأصلِ بالنون المشدّدة المكسورة ولم أجد لها معنى فيما بين يدي من القواميس ولعلّها البِطاقة أي الرسالة وصحفها الناسخ .

غداة نأى الصَّبْــر الجميلُ مودّعا ... وللْبَــين إرعادٌ علينــا وإبراقُ،
يُؤجِــجّ لي ناراً يرينــي أنهّا؛ ... ـ وما هي إلاّ النار ـ وجدٌ وأشواق؛

فآهاً لها وآه منها أشواقاً تتقدُ نارُها ، ودموعـاً تتدفّقُ بحارُهـا ، وقلبـاً أحرقتـهُ نار الجوى ، وصبراً مزقتهُ يد النّوى :

ومـن فضــلِ المهيمــنِ عَنْ قريبٍ ... نعــودُ لمثــل ما كنّــا علَيْهِ ،
وأشــكو ما ألاقي من شجوني ... لــه، وأبــثّ أشواقي إليْهِ،
ونعقــد رايةً لِلْوصْــل بيضا ... إذا انهــزمَ البعــادُ على يدَيْهِ!

غير أنّ الله تعالى جبر ما كسر الفراقْ ، وأطلع بدر السرور كاملاً بعد أن كاد يدركه المحاقْ ، بما أسـدى إلى سيدنـا حفظـه الله تعـالى من النّعمـة الّتـي شمـل سرورُها ، والمنحة الّتي تبسّمَتْ في رياض الفرح زهورُها ، بما جدّد لَه من الفراشِ الذي بركتُه إنشاء الله تعالى على العالمين ظاهرَهْ ، ونجومُ سعوده بعون الله للنّحوسِ قاهرَهْ ، والعبد يتوسَّل إلى الله تعالى بنبيّه المبعوث بالرسالَة ، محمـد صلى الله عليه وآله ، أن يجعل البركة والصَّـلاح، والخيـرَ والنـجاح ، وبلـوغ الأمـل في الغـدوّ والمراحْ ، مقرونةً بما يُبْدِيءُ ويعيدْ، وينقصُ ويزيدْ، وأن يبلّغه من كل خيرٍ ما هو آملُهْ، ويزيد في ذلك الأمر من الإِقبال تحقيق ما بشّرت به مخايلُهْ، لِيَجْتنـي ثمراتِـه طَيِّبهْ، ويستدرّ غيوثَ بركاته صيّبَهْ، يتقلّب في نعم الله تعالى، ويزيد على مرّ الزمّان جدّة وبهجةً وجمالاً وجلالا .

ومِنْ ما يجبُ للهِ تعالى عليه الحمد أن قرن هذه النّعمة بهذه الأيّام الّتي اشتهر فضلها في البرّ والبحرْ ، وقلّده هذه المنحة في هذا العيد السعيد ـ وأحسن ما تبـدو القلائدُ في النّحرْ . ! فله الهَنا بالعيدَين السَّعيدين ، والأَمرين المباركين الحميدين ، والله تعالى يعيدُه إلى مثلِه وأمثالِـه ، وأضرابـه من فاضـلاتِ الأيّام وأشكالِـه، من السَّالمين الغانمين ، الآمنين من فزع يوم الدّين ، الفائزين بأسْنَى الأجـرْ ، وأَهْنَـى الشكر ، الحائزين للسَّعْي المشكور ، والجزاء الموفورْ ، الرّابحين في تجارة التقـوى الّتي لا تبورْ ، ونسألُه أن يُصليّ ويُسلّم على سيدنا محمّد وآلِه ، وأن يختم لِلْجميعِ بالحُسْنَى بمنّه وكرمِه وأفضالِه ، آمين اللّهم آمين .

- ٦ -

رسالة عن أمير إلى أمير

ووجدتُ بخطّه ما لفظه :

صورة ما كتبتهُ عن سيّدي علم الدين القاسم بن أحمد ابن أمير المؤمنين حفظه الله إلى السيد الحسين بن يحيى بن أحمد[٣٨] عافاه الله .

بسم الله الرَّحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذّين اصطفى محمد وآله .

يقبــل الأَرض إعظامــاً وإجلالا ... صبٌّ تحمَّل من هجرانـكم مالا ؛

« أنكرتُم » حالَه مِن بعد « معرفةٍ » ... بهِ ، وكيف وقد «مَيَّزتمُ» « الحالا »

يخْفي الأسى ولسانُ السّقـم يظهره ... والدمـعُ يضربــه لِلنّــاس أمثالا ،

اللهَ في مُغــرم أنحلتموه أسىً؛ ... مـا خانَ عهـدكم يومــاً ولا حالا ،

ما زال ينــدبُ مذ زمّــت ركائبُكُمْ ... منـازلاً أقفـرتْ منـكم وأطلالا . !

متيّمٌ أنحلَهُ الشوقْ ، وأتاهُ الأَسى من الجهات السِّتِ لا أخصّ مِن تحت ومِن فَوقْ ، أمّا دمعُهُ فمطلقْ ، وأمّا نومـه فمطلّـقْ ، وأمـا قلبـه «فـكليم » «بموسَـى» الفِراق ، وأمّا صبره فمحلولٌ من الوثاق ، وأما ركائبُ شَوقِه فلا تزال تحنُّ إلى يوم التّلاق :

يا هاجــرين ولاَ ذَنــبٌ ولا سَببُ ... ترفّقــوا بفــؤادٍ ليسَ يحتملُ ؛

حملتمونــي من أفــراط هجركمُ ... ما ليسَ يحمله سهلٌ ولا جبلُ ! ؟

لإن جَفوتُـم فبـاب العـذر مُتّسعٌ، ... وإن قطعتُـم فَحَبْـلُ الـودِّ مُتّصِلُ ،

أليسَ من عجبٍ أني أبثُّ لكُمْ . . ... شَوقي وعندكم التَّفصيلُ والجملُ.

(٣٨) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

ويُنهي ورود « المشرّف » ؛[1] الّذي أَسْفر عن أفق الطِّرس بدرا . وجرى من رقّتِه في روض البلاغة نهرا ، وأَسْمَعَتْ كلماته من به صَمم ، وأْتمَّتْ به أَهلُ الأدب كأنَّه عَلَمْ ، واحتوى صاحبه على الأَدب برُمّتهْ ، وانقادَ لَه « ذو الرمّةِ » برمّتِهْ ، وأرانا بديعُه « البَديعَ » ، فما أحقّ مَنْ عارضه « بالتَّدْبيج » و« التَّرصيع » ، مِنْ تلقاء الصِّنو الأديبْ ، الجامع من معالي الكمال كلّ معنى غريب ، كعبة المجد الّتي إليها حجُّ الأفاضلِ واعتمارُها ، وروضة الأَدب المتدلّية ثمارُها ، شرف الإِسلام المؤيّدْ ، وركن الدين المشيّدْ ، وواسطة عقد الآل المنضّدْ ، الحسين بن يحيى بن أحمدْ ، حرس الله مقامَه الّذي لا يُشَاركُ في فضيلَهْ ، وسوحه الذي لا يزال المجد أبداً نزيلَهْ ، ومربعَه الذي تُشدُّ إليه الأكوار ، وتُقْتَبسُ من مطالع بدوره الأنوارْ ، والله تعالى يهْدِي إلى مقامه على بُعد المزارْ ، وتنائي الدَّارِ من الدّارْ ؛

سلاماً ألذَّ من السَّلْسَبيلِ ... وأَحلا من الوصْلِ بعد الصدودِ،
كَعَودِ الشبابِ ، ورشْف الرَّضابِ ، وكَسْر الجفون ، وضمّ القدودِ ،

ورحماتٍ غواديَ رائحاتْ ، ومسرّات باقياتٍ صافيات ، وإنّ ذلك المرقوم ، والمسطور المزري بالدرّ المنظوم ،

أتاني والفؤاد رهين شوقٍ ... فسرَّى بعضَ وجدي واشتياقي
وقلتُ لَعَلَّه مِن فضْل ربّي، ... يكونُ لَنَا مقدّمة التلاقي ؛

وهيهات لا يشْفي ما بالْقلوب ، إلاّ الاجتماع بمشيئه عَلاّمِ الغيوب ، وما ذاك على الله بعزيز .

هذا ومحبّكم في نعيم يقصرُ عنهُ باعُ شكرِه ، وتضعف عن حَصْره قُوَى نظمهِ ونثره ، فلله الحمد كما يحبّ ، وله الشكر كما يجب ، خلا أنّ صفو ذلك النَّعيم متكدّر بالفراق ، ووجهُهُ مُتغيّر بعدم التّلاق :

يا حسن وقتٍ لنا تَقَضَّى ... بقربكم مرَّ كالنّسيم ،

[1] ـ في صنعاء يسمون الخطاب أو الرسالة « مشرّف » فيقولون وصل «مشرّفكم » أي خطابكم .

وطيب عيشٍ بكمْ عَرفنا   فـي وجْهـهِ نضــرةَ النّعيم ،

والله المسؤول أن يجمع بكم الشَّمل في سعادةٍ دائمة ، وأَن يجمعَ لنا ولكم بينَ التوفيق وحسن الخاتمة .



- ٧ -

رسالة بالنيابة

ووجدتُ بخطّه ما لفظه ؛

صورة ما كتبتُه عنهُ حفظه الله إلى سيّدي جمال الدين علي ابن عبد القادر بن الناصر بن عبد الربّ [٣٩] حماه الله .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله وبارك وترحّم وتحنّن على محمدٍ وآله المطهّرين .

عادتْ عليكَ بما ترجو وتأملُه عوايدُ البرِّ والإحسان والكرمِ ،
ولا برحتَ سعيد الجدّ مغتبطاً تختالُ في حُللِ الإقبال والنّعمِ ،
يروون عنك من المجد المؤثّلِ يا فتى المكارم ما يَروونَ عن «هرمِ» ؛

الحضرة الّتي زيَّن الله تعالى بوجودها الوجودْ ، والمقام الّذي طَلَعَتْ مِن مشارق أنواره بدور السّعودْ ، لمالك أزمّة المعالي ، ومُرتقى ذروةِ الشّرف العالي ، طراز العصابة العلويَّهْ ، وواسطة عقد العِتْرة الفاطميّهْ ، ذي الأيادي الّتي تُخْجِلُ الغمامْ ، والمحامد الّتي ليس لنَشْرها انكتامْ ، والأخلاق الّتي تسحر العقول ، والشّمائِل الّتي هي ألطف من شمائِل من لعبت به شمول ، الولد السيّد العَلَم ، مُسْتخدم السيف والقلم ، مجلّي حلبة الفضائِل ، ومُحلّي جيد الدّهر العاطِل ، جمال الإسلام ، وبهجة اللّيالي والأيّام ، علي بن عبد القادر بن النّاصر .

---

(٣٩) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

أسـاميًا لم تزدْهُ معرفةً   وإنّمـا لذّةً ذكرناها

لا زالتْ أحواله محمودة المصادر والموارد ، وأخلاقه صافية الحياض لكلّ واردْ ، وعليه سلامٌ تَتَفَتّقُ رياضُه ، وتتدفّق حياضُه، وتشـرق شموسـه وبـدورُهْ ، وتفضَحُ عقودا للآلىء المنظومة شذورُهْ ، وبعـد القـاء هذه النِّطاقـة [1] في شريف حضرته عَصَى الأَسْفارْ ، ومثولها في منيف عقْوتِه الّتي قدَّس سرَّها عَالمُ الأسرارْ ، تقبّل شريف تلك الأرضْ ، وتُؤدّي هناك من الصّلاة والتّسليم أكيد الفرضْ ، ثُمّ تُنْهي ورود « المشرّف » الذي كادتْ بيوتُه تنطقُ بالسّحرْ ، وكادَ أَنْ يَبْيَضَّ من نورها الحِبْرْ ، وفاحتْ فأرخصتِ الغوالي ، وكادتْ تشرقُ مصابيح معانيهـا من غُرفِ بيوتها العوالي ،

حكتْ أخـلاقَ مُرسلِهـا وأهدتْ   شـذى أذكى من المسـكِ الفتيتِ،
تكادُ بهـنَّ أبـكار المعاني   من الإِعجـاب تَرقُص في البيوتِ!

متحملاً دُعاء العيد الجليل ، والوقت الفضيل ، والموسم الذي جعل الله تعالى فيه تجارة التقوى رابحهْ ، ونسائم الرحمةِ والغفران على عباده الصـالحين غاديةً رائحة ، عيد النّحر المشهورْ ، وموسم الأجر المبرور ، والله المسؤول أن يلبّي دعاه ، ويَستجيبُ نداه ، ويعيده إلى أمثاله ، في أحمـد أحوالـه ، وأنجـح آمالِه ، وأجمل عاداتِه ، وأمل سعاداتِه ، في نعمٍ لا يتكدّرُ ورودُها ، وقسـمٍ لا تذْوى ورودُها ، وإنعامٍ واسع ، وإفضالٍ متتابع ، وسعدٍ جديد ، وجَدّ سعيد ، ما طلع في سماء الملك بدرا ، وفاضت يداه على العافين بحرا ؛ إنّه جوّادٌ كريم ، سميعٌ عليم .

---

١ ـ هكذا في الأصل النِّطاقة ولعلها «البطاقة» معنىً؛ أو تصحيفا .

- ٨ -

رسالة شكر

ووجدت بخطّه ما لفظه ؛

تفضّل عليّ سيدي المالك علم الدين القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله بنقل قصيدة كان قد وعدني بها فكتبتُ إليه شاكراً لإحسانه ، مثنياً على كرمه وامتنانه ما هذا صورته ؛

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلّم ؛

وفيتَ ولم تَزلْ بالوعْدِ وفيًّا ، وقضيتَ فَرْض الفتوّة ولم تبرحْ فتىً أَريحيّا ، وأتيتَ من الوفاء بما أنتَ أَهْلُهْ ، ومنحتَ فضلاً من غمام نائِلِكَ ما عُرِفَ وبْلُهْ وطلُّه ، وفي رياض كرمِكَ بَسَقَ فرعُه وأَصلُهْ ، لا برحْتَ لابساً مِن الحَمْدِ بروداً لا يخلقُها الزّمانْ ، ولا تُبْلِي طرازَها الأَنيق يدُ الحَدَثانْ ، تستعيرُ منكَ الملوكَ كلَّ مكرمةْ ، ويهتدون بنجوم آرائِكَ في دياجي الخُطوب المظْلِمةْ ، ويستسْقُون غمام نائِلك ، ويسْتَشْفُون من نوائب الزّمانِ بلَثْم أنامِلِكْ ، ويستجيرونَ بعدْلِك من جورِ العدل العبوسْ ، ويأمنون بكلايتك مما يخافون من الضرّاء والبؤسْ ، والقصيدة الّتي تشرّفَتْ بأن تولّت أناملك الشريفة تطريزها ، وصاغتْ كفكَ الكريمة إبريزَها ، وظلّت تجرّ ذيل الافتخار ، وتنافسُ في العُلُوّ والضّيا شمس النهار ، وتتيهُ على الروضِ الأَنيق ، وتحاكي بنفحتها نفحةَ المسكِ السحيق .

لم لا وقـد وشّـتْ مطارفهَا	كفّ المليك النَّدب ذي الكرمِ ، ؟
كفٌّ إذا برزتْ لمكرمةٍ	يهـدي سناهـا في دُجـى الظّلم ؛
غرّاء ما خُلِقـتْ أَنَامِلُها	إلاّ لِحمْـلِ السّيف والقَلَمِ ،
ترجـو لَهَـا طولَ البقـا أممٌ	بوجودهـا أمنـتْ مِن العدمِ[1]

---

١ ـ ربما إن الناسخ اختصر الرسالة فوردت مبتورة .

- ٩ -

طلب إجازة علميّة

ووجدت بخطّه ما لفظه :

صورة كتاب فيه طلب « إجازة » كتبته عن سيدي علم الدين القاسم بن أحمد ابن أمير المؤمنين حفظه الله إلى القاضي العلامة شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال حفظه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ مَن إذا دُعي أجابَ وأجاز ، وإذا أمَّلَ فوائدَهُ مُؤمّلٌ فازْ ، وأصلّي وأسلّم على رسوله الرّاقي إلى غاية الغاية المؤيد بالإعجازْ ، وعلى أخيه أمير المؤمنين ، ونفسه بنصّ الآيه ، المنصوص عليه بالإمامةِ والولاية والوصايهْ ، بابُ مدينة العلم على الحقيقة وما سواهُ مجازْ[١] ، وعلى آلهما نجوم الهداية ، وأعلام طرق الرّوايهْ ، حُماة الحقيقة الحائزين من الفضائل ما لا يُحازْ ، أما بعدُ ؛ فإنّه لما جرتِ العاده ، بأخذ الإجازة مِن أهل الإفاده ، طلباً للتثبّتِ في طرق الرّوايه ، وقصداً للاهتداء بأعلام الهدايه ، وكان سيّدنا القاضي الأجل ، جامع أطراف المجد عن كَملْ ، حائز قصبات السّبق في حلبات العِلم والعمل ؛

قاضي القُضاة وعالم العُلمـا الّذي ... أَحْيا من المجـدِ الأَثيلِ رُفاتا ،
مَنْ إن جرتْ معه الفحول إلى مدىً ... قَصُرتْ خُطاهـم عن خطـاه وفاتا ،

---

١ - استأنس بقول الشاعر :

يابن عمّ الرسـول إن أناساً ... قـد تولّـوك في الخلافة فازوا
أنت للعلـم في الحقيقـة بابٌ ... يا إمامـاً ومـا سواك مجازُ

وهما مكتوبان على محراب مسجد الفليحي بصنعاء

مَن لا يدانيه عُلًى ونباهةً؛ مَن ظلّ في كسب الفخار وباتا ،
مَنْ شرّفت ـ وهُمُ الكرامُ ـ صفاته من أهلِه الأحياءَ والأمواتا

بدر الكمالْ ، شمس سماء شيعة الآلْ ، أبو الحسن أحمد بن صالح بن أبي الرّجالْ ، حفظه الله تعالى مما يخاف ، وأمدّه بموارد الألطافْ ، وأهدى إليه سلاماً سنيًّا ، وإكراماً هنيًّا ، ورحمة الله وبركاته تظلّ عاكفةً على ناديه بكرةً وعشيًّا ، مَنْ فازَ بالقِدح المعَلَّى من قِداح العلوم ، وأحرزَ بفَضْلِ الله تعالى عليه المنطوق مِنْها والمفهومْ ، وجنَى من ثمار جنّاتها ، ما لم يكُن غيره من جُناتِها ، حتى قَمَرَ فيها سهمُه ، وطبّقَ الخافقين علمُه :

فليهْن هذا الزّمان أن قَد أصبْح في أهْلِه وحيدا!
أدركَ غايات كلّ مجدٍ، ورامَ لو أمكن المزيدا؛
للهِ كم قلّد اللّيالي . . من درّ عليائِه نضيدا،
فليسَ يَرضَى حُلَى عُلاه غيرعمود الصبّاح جيدا؛
وكم لَهُ منْ شذورِ نظْمٍ تُلين من لُطْفها الحديدا ؛ !
من كلّ مَصْقولةِ المباني «يُشيبُ» إنشادُها « الوَليدا» ؛

وكنتُ بفضل الله عزّ وجلّ عليّ ، ومن مِننِهِ الواصلةِ إليّ ، مِمّن اقْتبس من أنوارِهْ ، واقتطَف من وروده ونَوّارهْ ، واستظلّ بظلّ عِلمه الضّافي ، وارتَوى عَلَلاً ونهلاً مِن مَنْهله الصّافي ، واهْتدى في طريق العلم بعلمِهْ ، واستملَى الفوائدَ مِن لسانِه وقَلَمِهْ ، ـ شعرا ـ

سالكاً من فنونه كلّ شعْبٍ، جانياً من غصونه أثمارَهْ،
راتعاً مِن علومِه في رياضٍ، خائضاً في بحاره الزّخارَهْ،
كلّ حين أجيلُ فكرِي وطرفي في فنونٍ مثل الرّياضِ نضارَهْ؛
تارةً أشتَفي بآدابه الغرّ وطوراً أجْني العلومَ، وتارَهْ. !

أحبَبْتُ أن أسلُك منْهَجَ أَهْلِ الهِمَم العالية في اكتساب العلوم ، وذوي الرغبةِ السَّامية في رضى الحيّ القيّوم ، في أخذهم طرق الرّواية عن المشايخْ ، لِيمْشوا في تلك الطريق بقدمٍ راسخْ ، فعوّلتُ على كرم أخلاقه الّتي لا يشوبها كَدَرْ ، وشمائِله التي هي أَسْمَا مِن الزُّهْرِ والزَّهَرْ ، أن يُجيزَ لي حفظه الله تعالى ما قد قرأتُه عليه من مقرُوءاته ؛ وما لمْ أسمعْهُ عليه من مسموعاته ، مما سَمِعَهُ على سيّدنا شمس الدينْ ، علاّمة الشّيعة الأكرمين ، تاج العلماء العاملين ، أحمد بن سعد الدين بن الحسين المسوري[٤٠] رحمه الله تعالى آمين ، وعلى غيره من علماء زمانه ، ونَحارير أوانه ، الذين أخذ عنهمْ ، واقتبسَ منهم ، وإن لم أكنْ أهلاً لذلك الشّان . . .مُهْري في ميدانِ الرّهان[١] ، وإنما حداني على ذلك ، رغبتي في سلوك تِلك المسالكْ ، محبّة الإِقتداء بأهل الصّلاحْ ، والتَشبّه بهم ؛ « إن التشبّه بالكرامِ فلاحُ » ، وليكون ذلك طريقاً في الرواية الواضحة ، وطريقةً لِباب حُسن الخاتمة فاتحَهْ، جعلنا الله جميعاً ممن أعْطي يوم الفزع الأكبر كتابه بيمينِه ، ففاز بانشراح صدره وقرّة عينه، من الذين قال تعالى فيهم : **﴿إن كتاب الأبرار لفي علّيينْ وما أدراكَ ما عِلّيون ، كتابٌ مَرقومٌ يشهَده المقرّبون ، إنّ الأبرار لَفي نعيم ، على الأَرائِكَ يَنْظرون ، تعرف في وجوهِهم نَضرة النَّعيم ، يُسْقَون مِنْ رحيق مختوم ، ختامُه مسكٌ وفي ذلك فلْيَتَنَافَس المتنافِسُون﴾** .

(٤٠) ترجع ترجمته في: أعلام الديوان

. . . .

١ ـ لم أتمكن من فهم العبارة وهي مرسومة هكذا «لعسكلة مهري في ميدان الرهان » . ولعلّها «ولم يَجُلَّ مهري » .

- ١٠ -

رسالة استئذان

ووجدت بخطّه ما لفظه :

قصدتُ يوماً حضرة سيّدنا ووالدنا القـاضي العلاّمـة ، راقي أَسْما مَراتـب الزّعامة ، شهاب الدين ، وعمدة أركان شريعة سيّد المرسلين ، أحمد بن صالح بن أبي الرجال ، أحمد الله مساعيَهْ ، وعمر ببقائه سوحَ المجد وناديَهْ ، فأخبرت أنّه تناول دواءاً ، فلم أستحسن الدّخول فرجعتُ ثم عدتُ ، وكتبتُ إليه من بابه ما صورته :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ، وسلام على عباده الـذين اصطفـى ، وصل العبدُ إلى بابك ، لِتقبيل ثرى شريف جنابك ، واراداً منك بَحْرا ، قاصـداً سيّداً كريماً وأباً بَرًّا ، حتّى بلغه ما تناوله مالكُه من الدّواء ، الذّي يدير إن شاء الله عَلَى الأعضاء كؤُوسَ الشِفاء ، فرجَع يدعو الله تعالى لمالِكه أن يُعَرِّفـه بركة ذلك ، وأن يُزيلَ بصُبْح العافية ليلَ الأَوصاب الحالِك ، وأن ينقُلَ ما به من الألم إلى أعدائه ، ويمُيت حاسدَه بدائِه ، فإنَّه روحُ الوجود وما خيَر جسْمٍ اعتلّتْ روحُه ، وناظِر الأدب وما خير ناظرٍ اكْتَنَفَتْهُ قُروحُه ، أدام الله تعالى عافية الزّمـان بدوام عافيتِـه ، وأبقـى صباحَه وجْه العِلم والآداب ببقاء غرّتِه ، وقد عاد المملوك ثانيا وما عادَ بل زارْ ، ورَجا ببركة الزيارة أن يغفر الله له ما اكتَسبَ من خطيّات وأوزارْ ، فإن كان في صَدْر الصَّدْر سَعَهْ تفضّل بالأذن بالدّخول ، وإلاّ فعليه السَّلام والدّعاء له مبذول ، والاتفاق إن شاء الله مُقدّر ، والإجتماع بإعانة الله مُيسَّر غير مُعسَّر ، وصلى الله على سيّدنا محمد المصطفى الأطهر ، وعلى أخيه أمير المؤمنين وآلهما الأكرمين شفعائِنا في المحشرْ ، وعند الفزع الأكبر .

- ١١ -

بقايا رسالة إخاء

قال ؛ . . وفي رسالة أجاب بها على السيد جمال الدين علي بن محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين الإمام الحسن بن علي بن داوُد[٤١] ،وصدّره من « معين » من حضرة المولى سيف الإسلام أحمد بن الحسن أيده الله في أواخرِ شهر رجب سنة ١٠٧٥هـ عن كتاب كتبه إليه وأرجوزة شِعرٍ لَه ؛

بسم الله الرحمن الرحيم

وافاني الكتاب الذي ؛ عانقته فَسكرتُ من طيب الشذَى ، وقابلتُ منه ريحَ القبول فلست أرتاح لِغيره ؛ ما دمتُ في قيد الحياة ولا إذا . !! وأخذَ بمجامع قلبي (هنا سَقَطَتْ صفحة) وآيسني من وجود أَفضل مِن « الفَاضل » غير كاتبِه فليسَتْ نفسي في غيره طامعه ، وقلتُ لأَهل الأدب وقد طلع نوره يتلالا ، هكذا هكذا وإلاّ فلاَ لاَ ! تبارك الله تعالى، أزُهْرٌ أم زَهَرْ ؟ وبدورٌ أم بِدَرْ ؟ وبحرٌ أبدى جواهرْ ، أم أفقٌ أطلَعَ زواهرْ؟ وروضٌ دبّجه الربيعْ ، أم لُؤْلؤٌ نضّدهُ « البديع » ، ؟ وسُكّرٌ صادقُ الحلاوَة ، أم مسكرٌ لا تبلغ بنت الدّنان في التلعّب بالعقولِ شأوَهْ ، ؟ ولقد دهش في محاسنه طَرْفي ، وكلّ عن الجرْي في حلبةِ الاطراء عليه جواد وصفي ، فعينُ الله على يَدٍ رقمتْه ووشّتهْ ، وأنامل بقلم الذّهب طرَّزته ورشّتْه ، وهل السّحر إلاّ كذلكْ ؛ وليس الدرّ إلاّ من هنالكْ ، ذلك سيّدي الذي ما زالتْ سحْب أياديه عليّ هاطلَهْ ، وفواضلُهُ إليّ في كلّ زمانٍ ومكان واصلَهْ ، وإنعامه لديّ يتجدّد ، وإحسانُه عليّ يتردّد ، ذو الفضل السّاطع في أفقِ الكمال نورُ بَدْره ، والمجد المتفتّح في روض مجد الآل نَوْرُ زَهْرهْ ، جمال الإسلام والدين ، علي بن محمد بن أحمد بن

(٤١) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

أمير المؤمنين ، حفظه الله بالمعقّبات من أمْرِهِ ، وأهدى إليه من السَّلام ما يكون به قرار عينِهِ وانشراح صدرهْ ، وخصَّه بالتحيّات السنيّات ، والبركات الهنيّاتْ ، وإنهّا صدرت الأحرف القاصرة بعد وصول كتابه الشّافي ، ومرقومه الّذي ألبسني بُرْدَ السرّورِ الضّافي ، وأوردَني مورد الأفراح الصَّافي ، مصحوباً بالأرجوزة العظيمهْ ، المزرية بالدّرر اليتيمَهْ ، المحاكية لِدراري النجوم ، ولآلي العقد المنظوم ، والزّهور النديّهْ ، والنفحات النَديَّهْ ، وظلّتْ تسحبُ على «ابن وكيع» ذيل الفخر ، وتتأرّج في أرجاء البلاغة بأطيب نشر ، فلله درّ من نظَمها عقودا ، ووشّاها ببيان فكره بُرودا ، والله يحرسُ تلك الفكرة التي هي صدف تلكَ الدُّرَرْ ، وروضة ذلك الزّهَرْ ، ودوحة ذلك الثّمَرْ ، وسماء تلك الغرر ، ويبقى تلك الشمائل ، التي يتمنّى النّسيم لطفها ، والأَخلاق الّتي لا يطيق الفكر وصفَها ، وكان وصولها ونحن (هنا سَقَطَتْ بقيّةَ الرسالة وصفحات ربما كانت تضم رسائل أخرى) وبعدها أورد كاتب النسخة « ف » قصيدتي رثاء الأولى لصديق الشاعر الهبل السيد العلامة محمد بن علي بن صلاح العُبالي[٤٢] مطلعها :

مَضَى « الحسن » السَّامي :

مُصــابٌ بهِ آل النَّبــيّ أُصِيبوا ،	لَنــا فيهِ حَظٌّ وافــرٌ ونصيبُ ،
مضَى « حَسَنٌ» لمّــا دعــاه حمامُه ،	وكلٌّ لداعــي الحادثــات مجيبُ ؛
بدارِ البقــا أضحَــى مُقيمــاً بلَحْدِه ،	وإن الّــذي في لحــدِه لَغريبُ ،
فيا لكَ مِن خطــبٍ عظيمٍ مُقلقلٍ	يكادُ له الصّخـر الأصــمّ يذوبُ ،
وتنهدّ مِنــه الشّامخـات لـهـولِه ،	ويُسمــع مِنهــا رنّــةٌ ونحيبُ ،
وأظلمتِ الـدنيا الّتـي كان نُورها ،	وكادتْ نجـوم في السمـاء تغيب ،
مضى الحَسنُ السَّامي حميداً مكرّماً	فقيداً ، وحيداً ، قد جفـاهُ حبيبُ !
فتــىً ألمعيّ لوذعــيّ مهذّبٌ	أديبٌ ، عليمٌ بالأمــور أريبُ ،
تقــيٌ زكيٌّ عالــمٌ متبتّلٌ ،	همامٌ حوى كل الخلال ، نجيبُ ،

(٤٢) تراجع ترجمته في : أعلام الديوان

رؤوفٌ بمَن، لِلآل أَضْحَى مُوالياً؛ رحيمٌ ، وفي عين العدوّ مهيبُ ،
هو العَلَم السَّامي فخاراً وسؤدداً، فما إن لَهُ في العالمين ضريبُ ،
محبٌّ لأَهلِ البيت؛ غير مُعرّجٍ على غيرهم ،مَاضي الجنانِ صَليبُ!
فكَمْ غُررٍ مِن نظْمه في مديحهم يُقصِّرُ عنها «أحمدٌ» و« حبيبُ» ؛
ففارقنا والْعَيْنُ يَهْمِلُ دَمعُها، وفي القلبِ من حزن عَليهِ لَهيبُ ،
لعمري لقد سرّ «النواصب» موتُه ، كما ساءنا؛ إنّ الزّمانَ عجيبُ ؛
فلا تشمتوا يا معشر «النّصْب» واخْسَئوا فَنحنُ إلى دارِ الفناء نؤوبُ ،
لَئِنْ خانَنَا فيهِ الزَّمان مُنَافساً؛ فلا عجبٌ ؛ إن الخطوبَ تنوبُ ،
لقد نال ما يهواه حقًّا بجنّةٍ، تقرّ عيونٌ عندَها، وقلوبُ ،
فطوبى لِعبدٍ خاشعٍ متضرّعٍ إلى الله ؛ يخشى ربَّه ، وينيبُ ،
ويجعل تقوى الله زاداً فإنها دواء لداءٍ مُعْضلٍ وطبيبُ ،
فإنّ لقاء الله آتٍ، وإن يُرى بَعيداً لَدَيْنا ، فالوُصولُ قريبُ ،
فيا سَوْءَتا إن جاءنا الموتُ فجأةً وقد أثقلَتْ منّا الظهورَ ذنوبُ ؛
إذا ما عصينا الله عُدْنا بتوبة ، ونعصي، وقلنا الله سَوف يتوبُ!
تولّى شباب الدَّهر عنّا وصفوَه، وضاحَ به في العارضين مشيبُ ؛
وجاء نذير الشّيب يفترّ ضاحكاً، وقد آن من شرخ الشباب مغيبُ ؛
فصبراً « جمال الدين» [1] صبراً فإنّهُ لَيُعْطي جَزيلاً صابراً ويُثيبُ ؛
ورحمة ربّي لا تَزال تزورُه، وتغشاهُ ما هبَّتْ صباً وجنوبُ ،
لَنا بالنبيّ المصطفى وبآلِه تأسٍّ ؛ إذا أمرٌ دهى، وخطوبُ .

وأما القصيدة الثانية فهيَ همزيّة للقاضي العلامة جمال الدين علي بن محمد بن علي سلامة[43] يرثيه أيضا ومطلعُها

«حَسَنٌ مَضَى بمحاسنٍ وسناءِ ومَناقب جَلّت عنِ الإحصاءِ

(٤٣) تراجع ترجمته في: أعلام الديوان

١ ـ جمال الدين : هو والد الشاعر ، العلامة علي بن جابر الهبل رحمه الله .

وهي من النظم الركيك وإن كانَت تُعبّر عَن أسى وحزنٍ، ومشاعر صادقة ؛ ولا شك أن «الهَبل » قَد بكَاهُ شعراء عصره « كالهنـدي » و« الآنسـي» و« جامع ديوانه» و« شعراء» آل القاسم ، وغيرهم بالقصائد الرائعـة ولا بد إنَّهَـا مبثوثـة في المخطوطات اليمنيّة ، ودواوين الشعراء الَّتي لا تزال مركومة ، في زوايا الإهمال ، وسوف أحاول العثور عليها جهْدي بحول الله .





أعلام الدّيوان





أعلام ديوان الهبل

١ ـ أحمد بن ناصر المخلافي جامع ديوان الهبل وصديقه وتِربه كان فقيهاً عالماً شاعراً خطيباً مجاهدا يمثّل «الزيدي» الملتزم ؛ وقد عاش بعد صاحبه الهبل تتقاذفه أمواج الأحداث ؛ نُعمَى وبُؤسى ؛ ! ورأى بعيني رأسه ما كان زميلهُ يخشاه من عدوانٍ على نظرية « العدل والتوحيد » ، ومِنْ قِبَلِ من كانوا يرونهم « الممثّلين الشرعيين » لها ! وانظر ترجمته في مقدّمة الديوان ؛ ولد سنة ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٦م وتوفي سنة ١١١٧ هـ/ ١٧٠٦م.

٢ ـ الإمام الناصر صلاح الدّين محمد بن علي بن محمد ؛ من أكابر أئمة اليمن علماً وجهاداً ؛ برّز في كل العلوم الدينية واللغويّة ، وله عدّة مؤلّفات ورسائل ، ومسجده بصنعاء من أشهر معالمها ، وخير مرجعٍ لمعرفة المزيد من أخباره واجتهاداته الدينية والدنيوية ما كتبه عنه معاصره السيّد الجليل الهادي بن ابراهيم الوزير في كتابيْه « كريمة العناصر في الذبّ عن سيرة الإمام الناصر » ، « وكاشفة الغمّة عن حسن سيرة إمام الأئمهْ » والجزء الأوّل من كتاب « أئمة اليمن» ص : ٢٦٠ ـ ٢٨٠ ـ و« مساجد صنعاء » للقاضي محمد الحجري ص : ـ٦١ ـ . ولد سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م/ وتوفي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م .

٣ ـ علي بن أحمد بن محمد الآنسي ؛ الأريب الأديب ابن العلاّمة الرئيس العالم الشاعر السيد أحمد بن محمد الآنسي أحد أركان الدولة في عهد المتوكّل على الله اسماعيل ، وأخوه الشاعر الكبير أحمد بن أحمد الآنسي المعروف بالزنمة وأخبارهم وأشعارهم تزخر بها المخطوطات مثل «مطلع البدور » و« نسمة السحر » ؛ وهو

ممن أهملهم الشوكاني لأمرٍ ما ! وتوفي في أواخر القرن الحادي عشر . وكان من أصدقاء الهبل .

٤ ـ الإمام الهادي عز الدين بن الحسن ولد سنة ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢م وتوفي سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م انظر أئمة اليمن جـ : ـ ١ ـ ص : ٣٤٤ ـ ٣٥٦ ـ و« البدر الطالع » جـ ـ ١ ـ ص : ٤١٥ ـ .

٥ ـ محمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال أحد النجوم اللاّمعة في سماء الأدب في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري مع أخوته الفطاحل ، أحمد ، وحسين ، وزيد وعلي ؛ وكلّهم كانوا من أصدقاء الهبل وأنصاره تربطهم عقيدة « العدل والتوحيد » ورابطة الشعر والأدب ولم يترجم له الشوكاني !

٦ ـ الحسين بن صالح بن محمد بن أبي الرجال ؛ مثل أخيه السالف الذكر محمد كان شاعراً أديبا ؛ ويقول زبارة في نشر العرف جـ :ـ ١ ـ ص ٥٥٤ ـ« لعلّ وفاته كانت قبل وفاة صنوه علي بن صالح سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م .

٧ ـ زيد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال الشاعر الظريف البليغ كان من المقرّبين إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن ثم حدثت بينهما جفوة ؛ وله مراسلات مع السيد الشاعر الأديب جعفر بن المطهّر الجرموزي ومن رقيق شعره في قصيدة طويلة :

اللهَ في كبدي التي أحرقتَها	عبثاً بجمرة خدّك الوقّاد !
وإلام تمنحني الصدودَ تجارياً؟	ما الشانُ في صدّي وفي إبعادي؟
أذكيتَ أحشائي، أذلت مدامعي،	قصرّتَ سلواني، أطلت سهادي!
أسعدتَ عُذّالي، أطعت كواشحي	يا منيتي ! أشمتّ بي حسّادي.

وتوفي سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٦م وانظر أخباره وأشعاره في «نشر العرف» جـ : ١ ـ ص :٦٤٨ ـ

٨ ـ الامام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم من أكبر أئمة اليمن شأنا وهمّةً وعلماً وله عدّة مصنّفات وفتاوى ، ولد سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١١م وانتُخِب إماماً سنة :

١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م ، وقد وحّد اليمن الكبرى تحت راية دولةٍ عظيمة وقال الشوكاني في ترجمته : « لم ير النّاسُ أحسنَ من دولته في الأمن والدعةِ والخصب والبركة » وتوفي سنة ١٠٨٧هـ / ١٦٧٧م والفضل في توحيد اليمن لأخيه المؤيد وأخويه القائدَين العالمين الحسن ، والحسين ، وللمهدي أحمد بن الحسن ؛ عندما كانت نظرية « العدل والتوحيد «تطبق» بإخلاص.

٩ ـ الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم : رابع الخلفاء القاسميّين ، وكان شجاعاً هماماً :

إذا همّ ألقَى بين عينيْه هَمّه ونكّبَ عن ذكرِ العواقب جانبا.

وقد استطاع بصبره وإقدامه ، وحنكته العسكريّة وكفاءته الإداريّة أن يوحّد لأخيه ، جميع أصقاع اليمن شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً : ولد سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٣٠م وبويع بالامامة أثر وفاة عمّه المتوكل واستمر حتى توفي سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨٢م وقُبِرَ بمشهده المشهور في «الغِراس» قال عنه « الشوكاني » : « وهو من أعظم الأئمة المجاهدين الباذلين نفوسهم لدفع المعاندين » . البدر الطالع جـ : ١ ـ ص ٤٤ ـ .

١٠ ـ السيد محمد بن أبي طالب أحمد بن الامام القاسم ؛ أهمل ذكره « الشوكاني » ، وتداركه زبارة في ملحق «البدر الطالع » وقال : « كان رئيساً جليلاً كاملاً ، له معرفة بأنساب الناس مطّلعاً على السير والأخبار ، مُقْرِياً للضيف ، مسموع الكلمة في جهات حاشد وبكيل له صولةٌ عليهم مات في شهر محرم سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م « ملحق البدر » ص : ١٩٣ .

١١ ـ يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد محمد ابن الإمام القاسم . مثلما كان أحمد بن الحسن ممدوحَ « الهبل » في مُثُلِه الكريمة للرّجولة والشجاعة والإقدام ؛ كان يحيى ابن الحسين ممدوحَه ؛ في مُثُلِه العُليا لِعقيدةِ « العدل والتوحيد » ؛ وكان يحبه ويودّه حبّ الصديق المخلص ، وودّ الزميل في درب المبدأ والهدف والعقيدة تجمعه به وبزميله وجامع ديوانه « المخلافي » ، والشعراء من آل « الآنسي » و«أبي الرجال» فكرة واحدة سياسياً ومذهبيًّا وسلوكا ؛ وكان « الهبل » وسائر

زملائه يرشّحونه للخلافة بعد « المتوكّل » ، وقد سبق في المقدمة ما قاله عنه « الشوكاني »، وما قاله «السيّاغي »، وهو والد مؤلّف « نسمة السحر » يوسف بن يحيى ، وقد ترجم له فيها كما قال « زبارة » ؛ مولده في شهارة سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م ، وله عدّة مؤلفات ، وأخذ علم الطب عن الحكيم محمد بن صالح الجيلاني ؛ وتوفي سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٨٠م .

١٢ ـ زيد بن يحيى بن الحسين السالف ذكره ؛ وهو ليس من الأعلام الذين عاشرهم أو زاملهم « الهبل » إذ قد توفي ولمّا يتجاوز السيد زيد هذا عامه الثاني ، ولكن الهبل كان قد هنّأ بحدوثِه والده يحيى ؛ وتنبأ له بالنجابة وعلوّ الشأن والسبق في حلبة العلم والأدب وذلك ما كان ؛ فما طرّ شاربه إلاّ وهو حديث المجالس ، مشهور بذكائه النادر وكثرة محفوظاته وشعره البديع . وقد توفي والده وهو في سن الخامسة عشر ، أمّا والدته الشريفة نفيسة بنت علي بن المؤيد ابن القاسم فقد توفّاها الله وطفلها النّجيب في شهره السّادس ، ورثّاها وعزّى زوجها « الهبل » بالقصيدة رقم ـ٣١١ـ

أفضْ عليكَ لبُوسَ الصبّر والجلدِ فإنّه الموت لا يُبقي على أحدِ

وكانت من فضليات نساء زمانها عقلاً وديناً وكرماً ، ووالدها والي «صنعاء» كان عادلاً كريماً : وللسيد زيد بن يحيى ديوان شعر جمعه أخوه يوسف بن يحيى وسمّاه «طلوع الضيا» ؛ وتوفي بصنعاء يوم عيد الأضحى سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م عن تسعة وعشرين عاماً وبكاه أخوه بكاءاً مريراً ؛ ومن شعره :

إذا قبلتُها خجلتْ فيسري على وجناتها البيض احمرارُ
كأنّ بخدِّها مصباح نور، يكادُ يُضي ولمْ تمسَسْهُ نارُ!

وانظر «نشر العرف » جـ : ـ١ ـ ص : ـ٧٠٠ـ٧٠٧ ـ وانظر التعليق رقم ـ ٣٠ .

١٣ ـ السيد صلاح بن محمد العبالي من بيت علم وأدب نبغ منهم عدة فضلا في القرن الحادي عشر وكان من زملاء الهبل والمخلافي ويحيى بن الحسين وتربهم في

المذهب والسلوك وتوفي سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م « نشر العرف » جـ ١ ـ ص ٨٠٣ ـ .

١٤ ـ اسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم عندما ترجم له « الإمام الشوكاني » قال : « الرئيس المشهور والمؤرخ الأديب مؤلف «سمط اللآل في شعراء الآل » وهو كتاب ترجم فيه لكلّ من شَعَر من العلويّة ، ولم يُحطْ بمشاهيرهم فضلاً عن أهل الخمول منهم ، ولكنّه في الجملة كتاب مفيد؛ قيل ان الإمام المتوكل على الله اسماعيل أنكر عليه إكثاره من الشعر فجمع هذا الكتاب وجعله كالردّ عليه ومن شعره :

غطّى على خدّه بكمّ ... فأشبه الورد في الكمائمْ
وقال لي ناطقاً بصوت ... كأنّه ساجع الحمائمْ؛
أخشى من العين؛ قلتُ مهلاً ... عيناك يا منيتي تمائم!

وشعره كثير غالبه الجودة ، ومدحه كثير من الشعراء » ثم قال «ومات سنة ١١١١هـ ببيت الفقيه » وهذا خطأ صوّبه زبارة وقال إن وفاته سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م بالعِدين . «البدر الطالع » جـ ١ ـ ص ـ ١٥٥ ـ

١٥ ـ القاسم بن أحمد ابن الإمام القاسم أحدِ الأمراء الأماثل المقربين إلى عمّه المتوكل على الله اسماعيل ؛ ووالده هو الرئيس العظيم المشهور بالمجد والكرم أبو طالب أحمد ابن الإمام الذي كان كعبة آمال الشعراء في أوائل الدولة القاسمية ، وكان يعطف عليهم ويجيزهم الجوائز السنيّة ممّا جعل والده الإمام القاسم ينهاه عن ذلك لا بُخلاً ؛ ولكن حرصاً على أموال المسلمين أن تُصرف في غير مصارفها المشروعة ومن أجلّ مناقبه عمارة « السَّماسرِ » في كثير من الأصقاع لايواء المسافرين ، وعمارة مسجد الروضة المشهور ولم يترجم الشوكاني له في البدر الطالع ولا لولده هذا والسيد أبو طالب أحمد بن القاسم هو جد أسرة «أبي طالب » المشهورة في اليمن بالعلم والفضل والأدب والشعر والرياسة وممن عرفته منهم العلامة الحُلاحِل قاسم بن حسين العزي ناظر الأوقاف طيلة أيام

الإمام يحيى وولده الشاعر الأديب محمد بن قاسم العزي ، والألمعي تِربي وزميلي السَّفير عبد الرحمن عبد الصمد ؛ وكان شاعراً فذاً.

١٦ ـ الإمام الأعظم القاسم بن محمد بن علي مؤسّس الدولة القاسمية ؛ ومجدّد القرن الحادي عشر والذي استطاع بهمّته ، وإخلاصه ، وجهاده وصبره ، وكفاءته النادرة أن ينقذ اليمن مما كانت تعانيه من جور الأتراك ، والأمراء الاقطاعيين والمشايخ الطغاة ، وأن يضعَ أساساً نما وطال وتوسّع حتى ضم اليمن كلّها ؛ وسيرته تأليف مطهّر الجرموزي مشهورة ، وله عدة مؤلفات في الأصول والفروع وعلم الكلام ، وكان كاتباً بليغاً ، وخطيباً مصقعاً ، ويقول الشعر الجيد ، إلى فروسية وشجاعة ورباطة جأش ، وبسطة في العلم والجسم ، ولد سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م ودعا الناس إلى مبايعته سنة ١٠٠٦هـ / ١٥٩٨م وكانت وفاته يوم ١٢/ ربيع الأول سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م وقد ترجمه الشوكاني بإيجازٍ وإحاطة ومما قاله فيه وفي دولته وأولاده ما يلي :

« ولمّا فاق في العلوم وحقّق منطوقها والمفهوم ، وكانت اليمن إذ ذاك تشتعل من الدولة التركية اشتعالا ، لما جبلوا عليه من الجور والفساد ، الذي لا تحتمله طباع أهل هذه البلاد ، دعا هذا الإمام الناس إلى مبايعته وكان ذلك في شهر محرم سنة ١٠٠٦هـ في جبل «قاره» ـ بالقاف والراء المهملة ـ فلماّ ظهرت دعوته اشتد طلب الأتراك له في كل مكان فصار يتنقّل من مكان إلى مكان ، والحاصل أنها جرت له خطوب وحروب وكروب قد اشتمل عليها كتاب سيرته ؛ وكان تارة ينتصر فيفتح بعض البلاد اليمنية وتارة تتكاثر عليه جيوش الأتراك فيخرجونه عنها فيذهب هو وجماعة من خلّص أصحابه الذين يأخذون عنه العلم إلى فلاة من الأرض بحيث تنقطع أخبارهم عن الناس ولا يدرون أين هم فتمضي أيام على ذلك فلا يشعر الأتراك إلاّ وهو في البلاد اليمنيّة قد استولى على مواضع ؛ وما زال هكذا مع إقدام وشجاعة وصبر لا يقدر عليه غيره ، حتى أنّه كان في بعض الأوقات قد لا يجد هو ومن معه ما يأكلون عند اختفائهم

فيأكلون من نبات الأرض ، وقد يكابد من الشدائد ما يظن كل أحد أنّه لا يعود بعد ذلك إلى مناجزة الأتراك فبينا هم على يأس من رجوعه إذ هو قد وثب على بعض الأقطار ؛ وكان آخر الأمر أنه وقع الصلح بينه وبين الأتراك على أن تثبت يده على ما قد استولى عليه من البلاد وهو غالب الجبال ؛ وكان الأمر كذلك حتى مات رحمه الله ، فأخْرجَ الأتراك من جميع الأقطار اليمنيّة أولاده ، وصفت لهم الديار اليمنيّة ، ولم يبق لهم فيها منازع ، وصارت الدولة القاسمية في الديار اليمنيّة ثابتةَ الأساس إلى عصرنا هذا والحمد لله رب العالمين » هذا ما قاله الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ ١٨٣٥م ؛ وقد أَثبتُّه لأنه كلام شيخ الاسلام ، قاضي القضاة ، وهو يصوّر ما كان شاعرنا « الهبل » يعانيه من غَيْرَةٍ وفزع وتخوف على ضياع ما كسبه القاسم وأولاده الأشاوس ، وأصحابه الذين كان في مقدمتهم آباء الهبل وزملائه وأجدادهم وعشيرتهم بعد طول نصب وعناء ومصابرة لأهوال « الحروب والخطوب والكروب » والتشرّد والخوف والجوع . لكي يتمكّنوا من إزاحة الجور والظلم والفساد ، ونشر العدل والعلم والسعادة على ربوع اليمن وتوحيد أقطارها . . إذا ما تحوّلت الرئاسة أو الزعامة إلى مُلكٍ عضوض مستأثر كما تشير إليه بعض قصائد «الهبل » ، وكما أوضحنا في المقدّمة . . ! نعم أثبتُّ كلام الشوكاني برمّته لهذا ؛ ولأنه أيضاً يردّ على المتقوّلين الذين يثبتون مع الحقّ الباطل فإذا وجد شخصٌ ظالمٌ من أسرةٍ أو طائفة ، أو قبيلة ، حمّلوا وزرَهُ سائرَ أسرته ، أو طائفته أو قبيلته ، كما فعل الأستاذ قاسم غالب والمؤرخ محمد الأكوع في كتابهم « ابن الأمير وعصره » وغيره . والله سبحانه يقول : « ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى » ! وقد قال الإمام الشوكاني بعد ذلك وفي ترجمته للإمام القاسم كلاماً لو سمعه «الهبل » « الزيدي » « المتعصّب في محبته لأهل البيت » لما كان عنه راضيا ! مع انّه يجعل كل ما ورد في كتاب «ابن الأمير وعصره» وفي بعض كتب «الأكوع» وتعليقاته مجرّد حبرٍ على ورق ، يقول الإمام الشوكاني « وكان له ـ أي للإمام القاسم » قوّة عظيمة ، وهو ربعة ، معتدل القامة ، إلى السّمن أقرب ، واسع الجبهة ، عظيم العينين ، أشم الأنفَ ، طويل

اللّحية ، عظيمها ، عبل الذراعين ، أشعرهما ، فصيح العبارة ، سريع الاستحضار للأدلّة كثير الحلم ، يصبر على المكاره ، ويتحمّل العظائم ، ولا تفزعه القعاقع ، ولا تحركه الأهوال ، وكان يقدم على الجيوش التي هي ألوف مؤلّفة وهو في نفر يسير ، ولهذا كانت له العاقبة ، وقهر الأعداء ، وأزال ملك الدولة العظيمة ، ومهّد لعقبه هذه الدولة الجليلة ، التي صارت من غرر الدهور ، ومحاسن العصور ؛ وفيهم من هو من أئمة العلم المصنّفين ، ومن أئمة الجهاد المثاغرين ، ومن الشعراء المجيدين ، ومن الخلفاء الراشدين ، ! ومن الفرسان المعتبرين ومن الشجعان الفائقين ، وقد اشتمل هذا الكتاب «يقصد البدر الطالع» على تراجم جماعة من أعيانهم ؛ هم طراز هذه التراجم وتاجها » « البدر الطالع» جـ-٢ ـ ص ـ ٤٧ ـ ٥٠ .

نعم إن الإمام الشوكاني كان صادقاً في وصفه، مخلصاً في قوله، وقد أنصف آل القاسم وهو ـ كما قلت ـ يجعل كل تقوّلات المغرضين والمتعصبين مجرد حبرٍ على ورق ولئن أرضى «الهبل» فيما قاله عن «القاسم» العظيم لأنّه لم يعْدُ الحقّ ، ولأن أب «الهبل» وجدّه وسائر عشيرته كانوا من صفوة أصحابه . . لكنه لم يكن يهمّه أن يكون الحاكم شاعراً مجيداً ، أو فارساً معتبرا ، أو شجاعاً فائقاً . ! مثلما كان يهمّه أن يكون عادلاً خليفةً راشدا ، فالعدل أساس الحكم وكل دولةٍ لا تقوم على أساسه سرعان ما تنهار ودليل ذلك هو أنه لم يمض على وفاة الإمام الشوكاني خمسة عشر سنة الاّ وقد انهارت «دولته » القاسميّة، التي قال أولاً عنها : «وصارت الدولة القاسمية في الديار اليمنية ثابتة الأساس » وقال ثانياً إنها « الدولة الجليلة التي صارت من غرر الدهور ومحاسن العصور » ؛ نعم بعد خمسة عشر سنة من وفاة «الشوكاني» حدث ما كان يخشاه الهبل قبل مئتيْ سنة فقد عاد الأتراك من جديد سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م للأسباب التي شرحناها من قبل في المقدّمة ؛ وكان ما كان فاعتبروا يا أولي الأبصار . وكان العلاّمة الرئيس الحسين بن علي ابن المتوكّل إسماعيل بن القاسم المولود بضوران سنة ١٠٧٢هـ وهو ممن عارض صاحب المواهب وبايع عمّه يوسف كما صنع « المخلافي » ، وأسر معه وحُبس وعذّب ونفي إلى المخا ؛ وهو

شاعرٌ مجيد ؛ قال عنه السيد عبد الله بن علي الوزير « إنه أشعر آل القاسم وتوفي سنة ١١٤٩هـ. كان هذا الشاعر قد لاحظ ما لم يلاحظْه الإمام الشوكاني بعده بمئة عام من تدهور الخلافة القاسمية ودولتها مع أنها دولة أهله ، وبني عمه ، فقال من قصيدة طويلة :

بني عمنا صيرتم الظلم عادةً ... على غير تدبيرٍ عَدِمْناكم معًا!
أسود على نهب المساكين جرأةً، ... ثعالب إن لاقيتم السّمر شرّعا
جبلتم على نهب الرعايا تجارياً ... على الله ، معْ تيهٍ لديكم وإدّعا!
وجرتم على كلّ الأنام بجرأةٍ ... فلم يجدوا منكم سوى الله مَفْزعا
فمن أجل هذا فرّق الله شملكم ... وبدّد منكم كلّما قد تجمّعا
فلا عالم قد رام جمع شتاتكم ... ولا عاقل في لفّ شملكم سعى!
وسلّط أشرار الخلائق كلّها ... عليكم بظلم منكم قد تنوّعا؛
فقد كانت الآباء منكم أئمة، ... سموا فوق هام الفرقدين ترفّعا

إلى آخرها في نشر العرف جـ ١ ـ ص ٥٨٠ ـ وهي من النقد الذاتي ، وصاحبها من خيرة أمراء آل القاسم علماً ورئاسة وسلوكا وقد ترجمه الشوكاني في البدر الطالع ؛ وكان كجده القاسم وعمّه المؤيد و« الهبل » وأضرابه يريد صون « نظريّة » مذهبه السياسية و« تطبيق » مبادئها . وهذا ما أردت أن أوضحه للقرّاء تكملة لما سبق في المقدّمة .

١٧ ـ السيد أحمد بن أحمد بن الامام القاسم من الأمراء المشهورين أيام المتوكل اسماعيل والمهدي أحمد بن الحسن وقد أهمل ذكره الشوكاني كما صنع مع أخيه القاسم وأبيهما وانظر التعليق رقم ـ١٥ ـ

١٨ ـ السيد أحمد بن محمد الآنسي من أصدقاء الهبل وهو شاعر أديب عالم ، وله ديوان شعر ذكره السيد عبد الله الوزير في طبق الحلوى وكذلك السيد العلاّمة أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين في كتابه «ترويح المشوق» ؛ وهو ممن أهمل ذكرهم «الشوكاني» رغم أنه ذكر اسمه في عدّة مناسبات وقال وهو يترجم لابنه الشاعر الكبير أحمد بن أحمد الآنسي المعروف بالزنمة : « ووالده

شاعر مشهور مدح المتوكل على الله اسماعيل وهو دون ولده هذا في الشعر » « البدر الطالع » جـ ١ ـ ص : ٣٧ .

١٩ ـ محمد بن المطهّر الجرموزي من أصدقاء « الهبل » وزملائه وهو أحد أولاد السيد «المطهّر » الجرموزي مؤلّف سيرة الإمام القاسم ، وكان من أعيان دولة المتوكل على الله اسماعيل ؛ ووالده «المطهّر » كان من أركان الجهاد أيام الامام القاسم وتولىّ بلاد عتمه من قبل الإمام المؤيد محمد بن القاسم واستمر والياً عليها حتى توفي سنة ١٠٧٦ هـ ولم يترجم للسيد محمد هذا الشوكاني في «البدر الطالع» . والجرموزي نسبة الى قرية « بني جرموز » من قرى «بني الحارث» شمال «صنعاء » وقد لعب السيد محمد وإخوانه دوراً سياسياً بارزا في أوائل الدولة القاسمية .

٢٠ ـ الحسين بن المطهّر الجرموزي العالم الرئيس الكريم ابن الكريم ؛ ويظهر من القصيدة هذه ومن الأخرى رقم ـ ١٠٨ ـ أن مكانةً خاصة كانت له في قلب شاعرنا الهبل ومن الغريب إن « الشوكاني » لم يترجم له ولا استدركه «زبارة» في الملحق ؛ وقد ورد ذكره في «نشر العرف» في ترجمة الهادي بن المطهّر الجرموزي عندما قال : « تولىّ للإمام المتوكّل على الله اسماعيل بن القاسم بعض الأعمال ؛ ثم تولىّ بلاد عُتمه بعد وفاة صنوه الحسين بن المطهّر » ونحن نعرف أن المطهر الجرموزي قد توفي سنة ١٠٧٦هـ أو التي تليها ورثاه الهبل بقصيدته رقم ـ ٣١٦ ـ وذلك يعني أن المتوكل قد ولاّه أعمال أبيه ، وكأنه كان أكبر إخوانه سنا : ثم قال « زباره » إن وفاة الحسين بن المطهر كانت قبل وفاة صنوه جعفر بالعدين سنة ١٠٩٦هـ ؛ وصنوهم محمد بن المطهر مات بضوران ولم يؤرّخ وفاته صاحب نسمة السحر ، ولا صاحب نفحات العنبر ، وابن صنوهم السيد الهادي بن أحمد بن زكيّ الدين الجرموزي (قصيدة رقم ـ ١٠٩ ـ و١١٠ ـ) مات في مدينة حيس سنة ١٠٩٧هـ وأما صاحب الترجمة الهادي فتوفي سنة ١١٠٣هـ ١٦٩٢م (نشر العرف جـ: ٢ ـ ص :٧٨١ ـ)وفي ترجمة « زباره » للسيد الشاعر الحسن بن المطهّر الجرموزي قال : « ومدحه القاضي الحسن بن علي بن جابر الهبل بقصيدة أولها :

يا بـن الأئمـة من أبنـاء فاطمةٍ — وخير آل النبي المختار، خـير نبي؛
يا خـير من رقمـتْ طرسـاً أنامله — وأكرم النّاس من عجم ومـن عرب
لله من ماجـدٍ جاز العُلى فعَلاَ — في المكرمات فحاز المجد وهو صبي
ولـم يزل همّـه العليا يشيّدها — وهـمّ أترابـه في اللهـو واللّعب
إن هزّ أقلامـه؛ قالـت أناملُه — تبّت غصـون الرّبـى حمالـة الحطب
لا زلـت تنظـم أسـلاكا منضّدةً — كما تجـود على العافـين بالذهب

وإن الحسن الجرموزي قد أجاب عليه بقصيدة أولها :

أمِنْ لآلٍ تصـوغ النظـم أم ذهب؟ — أم من رحيق تعـالى الله أم ضرب؟
هل تلك روضة حسن جادها غدق — فحفّ دوحاتهـا بالزهـر والقضب

إلى آخرها، ولا أدري لماذا لم يثبت جامع الديوان قصيدة « الهبل » هذه في ديوانه ؛ أم هي مما مزّقه وأتلفه الهبل نفسه ، وبعد كتابه هذا حدثني الأستاذ البحاثة حسين بن عبد الله العمـري أن نسخـةً من ديوان الهبـل توجـد في مكتبـة « علي أميري » في « استانبول » برقم ٣٣٢٧ كان يملكها عبد الله بن يحيى بن الامام المنصور شهر ذي القعدة سنة ١٢٦٥هـ ، وأن ناسخها قال في نهايتها «تم تحصيل ديوان الأديب المهذب الأريب . .ووافق الفراغ ظهيرة يوم الأحد من شهر ربيع الأخر سنة ١٠٩٨هـ» وقال إن المالك كتب ما يلي :

« هذا الديوان بخط السيد العلامة الرئيس المعظم الأديب الفهامة الحسن بن المطهر الجرموزي رحمه الله » ومن أوصاف الأستاذ العمري للنسخة ، وإنّ مطلع أول قصيدة فيها بعد المقدمة : من ذا إلى عدله أنهْي شكاياتي » وإن آخر بيت هو :

ولرب كأس فَضّ عن — مسـك بلا حرجٍ ختامَهْ

وذلك يطابق النسختين « ن » و« ف » اللّتين اعتمدناهما نفهـم إنهـا صورة منهما أو هما صورة منها .

ولا أدري هل توجد فيها القصيدة التي قال زباره إنّـه كتبهـا إلى «الحسـن» الجرموزي وجوابها أم لا ؛ وإذا صحّ أنّ الجرموزي كتبها بخطه فلا يمكن أن يهملهما

وإن كان الشك يخامرني لأن أوصافها نفس أوصاف نسختي مقدّمةً وبدايةً ونهاية .

والسيد الحسن الجرموزي مولده سنة ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٥ م وتوفي سنة ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩ م وقد ترجم له « الشوكاني فقال : « وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والحديث والتفسير وله مؤلفات منها شرح « نهج البلاغة » و « نظم الكافل » وله شعر حسن « وتنقّل في الولايات فولي « حراز » ثم بندر « المخا » ، ومدحه أعيان الشعراء في زمنه كالشيخ ابراهيم الهندي وغيره من شعراء اليمن وجماعة من شعراء « البحرين » و«عمان » وعظمت رياسته وطار صيته ، ونال من العز ما لم يكن في حساب ، ومات بعد أن تنكرت له الأحوال » ، البدر الطالع جـ ١ ـ ص ٢١٠ ـ نشر العرف جـ : ١ ـ ص : ٥٠٥ .

٢١ ـ الهادي بن أحمد الجرموزي ، ترجم له الشوكاني فقال « أحد الرؤساء الأدباء له شعر حسن » ثم نسب خطأ قصيدة الهبل ـ رقم ـ ١٠٩ ـ لجامع الديوان « المخلافي » « البدر الطالع » جـ ٢ ـ ص ـ ٣١٨ .

٢٢ ـ جعفر بن المطهّر الجرموزي ؛ ترجم له الشوكاني فقال : «الرئيس الكاتب الشاعر ولاّه المتوكل على الله اسماعيل بلاد «العُدين » ، وبعد ذلك صار كاتباً مع السيد عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسين ابن الإمام القاسم لما استولى على بلاد «العُدين » وغيرها ، وكان صاحب الترجمة متشبّهاً بالصَّاحب بن عبّاد ، وأبي اسحاق الصابي ، مكثراً من ذكرهما حتى في شعره وما أحسن قوله في ذلك بعد الترشيح الفائق :

تعانقتْ أغصان بان النّقا فشابهتْ أعطاف أحبابي ،
ومذ صبا قلبي ، صبا صاحبي آهٍ على «الصاحب» و«الصّابي»!

وقوله في المجون وأجاد :

تشابه ذقني حين شبتُ وبغلتي فكلتاهما في اللّون أشيب أشهب

فوالله ما أدري علام أتيتُكم على لحيتي، أم بغلتي كنت أركب!

وكانت وفاته سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م . . « البدر الطالع » جـ : ١ - ص١٨٣ .

٢٣ - محمد بن ابراهيم السّحولي عالم فذ، وخطيب مصقع ، وشاعر مكثر مجيد ترجمه ونقل بعض أخباره وأشعاره السيد محمد زباره في نشر العرف وكان خطيب جامع صنعاء ثم «ردَاع» أيام صاحب المواهب وله أرجوزة طريفة طويلة ؛ شرع في نظمها سنة ١٠٥٠هـ ١٦٤١م وانتهى من نظمها سنة ١١٠٨هـ / ١٦٩٧م ذكر فيها أساتذته وأصدقاءه ومن ذاكرهم وشاعرهم وطارحهم ، ومن أخذ عنه أو تتلمذ له من أكابر علماء اليمن في عصره وقد ترجمه صديقه السيد أحمد بن الحسن حميد الدين في كتابه «ترويح المشوق » ترجمة مستوفاة وترجمه أحمد بن أبي الرجال في مطلع البدور وابراهيم بن القاسم في الطبقات فقال :« عين الوجود بصنعاء وخطيبها الفارس في علوم الاجتهاد ، كان يدرّس في الأصولين والنحو والصرف والمعاني والبيان والتفسير والفقه وله النظم البديع ، وكان عالماً زاهداً فاضلاً عابداً حليف القرآن كثير الخلوات » .

ومن لطائفه ما كتبه إلى الإمام المتوكل اسماعيل يستأذنه في زيارة أهله بصنعاء وكان له طفلٌ يسمَّى «اسماعيل » :

مولاي «اسماعيل» لي طفل بكم متبركاً أدعوه اسماعيلاً
قد «عيل» صبري من مفارقتي له لا للرّباب ولا لأَسْماَ « عيلا»!
منّوا بإسماعي: نعم؛ لأزورَه لا تقطعوا طمعي بإسماعي «لا»

وتوفي سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧ وَفي بغية المريد أنه توفي سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م وفي زهر الكمائم للسيد ابراهيم جحاف أن وفاته سنة ١١٠٩هـ / ومثله في البدر الطالع ، وفي نسمة السحر وذلك هو الأظهر ؛ وقد قال صاحب النسمة : « وكان شيخاً كبيراً قد ظهرتْ عليه دلائل الهرم فكان أوّل ما يصعد المنبر وهو برداع لا يكاد يبين ، لأنّه من رعشة الشيخوخة مهين ؛ ثم تتزايد قوّةُ ألفاظه حتى يسمع كلامه ومعانيه من حضر» . « نشر العرف جـ : -٢- ص :

٤٣٣ -٤٤٣ - البدر الطالع : جـ :-٢- ص -٩٦ -

٢٤ - أحمد بن صالح بن محمد بن أبى الرجال ؛ العالم المؤرخ الشاعر مؤلف الموسوعة المفيدة «مطلع البدور ومجمع البحور» ترجم له الشوكاني في البدر الطالع وساق نسبه الكريم إلى عبد الله بن أبي حفص عمر بن الخطاب الخليفة الصحابي رضي الله عنه ولد في شعبان سنة ١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م وبرع في كثير من المعارف ونال حظاً لدن المؤيد بن القاسم والمتوكل اسماعيل والمهدي أحمد ابن الحسن وهو من مشايخ الهبل وأصدقائه وكذلك اخوانه الحسين وزيد وأولادهم وكلهم نجوم علم وأدب وله عدة مؤلّفات في كثير من الفنون لكن أجلّها قدراً وأعظمها فائدة هو كتاب «مطلع البدور» وهو في أربعة مجلدات ترجم فيه لأعيان الزيدية قال الشوكاني عنه «ولولا كمال عنايته، واتساع اطّلاعه لما تيسّر له جمع ذلك الكتاب لأن «الزيدية» مع كثرة فضلائهم، ووجود أعيان منهم في كل مكرمة على تعاقب الأعصار لهم عناية كاملة، ورغبةٌ وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم ؛ فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظْم ونثر، أو تصنيف رأسا !! وهذا ما توفّر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف والإكباب على كتبهم التاريخية وغيرها» . ! وهذه شكوى مرّة من عالمٍ فذّ؛ ولو بُعِثَ الإمام الشوكاني لرأى العجب فإنّ أحفاد من سخر منهم واستغرب جحودهم للأعيان من مواطنيهم لم يكتفوا بذلك، بل شوّهوا ومحقوا وحاربوا كل فضائل مواطنيهم ؛ ولا حول ولا قوّة إلا بالله؛ وتوفي القاضي أحمد بن صالح سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨٢م ويسمى أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال «الكبير» تمييزاً له عن سميّه وحفيده أحمد بن صالح بن محمد بن أحمد ابن صالح بن أبي الرجال «الصغير» العالم الأديب المشهور المولود سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م والمتوفى سنة ١١٩١هـ والذي كان وزيراً للإمام المهدي العباس بن الحسين وانظر «البدر الطالع» جـ ١ - ص٥٩ - ٦١ -

٢٥ - ابراهيم بن صالح الهندي الشاعر الأديب الذي كان من بين شعراء عصره مع الهبل كما كان البحتري مع أبي تمّام ؛ وكما مرّض الامام الشوكاني شهادته

بتفوق «الهبل » بلو ولولا . ! فإنه كان واضحاً صريحاً عندما قال وهو يتحدث عن الشيخ ابراهيم الهندي « كان أشعر أهل عصره غير مدافع » وقد ترجمه زباره في نشر العرف ونقل عن مؤلف نفحات العنبر قوله : « وله ديوان شعر جمعه ولد أخيه ويقال إنه ترك أكثر شعره تحاملاً على الممدوحين فأضاع شعر عمه وغرر شعره في مدح الامام المهدي أحمد بن الحسن (بعد وفاة شاعرنا الهبل)، وله أرجوزة سماها : «براهين الاحتجاج والمناظرة فيما وقع بين القوس والبندق من المفاخرة » وكان بينه وبين أدباء زمنه كالشيخ ابراهيم اليافعي وأحمد الينبغي ، ومحمد بن حسين المرهي وغيرهم مداعبات ومماجنات ومهاجاة » وبعد أن هدّده صاحب المواهب بأنه سيخرج لسانه من حلقه ! غيّب وجهه عنه ثم تألّه ، وتصوف ، وترك الدنيا ، وله مدائح نبويّة رائعة ، وقصيدته الدالية التي قالها لما رُدّ الحجّاج اليمنيّون ومنعوا عن دخول مكة سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٣م من جيّد الشعر ؛ ومن فائق مقطعاته قوله:

أشبّه ثغره والقات فيه ... وقد لانَتْ لرقتهِ القلوبُ ،
لآلٍ قد نبَتْن على عقيق ... وبينهما زمرّدةٌ تذوب؛

وقد اشتهر ذكره وذاع صيته ونقل قصيدته الدالية في الحج اللواء ابراهيم رفعت في كتابه «مرآة الحرمين »، كما أورد له ابن معصوم في «السلافة» قصيدته الميمية في المتوكل على الله اسماعيل ومطلعها:

نعمْ؛ ما لربّات الحجول ذمامُ ... وما لعهود الغانيات دوام

وتوفي سنة ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م «نشر العرف» جـ : ١ ـ ص ٢٩ ـ ٤٠ ـ

٢٦ ـ القاسم بن أحمد بن الامام القاسم ؛ انظر التعليق رقم ـ ١٥ ـ

٢٧ ـ لم أجد اسم هذا المؤلف فيما بين يدي من المصادر .

٢٨ ـ لم يترجم له أبو الرجال ، ولا الشوكاني ، ولا زباره .

٢٩ ـ السيّدة زكية بنت عبد الربّ ؛ كانت من فضليات نساء عصرها كرماً وفضلاً وابنها هو العلامة الجهبذ الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم قال الشوكاني «برز في عدة فنون لا سيما في علم المعقول فهو فيه فريد عصره، وله تصنيف في

المنطق ، جعله حاشية على شرح العلامة الجلال في التهذيب » « وله يدٌ في علم التصوف » ولد بضوران سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٥م وتوفي سنة ١١١٤هـ/ ١٧٠٣م ومؤلفاته كثيرة وشعره حسن ، وله قصيدة عارض بها قصيدة الشيخ الرئيس «ابن سيناء ، مطلعها :

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تعززٍ وتمنع
لجمال مطلعها ذاتك في الوجود تطلُّعي ولنيل وصلك في الحياة تطمّعي

ومنها :

فإليك أشكو منك ؛ فاجعل بغيتي كشف الغطاء بغير أمرٍ مفزع ،
فالنفس قد حُبسَتْ بسجن مظلم ترجو من السجن الخلاص ؛ فأسرع

وقد خمّسها الشاعر المجيد محمد بن حسين المرهبي فقال :

نزَّهتُ عن أخبارِ غيركَ مسمعي ، ومنعت سرح سواك مرعى أضلعي
يا سرّ مبدأيَ العجيب ، ومرجعي «لجمال ذاتك في الوجود تطلّعي»
الخ .

البدر الطالع جـ : ١ ـ ص : ١٩٧ ـ نشر العرف جـ : ١ ـ ٤٦٨ ـ ٤٧٢ .

٣٠ ـ السيدة نفيسة بنت علي بن الإمام المؤيّد محمد بن الإمام القاسم اشتهرت بالفضل والعقل والأدب وقد سبق ذكرها في التعليق رقم ـ ١٢ ـ عند ذكر ابنها زيد وترجمتُ لزوجها السيد يحيى بن الحسين بالتعليق رقم ـ ١١ ـ وأما والدها فهو الرئيس الجليل علي ابن الإمام المؤيد ولد بحصن كوكبان سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٤م أيام أسر الأتراك لوالده وحبسهم له ، وقد ترجمه زباره في ملحق البدر الطالع ص ـ ١٧٤ ـ وقال : « وكان جدّه القاسم يحبه محبّة زائدة ويشفق عليه ولا يفارقه في غالب أوقاته ؛ وكان يخبر عن جده الإمام القاسم بعجائب وغرائب ، وكان كريماً جواداً سموحاً طاهراً عالماً متفنّناً فارساً مجيداً ، له اطلاع على أخبار العرب وسير الأوّلين » وبعد أن جلا الأتراك من اليمن وخرج عن صنعاء حيدر باشا سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م أناط والده ولايتها اليه فلبث متوليا

عليها نحو أربعين سنة ؛ حتى مات سنة ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٨م وأحبه أهلها محبة زائدة وقبره بجوار مسجد الوشلي المعروف بصنعاء وقال بعض الشعراء :

قد أخبر الركبُ أنّ ابن المؤيد قد ثوى وأُنزل تحت الترب وهو «علي» ؛
وأن في «الوشليّ» اختير مضرحُه، وكيف يُضرحلجُّ «البحر» في «الوشل» !

وانظر مساجد «صنعاء» للعلامة القاضي محمد الحجري ص ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ ـ

٣١ ـ القاضي علي بن سعيد بن صلاح الهبل ، العالم المجاهد كان يسمّى «قاضي أمير المؤمنين» ترجمه «ابن أبي الرجال» في «مطلع البدور» تولىّ القضاء للإمام المؤيد محمد بن القاسم وكان من مستشاريه فلما توفي المؤيّد ولاّه المتوكل أعمال «خولان» فاستقربها ثم كفّ بصره فانتقل إلى الروضة ولازم جامعها يتلو القرآن حتى توفي في شهر شوال سنة ١٠٧٤هـ/ انظر «مطلع البدور» جـ : ٣ ـ مخطوطة زباره .

٣٢ ـ لم أجد له ترجمة ولكنّه من أسرة الهبل وكانوا في القرن الحادي عشر والذي يليه ما بين قاض وشاعر وطبيب وقد ترجم ابن أبي الرجال لوالده العالم العارف أحمد بن سعيد بن صلاح الهبل وقال إنه توفي سنة ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م مطلع البدور جـ ١ ـ ص : ١٦٤ .

٣٣ ـ هو والد شاعرنا الهبل وكان من أكابر رجال وأعوان آل القاسم .

٣٤ ـ المطهر بن محمد الجرموزي والد الشعراء الأعلام المترجم لهم في التعليقات السابقة رقم ـ ١٩ ـ و٢٠ ـ و٢٢ ـ وغيرها ـ وكان من أعلام الدولة القاسمية وله عدة مؤلّفات منها سيرة الامام القاسم ، وسيرة المؤيد وسيرة المتوكل اسماعيل، وكتاب عقد الجواهر البهية ، في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطميّة الحسنيّة ، وصل فيه إلى سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م وتوفي سنة ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٦م .

٣٥ ـ أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين من ذرية الامام شرف الدين ؛ العالم الشاعر الأديب مؤلف «ترويح المشوق في تلويح البروق» ذكر فيه ما دار بينه

وبين جماعة من أهل عصره ؛ ترجم له الشوكاني ؛ وقال : « وقد ترجم له محمد أمين في نفحة الريحانة وصاحب «مطلع البدور » ومن نظمه الفائق القصيدة التي أنشأها على روي قصيدة ابن مطروح :

بأبي وبي طيفٌ طرقْ   عذب اللما والمغتبقْ[1]

فقال :

إياك من سودِ الحدقْ   فهي الّتي تكسو القلق

وله قصيدة مطلعها :

لله أيام الغزل   ما بين معترك المقلْ
أيام ركضي في ميا   دين المسرة والجذلْ

ثم قال الشوكاني وتوفي سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠م ؛ وقد وهم الشوكاني أو كأنّه نقل تاريخ وفاته عن مؤلّف نسمة السَّحر ولا يمكن أن يكون ذلك فإن «الهبل » توفي سنة ١٠٧٩هـ فكيف يقف على قبره وينشد عليه هذين البيتين اللطيفين قبل أن يموت ! وبالعودة إلى «مطلع البدور » الذي أثنى على هذا الأديب ثناءً عاطراً ونقل الكثير من نثره وشعره نجده يقول . توفي رحمه الله بداره بروضة حاتم ، وحمل إلى مقبرة خزيمة ولهذا اتفقت اللطيفة للفقيه بديع الزمان حسن ابن علي بن جابر الهبل حيث قال : (وأورد البيتين) ولكنه لم يؤرّخ وفاته غير أن المؤرّخ زباره نقل عن نسمة السحر أنه مات سنة ١٠٨٠هـ ، ثم علّق على ذلك بقوله وفي الجامع الوجيز إن وفاته سنة ١٠٧٣هـ ثم قال والصحيح إن وفاته كانت في سنة ١٠٧٢هـ كما في ترجمته بطيب السمر للقاضي أحمد الحيمي .

مطلع البدور جـ : ١ ـ ص : ١٢٨ ـ ١٤٦ مخطوطة زباره

٣٦ ـ الامام المؤيد ، هو الامام العالم الفذ محمد ابن الإمام الأعظم القاسم بن محمد ولد سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٣م/ وأخذ العلم عن والده ، ومشاهير علماء اليمن في عصره حتى برع في كثير من العلوم ودرس وأفتى ؛ ترجمه الشوكاني في البدر

(١) في الأصل : والمعتنق .

الطالع فقال : « واشتهر فضله وزهده وورعه وعفّته وحسن تدبيره ؛ ولما مات والده أجمع العلماء عليه وبايعوه وذلك في سنة ١٠٢٩هـ ١٦٢٠م/ ثم قال : « ولم تجتمع الأقطار اليمنيّة بأسرها من دون معارض ولا منازع لأحد من الأئمة قبل صاحب الترجمة ومات سنة ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٥م/ وقبر بشهارة بالقرب من والده ، وكان مشهوراً بالعدل والمشي على منهج الشرع ، والوقوف عند حدوده ، وحمل الناس عليه ، والميل إلى الفقراء ووضع بُيوت الأموال في مواضعها » . «البدر الطالع » جـ ٢٠ ـ ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ـ وقال زباره في الهامش مات عن ثلاثة وستين سنة وقيل في تاريخ وفاته .

إن المؤيّد خير داع للهدى   بخصائص قد نالها من ربه
خير الأئمة في الذين تقدّموا   أو ما ترى تاريخه «خُتِمُوا به»

٣٧ ـ القاضي الأديب الظريف الشاعر المجيد علي بن صالح بن محمد بن أبي الرجال ، أحد الأخوة المشهورين في خلافة المتوكل اسماعيل والمهدي أحمد بن الحسين وانظر التعاليق «٥ » ـ «٦ » «٧ » ، ترجمه الشوكاني في «البدر الطالع » ص ـ ٤٥٦ جـ : ١ ـ وقال «زباره » نقلاً عن « جحّاف » إنه توفي سنة ١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م .

٣٨ ـ ليس فيما بين يدي من المراجع ترجمة لهذا الأمير الأديب .

٣٩ ـ أحد أمراء كوكبان من آل شرف الدين وكان والده والياً لكوكبان وتوفي سنة ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م أما ابنه هذا فلا أدري سنة وفاته . ملحق البدر الطالع ص ـ ١٢٤ ـ

٤٠ ـ القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري قال الشوكاني : « الزيدي القاضي الفاضل البليغ المنشي العارف ، شارك في الفنون ، وتميّز في كثير منها وحرر رسائل وفتاوى » وهو من مؤسّسي الدولة القاسمية وكان يكتب للإمام القاسم ثم ارتفعت درجته أثناء خلافة الإمام المؤيد بن القاسم واستوزره وقد ترجمه ابن أبي الرجال في مطلع البدور ترجمة طويلة وأطال الثناء عليه وله شهرة في اليمن حتى الآن . ولد سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م وهو من أساتذة الهبل ، وتوفي مطلع

المحرم / ١٠٧٩هـ / ١٦٦٩م ولم يعش الهبل بعده إلاّ شهرا واحداً ؛ ومؤلّفاته كثيرة وله ديوان شعر جمعه الأديب أحمد بن محمد الضبوي ومنه نسخة في مكتبه السيد محمد زباره . مطلع البدور جـ ١ ـ ص١٥٥ ـ ١٦٥ ـ البدر الطالع ج : ١ ـ ص ٥٨ .

٤١ ـ السيد عَلي بن محمد بن أحمد بن الامام الحسن بن علي بن داود ترجمه زباره في ملحق البدر الطالع فقال : « كان سيداً سريّا هماماً أديبا وتوفي سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م ـ ص ـ ١٧٧ .

٤٢ ـ من أسرة آل العبالي ذات الشّهرة الكبيرة ؛ ومنهم علماء وفضلاء عدة بالقرن الحادي عشر ووالد محمد هذا هو السيد علي بن صلاح أحد أكابر العلماء ومن أنصار الامام القاسم وكان محط ثقته وعيبة سره، وسفيره في مهماته، وقد قال فيه: «لا أخاف على أهل اليمن وفيهم هذا» ومن اللطائف ما حكاه الشوكاني إن الإمام القاسم أرسل السيد علي العبالي في أ ول دعوته إلى القاضي العلامة يوسف الحماطي ليأخذ منه البيعة فقال القاضي لا معرفة لي بمقدار الإمام في العلم، ولا بد أن أورد عليه مسائل؛ فقال هات ما تريد إيراده عليه من المسائل؛ فذكر له مسائل مشكلة؛ فأجابه العبالي في الحال بجوابات ارتضاها فقال له الحماطي: امددْ يدك أبايعك فأنت أهلٌ للإمامة فقال العبالي : لا تفعل فليس علمي بالنسبة إلى علم الإمام شيئاً فاطمأنت نفس القاضي وبايع وتوفي سنة ١٠١٩هـ / ١٦١١م ـ ثم قال الإمام الشوكاني وله أولاد أمجاد منهم الحسين وهو من العلماء المبرزين وهو الذي أكمل شرح الشيخ لطف الله الغياث على الكافية وولده الحسن بن علي من أكابر العلماء المدرسين المفيدين وولده محمد بن علي ـ الذي رثى الهبل ـ وهو القائل:

من خالفت أقواله أفعالَهُ ... تحوّلت أفعالُه أفعَى لَه،
من أظهر السرّ الذي في صدره ... لغيره ، وهالَه ، وهي لَه ،
من لم يكن لسانه طوعاً لة ... فتركُه أقوالَه ، أقوى لَهُ ،
ومن نأى عن الحرام طالباً ... من رشده حَلاَله ؛ حلاَ له .

البدر الطالع جـ ١ ـ ص ٤٥٧

٤٣ ـ السيد صلاح بن محمد بن علي العبالي هو الذي أكمل قصيدة الهبل الرائية رقم ـ ٩٦ ـ وقد ترجمه زباره في نشر العرف فقال « أخذ العلم عن السيد يحيى ابن الحسين بن المؤيّد في مجموعي الامام زيد بن علي وغيرهما وله منه إجـازة عامة وكان عالماً فاضلا ونقل عن صاحب الجامع الوجيز إنه توفي بصنعاء سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م وانظر تعليق رقم ـ ١٣ ـ وكان من أصدقاء الهبل وجامع ديوانه المخلافي . نشر العرف جـ ١ ـ ص : ٨٠٣ ـ

٤٤ ـ علي بن محمد سلامه ؛ ترجم له زباره في ملحق البدر الطالع فقال :«القاضي العلامة المحقـق الأصـولي » « وكان متفنّنـا في العلـوم ولـه شرح عظيم على «الفصول اللؤلؤية في الأصول الفقهية » وشرح عجيب على «الهداية » « وخدم الإمام المؤيد في الكتابة ولازم ولده علي بن المؤيد وكان حاكما وكاتبا لديه وتوفي سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٨٠م .





الفهرست

الصفحة

